

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
كلية الدعوة وأصول الدين  
الدراسات العليا  
قسم العقيدة

# جهود ابن قيم الجوزية في توضيح توحيد العبادة

المناقشة  
على يد محمد ناصر بن  
١٤٢١/٢/١٦

لقد قام الطالب  
بصحيح الملاحظات والإحاطة  
عضو المناقشة  
محمد سعيد المرعبي  
١٤٢١/٢/١٨

إعداد الطالب:  
عبد الله حاج علي مُنِيب

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العالمية العالمية الدكتوراه

إشراف فضيلة الدكتور:  
أحمد بن مرعي بن عبد الهادي العمري

العام الجامعي:

١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ





# المقدمة



الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أدى الأمانة ونصح الأمة وبلغ الرسالة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابه وأنصاره وأهل بيته الطاهرين ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا نَرًا وَجَهًا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>،  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، وعن ثوبان<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه  
قال: قال رسول الله ﷺ: (( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ))<sup>(٥)</sup>، وبعد:

فإن معرفة توحيد عبادة الله تعالى، والعمل بدينه الذي أنزله لصالح شؤون العباد في الدنيا والآخرة؛ متوقفة على معرفة هدي رسول الله ﷺ وطريقته العملية التي بين فيها شرع

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) ثوبان مولى النبي ﷺ وصحبه، وحفظ عنه كثيرا من العلم وطال عمره، واشتهر ذكره، يكنى أبا عبد الله، واسم أبيه جحدر، ومات بمحرم سنة أربع وخمسين. [يراجع ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٥/٣-١٨].

(٥) رواه مسلم في صحيحه (ح: ١٧٠ - ١٩٢٠)، ملحوظة: معلومات المصدر والمرجع ستأتي في جريدة المصادر والمراجع.

الله تعالى من أول ما نزل عليه الوحي إلى أن أكمل الله تعالى هذا الدين.

وقد وَعَتُ كَتَبُ ابنِ قِيمِ الجوزية رحمه الله كثيراً من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وصفاته، وكذلك جهود ابن القيم رحمه الله في توضيح توحيد العبادة أمر مملوس في كتبه الكثيرة لذلك إخترتُ موضوعاً علمياً لنيل الدرجة العالمية الدكتوراه عنوانه: (( جُهودُ العلامة ابنِ قِيمِ الجوزية رحمه الله في توضيح توحيد العبادة ))<sup>(١)</sup>، فوافق عليه شيخِي وأستاذي الدكتور/ أحمد بن مرعي بن عبد الهادي العمري الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فمجلس قسم العقيدة فمجلس الكلية فالمجلس العلمي، ثم بعد ذلك استعنتُ بالله ثم بمشرفي فبدأتُ العملَ والبحثَ في الموضوع حتى وصلتُ إلى النهاية والله الحمد والمنة.

### أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- أنّ بلادِي ( جزرَ الفلبين ) تقعُ في أقصى جنوبِ شرقِ آسيا، وهي بعيدةٌ عن البلادِ التي فيها عددٌ كثيرٌ من علماءِ المسلمين والمكتباتِ الإسلامية كالمملكة العربية السعودية وغيرها، لذلك رَغِمَ أنّ الإسلامَ قد دخلَ فيها في القرنِ السادسِ الهجري، وصارَ جُلُّ المواطنين فيها على الدينِ الإسلامي، إلاّ أنّ المستعمرين من الأسبابِ الذين دخلوا البلادَ في القرنِ العاشرِ الهجري حاولوا تنصيرَ البلادِ وقتلوا كثيراً ممن قاومهم، فما بَقِيَتْ من بلادِ المسلمين سِوَى الجنوبِ التي تُطلقُ عليها ( بلادُ مُورُو ) حيث قاموا بالجهادِ دِفَاعاً عن دينهم وبلادهم، فاستمرتِ المَقَاوِمَةُ أربعةَ قُرُونٍ تقريباً، ثمّ جاء المستعمرون من أمريكا فاليابان، والمسلمون في الجنوبِ علي دينهم وعقيدتهم - والله الحمد والمنة - هذا وحيث إنّ المسلمين في الفلبين عامةً وفي بلادِ مُورُو على وجهِ الخُصُوصِ في أمْسِ الحَاجَةِ إلى الدُّعَاةِ الأكفَاءِ ولا سيما المُتَخَصِّصِينَ في عقيدةِ أهلِ السنة والجماعةِ وإلى الكُتُبِ التي تَعَلَّقُ بها ليستفيدوا منها، لأنّ أغلبهم لا يدري في أيِّ عقيدةٍ هو وقد لمستُ أنّ عقيدةَ كثيرٍ منهم مخلوطةٌ من عقيدةِ أهلِ السنة والجماعةِ وغيرها، فعامةُ المسلمين هناك لِمَحَبَّتِهِمْ

(١) تبييه وعرفان: عندما فكرتُ في موضوع للدكتوراه وشاورتُ في ذلك زملائي وأساتذتي، أشار إليّ زميلي محمد أبو بكر زكريا بهذا الموضوع مما جعلني أفكر فيه كثيراً حتى تم اختياري له.

لِلْإِسْلَامِ يَقْبَلُونَ كُلَّ مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ تَمْحِصٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ بِالصُّوَابِ فَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى تَثْقِيفٍ مُكْتَفٍ وَتَنْوِيرٍ وَتَبْصِيرٍ بِالْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ وَعَقِيدَتِهِ الْوَاضِحَةِ حَتَّى يَسْتَقِرُّوا عَلَى مَنَهِجٍ وَاحِدٍ صَافٍ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَالخُرَافَاتِ، وَقَدْ وَقَفَنِي اللَّهُ تَعَلَّمَ الدِّينَ الصَّحِيحَ وَالْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ فِي هَذِهِ الْجَامِعَةِ الْمُبَارَكَةِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ رِسَالَتِي فِي هَذَا الْجَانِبِ لَعَلِّي أَسْنَهُمْ فِي سَدِّ هَذِهِ الثُّغْرَةِ الْعَظِيمَةِ وَمِنْ اللَّهِ أَسْتَمِدُّ الْعُونَ وَالتَّوْفِيقَ.

٢- أَنْ ابْنَ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِينَ حَوَتْ مَوْلَفَاتُهُمْ دَعْوَةً صَادِقَةً لِلْعُودَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ فِي اخْتِزَانِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ مِنَ الْمَنْبَعِ الصَّافِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّحِيحَةِ، وَبَذَلُوا جُهْدًا مُشْكُورًا فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ.

٣- أَنْ مَوْلَفَاتِ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى بُحُوثٍ مَهْمَةٍ مِنْ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، حَيْثُ أَنَّ أَقْوَالَ فِيهَا لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ، بَلْ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْبَاحِثِينَ وَالطَّلَابِ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ وَمَشَقَّةٍ وَتَعَبٍ، وَذَلِكَ لِكَثْرَتِهَا وَتَفَرُّقِهَا فِي كُتُبِهِ الْكَثِيرَةِ، فَجَمَعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ وَتَرْتِيبُهَا أَمْرٌ مُهِمٌّ يُقَرِّبُهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَيُحَقِّقُ الْاِسْتِفَادَةَ مِنْهَا بِيُسْرٍ وَسَهُولَةٍ.

٤- وَوَجَدْتُ الْأَخَّ الْفَاضِلَ الدُّكْتُورَ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْغَنِيمَانَ أَخَذَ جُهُودَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَوْضِيحِ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، فَارْدَتْ بِهِذِهِ الْخَطَّةِ أَنْ أَنْسُجَ عَلَى مَنَوَالِهِ لَكَيْ تَبْرَزَ جُهُودُ هَذَيْنِ الْعَالَمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَهَمِّ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ أَلَا وَهُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ.

٥- أَنْ تَوْحِيدَ الْعِبَادَةِ قَدْ أَخْطَأَ فِي بَعْضِ مَسَائِلِهِ بَعْضُ النَّاسِ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْعِلْمِ كَالسُّبْكِيِّ<sup>(١)</sup> وَابْنِ حَجَرَ الْهَيْتَمِيِّ<sup>(٢)</sup> وَغَيْرِهِمَا وَقَعُوا فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَالَفُوا

(١) هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيِّ بْنِ تَمَامِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مُوسَى بْنِ تَمَامِ الْأَنْصَارِيِّ، الْخَزْرَجِيِّ، الشَّافِعِيِّ، السُّبْكِيِّ (أَبُو الْحَسَنِ، تَقِيُّ الدِّينِ)، عَالِمٌ مُشَارِكٌ فِي الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْأَصْلِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَالْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ وَالْخِلَافِ وَالْأَدَبِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةَ وَالْحِكْمَةَ، وَلَدَ بِسَبْكِ الْعَبِيدِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَنْوُفِيَّةِ بِمَعْرِ سَنَةِ ٦٨٣ هـ، وَتَفَقَّهُ عَلَى وَالِدِهِ، وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ، وَوَلِيَ قَضَاءَ الشَّامِ، وَتَوَفَّى فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ٧٥٦ هـ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، مِنْ تَصَانِيفِهِ الْكَثِيرَةِ: الْإِبْتِهَاجُ فِي شَرْحِ الْمَنَهَاجِ لِلنَّوَوِيِّ، الْفَتَاوَى جَمْعًا وَلَدَهُ تَاجُ الدِّينِ فِي ثَلَاثِ مَجْلَدَاتٍ، شِفَاءُ السَّقَامِ فِي زِيَارَةِ خَيْرِ الْأَنْامِ. انظُرِ الدَّرَرَ الْكَامِنَةَ لِابْنِ حَجَرَ (٣/٦٣-٧١)، مَعْجَمُ الْمَوْلُفِينَ لِعَمْرِ رِضَا كَحَالَةِ

بأقوالهم فيها أقوال السلف<sup>(١)</sup>، وما أكثرهم في عصرنا الحاضر حيث نرى كثيراً منهم يقع في الشركيات والبدع كالتوسل بالأموات، ودعاء الموتى في قبورهم، والصلاة عندها، وكالاستغاثة بالمخلوق إلى غير ذلك، لذلك ينبغي لطلاب العلم الاهتمام به وبيان الحق في ذلك حتى تقوم الحجة على من وقع في تلك الشركيات والبدع، مما يتعارض مع العقيدة التوحيد التي وضحها ابن القيم وغيره رحمهم الله كالسحر والشعوذة فإنك تجد قرية كاملة في الفلبين تعمل بالسحر والشعوذة والكهنة، لذلك رأيت أن من واجبي وغيري من طلبة العلم الإهتمام بهذه الأمور حتى نقوم بدعوة هؤلاء بالرجوع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة على علم وبصيرة وحجة وبينة وبرهان.

٦- أن هذا العمل ليس أول بحث عن الإمام ابن القيم رحمه الله بل قد كتب عنه عدد من الباحثين في جوانب متعددة من شخصيته وجهوده العلمية، وأذكر هنا بعض تلك الرسائل في جانب العقيدة التي كتبت عن ابن القيم رحمه الله تعالى، فمن هذه الرسائل:

أ- رسالة الدكتوراه، أجازها جامع الأزهر عام ١٩٤٧م، تحت عنوان: (ابن القيم المنتخب)، للدكتور عوض الله حجازي وقد طبعتها بعنوان: ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي.

(١٢٧/٧).

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، السعدي، الأنصاري، الشافعي (شهاب الدين، أبو العباس)، فقيه، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في محلة أبي الهيثم من إقليم الغربية بمصر في رجب سنة ٩٠٩هـ، وتوفي بمكة سنة ٩٧٣هـ، من مؤلفاته الكثيرة: تحفة المحتاج شرح المنهاج للنووي في فروع الفقه الشافعي بمجلدين، الصواعق المحرقة لإخوان الإبتداع والضلال والزندقة. انظر شذرات الذهب (٣٧٠/٨)، البدر الطالع (١٠٩/١)، معجم المؤلفين (١٥٢/٢).

(١) وعلى سبيل المثال التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي ﷺ، وشد الرحال لزيارة قبره ﷺ وقبر الصحابة فيجعلونه قرابة وتكلموا على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بانكاره لذلك. انظر شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي (ص ١٦٠)، وحاشية ابن حجر الهيثمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج للإمام النووي (ص ٤٤٢).

وهذه الرسالة لم يُفصّل فيها في تقرير التوحيد إذ شملت أبواباً أخرى في العقيدة دون توحيد العبادة فجاء الحديث عن التوحيد موجزاً<sup>(١)</sup>.

ب- رسالة الماجستير، قُدمت في كلية الشريعة الإسلامية بالقاهرة تحت عنوان: ( ابن القيم الجوزية، عصره ومنهجه، وآرائه في الفقه والعقائد والتصوف )، للدكتور عبد العظيم شرف الدين.

وقد اطلعت على هذه الرسالة فوجدت أنّ الباحث قد بحث في جوانب عديدة من علوم ابن القيم رحمه الله ولم يتناول إلا شيئاً يسيراً من توحيد الإلهية، فإنّ مُحمّل رسالته تتعلق بعصر ابن القيم وحياته وفقهه وموقفه من التصوف.

ج- رسالة الدكتوراه، قُدمت في قسم العقيدة بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: ( بيان موقف ابن القيم رحمه الله من بعض الفرق ) ضمن كتاب ابن القيم رحمه الله ( اجتماع الجيوش الإسلامية )، من إعداد وتحقيق الدكتور عواد عبد الله المعتيق، ونُوقشت عام ١٤٠٧ هـ، والكتاب مطبوع في مكتبة الرشد بالرياض، ويُلاحظ أنّ هذه الرسالة تتعلق في بيان جهود ابن القيم في الرد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية.

د- رسالة سُجّلت في قسم العقيدة بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: ( بيان موقف ابن القيم رحمه الله من الصوفية )، والرسالة مثل سابقتها تتعلق بالرد على الصوفية<sup>(٢)</sup>.

هـ- رسالة الدكتوراه قُدمت في قسم العقيدة بجامعة أمّ القرى بحمكة المكرمة تحت عنوان: ( ابن القيم رحمه الله وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف ) من إعداد الدكتور عبد الله محمد جار النبي، وأُجيزت الرسالة، وطُبعت عام ١٤٠٦ هـ، وقد قمتُ بتصفح الكتاب فرأيت أنّه قد قسم رسالته إلى أربعة أبواب، الأول في حياة ابن القيم رحمه الله، والثاني في الله وصفاته، والثالث في النبوات، والرابع في البعث، ثمّ ختم البحث بالنتائج التي

(١) انظر منهج الإمام ابن القيم في تقرير التوحيد لآمال بنت عبد العزيز العمرو ( لوحة: ب).

(٢) انظر المصدر السابق.



توصل إليها البحث، ولم يتطرق الباحثُ إلى توحيد العبادة بالتفصيل<sup>(١)</sup>.

و- رسالة الماجستير، قُدِّمتُ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت عنوان: ( منهج ابن القيم رحمه الله في تقرير التوحيد ) لصاحبتها: آمال بنت عبد العزيز بن محمد العمرو، وأنجزت الرسالة ونوقشت عام ١٤١٥هـ، وقد اطلعتُ على هذه الرسالة فوجدتُ أنها قُسمتُ إلى ثلاثة أبواب، الأولُ في منهج ابن القيم رحمه الله في تلقى العقيدة، والثاني في منهجه في تقرير التوحيد العلمي الخبري، والثالثُ في منهجه في تقرير التوحيد العملي الإرادي، ثم ختمت الرسالة بالنتائج المستفادة من البحث، فثلثُ هذه الرسالة يتعلقُ بالألوهية.

فلم أر رسالةً بأكملها جمعتُ فيها أقوالَ وجهودُ ابن القيم رحمه الله في توضيح توحيد العبادة، فجمعتُ هذه الأقوالَ ورتبتها حسب المنهج والخطة التي رسمتها أثناء إعداد الرسالة، والجدير بالذكر أن الشيء المتفرق لا تمكن الاستفادة منه على الوجه الأكمل إلا بعد جمعه وترتيبه كما يقول حاجي خليفة<sup>(٢)</sup>: (( ثم إن التأليف على سبعة أقسام، لا يولف عالم عاقل إلا فيها وهي... )) إلى أن قال: (( أو شيء متفرق يجمعه... ))<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر ابن القيم رحمه الله جهوده في الدفاع عن عقيدة السلف لعبد الله محمد جار النبي ( ص ٢٤٨-٢٥٢ ).

(٢) هو مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، الحنفي، الشهير بين علماء البلد بكاتب جلبي، وبين أهل الديوان بحاجي خليفة، مؤرخ، عارف بالكتب ومؤلفها، مشارك في بعض العلوم، ولد بالقسطنطينية في ذي القعدة سنة ١٠١٧هـ، وتوفي بها في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٠٦٧هـ، من تصانيفه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وتحفة الكبار في أسفار التجار، وتحفة الأحيار في الحكيم والأمثال والأشعار. راجع الأعلام ( ١٣٨/٨ )، معجم المؤلفين ( ٢٦٢/١٢ ).

(٣) انظر كتابة البحث العلمي لعبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ( ص ٢٢ ).

## بعضُ الأمورِ المنهجيةِ التي سرتُ عليها في البحثِ:

١. قمتُ بجمع ما يمكن جمعه من مؤلفاتِ ابنِ القيمِ رحمه الله، واستطعتُ بحمدِ الله وتوفيقِهِ أن أحصلَ على كثيرٍ من مؤلفاتِهِ المطبوعةِ بلُ وجدتُ قرصاً ( CD ) اشتملَ على جميعِ مؤلفاتِهِ، ومما يُلاحظُ أنَّ جميعَ مؤلفاتِ ابنِ القيمِ رحمه الله قد طبعتُ، ومؤلفاتُهُ التي ذُكرتُ له ولم تُطبعْ ففي حكمِ المفقودِ، والله أعلم.
٢. جمعتُ المادةَ العلميةَ التي تتعلقُ بالبحثِ من خلالِ كتبِ ابنِ القيمِ رحمه الله المطبوعةِ، وذلك بعد قراءةِ جميعِ ما وقفتُ عليه من كتبِهِ المطبوعةِ.
٣. وفي بعضِ الأحيانِ أذكرُ بعضَ أقوالِ السلفِ التي تدعُمُ أقوالَهُ بشكلٍ مختصرٍ استثناساً وتقويةً ومقارنةً لما يذكره ابنِ القيمِ.
٤. علقتُ على ما يحتاجُ إلى تعليقٍ من مسائلِ العقيدةِ.
٥. عزوتُ الآياتِ القرآنيةَ إلى أماكنها في المصحفِ.
٦. عزوتُ الأحاديثَ الواردةَ في الرسالةِ إلى مصادرها من كتبِ السنةِ المعتمدةِ، واكتفيتُ بذكرِ رقمِ الحديثِ، وفي بعضِ الأحيانِ أذكرُ رقمَ الصفحةِ والكتابِ والبابِ إذا دعتُ إلى ذلكِ الحاجةُ، وأشرتُ في الغالبِ إلى درجةِ الحديثِ من خلالِ أقوالِ المحدثينِ إذا كان الحديثُ في غيرِ الصحيحينِ أو أحدهما، لأنَّ مجردَ العزوِ إلى الصحيحينِ أو أحدهما مُعَلِّمٌ بالصحةِ.
٧. عزوتُ الآثارَ الواردةَ في الرسالةِ في المصادرِ المعتمدةِ حسبَ الإمكانِ.
٨. قمتُ بترجمةِ بعضِ الأعلامِ الواردةِ في الرسالةِ.
٩. عرفتُ بالفرقِ والأديانِ الواردةِ في الرسالةِ.
١٠. شرحتُ الكلماتِ الغريبةَ الموجودةِ في الرسالةِ.
١١. قمتُ بوضعِ فهرسٍ علميةٍ عامةٍ للرسالةِ تُعينُ على الرجوعِ إلى المرادِ منها يُيسرُ وسهولةً، وهي:
  - أ- جريدةُ المصادرِ والمراجعِ.
  - ب- فهرسُ الآياتِ القرآنيةِ مُرتباً حسبَ سورِ القرآنِ .
  - ج- فهرسُ الأحاديثِ النبويةِ مرتباً حسبِ الحروفِ الهجائيةِ.
  - د- فهرسُ الآثارِ مرتباً حسبِ الحروفِ الهجائيةِ.
  - هـ- فهرسُ الأعلامِ المترجمِ لهم مرتباً حسبِ الحروفِ الهجائيةِ.
  - و- فهرسُ الفرقِ والأديانِ مرتباً حسبِ الحروفِ الهجائيةِ.
  - ز- فهرسُ الموضوعاتِ.

## خُطَّةُ البَحْثِ:

يتكوَّنُ البَحْثُ من مُقدِّمةٍ وتمهيدٍ وباينٍ وخاتمةٍ وفهارسٍ علميةٍ:

المُقدِّمة: وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجه وخطِّه وكلمة شكرٍ وتقديرٍ.

التمهيدُ: وفيه المباحثُ التاليةُ:-

المبحثُ الأوَّلُ: تعريفٌ موجزٌ بالعلامةِ ابنِ قيمِ الجوزيةِ.

المبحثُ الثاني: بيانُ أنَّ توحيدَ العبادةِ هو دينُ كلِّ الرسلِ.

المبحثُ الثالثُ: حاجةُ الناسِ إلى بعثةِ النبي ﷺ وبعدهُ إلى وجودِ العلماءِ المُجدِّدينَ حتى تقومَ الساعةُ.

المبحثُ الرابعُ: بيانُ خطأٍ من يزعمُ أنَّ الرُّسُلَ بُعثوا لإثباتِ الخالقِ.

المبحثُ الخامسُ: هل المعرفةُ تكفي للدُّخولِ في الإسلامِ؟

البابُ الأوَّلُ: توحيدُ العبادةِ، وفيه الفصولُ التاليةُ:-

الفصلُ الأوَّلُ: التوحيدُ، وفيه المباحثُ التاليةُ:-

المبحثُ الأوَّلُ: بيانُ ابنِ قيمِ رحمه الله أنَّ التوحيدَ أشرفُ العلومِ.

المبحثُ الثاني: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحقيقتها.

المبحثُ الثالثُ: شهادةُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ﷺ.

المبحثُ الرابعُ: تعريفُ التوحيدِ.

المبحثُ الخامسُ: سببُ تسميةِ التوحيدِ ديناً.

المبحثُ السادسُ: الموحدُ بينَ الخوفِ والرجاءِ.

المبحثُ السابعُ: أركانُ التوحيدِ.

المبحثُ الثامنُ: أقسامُ التوحيدِ.

المبحثُ التاسعُ: أقسامُ التوحيدِ بالنسبةِ لانقسامِ الطوائفِ فيه.

المبحثُ العاشرُ: براهينُ التوحيدِ.

المبحثُ الحادي عشرُ: أقسامُ الناسِ بالنسبةِ لتوحيدِ الربوبيةِ.

المبحثُ الثاني عشرُ: أقسامُ الناسِ بالنسبةِ لتوحيدِ الألوهيةِ.

المبحثُ الثالث عشرُ: أقسامُ الناسِ بالنسبةِ للإخلاصِ والمتابعةِ.

المبحثُ الرابعُ عشرُ: حقوقُ اللهِ على عباده.

المبحثُ الخامسُ عشرُ: جزاءُ المخلصِ بتوحيدهِ وعبادتهِ.

الفصلُ الثاني: العبادة، وفيه مباحثُ:-

المبحثُ الأولُ: لفظُ العبوديةِ في القرآن، وفيه مطالبُ:-

المطلبُ الأولُ: تعريفُ العبادةِ في اصطلاحِ السلفِ.

المطلبُ الثاني: مفهومُ العبوديةِ في القرآنِ الكريمِ.

المطلبُ الثالثُ: عتبةُ العبوديةِ.

المطلبُ الرابعُ: في لزومِ العبادةِ لكلِّ عبدٍ إلى الموتِ.

المطلبُ الخامسُ: العبوديةُ لله على عباده أمرٌ وقضاءٌ ونعمةٌ.

المطلبُ السادسُ: السكينةُ عندَ القيامِ بوظائفِ العبوديةِ.

المطلبُ السابعُ: آثارُ الأسماءِ والصفاتِ في العبوديةِ.

المبحثُ الثاني: حقيقةُ العبادةِ.

المبحثُ الثالثُ: قواعدُ العبادةِ.

المبحثُ الرابعُ: مراتبُ العبادةِ.

المبحثُ الخامسُ: أقسامُ العبادةِ.

الفصلُ الثالثُ: بعضُ أنواعِ العبادةِ، وفيه مباحثُ:-

المبحثُ الأولُ: الشفاعةُ.

المبحثُ الثاني: التوكلُ.

المبحثُ الثالثُ: المحبةُ.

المبحثُ الرابعُ: الخوفُ والرجاءُ.

البابُ الثاني: المضاداتُ للتوحيدِ كليةً أو جزئيةً، وفيه فصولُ:-

الفصلُ الأولُ: الكفرُ، وفيه مباحثُ:-

المبحثُ الأولُ: أنواعُ الكفرِ وأحكامُها.

المبحثُ الثاني: رؤساءُ الكفرِ وأئمتُّه ودعائهُ وبيانُ أنَّ الكفرَ يتفاوتُ.

المبحث الثالث: تغليظُ العذابِ حسبَ غلظِ الكفرِ.

المبحث الرابع: أركانُ الكفرِ وكيفيةُ هدمِها.

الفصل الثاني: الشركُ، وفيه مباحثٌ:-

المبحث الأول: أقسامُ الشركِ وأحكامُها.

المبحث الثاني: تنزيهُ آدمَ عليه السلام عن الشركِ.

المبحث الثالث: إزالةُ مواضعِ الشركِ.

المبحث الرابع: بعضُ أنواعِ الشركِ، وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: بعضُ أنواعِ الشركِ المناقضةُ للتوحيدِ، وفيه مسائل:-

المسألة الأولى: الذبحُ لغيرِ الله.

المسألة الثانية: السحرُ.

المسألة الثالثة: التنجيمُ.

المسألة الرابعة: الزيارةُ الشركيةُ للقبورِ.

المسألة الخامسة: سؤالُ المخلوقين ما لا يقدرُون عليه.

المسألة السادسة: شركُ المحبةِ.

المسألة السابعة: النفاقُ الاعتقادي.

المطلب الثاني: بعضُ أنواعِ الشركِ المنافيةِ لكمالِ التوحيدِ، وفيه مسائل:-

المسألة الأولى: ما جاء في اللوِّ.

المسألة الثانية: الرياءُ.

المسألة الثالثة: الطيرةُ.

المسألة الرابعة: حلقُ الرأسِ لغيرِ الله تعالى.

المسألة الخامسة: الحلفُ بغيرِ الله تعالى.

المسألة السادسة: الفسقُ.

الفصل الثالث: سدُّ الذرائعِ المؤديةِ إلى الشركِ، وفيه مباحثٌ:-

المبحث الأول: النهيُ عن بناءِ المساجدِ على القبورِ.

المبحثُ الثاني: الغلوُّ في تعظيمِ المخلوقين.

المبحثُ الثالثُ: النهيُّ عن الانحناءِ وعلته.

المبحثُ الرابعُ: المنعُ من التشريكِ في اللفظِ وعلته.

المبحثُ الخامسُ: النهيُّ عن سبِّ آلهةِ المشركين.

الخاتمةُ: وفيها النتائجُ التي توصلَ إليها البحثُ.

الفهارس، وفيها:-

ثبتُ المصادرِ والمراجعِ

فهرسُ الآياتِ القرآنيةِ

فهرسُ الأحاديثِ النبويةِ

فهرسُ الآثارِ

فهرسُ القوافيِ

فهرسُ الأعلامِ المترجمِ لهم

فهرسُ الفرقِ والأديانِ

فهرسُ الموضوعاتِ

### ﴿ كلمة شكرٍ وتقديرٍ ﴾

أحمدُ الله تعالى وأشكرُهُ كما ينبغي لجلالِ وجهِهِ وعَظِيمِ سُلْطَانِهِ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ أَوْلًا وَآخِرًا  
وظاهراً وباطناً ﴿ وَمَا جَاءَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ الْأُمِّيِّ  
المرسلِ من رَبِّهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

نُؤمُّ أُنُقُدُّمُ بِالشُّكْرِ لِحُكُومَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَعَلَى رَأْسِهَا خَادِمُ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ عَلَى مَا تُقَدِّمُهُ وَتَبْذُلُهُ  
فِي سَبِيلِ خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي أَنْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ دَعْمٌ وَرِعَايَةٌ هَذِهِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
التي تُحْتَضِنُ طُلَّابَ الْعِلْمِ مِنْ شَتَى بَقَاعِ الْأَرْضِ.

كما أشكر هذه الجامعةَ ومَعَالِي مَدِيرِهَا الدُّكُورَ صَالِحَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبُودِ حَفْظَةَ اللَّهِ عَلَى

(١) سورة النحل، من آية: ٥٣.

الْجُهُودِ الطَّيِّبَةِ الْمُتَوَاصِلَةِ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ وَطُلَّابِهِ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا وَتَطَلُّعَاتِ أبنَائِهَا.

وَأَخْصُ بِالشُّكْرِ شَيْخِي وَأَسْتَاذِي فَضِيلَةَ الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ بَنِ مَرْعِي بِنِ عَبْدِ الْهَادِي الْعَمْرِي الْأَسْتَاذِ الْمَشَارِكِ بِقِسْمِ الْعَقِيدَةِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَيَّ هَذِهِ الرَّسَالَةَ عَلَيَّ مَا بَدَّلَهُ مِنْ جُهْدٍ وَتَحْمُلٍ مَشَقَّةٍ قِرَاءَةَ هَذِهِ الرَّسَالَةَ حَيْثُ قَدْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ مَرَّةً عِنْدَ إِعْدَادِهَا، وَمَرَّةً بَعْدَ طِبَاعَتِهَا، وَكَانَتْ مَلاحِظَاتُهُ الْقِيَمَةَ عَلَيْهَا لَهَا أَثَرٌ بِالْغِ فِي تَحْسِينَاتٍ وَإِنْجَازٍ هَذِهِ الرَّسَالَةَ، وَقَدْ فَتَحَ لِي بَابَهُ وَوَقَّتَهُ رَغْمَ كَثْرَةِ الْأَشْغَالِ وَلَا سِيَّمَا أَنَّ حَالَتَهُ الصَّحِيَّةَ لَمْ تَكُنْ جَيِّدَةً حِينَئِذٍ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ وَيَبَارِكْ فِي عِلْمِهِ وَعُمُرِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ وَمَالِهِ وَيَرْزُقَهُ الصَّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَحُسْنَ الْعَاقِبَةِ.

كَمَا لَا يَفُوتُنِي أَنَّ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ وَالْعِرْفَانِ بِالْجَمِيلِ لِلشَّيْخَيْنِ الْأَسْتَاذَيْنِ الْفَضِيلَيْنِ وَهُمَا فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ/ عَلِيِّ بَنِ مُحَمَّدٍ نَاصِرٍ فَقِيهِي مَدِيرِ إِدَارَةِ الشُّؤُونِ الْعِلْمِيَّةِ وَرئيسِ مَجْلِسِ مَرْكَزِ التَّرْجُمَاتِ فِي مَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهَدِي لِطِبَاعَةِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ، وَفَضِيلَةَ الدُّكْتُورِ/ مُحَمَّدِ بِنِ رَبِيعِ الْمَدْخَلِيِّ الْأَسْتَاذِ الْمَشَارِكِ بِقِسْمِ الْعَقِيدَةِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ الَّذِي تَفَضَّلَا بِقَبُولِ مَنَاقِشَةِ هَذِهِ الرَّسَالَةَ وَتَحْمُلِ مَشَقَّةِ قِرَاءَتِهَا رَغْمَ كَثْرَةِ مَشَاغِلِهَا وَأَعْمَالِهَا الْعَدِيدَةِ، وَإِظْهَارِ مَلاحِظَاتِهَا الْقِيَمَةَ عَلَيَّ هَذِهِ الرَّسَالَةَ وَتَصَوِّبَاتِهَا السَّدِيدَةَ لَهَا حَتَّى تَكْتَمِلَ بِنَاؤُهَا وَتَخْرُجَ بِأَحْسَنِ حَالٍ بِإِذْنِ اللَّهِ فَجَزَاهُمَا اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَرْزُقَهُمَا حُسْنَ الْخَاتِمَةِ.

وَأَشْكُرُ أَيْضًا كُلَّ مَنْ قَدَّمَ لِي مَسَاعِدَةً فِي هَذَا الْبَحْثِ وَأَخْصُ بِالذِّكْرِ زَمِيلِي الْحَبِيبَ الشَّيْخَ/ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدَ زَكْرِيَا بِنِ جَلَادِ شِي الْجَنَسِيَّةِ الَّذِي أَشَارَ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يَجْزِلَ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَ لِلْجَمِيعِ، وَأَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا هَذِهِ خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَكْتَبَهَا مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِنَا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

هَذَا وَقَدْ كَانَ الْمَوْضُوعُ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ أَقُومَ بِبَحْثِهِ وَإِقَاءِ الْأَضْوَاءِ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فِي رِسَالَةِ الدُّكْتُورِ الْمَحْدُودَةِ الْكَمِّ وَالزَّمَنِ، ذَلِكَ أَنَّ الْمَوْضُوعَ يَحْتَاجُ إِلَى دَرَاةٍ أَوْسَعٍ وَأَعْمَقٍ، وَلَكِنْ حَسْبِي أَنْ أَقْدَمَ مَا اسْتَطَعْتُهُ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ حَيْثُ قَدْ بَدَّلْتُ قُصَارَى جُهْدِي فِي هَذَا الْعَمَلِ طَلَبًا لِلْحَقِّ وَسَعْيًا لِلصَّوَابِ رَغْمَ قَلَّةِ الْوَقْتِ وَالْعِلْمِ، وَكَمَا هُوَ شَأْنُ كُلِّ عَمَلٍ بَشَرِيٍّ يَعْتَرِيهِ الْخَطَأُ وَالْقُصُورُ، وَحَسْبِي أَنِّي بَدَّلْتُ جُهْدِي وَمَا تَعَمَّدْتُ خَطَأً - إِنْ وَجِدَ - وَلَا قَصِدْتُ هَوًى، فَمَا كَانَ مِنَ الصَّوَابِ فَمِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْفَضْلُ وَالْمَنَّةُ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فَمَنِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

# التمهيد



عاش العلامة ابن القيم رحمه الله في الفترة من ٦٩١هـ حيث ولد رحمه الله كما سنين بالتفصيل فيما بعد في هذا التاريخ إلى سنة ٧٥١هـ حيث توفي رحمه الله الذي كان الجو فيه مليئاً بالأحداث والفتن التي قد أثرت على حياته السياسية والاجتماعية والعلمية، لأنّ مما لا شك فيه أنّ للبيئة أثر كبير على الإنسان، وكما يقال: الناس على دين ملوكهم.

ولكن هذا التأثير يتفاوت بتفاوت الأشخاص، فبعضهم يتأثر بالعادات والتقاليد ولا يستطيع الفرار منها، والبعض الآخر بما له من قوة وثبات في الموقف يستطيع أن يصلح ما أفسده المفسدون، ولا يأبه في سبيل ذلك بلومة لانتم.

وكما أثر على الإمام ابن القيم رحمه الله ذلك الجو الذي ترعرع فيه؛ فقد كان له أيضا الأثر البالغ في زمانه، فإنه لم يكن شخصاً سلبياً حتى يقف موقف المتفرج على الأحداث التي تقع من حوله.

فقد نادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة في وقت كان التقليد والتعصب المذهبي هو المنتشر.

والدليل على ذلك وجود كمية هائلة من مؤلفاته المفيدة في المكتبات الإسلامية المنتشرة في أنحاء المعمورة.

ويمكن لنا أن نلقي الضوء بإيجاز على ذلك العصر؛ يبين لنا الجو الذي نشأ فيه ابن القيم رحمه الله، فأحدث أولاً عن الحالة السياسية فالحالة الاجتماعية فالحالة العلمية.

### أولاً: الحالة السياسية.

يعد العهد الذي عاش فيه ابن القيم رحمه الله المسمّى العهد<sup>(١)</sup> المملوكي مجهولاً بالنسبة إلى كثير من المسلمين وذلك لأن المسلمين كانوا قد قطعوا شوطاً بعيداً عن العهد النبوي والخلفاء الراشدين اللذين تمثل فيهما الإسلام بصورة كاملة، وابتعد الناس بعد ذلك عن التطبيق بصورة تدريجية حتى وصلوا إلى هذا الوقت الذي ضاعت فيه كثير من التعاليم

(١) أي عهد المماليك البحرية الذي قام عام ٦٤٨هـ، وانتهت عام ٧٩٢هـ. نظر التاريخ الإسلامي لمحمد شاكر (٣٥/٧-٣٦). وقد سمي بالعهد المملوكي لأنّ ممالك السلاطين امتازوا من الفروسية والقدرة على سياسة الدولة فأعتقوا، ثمّ تولوا زمام الدولة في تلك العهد، فسمي عهدهم بذلك.

الأساسية، ونتيجة هذا الابتعاد فقد أصبحوا على صورة من الاختلاف والصراع واضحة فانقسمت خلافتهم إلى دول شتى، وتجزأت دولهم إلى إمارات متعددة، وبلغت الطموحات الشخصية مداها والأطماع الفردية أقصاها.

ولقد كان أمر أكثر السلاطين الذين تولوا أمر البلاد ضعيفاً، والقليل منهم قويا، وغالبا ما يحاول السلطان أن يؤسس أسرة تتولى الحكم بعده، وما أن يموت حتى يثب الجند على ولده فيخلعوه ويتولى كبيرهم السلطنة<sup>(١)</sup>.

ولم يستطع الظاهر بيبرس<sup>(٢)</sup> أن يؤسس أسرة حاكمة لأن الجند قد وثبوا على أبنائه من بعده، فانهى أمر ولديه ولم يمض على وفاته أكثر من ثلاث سنوات، وقد خلع ابنه الأوّل<sup>(٣)</sup>، ثم خلع الثاني<sup>(٤)</sup> ولم تنته هذه المدة القصيرة، وقام السلطان المنصور قلاوون<sup>(٥)</sup> بعد

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣٥٨/١٣).

(٢) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك، فقد تولى السلطنة عام ٦٥٨هـ، ومات سنة ست وسبعين وستمائة، وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يبق في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب، مع اشتغاله في الجهاد في سبيل الله، واستخدم من الجيوش شيئا كثيرا، وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه، وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها، وبقي الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين، وهو الذي أقام من كل مذهب قاضيا مستقلا قاضي قضاة، وكان رحمه الله متيقظا شهما شجاعا لا يفتر عن الأعداء ليلا ولا نهارا، وأقامه الله في هذا الوقت عونا ونصرا للإسلام وأهله، وشجعا في حلق المارقين من الإفرنج والتتار والمشركين، وأبطل الخمر ونفى الفساق من البلاد، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهد وطاقته، وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكور وسبعة إناث، ومات وعمره ما بين الخمسين إلى ستين. انظر البداية والنهاية (٢٧٤/١٣، ٢٧٦).

(٣) هو السعيد بركة بن الظاهر بيبرس، تولى الحكم سنة ٦٧٦هـ وخلع سنة ٦٧٨هـ.

(٤) هو العادل بدر الدين بن الظاهر بيبرس، تولى الحكم أقل من سنة بعد أخيه الكبير.

(٥) هو السلطان المنصور قلاوون بن عبد الله التركي الصالح الألفي، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بألفي دينار، وكان من أكابر الأمراء عنده وبعده، ولما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بيبرس بابنت المنصور قلاوون غازية خاتون، عظم شأنه جدا عند الظاهر بيبرس، وما زال يترفع في-

ذلك وتمكن أن يؤسس أسرة سلطانية استطاعت أن تحكم مصر أكثر من مائة سنة بخمس سنوات غير أنه لم يظهر فيها سوى سلطان قوي واحد هو ابنه الناصر محمد<sup>(١)</sup>، وقد خُلع في أوّل الأمر ثم أعيد، واعتزل ثانية، ثم عاد، وقد اشتد عوده، وزادت خبرته فقبض على زمام الأمور بشكل محكم واستمر أكثر من اثنين وثلاثين سنة في المرة الثالثة من حكمه.

ولكن أبناءه الذين جاعوا من بعده كانوا سلاطين بلا سلطان، ومنفذين بلا قوة حيث كان الواحد منهم يُخلع أو يقضى عليه ويؤتى بابنه كأنه للبقاء على أسرة فقط، أو محافظة على تراث<sup>(٢)</sup>، وكان آخر السلطان في عهد المماليك البحرية الصالح حاجي الذي لم يمض على حكمه سوى سنة واحدة حتى خُلع وتسلطن الأمير برقوق من المماليك الجراكسية غير أنه أعيد الصالح حاجي بعد سبع سنوات (٧٨٤ - ٧٩١ هـ) وحكم مدة سنة واحدة (٧٩١ - ٧٩٢ هـ) ثم أخرج السلطان برقوق من سجنه وأعيد إلى سلطانه، وانتهى أمر المماليك البحرية بشكل دائم وجاء عهد المماليك الجراكسة أو البرجية<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن وضع الخلفاء بأفضل من السلاطين، فقد تركوا الأمر على غاربه، ونفضوا من تفكيرهم أي نفوذ أو تدخل في شؤون الدولة وذلك مذ قدموا إلى هذه البلاد، إذ أخذ الحكم من آبائهم في بغداد وقتلوا أو أبعدها على يد هولاء طاغية التتار، ففر منهم من فر

-الدولة حتى صار أتابك سلامش بن الظاهر بيبرس، ثم رفعه من بين واستقل بالملك في سنة أربع ومائتين وستمائة. ومات سنة تسع ومائتين وستمائة، وعاش قريبا من ستين سنة. انظر البداية والنهاية (٣٣٦/١٣).

(١) هو محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالح، الملك الناصر ابن الملك المنصور، كانت إقامته في طفولته بدمشق، وولي السلطان سنة ٦٩٣ هـ، ثم خلع سنة ٦٩٤ هـ لحدائته، ثم ولي سنة ٦٩٨ هـ، ثم اعتزل سنة ٧٠٨ هـ، ثم عاد سنة ٧٠٩ هـ، واستمر حتى وفاته سنة ٧٤١ هـ، كان غاية في الكرم وقورا مهيبا. انظر البداية والنهاية (٢٠٢/١٤)، الدرر الكامنة لابن حجر (١٤٤/٤)، الأعلام للزركلي (١١/٧).

(٢) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاکر (١٣-١٢/٧).

(٣) الجراكسة: شعب كان موطنهم في الأرض المشرفة على البحر الأسود من جهة الشمال الشرقي، ونتيجة الصراع بين مغول فارس ومغول القفحاق جعلت أعدادا من أبناء الجراكسة تدخل سوق النخاسة وتنقل إلى مصر فاشترى السلطان المنصور قلاوون أعدادا منهم لتخلص من صراع المماليك البحرية، وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده، وقد أطلق على هؤلاء المماليك الجدد المماليك الجراكسة نسبة إلى أصولهم التي ينتمون إليها، وكما أطلق عليهم اسم المماليك البرجية نسبة إلى القلعة التي وضعوا فيها، وقد حرص المنصور قلاوون على تربية مماليكه التربية الدينية والعسكرية في وقت واحد، ولم يسمح السلطان هؤلاء المماليك بمغادرة القلعة مطلقاً، فلما توفي المنصور قلاوون وخلفه ابنه الأشرف خليل سمح هؤلاء المماليك بالنزول من القلعة أثناء النهار والعودة إليها ليلاً، وبعد مدة أصبحت أعداد هؤلاء الجراكسة كثيرة، وغدوا أصحاب رُتب عسكرية ومنهم الأمراء والقادة، واستطاعوا أن يتسلموا السلطنة وأن يحكموا البلاد. انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاکر (٣٨/٧، ٧٠).

خوفا من السيف، واختفى من اختفى، وشرد من شرد، وأتى بهم السلاطين المماليك، ورفعوا عنهم ما أصابهم، وأعادوا إليهم بعض ما فقدوا، وأعزوههم بعد ذل، وحضنوههم بعد تشريد، وجمعوا أمرهم بعد اختفاء، فكيف يتدخل هؤلاء الخلفاء في شؤون من آواهم، وأوضاع من نصرهم ورفعهم؟ أو كيف ينافسونهم وينازعونهم؟ وأصبح ذلك أمرا متبعًا وطريقة سائرة، فبقوا صورة في الحكم بل اسما ليس له دلالة على شيء، وزاد أمر ما صاروا عليه عما كان عليه أسلافهم في بغداد في أسوأ أوضاعهم عندما كان يسيطر عليهم العسكريون من عرب أو ترك أو فرس، وهذا ما جعل الخلفاء لا يعرفون، ويختفون خلف السلاطين من المماليك الذين بيدهم الحل والعقد كله، وإن لم يتعرضوا للقتل وسمل الأعين، ومما زاد اختفاءهم أو عدم معرفتهم أن ألقابهم كانت متشابهة فقد عرف اثنان منهم بلقب الحاكم بأمر الله، وآخران بلقب المستكفي بالله، وآخران الواصل بالله، وآخران المعتضد بالله، وثلاثة بلقب المتوكل على الله، وهذا ما يجعل التفريق بينهم صعبا على المرء الذي لا يعرف تاريخهم بشكل جيد، ولربما لو كان لكل واحد منهم لقب خاص به لكان الأمر أسهل<sup>(١)</sup>.

### الحالة الاجتماعية.

في هذا العصر كان الناس في غاية الفقر بسبب عدم الاستقرار لوجود الحروب بين المسلمين وأعدائهم من الصليبية<sup>(٢)</sup> والتتار<sup>(٣)</sup>.

(١) التاريخ الإسلام لمحمود شاكر (١٤/٧).

(٢) امتدت الحروب الصليبية (٤٩٠هـ - ٦٩٠هـ)، وسميت بهذا الاسم لأنهم جعلوا الصليب شعارا لهم، مما يدل على أنها كانت حربا دينية بين الإسلام والنصرانية. انظر تاريخ الإسلام لمحمود شاكر (٣٤/٦).

(٣) التتار: شعب بدوي كان يعيش على أطراف صحراء غويي، وأرض التتار بأطراف بلاد الصين، وهم سكان براري، ومشهورون بالشر والغدر، والتتار هم أصل القبائل المتفرعة عنهم جميعا من مغول وترك وسلاجقة وغيرهم، وقد يكون سيطرة قبيلة المغول على التتار في مرحلة من مراحل تاريخها هو الذي جعل اسم المغول يطلق على الجميع، وكان المغول هم المسيطرون أيام جنكيز خان،

والنووي<sup>(١)</sup>، وابن تيمية<sup>(٢)</sup>، وابن جماعة<sup>(٣)</sup>، والمزي<sup>(٤)</sup>، وابن قدامة<sup>(٥)</sup>، والذهبي<sup>(٦)</sup>، وابن قيم

=الملقب بسُلطان العلماء، ولد بدمشق عام ٥٧٧هـ، زار بغداد عام ٥٩٩هـ، ورجع إلى دمشق بعد شهر، تولى الخطابة بجامع دمشق، أنكر على الصالح إسماعيل بن العادل تسليم صغد والتقيف للصليبيين فلم يدع له، فغضب عليه وسجنه ثم أطلق، فسار إلى مصر فتولى فيها القضاء، وتوفي بالقاهرة عام ٦٦٠هـ. انظر البداية والنهاية (٢٤٨/١٣).

<sup>(١)</sup> هو يحيى بن شرف بن حسن بن حسين الحزامي، محيي الدين، علامة الفقه والحديث، ولد في بلدة نوى من قرى حوران ببلاد الشام عام ٦٣١هـ، وتعلم بدمشق، وأقام بها، وتوفي ببلدته (نوى) سنة ٦٧٦هـ. انظر البداية والنهاية (٢٩٤/١٣).

<sup>(٢)</sup> هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي، الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها فتعصب عليه جماعة من أهلها، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ، وأطلق ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها من جنازته وذلك في سنة ٧٢٨هـ. [ انظر ترجمته في البداية والنهاية، ١٤١/١٤-١٤٥ ].

<sup>(٣)</sup> هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله، ولد في حماه عام ٦٣٩هـ، ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، كان من خيار القضاة، توفي بمصر عام ٧٣٣هـ. انظر البداية والنهاية (١٧١/١٤).

<sup>(٤)</sup> هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، محدث الديار الشامية في عصره، ولد بظاهر حلب، ونشأ بالزهر من ضواحي دمشق، وتوفي بدمشق عام ٧٤٢هـ، وصنف كتباً كثيرة. انظر البداية والنهاية (٢٠٣/١٤).

<sup>(٥)</sup> هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله المقدسي، الدمشقي، ولد عام ٧٠٥هـ، وأخذ عن ابن تيمية والذهبي، وصنف أكثر من مائة مجلد، ويعد من كبار الحنابلة، وتوفي بدمشق عام ٧٤٤هـ. انظر البداية والنهاية (٢٢١/١٤-٢٢٢).

<sup>(٦)</sup> هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمار الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، ولد في دمشق عام ٦٧٣هـ، وهو من أصل تركماني، حافظ مؤرخ، علامة محقق، رحل إلى القاهرة، وطاف البلاد، وصنف كثيراً من الكتب، وكُفّ بصره عام ٧٤١هـ، وتوفي بدمشق عام ٧٤٨هـ. انظر الدرر=

الجوزية، وابن كثير<sup>(١)</sup>، وابن تغري بردي<sup>(٢)</sup>، وأعداد كثيرة من كبار العلماء يصعب حصرهم<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء هم مصنفوا أعظم كتب أهل السنة، كما ظهر فيه كثير من علماء الأشاعرة<sup>(٤)</sup>.

= الكامنة ( ٣٣٦/٣ )، الأعلام للزركلي ( ٢٣٦/٨ ).

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثمّ الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد عام ٧٠١هـ، في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل إلى دمشق عام ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق عام ٧٧٤هـ. انظر الدرر الكامنة (٣٧٣/١)، والأعلام (٣٢٠/١).

(٢) هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، مؤرخ بحثة، ولد بالقاهرة عام ٨١٣هـ، كان أبوه من مماليك السلطان الظاهر بربوق، ومن أمراء جيشه المقدمين، وتعني تغري بردي: عطاء الله، مات أبوه بدمشق عام ٨١٥هـ، فنشأ يوسف في حجر القاضي جلال الدين البلقيني الذي توفي عام ٨٢٤هـ، وتأدب يوسف وقرأ الحديث، وأولع بالتاريخ، وبرع في فنون الفروسية، وصنف الكتب الكثيرة، وتوفي بالقاهرة عام ٨٧٤هـ. انظر الضوء اللامع للسخاوي (٣٠٥/١٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٣١٧/٧)، البدر الطالع للشوكاني (٣٥١/٢)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٨٢/١٣).

(٣) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (١٨-١٥/٧).

(٤) سمووا بالأشاعرة لانتسابهم بأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وبجمل اعتقادهم أنهم لا يثبتون من صفات الله إلاّ سبعا، وهي: السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام، ولهم تأويل في صفة الكلام ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، ويؤولون باقي الصفات، وهم يوافقون أهل السنة والجماعة في غالب أصول الاعتقاد عدا الصفات وبعض مسائل القدر والإيمان ونحوها، وقد كان أبو الحسن في أول أمره على مذهب المعتزلة، ثمّ خرج منه إلى مذهب وسط بين الحديث والمعتزلة تابع فيه ابن كلاب، وهذا هو الذي عليه جمهور الأشاعرة، ثمّ رجع أبو الحسن الأشعري إلى معتقد السلف وأصحاب الحديث وأعلن انتسابه إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وذلك في كتبه المتأخرة كالإبانة، ومقالات الإسلاميين، وبقي الأشاعرة على ما كان عليه أبو الحسن الأشعري بعد تركه مذهب الاعتزال وقبل دخوله في مذهب أهل السنة والجماعة. انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢٨/٣)، ورسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي (ص١٦٦-١٦٨).

أولاً: اسمه ونسبه وولادته وأخلاقه:

اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكّي زين الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية، ولقد سمي بالزرعي نسبة إلى قرية اسمها (( زرع )) في حوران يطلق عليها الآن (( أزرع )) وسمي بالدمشقي نسبة إلى دمشق<sup>(١)</sup>، واشتهر بابن قيم الجوزية لأن أباه كان قيما على مدرسة الجوزية<sup>(٢)</sup>.

ولادته:

ولد في ٧ صفر سنة ٦٩١هـ على القول الصحيح في دمشق<sup>(٣)</sup>.

أخلاقه:

لقد أجمع من ترجم له على أنه كان حسن الخلق لطيف المعاشرة طيب السريرة عالي الهمة ثابت الجنان واسع الأفق معدودا من الأكابر في السمات والصلاح والعلم والفضائل والتهجد والتعبد، يقول ابن كثير (( وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدا ولا يؤذيه ولا يستعيبه ولا يحقد عليه... وبالجملة كان قليل النظر في مجموعته وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ))<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة ( ٤٤٧/٢ )، ذيل العبر للذهبي ( ٢٨٢/٥ )، البداية والنهاية (٢٤٦/١٤).

(٢) وهي مدرسة بسوق القمح في دمشق، تنسب إلى منشئها محيي الدين الحافظ أبي الفرج بن الجوزي الحنبلي المتوفى في بغداد سنة ٥٩٧هـ، ولقد صارت محكمة سنة ١٣٢٧هـ، ثم أقفلت حتى فتحها جمعية الإسعاف الخيري وجعلت منها مدرسة لتعليم الأطفال حتى إحترق بعد ذلك في الثورة الفرنسية. انظر تاريخ أدب اللغة العربية ( ٩٩/٣ ).

(٣) الوافي بالوفيات ( ٢٧٠/٢ ).

(٤) البداية والنهاية ( ٢٤٦/١٤ ).

ثانياً: طلبه للعلم وشهادة العلماء له ومنهجه ومذهبه.

طلبه للعلم ورحلته لأجل ذلك:

لقد ابتدأ ابن القيم في طلب العلم وهو في سن السابعة والدليل على ذلك المقارنة بين تاريخ ولادته سنة ٦٩١هـ وتاريخ وفاة أحد شيوخه الذين أخذ عنهم، وهو: الشهاب العابر، المتوفى سنة ٦٩٧هـ<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فيكون بدء السماع<sup>(٢)</sup> وهو في السابعة وهذا يدل على مدى ذكائه ونبوغه ولذا فقد برع في علوم كثيرة: كالتوحيد، وعلم الكلام، والتفسير، والحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، واللغة وغيرها، ولحرصه على طلب العلم فقد انتقل فترة من الزمن إلى القاهرة لطلبه<sup>(٣)</sup>، وقضى عمره رحمه الله تعالى في التعلم والتعليم وألف الكتب الكثيرة كما سيأتي في بيان مؤلفاته.

شهادة العلماء له:

لقد شهد العلماء له بالفضل والتقدم وخدمة العلم والورع، يقول برهان الدين الزرعي: (( ما تحت أديم السماء أوسع علما منه، درس بالصدرية... وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ))<sup>(٤)</sup>، وقال ابن حجر<sup>(٥)</sup>: (( كان جريء الجنان واسع العلم... ))<sup>(٦)</sup>.

(١) ستاتي ترجمته عند ذكر شيوخه إن شاء الله.

(٢) وهذا لا يمنع أن يكون ابن القيم رحمه الله تعالى قد تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم أو بعضه قبل هذا السن كما هي عادة الآباء في تعليم أبنائهم في الماضي.

(٣) انظر ذيل طبقات الحنابلة ( ٤٤٨/٢ )، والبداية والنهاية ( ٢٤٦/١٤ ).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ( ٤٤٩/٢ ).

(٥) هو محمد بن أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري الشافعي، كمال الدين، فاضل، من

آثاره: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ونتيجة النظر في شرح نخبة الفكر لوالده في أصول

الحديث، وكان حيا قبل ٨٥٢هـ. انظر هدية العارفين للبغدادي ( ٢١٧/٢ )، معجم المؤلفين

( ٢٩٥/٨ ).

(٦) الدرر الكامنة ( ٤٠٠/٣ ).



من أزال عنه تلك الأوهام، وأخذ بيده إلى الطريق السوي، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد ذكر في نونته بعض ما يقوله الأشاعرة وغيرهم في الصفات من التأويلات ثم عقب ذلك بإعلانه أنه قد وقع في ذلك لولا أن هياً الله له شيخ الإسلام فأخذه بيده إلى طريق الحق والسلامة حيث قال:

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جريت هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضلته	من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا	أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يده يدي وسار فلم يرم	حتى أراني مطلع الإيمان <sup>(١)</sup>

٢- ذكره لنصائح وتوجيهات شيخ الإسلام ابن تيمية له على سبيل الاستشهاد والاعتراف باستفادته منها، مثل قوله: (( وقال لي شيخ الإسلام ﷺ - وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد - لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السّفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فإرها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقراً للشبهات أو كما قال ))<sup>(٢)</sup>.

ثم عقب ابن القيم على ذلك بقوله: (( فما أعلم أنني انتفعتُ بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك ))<sup>(٣)</sup>.

٣- ملازمته الطويلة لشيخ الإسلام منذ أن التقى به إلى وفاته فقد لازمه ما يقارب سبعة عشر عاماً، ولا يمكن أن تمر هذه المدة دون أن يتأثر به.

(١) القصيدة النونية لابن القيم مع شرحه لابن عيسى ( ٧٢/٢ - ٧٣ ) .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ( ٤٤٣/١ ) .

(٣) نفس المصدر السابق.

٤- مناصرته لشيخه في ذات الله، وقد امتحن وأوذى وحبس من أجلها، يقول ابن رجب - وهو يتكلم عن محنته - ( وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ )<sup>(١)</sup>.  
فوقفه معه مع ما يقع به من أذى دليل على اقتناعه بأقواله وتأثره به.  
٥- استشهاده بكلام شيخه في أغلب المسائل العقدية والفقهية التي بحثها مما يؤكد تأثره به واستفادته منه، ومع هذا كله فلم تذب شخصيته به، بل إنه كان يخالفه في بعض المسائل إذا ظهر له وجه الحق إظهارا للحق لا عنادا واستكبارا؛ وهذا يدل على أنه ليس مقلدا وإنما متبعا، وبما أنه رأى أن شيخه سالك للصواب في كثير من المسائل فقد أخذ بأقواله ونهج نهجه<sup>(٢)</sup>.

#### خامسًا: شيوخه وتلاميذه.

شيوخه: إذا كان ابن تيمية يعتبر شيخ ابن القيم الأول الذي تأثر به تأثرا كبيرا فقد كان له شيوخ آخرون كان لهم الأثر في تكوينه الفكري ونضوجه العلمي، وأهم هؤلاء الشيوخ نذكرهم فيما يلي مرتبا ذكرهم على سني الوفيات:

- ١- الشهاب العاير: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي توفي سنة ٦٩٧هـ<sup>(٣)</sup>، أخذ عنه بعض العلم في تفسير المنامات<sup>(٤)</sup>.
- ٢- أبو الفتح البعلبكي: محمد شمس الدين أبو عبد الله بن أبي الفتح البعلبكي الحنبلي الفقيه اللغوي النحوي المتوفى سنة ٧٠٩هـ<sup>(٥)</sup>، أخذ عنه العربية والفقه<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة ( ٤٤٨/٢ ).

(٢) انظر ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ( ص ٥٩-٦١، ٨٣-٩٧ ).

(٣) انظر البداية والنهاية ( ٣٧٤/١٣ )، ذيل طبقات الحنابلة ( ٤٤٨/٢ )، شذرات الذهب ( ١٦٧/٦ ).

(٤) انظر زاد المعاد ( ٦١٤/٣-٦١٦ ).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ( ٣٥٦/٢ ).

(٦) انظر الروافي بالوفيات ( ٢٧٠/٢ ).

٣- بنت جوهر: فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي  
المسندة المحدثه، توفيت سنة ٧١١هـ<sup>(١)</sup>.

٤- ابن الشيرازي: اختلف في هذا الشيخ، فقيل: هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن تاج  
الدين أحمد بن القاضي أبو نصر بن الشيرازي المتوفى سنة ٧١٤هـ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو كمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي  
تولى القضاء، والتدريس بعدد من مدارس دمشق توفي سنة ٧٣٦هـ<sup>(٣)</sup>.

٥- الحاكم: سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامه المقدسي الحنبلي،  
مسند الشام وكبير قضاتها سمع من نحو مائة شيخ وأجازه أكثر من سبعمائة شيخ، توفي سنة  
٧١٥هـ<sup>(٤)</sup>.

٦- الصفي الهندي: محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الشافعي الفقيه الأصولي توفي  
سنة ٧١٥هـ<sup>(٥)</sup>.

أخذ عنه ابن القيم الأصلين - التوحيد، وأصول الفقه<sup>(٦)</sup>.

٧- ابن مكتوم: إسماعيل الملقب بصدر الدين، والمكي بأبي الفداء بن يوسف بن مكتوم  
القيسي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧١٦هـ<sup>(٧)</sup>.

٨- ابن عبد الدائم: أبو بكر بن المسند زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي،  
مسند الوقت المعمر توفي، في سنة ٧١٨هـ<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢)، شذرات الذهب (٢٨/٦).

(٢) انظر العبر (٧٧/٥)، شذرات الذهب (٣٣/٦).

(٣) انظر ابن القيم حياته وآثاره (ص ١٠٢).

(٤) انظر ذيل طبقات الحنابلة (٣٦٤/٢، ٤٤٨)، شذرات الذهب (٣٦/٦).

(٥) انظر البداية والنهاية (٧٧/١٤).

(٦) انظر الوافي بالوفيات (٢٧٠/٢).

(٧) انظر شذرات الذهب (٣٨/٦)، الوافي بالوفيات (٢٧٠/٢).

(٨) انظر العبر للذهبي (٩٨/٥)، شذرات الذهب (٤٨/٦)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).

٩- المطعم: عيسى شرف الدين بن عبد الرحمن المطعم في الأشجار ثم السمسار في العقار، مسند الوقت، المتوفى سنة ٧١٩هـ<sup>(١)</sup>.

١٠- والده قيم الجوزية: أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف، أخذ عنه ابنه علم الفرائض توفي فجأة ليلة الأحد ١٩ ذي الحجة بالمدرسة الجوزية سنة ٧٢٣هـ<sup>(٢)</sup>.

١١- شرف الدين بن تيمية: عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن تيمية النميري أخو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كان بارعاً في فنون عديدة، توفي سنة ٧٢٧هـ، أخذ عنه ابن القيم الفقيه<sup>(٣)</sup>.

١٢- الزملكاني: محمد أبو المعالي كمال الدين بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي ابن خطيب زملكاً تولى قضاء حلب، وكان متفناً في علوم شتى توفي سنة ٧٢٧هـ<sup>(٤)</sup>.

١٣- شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ رحمه الله تعالى، أخذ عنه التفسير والحديث، والفقه والفرائض، والتوحيد، وأصول الفقه، وعلم الكلام<sup>(٥)</sup>.

١٤- المجد الحارثي: إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء الحراني شيخ الحنابلة بدمشق المتوفى سنة ٧٢٩هـ<sup>(٦)</sup>.

أخذ ابن القيم عنه: الفرائض بعد أن أخذها عن والده، وأخذ عنه الفقه وأصوله<sup>(٧)</sup>.

١٥- الكحال: أيوب، زين الدين بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي الكحال المتوفى سنة

(١) انظر شذرات الذهب (٥٢/٦)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).

(٢) انظر البداية والنهاية (١١٤/١٤)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).

(٣) انظر العبر (١٥٣/٥)، شذرات الذهب (٧٦/٦)، الوافي بالوفيات (٢٧٠/٢).

(٤) ذكره في شيوخه الدكتور بكر أبو زيد، انظر ابن القيم حياته وآثاره (ص ١٠٦)، وانظر ترجمته في البداية والنهاية (١٣٦/١٤).

(٥) انظر البداية والنهاية (٢٤٦/١٤)، الوافي بالوفيات (٢٧٠/٢-٢٧١).

(٦) انظر العبر للذهبي (١٦١/٥).

(٧) انظر الوافي بالوفيات (٢٧٠/٢).

١٦- البدر ابن جماعة: محمد القاضي بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي الإمام المشهور صاحب التصانيف الكثيرة توفي سنة ٧٣٣هـ<sup>(٢)</sup>.

١٧- المزني: يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبد الرحمن القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي، إمام المحدثين، وخاتمة الحفاظ توفي سنة ٧٤٢هـ<sup>(٣)</sup>.

١٨- ابن مفلح: محمد شمس الدين أبو عبد الله بن مفلح بن مفرج المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٦٣هـ، وكان ابن القيم رحمه الله يراجعه في كثير من مسائله واختياراته<sup>(٤)</sup>.

تلاميذه: أما أشهر من تتلمذ على ابن القيم رحمه الله فهم:

ابن عبد الهادي، والذهبي، وابناه برهان الدين<sup>(٥)</sup> وعبد الله<sup>(٦)</sup>، والسبكي<sup>(٧)</sup>، وابن كثير، وابن رجب، والنابلسي<sup>(٨)</sup>، والمقري<sup>(٩)</sup>، والغزي<sup>(١٠)</sup>، والفيروز آبادي<sup>(١١)</sup>.

<sup>(١)</sup> انظر الوافي بالوفيات ( ٢٧٠/٢ )، شذرات الذهب ( ٩٣/٦ ) .

<sup>(٢)</sup> انظر الوافي بالوفيات ( ٢٧٠/٢ )، شذرات الذهب ( ١٠٥/٦ ) .

<sup>(٣)</sup> انظر البداية والنهاية ( ٢٠٣/١٤ ) .

<sup>(٤)</sup> انظر شذرات الذهب ( ١٠٥/٦ ) .

<sup>(٥)</sup> هو إبراهيم بن شمس الدين بن أبي بكر الزرعي، العلامة النحوي الفقيه المتقن، ولد سنة ٧١٦هـ، وتوفي سنة ٧٦٧هـ، أخذ عن والده وعن غيره. انظر البداية والنهاية ( ٣٢٩/١٤ )، شذرات الذهب ( ٢٠٨/٦ ) .

<sup>(٦)</sup> هو جمال الدين عبد الله بن شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، ولد سنة ٧٢٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ، كان مفرط الذكاء والحفظ، وتسلم التدريس بالصدرية بعد أبيه. انظر البداية والنهاية ( ٢٦٥/١٤ ) .

<sup>(٧)</sup> تقدمت ترجمته والذي أريد أن أشيره هنا أنه في أثناء طلب العلم كثير الترحال فقد رحل في طلب الحديث إلى الحجاز والإسكندرية، وفي الشام أخذ عن جماعة منهم ابن القيم رحمه الله. انظر البداية والنهاية ( ٢٦٤/١٤ )، الدرر الكامنة ( ١٣٤/٣ ) .

<sup>(٨)</sup> هو محمد شمس الدين أبو عبد الله بن عبد القادر بن محيي الدين عثمان النابلسي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٧هـ. وصحب ابن القيم رحمه الله فقرأ عليه أكثر تصانيفه. انظر شذرات الذهب =

سادساً: مؤلفاته ثم وفاته.

مؤلفاته:

أما مؤلفاته المفيدة فكثيرة جداً، فسأذكرها هنا حسب ما تيسر الوقوف عليه من هذه المؤلفات مرتبة على الحروف الهجائية.

١- الاجتهاد والتقليد: أورد ذكره ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة

(٢٤١/١)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿و داوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث...﴾<sup>(١)</sup>،

كذلك في تهذيب سنن أبي داود (٣٤١/٦)، وحسب علمي واطلاعي أنه غير موجود.

٢- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، طبع مرات منها: طبعة

مكتبة الرشد بالرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بتحقيق الدكتور عواد عبد الله المعتق.

٣- أحكام أهل الذمة، طبع مرارا منها: طبعة رمادي للنشر، الدمام، المملكة العربية

السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، بتحقيق أبي البراء يوسف بن أحمد البكري، وأبي أحمد شاكر بن توفيق العاروري.

٤- أسماء مؤلفات ابن تيمية، طبع سنة ١٣٧٢هـ، دمشق، الطبعة الثانية، من مطبوعات

- (٣٤٩/٦).

(٩) هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي التلمساني، المتوفى سنة ٧٥٩هـ. انظر نفع الطيب (٢٥٤/٥).

(١٠) هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي، ينتهي نسبه إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه، توفي سنة ٨٠٨هـ، جاء إلى دمشق فأخذ بها عن ابن كثير وابن القيم والسبكي وغيرهم. انظر شذرات الذهب (٧٩/٧)، البدر الطالع للشوكاني (٢٥٤/٢).

(١١) هو محمد بن يعقوب بن محمد محيي الدين أبو الطاهر الفيروز آبادي الشافعي، صاحب القاموس المحيط وغيره من التأليف، توفي سنة ٨١٧هـ. انظر البدر الطالع (٢٨٠/٢).

(١) سورة الأنبياء، من آية: ٧٨.

المجمع العلمي، بتحقيق صلاح الدين المنجد.

٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين - طبع مرارا في أربع مجلدات، منها: طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بضبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم بالله البغدادي.

٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، طبع مرارا، منها: طبعة دار الحديث، القاهرة، بتحقيق مجدي فتحي السيد.

٧- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، رسالة مطبوعة بتحقيق محمد جمال الدين القاسمي.

٨- اقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر، ذكره الصفدي<sup>(١)</sup> في الوافي بالوفيات (٢٧١/٢).

٩- الأمالي المكية. ذكره ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١٥/٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٠- أمثال القرآن، طبع مرارا، مرة بتحقيق ناصر بن سعد الرشدي، ومرة بتحقيق سعيد محمد ثمر الخطيب، ومرة بإعداد أبي حذيفة إبراهيم بن محمد.

١١- الإيجاز - ذكره صاحب كشف الظنون (٢٠٦/١).

(١) هو خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد عام ٦٩٦هـ، في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته، وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق فتوفي فيها عام ٧٦٤هـ، وله زهاء مائتي مصنف منها: الوافي بالوفيات. انظر ترجمته في الأعلام (٣١٥/٢)، معجم المؤلفين (١١٤/٤).

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٨.

١٢- بدائع الفوائد - طبع في أربعة أجزاء في دار الخير، بيروت، بتحقيق معروف مصطفى زريق وجماعته.

١٣- بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً، ذكره ابن العماد<sup>(١)</sup> في شذرات الذهب (١٦٩/٦).

١٤- بيان الاستدلال على بطلان اشراط محلل السباق والنضال، ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (٢٧١/٢).

وقد جرت له بسبب هذا الكتاب محنة مع العلماء؛ وذكر ابن حجر رجوعه عن هذه الفتوى<sup>(٢)</sup>.

١٥- التبيان في أقسام القرآن، طبع مراراً، ومنهم من ذكره باسم ( أقسام القرآن ).

١٦- التحفة المكية، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ( ٩٣/٢ )، وابن العماد في شذرات الذهب ( ١٦٨/٦ ).

١٧- تحفة المودود في أحكام المولود، طبع مراراً منها طبعة محققة بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط سنة ١٣٩١هـ في دمشق.

١٨- تحفة النازلين بجوار رب العالمين، ذكره البغدادي<sup>(٣)</sup> في هدية العارفين ( ١٥٨/٢ ).

١٩- تدبير الرئاسة في القواعد الحكمية بالذكاء والقرينة، ذكره البغدادي في ذيله

(١) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العسكري الدمشقي الصالح الحنبلي، المعروف بابن العماد أبو الفلاح، مؤرخ، فقيه، أديب، ولد في صالحية في دمشق في ٨ رجب ١٠٣٢هـ، وأقام بالقاهرة مدة طويلة، وتوفي بمكة في ١٦ ذي الحجة سنة ١٠٨٩هـ، من تصانيفه: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. الأعلام ( ٦١/٤ )، معجم المؤلفين ( ١٠٧/٥ ).

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر ( ٢٣/٤ )، وانظر ما تقدم في ( ص ٣١ ).

(٣) هو إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً، والبغدادي مولداً ومسكناً، مؤرخ، أديب، عالم بالكتب ومؤلفها، توفي عام ١٣٣٩هـ، من آثاره: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهدية العارفين ( أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ) انظر معجم المؤلفين ( ٢٨٩/٢ ).



على كشف الظنون<sup>(١)</sup>.

- ٢٠- تفضيل مكة المكرمة على المدينة المنورة، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٨/٦).
- ٢١- تهذيب مختصر سنن أبي داود للمنذري، طبع بتحقيق محمد حامد الفقي.
- ٢٢- جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، طبع مرارا منها طبعة مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة<sup>(٢)</sup>.
- ٢٣- جوابات عابدي الصلبان، وأن ما هم عليه دين الشيطان. ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/٦).
- ٢٤- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ويسمى أيضا: الداء والدواء، طبع مرارا منها طبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بتحقيق أبي حذيفة عبيد الله بن عاليه، توزيع دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٢٥- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، طبع مرارا منها: طبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨١هـ، بتصحيح محمود حسن الربيع.
- ٢٦- الحامل: هل تحيض أم لا؟ أشار إلى هذه المسألة في كتابه (تهذيب سنن أبي داود، فقال: وقد أفردت لمسألة الحامل هل تحيض أم لا؟ مصنفا مفردا)<sup>(٣)</sup>.
- ٢٧- حرمة السماع، ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون (٦٥٠/١).
- ٢٨- حكم تارك الصلاة. طبع مرارا منها: طبع بالمطبعة السلفية في مصر سنة ١٣٤٢هـ ضمن مجموعة الحديث النجدية.
- ٢٩- حكم إغمام هلال رمضان، ذكره ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/٦).
- ٣٠- حكم تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطفة، أشار إليه ابن القيم رحمه الله

(١) انظر إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢٧١/١).

(٢) حققه وخرج أحاديثه محيي الدين مستو، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٣) تهذيب مختصر سنن أبي داود (١٠٩/٣).

في تهذيب سنن أبي داود ( ١٩٣/٥ ).

٣١- الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية، ذكره الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات (٢٧٢/٢)، وهو نظم.

٣٢- الرسالة الشافية في أحكام المعوذتين، ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (٢٧٢/٢).

٣٣- رسالة ابن القيم رحمه الله إلى أحد إخوانه. فيه نسخة خطية له في مخطوطات المكتبة المحمدية بالمدينة المنورة برقم ( ٨/٢٢١ ) مجاميع.

٣٤- الرسالة التبوكية، مطبوع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٧هـ، بتصحيح عبد الظاهر أبو السمح.

٣٥- رفع التنزيل، ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون ( ٩٠٩/١ ).

٣٦- رفع اليدين في الصلاة، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ( ١٥٠/٢ )، والصفدي في الوافي بالوفيات ( ٢٧٢/٢ ).

٣٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، طبع مزارا منها: طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بتحقيق الدكتور السيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، توزيع دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٨- الروح، طبع مرارا، منها: طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بتحقيق الدكتور السيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، توزيع دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٩- زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ( ٤٥٠/٢ )، وابن العماد في شذرات الذهب ( ١٦٩/٦ ).

٤٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، طبع مرارا، منها طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

٤١- شرح أسماء الكتاب العزيز. ذكره بهذا الاسم ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة

- (٤٤٩/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/٦).
٤٢. - شرح الأسماء الحسنی، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٧٠/٦).
٤٣. - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، طبع مرارا منها: نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، بتحرير الحساني حسن عبد الله.
٤٤. - الصبر والسكن، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١٤٣٢/٢).
٤٥. - الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم، ذكره ابن رجب في ذيل الطبقات (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/٦).
٤٦. - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، المسمى أيضا (الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة). طبعه دار العاصمة بالرياض عام ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى، بتحقيق الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، وطبع أيضا بتحقيق الدكتور أحمد عطية الغامدي والدكتور علي ناصر الفقيهي، طبعه مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٧هـ.
٤٧. - الطاعون، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢).
٤٨. - طب القلوب، ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام (٢٨٠/٦).
٤٩. - طريق المهجرتين وباب السعادتین، طبع مرارا منها: طبعة دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بتحقيق يوسف علي بديوي.
٥٠. - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية، طبع مرارا، منها: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بتخريج الآيات والأحاديث الشيخ زكريا عميرات.
٥١. - طلاق الحائض، أشار إليه ابن القيم رحمه الله في تهذيب مختصر سنن أبي داود (١١١/٣).
٥٢. - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، طبع مرارا منها: طبعة دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بتحقيق عصام الدين الصبابطي.

- ٥٣- الفتاوى، ذكره الألويسي<sup>(١)</sup> في جلاء العينين (ص ٣٢).
- ٥٤- الفتح القدسي، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/٦).
- ٥٥- الفتح المكي، ذكره ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١٦٠/٢).
- ٥٦- الفتوحات القدسية، ذكره ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (٢٥٤/٢).
- ٥٧- الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٨/٦).
- ٥٨- الفروسية، وهو مختصر كتاب الفروسية الشرعية وقد طبع بتحقيق عزت العطار الحسيني<sup>(٢)</sup>.
- ٥٩- الفروسية الشرعية، ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين (٢١/٤).
- ٦٠- فضل العلماء، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢).
- ٦١- فوائد في الكلام على حديث الغمامة، وحديث الغزاة والضب وغيره، مخطوط موجود في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم عام (٥٤٨٥)<sup>(٣)</sup>.
- ٦٢- الفوائد، طبع مرارا منها: طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بتحقيق محمد عثمان الخشت.
- ٦٣- قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين، ذكره البغدادي في هدية العارفين (١٥٨/٢).
- ٦٤- الكافية الشافية في النحو، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١٣٦٩/٢).
- ٦٥- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ويسمى أيضا القصيدة التونسية. طبع

(١) هو نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الألويسي، ولد سنة ١٢٥٢هـ، وتوفي سنة ١٣١٧هـ. يراجع الأعلام للزركلي (٤٢/٨).

(٢) طبع سنة ١٣٦٠هـ، بمصر، وأعيد طباعتها في دار الكتب العلمية في بيروت لبنان سنة ١٣٩٥هـ. انظر كتاب ابن القيم حياته وآثاره لبكر أبو زيد (ص ١٧٦).

(٣) انظر كتاب ابن القيم حياته وآثاره لبكر أبو زيد (ص ١٧٨).

مرارا منها طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، وطبع مرارا أيضا بشرح العلامة محمد خليل هراس منها طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وطبع مرارا أيضا بشرح أحمد بن إبراهيم ابن عيسى، منها طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٦- الكبائر، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٨/٦).

٦٧- كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (٢٧١/٦).

٦٨- الكلم الطيب والعمل الصالح، طبع مرارا باسم الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، منها: طبعة دار البيان، دمشق وبيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بتحقيق بشير محمد عيون.

٦٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، طبع مرارا في ثلاث مجلدات بهذا الاسم، منها: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٧٠- المسائل الطرابلسية، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٩/٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/٦).

٧١- معاني الأدوات والحروف، ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (٢٧١/٢)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (١٧٢٩/٢).

٧٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، طبع مرارا، منها: طبعة دار ابن عفان للنشر والتوزيع، العقربية - الخبر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بتحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، وراجع الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد.

٧٣- مقتضى السياسة في شرح نكت الحماسية، ذكره البغدادي في هدية العارفين (١٥٩/٢)، وفي إيضاح المكنون له أيضا (٤٢٢/١، ٥٤٠/٢).

٧٤- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، طبع مرارا باسم المنار، منها: طبعة بمطبعة السنة المحمدية بمصر، بتحقيق محمد حامد الفقي، وطبع بهذا الاسم سنة ١٣٩٠هـ بمطابع دار القلم ببيروت بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٧٥- المورد الصافي والظل الوافي، ذكره البغدادي في هدية العارفين (١٥٩/٢).

٧٦- مولد النبي ﷺ، ذكره الشوكاني<sup>(١)</sup> في البدر الطالع (١٤٤/٢)<sup>(٢)</sup>.

٧٧- المهدي، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١٤٦٥/٢).

٧٨- المهذب في...، هكذا ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١٩١٤/٢).

٧٩- نقد المنقول والمحك المميز بين المقبول والمردود، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢).

٨٠- نكاح المحرم، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢).

٨١- نور المؤمن وحياته، ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢)، وابن

العماد في شذرات الذهب (١٦٨/٦).

٨٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، طبع مرارا، منها: طبعة دار المطبعة

السلفية، القاهرة، بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

هذا ما تيسر إيراده من مؤلفات ابن القيم رحمه الله تعالى ولا أدعي الاستقصاء، وهناك

بعض المؤلفات المشكوك في نسبتها إلى ابن القيم رحمه الله وذلك مثل أخبار النساء، ودفع

شبه التشبيه بأكف التنزيه، والمطالب السنوية في قمع المراسم البدعية<sup>(٣)</sup>.

(١) هو علي بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه، مفسر، من أهل الإجتهد، يماني من صنعاء،

ولد بها سنة ١٢١٧هـ، ومات بالروضة من أعمال صنعاء قبل وفاة أبيه بشهرين وذلك في عام

١٢٥٠هـ، له كتب منها: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. انظر الأعلام (١٧/٥)،

معجم المؤلفين (٢٢٢/٧).

(٢) انظر كتاب ابن القيم حياته وآثاره لبكر أبو زيد (ص ١٩٥).

(٣) انظر المرجع السابق (ص ١٢١، ١٥٣، ١٨٩).

## وفاة ابن القيم رحمه الله:

توفي ابن القيم رحمه الله تعالى ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب، سنة ٧٥١هـ، وقت أذان العشاء، وله من العمر ستون سنة.  
 وصُلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بالجامع الأموي ثم بجامع جراح، وقد ازدحم الناس على تشييع جنازته ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير عند والدته رحمهما الله تعالى<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٥٠)، البداية والنهاية (١٤/٢٠٢)، الدرر الكامنة (٢٤/).

## المبحث الثاني:

﴿ بيان أن توحيد العبادة هو دين كل الرسل عليهم السلام ﴾



إن رسل الله تعالى وأنبياءه عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾<sup>(٢)</sup> وهذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله ، فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه، وهذا الأصل لا مزية فيما تضمنه، ولا شك فيه وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وجميع الرسل إنما دعوا إلى ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٤)</sup> فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، من أولهم إلى آخرهم.

فقال نوح لقومه: ﴿... اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(٥)</sup> وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾<sup>(٧)</sup>، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٨)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ

(١) سورة الأعراف، من آية: ٥٩.

(٢) سورة نوح، آية: ٣.

(٣) انظر الجامع الفريد (ص ٤٩٦).

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٥) سورة الأعراف، من آية: ٥٩.

(٦) انظر سورة الأعراف، آيات: ٦٩، ٧٣، ٨٥، وسورة العنكبوت، آية: ١٦.

(٧) سورة النحل، من آية: ٣٦.

(٨) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿١﴾ ((٢))

[ رد ابن القيم رحمه الله على شبهة من يدعى أن اليهودية والنصرانية من ملة إبراهيم

الطاهرة ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا... ﴾ فأجيبوا عن هذه الدعوى بقوله: ﴿ ... قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا الجواب مع اختصاره قد تضمن المنع والمعارضة:

أما المنع فما تضمنه حرف ( بل ) من الإضراب، أي ليس الأمر كما قالوا، وأما المعارضة ففي قوله: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾، أي: أتبع أو يتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً، وفي ضمن هذه المعارضة إقامة الحجة على أنها أولى بالصواب مما دعوتهم إليه من اليهودية والنصرانية، لأنه وصف صاحب الملة بأنه حنيف غير مشرك.

ومن كانت ملته الحنيفية والتوحيد فهو أولى بأن يتبع ممن ملته اليهودية والنصرانية، فإن الحنيفية والتوحيد هي دين جميع الأنبياء، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وهو الفطرة التي فطر الله عليها عباده، فمن كان عليها فهو المهتدي، لأن من كان يهودياً أو نصرانياً فإن الحنيفية تتضمن الإقبال على الله بالعبادة والإجلال والتعظيم والمحبة والذل.

والتوحيد يتضمن إفراده بهذا الإقبال دون غيره فيعبد وحده ويحب وحده ويطاع وحده ولا يجعل معه إلهاً آخر، فمن أولى بالهداية: صاحب هذه الملة أو ملة اليهودية والنصرانية؟ ولا يبقى بعد هذا للخصوم إلا سؤال واحد:

وهو أن يقول: فنحن على ملته أيضاً، لم نخرج عنها، وإبراهيم وبنوه كانوا هوداً أو نصارى، فأجيبوا عن هذا السؤال: بأنهم كاذبون فيه، وأن الله تعالى قد علم أنه لم يكن

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٢) مدارج السالكين ( ١١٤/١-١١٥ ).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٥.

يهودياً ولا نصرانياً، فقال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَأَلْسَباطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾<sup>(١)</sup> الآية، وقرر تعالى هذا الجواب في سورة آل  
عمران بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا...﴾ إلى قوله: ﴿... وَاللَّهُ وَكِيْلٌ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن قالوا: فهب أنّ إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً فنحن على ملته، وإن انتحلنا هذا  
الاسم.

فأجيبوا عن هذا بقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَخَنَلُهُ  
مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه للمؤمنين.

ثم قال: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا...﴾<sup>(٤)</sup>، فإن أتوا من الإيمان بمثل ما  
أتيتم به فهم على ملة إبراهيم وهم مهتدون، وإن لم يأتوا بإيمان مثل إيمانكم فليسوا من  
إبراهيم وملته في شيء، وإنما هم في شقاق وعداوة، فإن ملة إبراهيم: الإيمان بالله وكتبه  
ورسله، وأن لا يفرق بين أحد منهم، فيؤمن ببعضهم ويكفر ببعضهم، فمن لم يأت بمثل هذا  
الإيمان فهو بريء من ملة إبراهيم مشاق لمن هو على ملته.

وقوله تعالى: ﴿... قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ...﴾<sup>(٥)</sup> أي: الله تعالى يعلم ما كان عليه  
إبراهيم والنبيون من الملل، وأنهم لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، فالله تعالى يعلم ذلك، فلو  
كانوا يهوداً أو نصارى، والله تعالى لا يعلم ذلك لكنتم أعلم من الله بهم، هذا مع أن

(١) سورة البقرة، من آية: ١٤٠.

(٢) سورة آل عمران، من آيتين: ٦٧، ٦٨.

(٣) سورة البقرة، من آية: ١٣٦.

(٤) سورة البقرة، من آية: ١٣٧.

(٥) سورة البقرة، من آية: ١٤٠.

عندكم شهادة وبيّنة من الله تعالى بما كان عليه إبراهيم وبأنّ هذا النبي على ملته، ولكنكم كتمتم هذه الشهادة عن أتباعكم فلم تؤدّوها إليهم مع تحقّقكم لها، ولا أظلم ممن كتم شهادة استشهده الله بها فهي عنده من الله، إلاّ أنّه كتمها من الله»<sup>(١)</sup>.

ثمّ بيّن ابن القيم رحمه الله أنّ الأنبياء عليهم السلام متفقون على كل ما هو من أصول الدين مما يتعلق بالله ﷻ وأحوال اليوم الآخر، فإنّ دينهم فيها واحد لا اختلاف فيه، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾<sup>(٣)</sup>، وإنّما يختلف الرسل عليهم السلام في الأحكام والشرائع العملية الفرعية التي تتعلق بها الأوامر والنواهي والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان، كما قال تعالى: ﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾<sup>(٤)</sup> أي في الفروع لا في الأصل، فقال رحمه الله:

هذا ونقطع نحن أيضا أنه	إجماعهم قطعاً على البرهان
وكذاك نقطع أنهم جاعوا بإث	بات الصفات لخالق الأكوان
وكذاك نقطع أنهم جاعوا بإث	بات الكلام لربنا الرحمن
وكذاك نقطع أنهم جاعوا بإث	بات المعاد لهذه الأبدان
وكذاك نقطع أنهم جاعوا بتو	حيد الإله وما له من ثاني
وكذاك نقطع أنهم جاعوا بإث	بات القضاء وما له قولان

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/١٣١-١٣٢).

(٢) سورة الشورى، من آية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، من آية: ١٩.

(٤) سورة المائدة، من آية: ٤٨.

فالرسل متفقون قطعاً في أصو  
كل له شرع ومنهاج وذا  
فالدين في التوحيد دين واحد  
دين الإله اختاره لعباده  
فمن المحال بأن يكون لرسله  
وكذاك نقطع أنهم جاءوا بعد  
وكذاك نقطع أنهم أيضاً دعوا  
إيماننا بالله ثم برسله  
وبجنده وهم الملائكة الألى

ل الدين دون شرائع الإيمان  
في الأمر لا التوحيد فافهم ذان  
لم يختلف منهم عليه اثنان  
ولنفسه هو قيّم الأديان  
في وصفه خبران مختلفان  
ل الله بين طوائف الإنسان  
للخمس وهي قواعد الإيمان  
وبكتبه وقيامه الأبدان  
هم رسله لمصالح الأكوان<sup>(١)</sup>

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم (ص ٨٥).

## المبحث الثالث:

﴿ حاجة الناس إلى بعثة النبي ﷺ، وبعده إلى وجود العلماء

المجددين حتى تقوم الساعة ﴾

الحاجة إلى الرسالة والنبوة تنبع من طبيعة البشر التي فطر عليها، ذلك أنّ الإنسان مخلوق زوده الله بالعقل الذي امتاز به على غيره من المخلوقات، فبعض العقول النيرة تستطيع أن تدرك أنّ لهذا الكون الهائل المنظم خالق خلقه بإحكام، وأنه ذو قدرة منظمة لكن العقل البشري وحده في قصور عن إدراك الحقائق المتصلة برب العالمين، كما أنه قد يضل تحت ضغط التأثير ودوافع التقليد.

ولقد ظهر اضطراب العقل الإنساني في نواح كثيرة من أهمها:

**أولاً:** ما يتصل بالله وصفاته، فقد مرت فترة عبَدَ الإنسان فيها مظاهر الطبيعة من الكواكب وغيرها، وبعضهم عبَدَ الأصنامَ وغير ذلك فظلوا في حيرة وتخبُّط.

**ثانياً:** اليوم الآخر وما فيه، فإنه أمرٌ غائبٌ عن الإنسان لا يُعرف إلا عن طريق الوحي، ولذلك اضطرب العقل الإنساني، فقال بالتناسخ، أو بنفي اليوم الآخر نهائياً، أو أنّ الله يجابي بعض خلقه كما قال اليهود والنصارى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ﴿١﴾ ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ... ﴾ ﴿٢﴾.

**ثالثاً:** القوانين التي تحكم البشرية، والقوانين الوضعية وفسادها ظاهر لكل ذي عقل سليم، فظهر اضطراب الناس إلى قانون سماوي بريء من كل نقص.

لهذا منّ الله تعالى على الإنسانية ببعثه الرسل عليهم السلام وخاتمهم محمد بن عبد الله ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقد نبه القرآن الكريم إلى تلك الحاجة في كثير من الآيات.

**فمنها:** ما يشير إلى أنّ من محاسن الرسالة التعريف بحقائق الدين وقواعد الشريعة وأحكامها حتى يتحقق العدل بين الناس، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَمَرْنَا مَرْسُلَنَا ﴾

(١) سورة المائدة، من آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، من آية: ١١١.

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ... ﴿١﴾

ومنها: ما يوضح أنهم لو تركوا سدى لأدى ذلك للإعتذار عن كفرهم، وبأن طريق الهدى والإيمان لم يوضح لهم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مُرْسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزَلَ وَنَخْزَى﴾ (٣). (٤)

ويقول ابن القيم رحمه الله: (( فالحاجة إلى الرسل ضرورية، بل هي فوق كل حاجة، فليس العالم إلى شيء أحوج منهم إلى المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا يُذَكَّرُ سبحانه عباده نعمه عليهم برسوله، ويعد ذلك عليهم من أعظم المنن منه لشدة حاجتهم إليه، ولتوقف مصالحهم الجزئية والكلية عليه، وأنه لا سعادة لهم، ولا فلاح، ولا قيام إلا بالرسول، فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال وقبحها، فمن أين له معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وآلته التي تعرف بها الله إلى عباده على السنة رسله؟

ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده؟ ومن أين له تفاصيل مواقع محبته ورضاه وسخطه وكراهته؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه، وما أعد لأوليائه، وما أعد لأعدائه، ومقادير الثواب والعقاب، وكيفيتهما، ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحدا من خلقه، إلا من ارتضاه من رسله؟ إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته، فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال وقبحها بالعقل مغنيا عما جاءت به الرسل؟ ... ))

(١) سورة الحديد، من آية: ٢٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٤.

(٤) انظر ابن القيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف (ص ٤٤٣-٤٤٤).



إلى أن قال: (( فلولا النبوات لم يكن في العالم نافع البتة، ولا عملٌ صالحٌ، ولا صلاحٌ في معيشة، ولا قوامٌ لمملكة، ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية<sup>(١)</sup> والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض.

وكل دين في العالم، فمن آثار النبوة، وكل شيء وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها، فالعالم حينئذ روحه النبوة، ولا قيام للجسد بدون روحه.

ولهذا إذا تم انكشاف شمس النبوة من العالم، ولم يسبق في الأرض شيء من آثارها البتة، انشقت سماؤه، وانتشرت كواكبه، وكورت شمس، وخسف قمره، ونسفت جباله، وزلزلت أرضه، وأهلك من عليها، فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة.

ولهذا كان كل موضع ظهرت فيه آثار النبوة فأهله أحسن حالا وأصلح بالاً من الموضع الذي يخفى فيه آثارها.

وبالجملة؛ فحاجة العالم إلى النبوة أعظم من حاجتهم إلى نور الشمس، وأعظم من حاجتهم إلى الماء والهواء الذي لا حياة لهم بدونه ((<sup>(٢)</sup>).

وأما حاجة الناس إلى وجود العلماء العاملين الذين يصلحون ما أفسده المفسدون بعد النبوة ففي قول رسول الله ﷺ: (( إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ))<sup>(٣)</sup>.

(١) من العدوان؛ وهو الإيذاء وتجاوز الحد.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/٢١-٢٣)، وانظر المصدر السابق (٣/٣٨)، والصواعق المرسله لابن القيم (١/١٥٠)، والفوائد لابن القيم (ص ٢٢٥)، وهداية الخياري في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (ص ٣٧٥-٣٧٦)، وزاد المعاد لابن القيم (١/٦٩).

(٣) رواه أبو داود في السنن (ح ٤٢٩١)، والحاكم في المستدرک (٤/٥٢٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير (ح ١٨٧٤)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ٥٩٩)، وشعيب الأرنؤوط في سير أعلام النبلاء (١٠/١٥٨)، وعبد القادر الأرنؤوط في جامع الأصول لابن الأثير (١١/٣٢٠). وقد تكلم العلماء في تأويل هذا الحديث، كل واحد في زمانه، وأشاروا إلى القائم الذي يجدد للناس دينهم على رأس كل مائة سنة، وكأن كل قائل قد مال إلى مذهبه، وحمل تأويل الحديث عليه. والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فإن قوله ﷺ: (( إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل

قال ابن القيم رحمه الله: (( وعلى ذلك درج بُزِّل<sup>(١)</sup> الإسلام والرعييل الأول، ثم فرق<sup>(٢)</sup> على أثرهم التابعون، وتبعهم على منهجهم اللاحقون، يوصى بها الأول الآخر، ويقتدى فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك بنبيهم مقتدون، وعلى منهجه سالكون.

قال تعالى: ﴿... هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

مائة سنة من يحدد لها دينها)) ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا، وإنما قد يكون واحدا، وقد يكون أكثر منه، فإن لفظة (( مَنْ )) تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصة، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل أولي الأمر، وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد، فإن كل قوم ينفعون بغيرهم لا ينفع به الآخر، إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث: ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقراء: ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد: ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة: رجلا مشهورا معروفا، مشارا إليه في كل فن من هذه الفنون، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى، وأبعد من التهمة، وأشبه من الحكمة، فإن اختلاف الأمة رحمة، وتقرير أقوال المجتهدين متعين، فإذا ذهبنا إلى تخصيص القول على أحد المذاهب، وأولنا الحديث عليه، بقيت المذاهب الأخرى خارجة عن احتمال الحديث لها، وكان ذلك طعنا فيها. فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يحددون للناس دينهم، ويحفظون مذاهبهم التي قلدوا فيها مجتهدتهم. وأنتمهم. انظر هذا في جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (١١/٣٢٠-٣٢١).

(١) رجل بازل، على تشبيهه بالبعير، وربما قالوا ذلك يعنون به كماله في عقله وتجربته. انظر لسان العرب

(مادة: بزل، ١١/٥٢).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب (فقى).

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

﴿ مَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ إن كان عطفًا على الضمير في ﴿ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ فهو دليل أنّ أتباعه هم الدعوة إلى الله.

وإن كان عطفًا على الضمير المنفصل، فهو صريح أنّ أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون من عداهم.

والتحقيق أنّ العطف يتضمن المعنيين، فأتباعه هم أهل البصيرة، الذين يدعون إلى الله، وقد شهد سبحانه لمن يرى أنّ ما جاء به من عند الله هو الحق لا آراء الرجال بالعلم، فقال تعالى: ﴿ وَيُرَى الَّذِينَ اتُّوُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى... ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن تعارض عنده حقائق ما جاء به، وآراء الرجال فقدمها عليه، أو توقف فيه، أو قدحت في كمال معرفته وإيمانه به، لم يكن من الذين شهد الله لهم بالعلم، ولا يجوز أن يسمى بأنه من أهل العلم، فكيف يكون الداعي إلى الله على بصيرة الذي وصفه الله بأنه سراج منير، وبأنه هادٍ إلى صراط مستقيم، وبأنّ من اتبع النور الذي أنزل معه فهو المفلح لا غيره، وأنّ من لم يحكمه في كل ما ينازع فيه المتنازعون وينقاد لحكمه، ولا يكون عنده حرج منه فليس بمؤمن<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة سبأ، آية: ٦.

(٢) سورة الرعد، من آية: ١٩.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيهِ

أَنْفُسَهُمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ سورة النساء، آية: ٦٥.

(٤) الصواعق المرسله لابن القيم (١/١٥٤-١٥٦).

المبحث الرابع:

﴿ بيان خطأ من يزعم أن الرسل عليهم السلام بعثوا لإثبات الخالق ﴾

ادعى بعض المتكلمين ومن سلك على نهجهم أنّ الرسل عليهم السلام بعثوا لإثبات الخالق وذلك بسبب منهجهم الفاسد حيث يقدمون العقل على النقل، وادعوا أن النصوص الواردة في العقائد لا تفيد إلاّ الظن<sup>(١)</sup>، وفسروا الإله بأنه الخالق، والقادر على الإختراع<sup>(٢)</sup>، وقد اختلفوا في أوّل واجب على المكلف، فقال بعضهم بأنّ أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى، وذهب بعضهم بأنّ أوّل واجب عليه النظر المؤدي إلى معرفة الله، ويرى آخرون من المتكلمين أنّ أوّل واجب علي المكلف القصد إلى النظر<sup>(٣)</sup>، وسيأتي تفصيل كلامهم في موضعه إن شاء الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله: (( ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية، والمنكرون لكونه محبوبا لهم بل غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم: منكرين لكونه إلهاً، وإن أقروا بكونه رباً للعالمين وخالقاً لهم، فهذا غاية توحيدهم.

وهو توحيد الربوبية، الذي اعترف به مشركو العرب، ولم يخرجوا به عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا؟... ﴾ إلى قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> ولهذا يحتج عليهم به على توحيد إلهيته، وأنه لا ينبغي

(١) انظر الكشاف للزمخشري ( ١٩١/١ ).

(٢) انظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ( ١٧٤/١ ).

(٣) انظر الغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ( ص ٢١٧ )، والشامل في أصول الدين للجويني

( ص ٣١ )، وشرح أمّ البراهين للسنوسي ( ص ١٤-١٥ )، وشرح جوهرة التوحيد لليجوري

( ص ٣٨-٣٩ )، ونشر الطوالع لساجقلي زاده ( ص ٣٩ ).

(٤) انظر ( ص ١٠٨ ).

(٥) سورة الزخرف، من آية: ٨٧.

(٦) سورة الزمر، من آية: ٣٨.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤-٨٩.

أن يعبد غيره، كما أنه لا خالق غيره ولا ربّ سواه))<sup>(١)</sup>.

وبهذا تبين أنّ الرسل عليهم السلام بعثوا لإثبات توحيد الإلهية، وكان خاتمهم محمد ﷺ أوّل ما بدأ به دعوته إلى الله تعالى دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله، ونبذ الشرك بأنواعه ووسائله وأسبابه بالقول والفعل، فحمى ﷺ حمى التوحيد، ودعا إليه، وأنذر عن الشرك غاية الإنذار، واستمر على هذا النهج حتى لحق بالرفيق الأعلى ﷺ واقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وكل من اتبع طريقته واستن بسنته.

فطريقته ﷺ في الدعوة هي: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: (( يقول الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس أمرا له أن يخبر الناس أنّ هذه سبيله، أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي شرعي... ))<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن القيم رحمه الله: (( وسواء كان المعنى: أنا ومن اتبعني على بصيرة وأنا أدعوا إلى الله، أو المعنى: أدعو إلى الله على بصيرة، فالقولان متلازمان؛ فإنه لا يكون من أتباعه حقاً إلا من دعا على بصيرة، كما كان متبوعه يفعل.

فهؤلاء خلفاء الرسل حقاً، وورثتهم دون الناس، وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به علما وعملا وهداية وإرشادا وصبرا وجهادا، هؤلاء هم الصديقون، وهم أفضل أتباع الأنبياء، ورأسهم وإمامهم الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ ))<sup>(٤)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم ( ٨٥/١ - ٨٦ ).

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) تفسير ابن كثير ( ٥١٣/٢ - ٥١٤ ).

(٤) أبو بكر الصديق ﷺ: أوّل من أسلم من الرجال، وأفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ، ومؤنسه =

ومما يدل على أهمية توحيد العبادة وأنه أساس الإسلام وأنه أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله فعل رسول الله ﷺ، ويدل على ذلك رسائله ﷺ ومبايعته، وجهاده، ووصاياه لقواده، وغير ذلك من الأمور الدالة على أن أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله والعناية به غاية العناية الدعوة إلى إخلاص العبادة لله والتحذير من الشرك بأنواعه وأسبابه ووسائله غاية التحذير، لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد، وضد التوحيد الشرك الذي يفسد جميع الأعمال ويؤدي بمرتكبه - والعياذ بالله - إلى الخلود في النار إن مات قبل أن يتوب منه!!!

ومن النماذج الدالة على ذلك:

١- ومن ذلك وصيته ﷺ حين أرسل معاذاً<sup>(١)</sup> إلى اليمن، فعن عبد الله بن عباس<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (( إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك

= في الغار، وصديقه الأكبر، ورفيقه الأشفق، ووزيره الأحزم، عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي، توفي سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (١٦٩/٣)، أسد الغابة لابن الأثير (٣٠٩/٤).

(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢٩٣/١).

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي الأنصاري الصحابي المدني البديري، أبو عبد الرحمن، شهد العقبة شاباً آمرداً، وله عدة أحاديث، توفي بقصير خلد من الأردن، سنة سبع عشرة من الهجرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. [ ينظر سير أعلام النبلاء، ٤٤٣/١ ].

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، حبر الأمة، وفقه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، القرشي، الهاشمي، المكي، الأمير رضي الله عنه، مولده بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: (( كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمي من النساء )) وصحب النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين شهراً، وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨ هـ. [ انظر طبقات ابن سعد ٣٦٥/٢، سير أعلام النبلاء ٣٣١/٣، البداية والنهاية ٢٩٨/٨، الإصابة ١٣٠/٦ ].

فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...<sup>(١)</sup>، فبين ﷺ في هذا الحديث أنّ أوّل ما يبدأ به في الدعوة إلى الله تعالى شهادة أن لا إله إلا الله، وإخلاص العبادة له ﷺ.

٢- وكذلك أمره ﷺ علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> ﷺ يوم خير بدعوة اليهود إلى التوحيد أوّلاً حيث أعطاه ﷺ الراية، وقال له: (( انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ))<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية مسلم<sup>(٤)</sup> أيضاً: فسار عليّ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله: علي ماذا أقاتل الناس؟ قال: (( قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ))<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٣٤٧)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٩-٢٩)، واللفظ لمسلم.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، من السابقين الأوّلين، وهو أوّل من أسلم من الغلمان، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم على الأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (١٩/٣)، أسد الغابة لابن الأثير (٩١/٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٧٠١)، ومسلم في صحيحه (ح: ٣٤-٢٤٠٦).

(٤) هو الإمام الكبير الحافظ الجوّد الحجة الصادق، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ابن كوشاذ، القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، ولد سنة أربع ومائتين، وتوفي في شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور عن بضع وخمسين سنة. [ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٢/٥٥٧-٥٨٠].

(٥) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٣٣-٢٤٠٥).



وقال العلامة سليمان بن عبد الله<sup>(١)</sup> آل الشيخ: (( وفيه أنّ الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، المراد بها الدعوة إلى الإخلاص بها وترك الشرك وإلا فاليهود يقولونها، ولم يفرق النبي ﷺ في الدعوة إليها بينهم وبين من لا يقولها من مشركي العرب، فعلم أنّ المراد من هذه الكلمة هو اللفظ بها، واعتقاد معناها، والعمل به ))<sup>(٢)</sup>.

٣- وكذلك مبايعته ﷺ تدل على أنّ أول ما يبدأ به في الدعوة إلى إخلاص العبادة لله الذي هو التوحيد، ومن الأمثلة على هذا ما رواه البخاري<sup>(٣)</sup> في صحيحه عن عبادة<sup>(٤)</sup> بن الصامت رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس: (( تباعوني على أن لا تشرکوا بالله شيئاً... ))<sup>(٥)</sup>.

(١) سليمان بن عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب، الحافظ، المحدث، الفقيه، المجتهد، الثقة، ولد سنة ١٢٠٠هـ، كان آية في العلم والحلم والحفظ والذكاء، من مصنفاته: (( تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ))، و (( الدلائل في حكم موالاته أهل الشرك ))، أكرمه الله بالموت في سبيل الله سنة ١٢٣٣هـ على يد إبراهيم باشا وجنده في الدرعية. انظر الدرر السنية لابن القاسم (٤٨/١٢)، ومقدمة تيسير العزيز الحميد (ص١٢-١٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ص١٣٦).

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن يزيد بن يَزِيدَ - وهي لفظة بخارية معناها الزرع - البخاري، ويقول رحمه الله: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وهو صاحب الصحيح المعروف، ويقول أيضا: صنف كتاب الاعتصام في ليلة، وتوفي رحمه الله هو والإمام أحمد في نفس السنة. [ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٣٩١/١٢ - ٤١٦ ].

(٤) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي الأنصاري الصحابي، الإمام القدوة، أبو الوليد، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدرين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، سكن بيت المقدس، ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١١-٥/٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٧٢١٣).

وعن أم عطية<sup>(١)</sup> رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقراً علينا: ﴿... أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن عائشة<sup>(٣)</sup> رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿... لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- وكذلك جهاد النبي ﷺ وقتاله إنما كان من أجل دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله ﷻ والبراءة من الشرك وأهله، والدفاع عن راية التوحيد، فعن ابن عمر<sup>(٥)</sup> رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: (( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم

(١) أم عطية الأنصارية، اسمها: نسيبة بنت الحارث، وقيل: نسيبة بنت كعب، من فقهاء الصحابة، وهي التي غسلت بنت النبي ﷺ زينب، وعاشت إلى حدود سنة سبعين. انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء (٣١٨/٢).

(٢) سورة الممتحنة، من آية: ١٢، والحديث رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٧٢١٥).

(٣) عائشة رضي الله عنها: أمّ المؤمنين بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، القرشية التيمية المكية النبوية، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق وأعلمهنّ بالدين والأدب، كانت تكنى بأمّ عبد الله، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتحييهم، وأمّها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر، وتوفيت في المدينة سنة ٥٨ هـ. انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد (٥٨/٨)، أسد الغابة لابن الأثير (١٨٨/٧)، سير أعلام النبلاء (١٣٥/٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٧٢١٤).

(٥) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي للمكي ثمّ المدني، ولد قبل الهجرة بعشر سنوات، أسلم وهو صغير، ثمّ هاجر مع أبيه لم يخلّم، واستصغر يوم أحد، فأولّ غزواته يوم الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، كان جريئاً جهوراً، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، وكفّ بصره في آخر حياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة حيث كانت وفاته سنة ٧٣ هـ. [ انظر طبقات ابن سعد ٣٧٣/٢، ١٤٢/٤، أسد الغابة ٣/٣٤٠، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٣ ].

إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ﷻ))<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ إذا أرسل سرايا للجهاد في سبيل الله يوصي القواد الذين يختارهم لقيادة السرايا بتقوى الله تعالى، وأن يدعوا إلى إخلاص العبادة لله، ويعلمهم آداب القتال، ويدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله وعبادته من المسلمين خيراً ثم قال: (( اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله... ))<sup>(٢)</sup>.

فعلم مما سبق أن توحيد الألوهية هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وأن أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله ﷻ هو إخلاص العبادة لله، والبراءة من الشرك وأهله، وأن هذه الطريقة هي طريقة الأنبياء وأتباعه كما قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي<sup>(٣)</sup> رحمه الله: (( وهذا هو طريق جميع الأنبياء فإنهم أول ما يدعون إليه قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجالة بالتى هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيدِهِ قبل كل شيء، لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد ))<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٢٥ ).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ٢ - ١٧٣١ ).

(٣) أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد السعدي التميمي، الشهير بعلامة القصيم، إمام، مفسر، فقيه، أصولي، محقق، من مصنفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والإرشاد إلى معرفة الأحكام، والقول السديد في مقاصد التوحيد، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر معجم المؤلفين (٣٩٦/١٣)، وترجم له الدكتور/ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ترجمة وافية في كتابه: (( الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ))، ( ص ١٣-١٦ ).

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي، ضمن كتاب التوحيد للعلامة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ( ص ٢٦-٢٧ )، وانظر منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل للشيخ جابر إدريس علي أمير ( ١ / ٢٦٦-٢٧٠ ).

المبحث الخامس:

﴿ هل المعرفة تكفي للدخول في الإسلام ﴾

عرف: العرفان: العلم، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عِرْفَانًا وَعِرْفَانًا وَمَعْرِفَةً وَاعْتَرَفَهُ، وَالْعَرِيفُ وَالْعَارِفُ بِمَعْنَى مِثْلِ عَلِيمٍ وَعَالِمٍ، وَالْإِعْتَرافُ بِمَعْنَى الْإِقْرَارِ<sup>(١)</sup>.

ومما بين هذا المبحث أن المعرفة والإقرار بالصانع فقط، بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الإضطرار، الذي له الأمر كله، ويده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر، مع الإعراض عن توحيد الإلهية بأن يخلو القلب عن محبة الله تعالى والخضوع له وإخلاص الدين له لا يكون نافعاً، وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده كما بينته سابقاً في المبحث الذي قبل هذا، وأنهم يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين، بل قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما مبيناً معنى الآية: (( من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون به ))<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ: (( فتبين أن الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكوته وقهره، وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له أنواعاً من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الإضطرار ونحو ذلك، ويدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وبعضهم يؤمن بالبعث والحساب وبعضهم يؤمن

(١) انظر لسان العرب، ( مادة: عرف، ٢٣٦/٩ )، مختار الصحاح ( مادة عرف، ص ٣٧٦ ).

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

(٣) تفسير ابن كثير ( ٥١٢/٢ ).

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٧.

بالقدر...)) إلى أن قال: (( فوجب على كل من عقل عن الله تعالى أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم، وسي نسايتهم، وإباحة أموالهم، مع هذا الإقرار والمعرفة، وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله ))<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( ولهذا كان من آمن بالله خالقه ورازقه وربّه ومليكه، ولم يؤمن بأنه لا إله يُعبد ويُحبّ ويُخشى ويُخاف غيره، بل أشرك معه في عبادته غيره فهو كافر به،

مشرك شركا لا يغفره الله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup>، فأخبر أنّ من

أحبّ شيئا سوى الله مثل ما يجب الله فقد اتّخذ من دون الله أندادا، ولهذا يقول أهل النار

لمعبوداتهم وهم معهم فيها: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>،

وهذه التسوية إنّما كانت في الحب والتأله، لا في الخلق والقدرة والربوبية، وهي العدل الذي

أخبر به عن الكفار بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ

ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وأصح القولين أنّ المعنى: ثمّ الذين كفروا بربهم

يعدلون له عدلاً يحبونه ويعبدونه، كما يحبون الله ويعبدونه.

فما ذكر الفلاسفة من الحكمة العمليّة والعلميّة ليس فيها من العلوم والأعمال ما تسعد به

النفوس وتنجو به من العذاب، فليس في حكمتهم العلميّة إيماناً بالله، ولا ملائكته، ولا كتبه،

ولا رسله، ولا لقاؤه، وليس في حكمتهم العمليّة عبادته وحده لا شريك له، واتباع مرضاته

واجتناب مساخطه.

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٤).

(٢) سورة النساء، من آية: ١١٦.

(٣) سورة البقرة، من آية: ١٦٥.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١.

ومعلوم أنّ النفس لا سعادة لها ولا فلاح إلاّ بذلك، فليس في حكمتهم العمليّة ما تسعد به النفوس وتفوز، ولهذا لم يكونوا داخلين في الأمم السعداء في الآخرة؛ وهم الأمم الأربعة المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup> ((<sup>(٢)</sup>)).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (( وقال السدي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾ الآية، نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينا هو يتحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي الله ﷺ: (( يا سلمان من أهل النار )) فاشتد ذلك على سلمان، فأنزل الله هذه الآية فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكًا، وإيمان النصاري أنّ من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ فمن لم يتبع محمد ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكًا ))<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، آية: ٦٢.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/٢٨-٢٩)، وانظر شفاء العليل لابن القيم (ص ٥٩٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١٠٧/١).

الباب الأول:

﴿ توحيد العبادة ﴾



الفصل الأول:

﴿ التوحيد ﴾

# المبحث الأول:

﴿بيان ابن القيم رحمه الله أنّ التوحيد أشرف العلوم﴾

إنّ سائر الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها مع وجود توحيد العبادة تحت مشيئة الله تبارك وتعالى إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذبه بها تفضلاً ومنة ورحمة منه سبحانه وتعالى له، وإن شاء آخذه بها وعذبه عدلاً منه.

وأما الشرك والكفر فإنّ الله تعالى أخبر بأنّه لا يغفرهما، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

فالآية تدل دلالة قاطعة أنّ الله تعالى لا يغفر الشرك ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده، وأنّ من يشرك بالله تعالى فقد اختلق الكذب العظيم، إذ عبد من لا يستحق العبادة، وآله من لا حق له في التأليه.

قال أبو جعفر الطبري<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: (( وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب

كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفي عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله))<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (( ولهذا كان أعظم الذنوب عند الله الشرك، والله لا

يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))<sup>(٤)</sup>.

لذلك فإن علم التوحيد أشرف العلوم، وأهميته أوسع مما يوصف، كيف وبه ينجو

العبد من الخلود في نار جهنم، وبه يعرف ربه ومعبوده وخالقه، ولأجبه خلق الإنس والجن،

(١) سورة النساء، آية: ٤٧.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام، العَلَم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، من

أهل آمل طبرستان، مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وأكثر الترحال لطلب العلم، ولقي نبلاء

الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاء، وكثرة التصانيف، قل أن ترى العيون مثله، واستقر

في أواخر أمره ببغداد، وتوفي فيها سنة عشر وثلاثمائة. [ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء،

٢٦٧/١٤ - ٢٨٢ ] .

(٣) تفسير الطبري ( ١٢٩/٤ ) .

(٤) الجواب الكافي لابن القيم ( ص ٢٧١ - ٢٧٢ ) .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... ﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( أمّا بعد: فإنّ أولى ما ينافس به المتنافسون وأحرى ما يتسابق في حلبة سباقه المتسابقون، ما كان بسعادة العبد في معاشه ومعاده كفيلاً، وعلى طريق هذا السعادة دليلاً، وذلك العلم النافع، والعمل الصالح، اللذان لا سعادة للعبد إلاّ بهما، ولا نجاة له إلاّ بالتعلق بسببهما، فمن رزقهما فقد فاز وغنم، ومن حرّمهما فالخسر كله حرم، وهما مورد انقسام العباد إلى مرحوم ومحروم، وبهما يتميز البر من الفاجر، والتقى من الغوي والظالم من المظلوم، ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً، وشرفه لشرف معلومه تابعاً، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد، وأنفعها علم أحكام أفعال العباد، ولا سبيل إلى اقتباس هذين النورين، وتلقى هذين العلمين إلاّ من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته، وصرحت الكتب السماوية بوجوب طاعته ومتابعته، وهذا الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ))<sup>(٢)</sup>.

قلت: فقد بين رحمه الله أنّ أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد، ثمّ ذكر رحمه الله مرة أخرى أنّ أشرف علوم الخلائق ثلاثة، وهى علم الأمر والنهى، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر، فيقول رحمه الله: (( فاليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته ونعوت كماله وتوحيده، وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهى، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر، والله أعلم ))<sup>(٣)</sup>.

ثمّ ذكر رحمه الله أنّ العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، وأنّ نسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، فيقول رحمه الله: (( إنّ شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

(١) سورة الذاريات، من آية: ٥٦.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ( ١٥/١ - ١٤/١ ).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ( ٤١٩/٢ - ٤٢٠ ).

ولا ريب أنّ أجل معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله.

ولا ريب أنّ العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أنّ العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أنّ كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقّق ذاته وأينّيته، وكل علم فهو تابع للعلم به، مفتقر في تحقّق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنّه سبحانه ربّ كل شيء ومليكه وموجده ((<sup>(١)</sup>)).

ويبين رحمه الله أنّ معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله ودينه ورسوله، ومحبة ذلك وتعظيمه والفرح به أشرف علم على الإطلاق، وذلك في معرض كلامه فيما روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال: (( ما أجلسكم؟ )) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: (( آلهة! ما أجلسكم إلا ذاك؟ )) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (( أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أنّ الله عز وجل يباهى بكم الملائكة ))<sup>(٢)</sup> فيقول رحمه الله: (( فهؤلاء كانوا قد جلسوا يحمدون الله بذكر أوصافه وآلائه، ويشنون عليه بذلك، يذكرون حسن الإسلام، ويعترفون لله بالفضل العظيم، إذ هداهم له ومنّ عليهم برسوله.

وهذا أشرف علم على الإطلاق، ولا يعنى به إلا الراسخون في العلم، فإنّه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله ودينه ورسوله، ومحبة ذلك وتعظيمه، والفرح به، وأحرى بأصحاب هذا العلم أن يباهى الله بهم الملائكة.

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص وقال:

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣١١/١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح ٤٠-٢٧٠١)، و الترمذى في السنن (ح ٣٢٧٩).

أحبها لأنها صفة الرحمن عز وجل ، فقال: (( حبك إياها أدخلك الجنة ))<sup>(١)</sup> فدل على أن من أحبّ صفات الله أحبه الله وأدخله الجنة<sup>(٢)</sup>.

فالحاصل: أن علماء السلف رحمهم الله، سالفهم وخالفهم كلهم مقرون بأنّ علم التوحيد هو أشرف العلوم وأساس الدين وأصوله، وأنّ من ظفر به فاز وأفلح، وأنّ من فاته هذا خاب وخسر، وعلى سبيل المثال أذكر بعضاً من أقوالهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (( ومحال - مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم ربّ العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية ))<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن أبي العز<sup>(٤)</sup> رحمه الله - شارح العقيدة الطحاوية - : (( فالتوحيد أوّل ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا ))<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٧٧٤ )، وأحمد في المسند ( ١٤١/٣ ، ١٥٠ ، ح ١٢٤٣٢ ، ١٢٥١٢ )، والتزمذي في السنن ( ح ٢٩٠١ )، وابن حبان في الصحيح ( ح ٧٩٢ )، والحاكم في المستدرک ( ٢٤١/١ )، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وذكر محقق المسند أنّ إسناده حسن.

(٢) مفتاح دار السعادة ( ٢٩١/١ - ٢٩٢ ) .

(٣) الفتاوى الحموية الكبرى لابن تيمية ( ص ٥ )، وانظر مجموع الفتاوى له أيضا ( ١٣٢/١٧ ) .

(٤) هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن، عليّ بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صلاح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبر بن جابر بن وهب الأذرعى الأصل الدمشقي الصالحي الحنفي المعروف بابن أبي العز، ولد سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، وله تصانيف عديدة منها: شرح العقيدة الطحاوية، والتنبيه على مشكلة الهداية، وغير ذلك. انظر ترجمته في شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد المحسن بن عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط ( المقدمة، ص ٦٣-١٠٣ ) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ( ٥/١ ، ٢٣ ) .

وقال شيخ الإسلام المجدد العلامة محمد بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup> رحمه الله: (( إنَّ زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أنَّ كسرها لا يستقيم إلاَّ بشدة العداوة وتجريد السيف، فتأمل زبدة الرسالة ))<sup>(٢)</sup>.

قلت: واعجبا لمن يشغل نفسه عن أشرف العلوم باتجاهه إلى العلوم التي لا تنفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم، يا من يفنى حياته في علوم الفلاسفة وعلوم الباطنية وغيرها من العلوم التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فلينتبه كل ذي عقل راجح وفكر سليم، فإنَّ هاذم اللذات مدركك لا محالة، واشتغل لنفسك زادا إلى المعاد.

قال ابن القيم رحمه الله: (( ولأجل هذا يغفر لصاحب التوحيد مالا يغفر لصاحب الإشراك، لأنه قد قام به مما يحبه الله ما اقتضى أن يغفر له، ويسامحه ما لا يسامح به المشرك، وكما<sup>(٣)</sup> كان توحيد العبد أعظم كانت مغفرة الله له أتم، فمن لقيه لا يشرك به شيئا البتة غفر له ذنوبه كلها كائنة ما كانت ولم يعذب بها، ولسنا نقول إنه لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد، بل كثير منهم يدخل بذنوبه<sup>(٤)</sup>، ويعذب على مقدار جرمه ثم يخرج منها ))<sup>(٥)</sup>.

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، الإمام، العالم، العلامة، المجدد، ناصر السنة، وقامع البدعة، الداعي، المجاهد، من مصنفاته الكثيرة: كتاب التوحيد، وأصول الإيمان، ومختصرة السيرة النبوية، وكشف الشبهات، توفي سنة ١٢٠٦ هـ. انظر عنوان المجدد في تاريخ نجد لابن بشر ( ١٠٨/١ )، وعقيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح بن عبد الله العبود (ص ٦٥-١٥٢).

(٢) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ص ٨).

(٣) ولعل الصواب: ولما.

(٤) الأولى أن يقال: (( بل منهم من يدخل بذنوبه... )).

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ( ١/٣٥٧-٣٥٨ ).

## المبحث الثاني:

﴿ لا إله إلا الله، وحقيقتها ﴾



إنّ كلمة التوحيد (( لا إله إلاّ الله )) أفضل الذكر، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (( أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ))<sup>(١)</sup>، فهي تقرر معنى الربوبية وتثبت معنى الألوهية، وهما حق الله تبارك وتعالى على العباد، لذا يجب على قائلها فهم معناها والعمل بمقتضاها على علم وبصيرة ويقين، حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه، ثمّ بجناته وما أعده لمن قالها مؤمناً من قلبه وطبق ذلك بجوارحه.

وهي الركن الأوّل من أركان الإسلام الخمسة، بها يعلن العبد إسلامه وانضمامه إلى صفوف المؤمنين بالله ربّ العالمين، فيطيع أوامره، ويتمسك بحبله المتين، ويعتمد على الله تبارك وتعالى، ويفوض أمره له عز وجل.

ومن أجلها خلقت جميع المخلوقات، وأرسلت لأجلها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنّها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد.

فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنّها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلاّ الله، معرفة، وإقراراً، وعملاً.

(١) أورده الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج (٢٩٢/١). وقال العلامة الألباني:

هذا إسناد مرسل صحيح، وقد وصله ابن عدى والبيهقي. (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح

وجواب الثانية: بتحقيق أنّ محمداً رسول الله، معرفة، وإقراراً، وانقياداً، وطاعة ((<sup>(١)</sup>)).

### \* حقيقة لا إله إلا الله:

إنّ المعنى الحقيقي لكلمة (( لا إله إلا الله )) هو تجريد العبادة من كل شائبة تشوبها، والتعبد إلى الله تبارك وتعالى بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وترك الأنداد بتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً، وبذلك يكون العبد من المحققين لكلمة التوحيد (( لا إله إلا الله ))، ومن المتمسكين بعقيدة التوحيد، كما أمر الله تبارك وتعالى عباده في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبذلك ينال القبول والرضوان والثواب. قال ابن القيم رحمه الله: (( وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناءه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره: بالحجة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرغبة، فلا يحب سواه، بل كل من كان يحب فإنما تبع محبته، كونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يهرب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يناب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يحتسب إلا به، ولا يستعان في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه.

ويجتمع ذلك في حرف واحد وهو: أن لا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا هو، فهذا هو

### تحقيق شهادة لا إله إلا الله.

ولهذا حرم الله على النار أن تأكل من يشهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: ﴿والذين هم بشهاداتهم قاننون﴾<sup>(٢)</sup> فيكون قائماً بشهادته في باطنه وظاهره، وفي قلبه وقالبه ((<sup>(٣)</sup>)).

(١) زاد المعاد لابن القيم ( ٣٤/١ )، وانظر أيضا الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي له أيضا ( ص ٢٨٢ ).

(٢) سورة المعارج، آية ٣٣.

(٣) الجواب الكافي لابن القيم ( ص ٢٨٣ )، وانظر أيضا مفتاح دار السعادة له ( ٢٧/٣ ).

ثم ذكر رحمه الله أنّ شهادة الناس تختلف باختلاف أحوالهم، فمنهم من تكون شهادته قائمة، ومنهم من تكون ميتة، ومنهم من تكون نائمة إذا نبتت انتبعت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب، وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن، فروح ميتة، وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن<sup>(١)</sup>.

ثم استدل بقوله صلى الله عليه وسلم : (( إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجدت روحه لها روحا ))<sup>(٢)</sup>، ثم قال: (( فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، فكما أنّ حياة البدن بوجود الروح فيه، وكما أنّ من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَبِإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾<sup>(٣)</sup>)).<sup>(٤)</sup>

\* ركننا كلمة (( لا إله إلا الله )) :

وكلمة: لا إله إلا الله لها ركنان:

الركن الأوّل: النفسى فى قولك: ( لا إله )، أى نافيةا جميع ما يُعبد، والمراد بها نفسى

(٣) الجواب الكافي لابن القيم (ص ٢٨٣)، وانظر أيضا مفتاح دار السعادة له (٢٧/٣).

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) هذا اللفظ لم أجد له أصلا، ولعله قول النبي صلى الله عليه وسلم: (( إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحه حتى تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة ))، رواه ابن ماجة فى السنن (ح ٣٧٩٥)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/٣٢٤)، واللفظ للهيثمى. وقال الهيثمى: روى ابن ماجة بعضه - رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وصححه العلامة الألبانى. (صحيح سنن ابن ماجة، ح ٣٠٦٢ - ٣٧٩٥).

(٣) سورة النازعات، آيتان: ٤٠، ٤١.

(٤) الجواب الكافي لابن القيم (ص ٢٨٣).

والركن الثانى: الإثبات فى قولك: ( إلاً الله )، أى مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له فى عبادته، كما أنه لا شريك له فى خلقه وملكه.

قال ابن القيم رحمه الله: (( والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحققتها نفيا وإثباتا، متصفا بموجبهها، قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ فى قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت ))<sup>(١)</sup>.

\* شروط كلمة ( لا إله إلا الله ) :

سبق أن بينتُ كلام ابن القيم رحمه الله فى توضيح ركني لا إله إلا الله، والآن أذكر هنا تحقيقه لشروط كلمة الإخلاص (( لا إله إلا الله )).

فيقول رحمه الله: (( وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه - كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون - بل التوحيد يتضمن: محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض ))<sup>(٢)</sup>.

\* كلامه رحمه الله فى فضل التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:-

فيقول رحمه الله: (( اعلم أن أشعة ( لا إله إلا الله ) تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها فى ذلك النور قوة وضعفا لا يحصيه إلا الله.

فمن الناس: من نور هذه الكلمة فى قلبه كالشمس.  
ومنهم: من نورها فى قلبه كالكوكب الدرّي.

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ( ١٦٧/١ )، وانظر مدارج السالكين ( ٣٥٩/١ ).

(٢) مدارج السالكين ( ٣٥٨/١-٣٥٩ ). قلت: شروط (( لا إله إلا الله )) قد ذكرها العلامة

محمد سليمان التميمي فى رسالته: الواجبات المحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، وبينها

بيانا شافيا، فمن يريد المزيد من الإيضاح فليراجعها.

ومنهم: من نورها في قلبه كالشعل العظيم.

وآخر: كالسراج المضيء.

وآخر: كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بإيمانهم، وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في

قلوبهم من نور الكلمة علما وعملا ومعرفة وحالا.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات، بحسب قوته

وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبا إلا أحرقه،

وهذا حال الصادق في توحيدده، الذي لم يشرك بالله شيئا، فأبي ذنبا أو شهوة أو شبهة

دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا

ينال منه السارق إلا على غرّة وغفلة، لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه

استنقذه من سارقه، أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدا مع لصوص الجن والإنس،

ليس كمن فتح لهم خزائنه، وولى الباب ظهره))<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر حديثين يدلان على ما ذكر:

أولهما: قوله صلى الله عليه وسلم: (( فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله

يبتغى بذلك وجه الله ))<sup>(٢)</sup>.

وثانيهما: قوله صلى الله عليه وسلم: (( لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله ))<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم ( ٣٥٨/١ )، وذكر نحو هذا الكلام شارح العقيدة الطحاوية

( ٤٦٤/٢ ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٥٤٠١ )، ومسلم في صحيحه ( ح ٥٣

- ٣٢ )، واللفظ للبخاري.

(٣) هذا اللفظ لم أجد له أصلا، وله شواهد: منها: في صحيح مسلم ( ح ٤٧-٢٩ ) من حديث

عبادة مرفوعا: (( من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار )) .

ومنها: في صحيح البخاري ( مع شرحه فتح الباري، ح ١٢٨ )، وصحيح مسلم ( ح ٥٣-

٣٢ ) من حديث أنس: (( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وهو رديفه على

الرحل: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله إلا حرمه الله على النار )) . =

ثم قال رحمه الله: (( وتأمل حديث البطاقة<sup>(١)</sup> التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات فلا يعذب. ومعلوم أنّ كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة ))<sup>(٢)</sup>.

-ومنها: في المسند للإمام أحمد ( ٤٤٩/٥ ): (( لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله، وأني رسول الله فتطعمه النار أو تمسه النار ))، وفي رواية أخرى - في المسند أيضا ( ٢٣٦/٥ ) - : (( من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه، أو يقينا من قلبه لم يدخل النار )).

(١) حديث البطاقة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( إنّ الله عز وجل يستخلص رجلا من أممي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجلّ مدّ البصر، ثمّ يقول له: أتكر من هذا شيئا؟ أظلمت كني الحافظون؟ قال: لا، يا ربّ، فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبتهّ الرجل، فيقول: لا، يا ربّ، فيقول: بلى، إنّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة، فيها: (( أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسوله ))، فيقول: أحضروه، فيقول: يا ربّ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنّك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم ))، رواه الإمام أحمد في المسند ( ٢١٣/٢، ح ٦٩٩٤ )، والترمذي في السنن ( ح ٢٦٣٩ )، وابن ماجه في السنن ( ح ٤٣٠٠ )، وابن حبان في صحيحه ( ح ٢٢٥ )، والحاكم في المستدرک ( ٦/١ ). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال محقق المسند: إسناده قوى.

(٢) مدارج السالكين ( ٣٦٠/١ ).

المبحث الثالث:

﴿ شهادة أن محمدًا رسولُ الله ﷺ ﴾

إذا عُلِمَ أنَّ محبة الله عز وجل شرط من شروط شهادة أن لا إله إلا الله، وأن هذه المحبة لا تتم إلا بمحبة ما يحبه الله، وكره ما يكرهه عز وجل، إذا لا سبيل إلى معرفة ما يحبه الله تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا بامتثال ما أمر به رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، واجتناب ما عنه نهى، فتكون محبته عز وجل مستلزمة لمحبهته ﷺ وتصديقه ومتابعته.

ولهذا قرن محبته تعالى بمحبة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولذلك بين ابن القيم رحمه الله بعض مميزات رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والخصائص التي من الله تعالى عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، فيقول رحمه الله: (( وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماما للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعزيره<sup>(٢)</sup> وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه، وسدّ دون جنته الطرق، فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره))<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ

(١) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٢) وتعزيره: أي ونصره وإعانتة. والتعزير أيضا: التويخ على التقصير، والتأديب دون الحد، والكلمة

من الأضداد، والقرينة هي التي تعين المراد. انظر (لسان العرب، ٤/٥٦٢).

(٣) زاد المعاد (١/٣٤ - ٣٥)، وانظر مفتاح دار السعادة (١/١٠٤ - ١٠٥).



اللَّهِ ﷻ : (( بُعِثَ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مِنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ))<sup>(١)</sup>.

ثم قال رحمه الله: (( وكما أنّ الذلة مضروبة على من خالف أمره، فالعزة لأهل طاعته ومتابعته ))<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله الآيات التي تدل على أنّ العزة والغلبة والعلو والرفعة لله ولرسوله ولمن تبعه من المؤمنين.

والآيات التي ذكرها ابن القيم رحمه الله هي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ ... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِكِرْسِيِّهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ... ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ... ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

ثم قال رحمه الله معلقاً على الآية الأخيرة: (( أي الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (تحقيق أحمد شاكر، ٢/٥٠، ٩٢ ح ٥١١٤، ٥٦٦٧)، وأخرج الجملة الأخيرة منه أبو داود في السنن (ح ٤٠٣١)، وعلق طرفاً منه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ٦/٩٨).

- وذكر ابن حجر العسقلاني أنّ للحديث شاهداً مرسلًا بإسناد صحيح.

- وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ووافقه الألباني في إرواء الغليل (ح ١٢٦٩).

(٢) زاد المعاد (١/٣٥).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٤) سورة المنافقون، من آية: ٨.

(٥) سورة محمد، من آية: ٣٥.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٦٤.

تحتاجون معه إلى أحد))<sup>(١)</sup>.

\*نسبه صلى الله عليه وسلم :

من المناسب جدا أن يذكر هنا نسبه<sup>(٢)</sup> الشريف لأنه من كمال معرفته ﷺ معرفة نسبه وأصله.

وحفظ النسب من كمالات المروءة، وضروريات الحياة، وصلة للرحم، ورسول الله ﷺ قدوة الأمة وقائدها، فهو أولى بحفظ نسبه.

والرسول ﷺ خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، حيث قال ﷺ: (( إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ))<sup>(٣)</sup>، وقوله أيضا: (( أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع ))<sup>(٤)</sup>.

فيقول ابن القيم رحمه الله: (( وهو خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوّه، إذ ذاك أبو سفيان<sup>(٥)</sup> بين يدي ملك الروم<sup>(٦)</sup>، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف

(١) زاد المعاد ( ٣٥/١ ).

(٢) كما يقول هرقل - ملك الروم - لأبي سفيان بن حرب في صحيح البخاري ( مع شرحه فتح الباري، ح ٧ )، ونصه: (( سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومه )).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ١ - ٢٢٧٦ )، وأبو داود في السنن ( ح ٤٦٧٣ ) وأحمد في المسند ( ٥٤٠/٢ ).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ( ح ٣ - ٢٢٧٨ )، والتزمذى في السنن ( ح ٣٦٠٥ )، وأحمد في المسند ( ١٠٧/٤ ).

(٥) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق، وله هنات وأمور صعبة قبل إسلامه، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح، فأسلم شبه مكره خائف، ثم بعد أيام صلح إسلامه، توفي رضي الله عنه

الأفخاذ فخذة))<sup>(١)</sup>.

ثم أوضح رحمه الله سلسلة نسبه الشريف، فيقول: (( فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ))<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله أنّ سلسلة نسبه ﷺ إلى (( عدنان )) معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق (( عدنان )) مختلف فيه، وكذلك لا خلاف بينهم أنّ (( عدنان )) من ولد إسماعيل عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

\* هل يصير الكافر مسلماً بمجرد الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة؟

إنّ إقرار الكافر لرسول الله ﷺ بأنه نبي، لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، لأنّ معنى شهادة أنّ محمداً رسول الله ﷺ: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلاّ بما شرع.

وكذلك أنّ الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة والعبودية لا تكفي حتى تكون مقرونة بالشهادة لله ﷻ بالتوحيد، فهما مقترنتان، ومتلازمتان كما أراد الله ﷻ وأمر.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وقد اختلف أئمة الإسلام في الكافر إذا قال: أشهد أنّ محمداً رسول الله، ولم يزد، هل يحكم بإسلامه بذلك؟ على ثلاث أقوال، وهي ثلاثة روايات عن الإمام أحمد:-

بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل غير ذلك، وله نحو التسعين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٦/٢).

(٦) جاء في حديث أبي سفيان الطويل في صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ح ٧) ونصه: (( ثمّ كان أوّل ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب ... ))

(١) زاد المعاد (٧١/١).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

إحداها: يحكم بإسلامه بذلك.

والثانية: لا يحكم بإسلامه، حتى يأتي بشهادة أن لا إله إلا الله.

والثالثة: أنه إذا كان مقرا بالتوحيد حُكم بإسلامه، وإن لم يكن مقرا، لم يحكم بإسلامه

حتى يأتي به ((<sup>(١)</sup>).

ثم بين رحمه الله رأيه في هذه المسألة، فقال: (( وعلى هذا فإنما لم يحكم لهؤلاء اليهود - الذين شهدوا له بالرسالة - بحكم الإسلام، لأن مجرد الإقرار والإخبار بصحة رسالته لا يُوجب الإسلام إلا أن يلتزم طاعته ومتابعته، وإلا فلو قال: أنا أعلم أنه نبي، ولكن لا أتبعه، ولا أدين بدينه! كان من أكفر الكفار، كحال هؤلاء المذكورين وغيرهم ))<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله أن هذا القول متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة، فإن هؤلاء كلهم مقرون بأن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرد، ولا معرفة القلب مع الإقرار باللسان، بل لا بد فيه من عمل القلب - وهو حبه لله ورسوله، وانقياده لدينه، والتزامه طاعته ومتابعة رسوله - وهذا خلاف من زعم أن الإيمان مجرد معرفة القلب وإقراره<sup>(٣)</sup>.

ثم أتى بأدلة تدل على أن إقرار الكافر لرسول الله ﷺ بأنه نبي لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته.

منها: قال المسوار بن مخرمة<sup>(٤)</sup> لأبي جهل<sup>(٥)</sup> - وكان خاله - أي خال! هل كنتم

(١) زاد المعاد لابن القيم (٦٣٩/٣)، وانظر مفتاح دار السعادة له (٣٣٠/١).

(٢) مفتاح دار السعادة ( نفس المصدر السابق والصفحة ).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) المسوار بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن، من فضلاء الصحابة وفقهائهم، أدرك النبي ﷺ وهو صغير، وسمع منه، وشهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد، قتل مع ابن الزبير في الحصار بمكة. [ الإصابة لابن حجر، ت ٧٩٩٥، الأعلام للزركلي، ١٢٤/٨ ].

(٥) أبو جهل: اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة، وكنيته أبو الحكم، وأبو جهل لقب، وهو من صناديد قريش، قتل يوم بدر وهو ابن سبعين سنة، وحين قتل خرج رسول الله ﷺ حتى قام عليه، فقال:

تَهْمُونَ مُحَمَّدًا بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَقَالَتَهُ الَّتِي قَالَهَا؟! قَالَ أَبُو جَهْلٍ — لعنه الله تعالى — : يا ابن أخي والله لقد كان محمد فينا — وهو شاب — يُدعى الأمين؛ ما جربنا عليه كذبا قط، فلمَّا وَحَطَهُ الشَّيْبُ لم يكن ليكذب على الله! قال: يا خال فلِمَ لا تَتَّبِعُونَهُ؟ قال: يا ابن أخي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعمموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما جأنا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منَّا نبي، فمتى نُدرك هذه؟<sup>(١)</sup>.

ومنها: قصة أمية بن أبي الصلت<sup>(٢)</sup> كان ينتظره يوما بيوم، وعلمه عنده قبل مبعثه، وقصته مع أبي سفيان لما سافرا معا معروفة، وإخباره برسول الله ﷺ ثم لما تيقنه وعرف صدقه، قال: لا أؤمن بنبي من غير ثقيف أبدا<sup>(٣)</sup>.

(( الحمد لله الذي أحرك يا عنو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة )) . [الحدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٤٤٤/١، ح ٤٢٤٦]. انظر جوهرة

نساب العرب لابن حزم الأندلسي (ص ١٤٥)، والمنظَّم لابن الجوزي (١١٧/٣).

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣٢٩/١)، وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٦٢:٣).

(٢) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. كان مطلقا على الكتب القديمة. ثم متسع عن الإسلام. [الأعلام للزركلي، ٣٦٤/١].

(٣) مفتاح دار السعادة (٣٢٩/١)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (ص ٥٠ — ٥١)، وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٢٢٢/٢).

والقصة هي: عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه قال: خرجت أنا وأمّية بن أبي الصلت الثقفي تجارا إلى الشام، فكنما نزلنا منزلا أخذ أمية سفرا له يقرؤه علينا، فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى، فجاوزه وكرموه وهدوا له، وذهب معهم إلى يوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي: هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى إليه يتأهى عم الكتاب تسأله؟ قلت: لا إرب لي فيه والله لئن حدثني بما أحب لا أتق به، ولئن حدثني بما أكره لأجدن منه. قال: فذهب... ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبيه ثم أخذ على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيبا حزينا ساقطا غرقه عنى صبوحة ما يكلمنا ولا نكلمه، ثم قال: ألا ترحل؟ قلت: وهل بك من رحيل؟ قال: نعم فرحلنا... حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين فارحلنا... ثم قال أمية لأبي سفيان: فإن الذي رأيت أصابني أمي جئت هذا العالم فسألت عن أشياء ثم قلت: أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر. قال: هو رجل من العرب. قلت: قد علمت أنه من العرب، فمن أي العرب هو؟ قال: من أهل بيت تحفه العرب. قلت: وفيما بيت تحفه العرب. قال: هو من إخوانكم من قريش. فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط، وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة، وكنت أرجو أن أكون إياه. قلت: فإذا كان فضفه لي: قال: رجل شاب حين دخل في الكهولة بُدُو أمره يجتنب المظالم والمخارم ويصل الرحم يأمر بصحتها وهو مخوج كريم الطرفين متوسط في العشرة أكثر حننه من الملائكة. قلت: وما آية ذلك؟ قال: قد رجفت الشام منذ هنك عيسى بن مريم عليه السلام - كما يزعمون - ثمانين رجفة كلها فيها مصيبة وبعيت رجفة عامة فيها مصائب... قال أبو سفيان: ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه؟ فإذا هو يقول: أصابت أهل الشام بعدكم رجفة دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة. قال أبو سفيان: فأقبل علي أمية فقال: كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان؟ قلت: أرى وأظن والله أن ما حدثك به صاحبك حق. قال أبو سفيان: فقدمنا مكة، فقصيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألون عن بضاعتهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهدني عندي تلاعب صيانتها فسمعت علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام. فقلت لهند: والله إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألتني عنها وما سألتني هذا عن بضاعته. قالت لي هند: أو ما علمت شأنه؟ فقلت: وأنا أزعج - ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله. فوقدنتي وتذكرت قول النصراني، فرجفت حتى قالت لي هند: ما لك؟ فانتبهت فقلت: إن هذا هو الباطل هو أعقل من أن يقول هذا. قال: بلى والله إنه ليقول ذلك ويدعو إليه وإن له لصحابة عنى دبه... قال أبو سفيان: فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقال لي: يا أبا سفيان ما تشاء هل تذكر قول النصراني؟ فقلت: أذكره وقد كان. فقال: ومن؟ قلت: محمد بن عبد الله. قال: ابن عبد المطلب؟ قلت: ابن عبد المطلب، ثم قصصت عليه خبر هند. قال: فوالله يعلم، وأخذ يتصب عرقا، ثم قال: والله يا أبا سفيان لعنه إن صفته هي ولئن ظهر وأت حتى لأظنن من الله عليه السلام في نصره

ومنها: حال هرقل ملك الروم حين تيقن أنّ محمدا رسول الله ﷺ ولم يشك فيه، وآثر الضلال والكفر استبقاء الملكة<sup>(١)</sup>.

ومنها: لما سأله اليهود عن التسع آيات البينات؟ فأخبرهم بها، فقبلوا يده، وقالوا: نشهد أنك نبي، فقال: ((لما يمنعكم أن تبعوني؟)) قالوا: إنّ داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وأنا نخشى إن اتبعناك أن تقتلنا يهود<sup>(٢)</sup>.

ومنها: شهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأنّ دينه من خير أديان البرية ديننا<sup>(٣)</sup>، ولم تدخله هذه الشهادة في الإسلام<sup>(٤)</sup>.

ثمّ قال رحمه الله: ((فهؤلاء قد تحققوا نبوته وشهدوا له بها، ومع هذا فأثروا الكفر والضلال، ولم يصيروا مسلمين بهذه الشهادة))<sup>(٥)</sup>.

وقال أيضا: ((ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشرّكين له عليه السلام بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أنّ الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والالتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا))<sup>(٦)</sup>.

عذراً. قال: ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاعني هنالك استهلاله وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبي الصلت بالطائف فقلت: يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعت، فقال: قد كان لعمرى. قلت: فأين أنت منه يا أبا عثمان؟ قال: والله ما كنت لأومن برسول من غير تقيف أبداً. (البداية والنهاية بتصرف شديد، ٢/٢٢٢).

(١) انظر مفتاح دار السعادة (١/٣٢٩)، وتفصيل القصة في صحيح البعاري (مع شرحه فتح الباري، ح ٧)، ومسلم في صحيحه (ح ٧٤-١٧٧٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٢٩)، والحديث رواه مطولاً الرمزي في السنن (ح ٢٧٣٣)، وابن ماجه في السنن (ح ٣٧٠٥)، وأحمد في المسند (٤/٤٣٩، ٥/٢٤٠، ٥/٣٣٩)، والحاكم في المستدرک (١/٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الرمزي: ((هذا حديث حسن صحيح))، وأورده ابن كثير في التفسير (٣/٧١)، وقال: ((وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه))، وحكم عليه العلامة الألباني بالضعف. انظر: ضعيف سنن الرمزي (ح ٥١٧-٢٨٨٩)، وضعيف سنن ابن ماجه (ح ٨٠٨-٣٧٠٥)، وضعيف سنن النسائي (ح ٢٧٥-٤٠٧٨).

(٣) وذلك في أبياته المشهورة حين حشى النبي عليه السلام قريشاً على نفسه وشكى لى عمه أبي طالب، فقال له عمه:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في القواب دينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذلك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك صادق	فلقد صدقت وكنت قدم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه	من عمير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حنار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مينا

- انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (السيرة النبوية، ص ١٥٠)، والبنابة والنهاية لابن كثير (٤١/٣).

(٤) زاد المعاد لابن القيم (٣/٦٣٨).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/٣٣٠).

(٦) زاد المعاد (٣/٦٣٨-٦٣٩).

\* بيانه رحمه الله حال النبي ﷺ مع قومه:-

إن رسول الله ﷺ قد أدى الأمانة ونصح الأمة وبلغ الرسالة، وجاهد وأوذى في الله، قال ﷺ: (( ما أُوذِيَ أحد ما أُوذِيَ في الله ﷻ ))<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( فإذا جئت إلى النبي ﷺ؛ وتأملت سيرته مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه من سلم وخوف، وغنى وفقير، وأمن وإقامة في وطنه، وظعن عنه وتركه لله، وقتل أحبائه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل، والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله، فلم يُؤذَ نبي ما أُوذِيَ، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبي ما أُعطيَه، فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق وسيلة، وأعظم عنده جاهها، وأسمعهم عنده شفاعته ))<sup>(٢)</sup>.

ثم بين رحمه الله أن تلك المحن والابتلاء والفتن عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفا وفضلا، وساقه بها إلى أعلى المقامات<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ( ٢٣٣/٦ )، وحسنه الألباني. [ سنسلة الأحاديث الصحيحة، ح: ٢٢٢٢ ].

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ( ٣٠٦/٢ - ٣٠٧ ).

(٣) نفس المصدر السابق.

قلت: ومما يساند هذا القول حديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (( أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة )).

رواه أحمد في المسند ( ١٧٢/١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥ )، وابن ماجه في السنن ( ح ٤٠٢٣ )، والحاكم في المستدرک ( ٤٠/١، ٤١ )، وصححه، ووافقه الذهبي.

وصححه أيضا العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير ( ح ٩٩٢ )، والمشكاة ( ح ١٥٦٢ )، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح ١٤٣ ).

\* بيانه رحمه الله تجريد متابعة الرسول ﷺ:-

من المعلوم الضروري في الدين أنّ الطاعة نوع من أنواع العبادة، فإنها طاعة الله بامثال ما أمر به على لسان رسوله ﷺ، ويّين رحمه الله بهذا الموضوع أنّه لا يطاع أحد من الخلق إلاّ حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلاّ فلا تجب طاعة<sup>(١)</sup> أحد من الخلق استقلالا.

فمن أطاع مخلوقا في ذلك غير الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup> فهو مشرك، كما بينه تعالى في قوله:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( قال ابن عباس رضي الله عنهما: (( يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر ))، فرحم الله ابن عباس كيف لو رأى أقواما يعارضون قول الله ورسوله بقول أرسطو<sup>(٤)</sup> وأفلاطون<sup>(٥)</sup> وابن سينا<sup>(٦)</sup> والفارابي<sup>(٧)</sup> وجهم بن صفوان<sup>(٨)</sup> وبشر المريسي<sup>(٩)</sup> وأبي

(١) المقصود هنا: الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام.

(٢) لأنّه لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا

وَخْيٌ يُوحَىٰ ﴾. [ سورة النجم، آيات: ٢، ٣، ٤ ].

(٣) سورة التوبة، من آية: ٣١، وانظر تيسير العزيز الحميد للشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ (ص ٣٢٠).

(٤) أرسطو أو أرسطو طاليس، فيلسوف يوناني، له مؤلفات عدة، منها: المقولات، الجدل ( العبارة أو التفسير )، السماء والعالم وغيرها، عاش ما بين ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م. [ انظر قصة الحضارة لول ديورانت ( ترجمة محمد بدران، ٤٩٢/٧ )، وقصة الفلسفة ( ترجمة د/ فتح الله محمد المشعشع، ص ٦٧ )، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوستوف كرم، ص ١٧٩ ].

(٥) أفلاطون الفيلسوف المعروف، ابن أريستون، ولد في أثينا، وعاش ما بين ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م.، وقد كرّس معظم حياته في الدروس والتعليم. [ انظر قصة الحضارة ٣٢/٧، وأخبار العلماء للقفطي، ص ١٣ ].

(٦) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ولد سنة ٣٧٠هـ، من مصنفاته: الشفاء، النجاة،



الهدليل العلاف<sup>(١)</sup>، وأضرابهم<sup>(٢)</sup>.

ولقد سئل عبد الله بن عمر عن متعة الحج؟ فأمر بها، فقيل له: إن أباك نهى عنها، فقال: إن أبي لم يرد ما تقولون، فلما أكثروا عليه، قال: (( أفرسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا أم عمر ))<sup>(٣)</sup>.

الإرشاد والتنبيهات، القانون. [ انظر وفيات الأعيان، ١٦٠/٢، الأعلام، ٢٦١/٢ ].

(٧) هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، أبو نصر، فيلسوف، رياضي، طيب، عارف باللغات: التركية والفارسية واليونانية والسريانية، أخذ عن متى بن يونس. وسافر حران فلزم بها يوحنا بن جيلان، توفي في دمشق سنة ٣٣٩هـ، من تصانيفه: آراء أهل المدينة الفاضلة، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، المدخل إلى علم المنطق. [ انظر: البداية والنهاية ١١/٢٢٤، شذرات الذهب ٢/٣٥، معجم المؤلفين ١١/١٩٤ ].

(٨) هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي، الضال المتبدع، رأس الجهمية، زرع شرا عظيما، كان تلميذا للجعدي بن درهم الزنديق الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن، قُتل جهم بن صفوان سنة ١٢٨هـ. [ انظر ميزان الاعتدال، ١٩٧/١، الأعلام، ١٣٨/٢ ].

(٩) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة، عبد الرحمن المريسي العدوي بالولاء، أبو عبد الرحمن، فقيه معتزلي، عارف بالفلسفة، وإليه تنسب الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، وقال برأي الجهمية، وكان أبوه يهوديا، وهو من أهل بغداد، ينسب إلى درب المريس، قالوا في وصفه: كان قصيرا، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، كبير الرأس والأذنين، وقد ردّ عليه الدارمي في كتاب (( النقض على بشر المريسي ))، توفي سنة ٢١٨هـ. [ انظر: ميزان الاعتدال للذهبي، ٣٢٢/١، الأعلام ٢/٥٥ ].

(١) هو محمد بن الهدليل بن عبد الله بن مكحول العبدي، أبو الهدليل العلاف، ولد سنة ١٣٥هـ في البصرة، وكان من أئمة المعتزلة، كف بصره في آخر عمره، توفي سنة ٢٣٥هـ بسامراء. [ انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٢، الأعلام ٧/١٣١ ].

(٢) الصواعق المرسله لابن القيم (ص ١٠٦٣)، وانظر تسير العزيز الحميد (ص ٥٤٤)، وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ (ص ٣٢٠).

(٣) الصواعق المرسله (ص ١٠٦٣)، والأثر أورده البيهقي في السنن الكبرى (٢١/٥).

- قال النووي في المجموع شرح المذهب (٣٥/٧): رواه البيهقي عن سالم بإسناد صحيح.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (( عجبنا لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأى سفيان الثوري<sup>(١)</sup> والله تعالى يقول: ﴿... فَلْيُخَذَمِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ... ﴾<sup>(٢)</sup>، أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ))<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( والفرق بين تجريد متابعة المعصوم ﷺ وإهدار أقوال العلماء وإغائها:

أنّ تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنا من كان، بل تنظر في صحة الحديث:

أولاً: فإذا صح لك نظرت<sup>(٤)</sup> في معناه.

ثانياً: فإذا تبين لك لم تعدل عنه، ولو خالفك من بين المشرق والمغرب، ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيها، بل لا بد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه، فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله، بل اذهب إلى النص ولا تضعف، واعلم أنّه قد قال به قائل قطعاً ولكن لم يصل إليك.

اهـ.

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلبي الحكم، فأبى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤هـ، فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة، فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١هـ. [انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٢٥٧/٦)، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣٥٦/٦)، الأعلام للزركلي (١٥٨/٣)].

(٢) سورة النور، من آية ٦٣، وتمام الآية: ﴿... أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٤٥)، فتح المجيد (ص ٣٢٢).

(٤) في الأصل: (( ما نظرت ))، والصحيح حذف ( ما ).

هذا مع حفظ مراتب العلماء، وموالاتهم، واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه، فهم دائرون بين الأجر والأجرين<sup>(١)</sup> والمغفرة، ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها لشبهة أنه أعلم بها منك.

فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك فهلا وافقته إن كنت صادقاً، فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم، ولم يهضم جانبهم بل اقتدى، فإنهم كلهم أمروا بذلك، فمتبعهم حقاً من امثل ما أوصوا به، لا من خالفهم في القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم<sup>(٢)</sup>.

ثم بين رحمه الله الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه:

**فالأول:** يأخذ قوله مطلقاً من غير نظر فيه، ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة، بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلده به، ولذلك سمي تقليداً.

**الثاني:** من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل الأول، فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الشافعي<sup>(٤)</sup> رحمه الله: (( أجمع الناس على من استبان له سنة رسول الله ﷺ

(١) وذلك في قوله ﷺ: (( إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر ))، متفق عليه. [ صحيح البخاري ( مع شرحه فتح الباري، ح ٧٣٥٢ )، ومسلم في صحيحه ( ح ١٧١٦ )].

(٢) الروح لابن القيم ( ص ٣٩٠-٣٩١ )، وانظر الصواعق المرسله له أيضا ( ص ١٠٥١-١٠٦٥ ).

(٣) انظر الروح لابن القيم ( ص ٣٩١ ).

(٤) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة ( بفلسطين ) سنة ١٥٠ هـ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ، وله تصانيف كثيرة، أشهرها الأم في الفقه، المسند في الحديث، الرسالة في أصول الفقه. [ انظر ترجمته في: فهرست لابن نديم

لم يكن له أن يدعها لقول أحد))<sup>(١)</sup>.

\* بيانه رحمه الله بأن الله سبحانه وتعالى قد تمّ الدين بنبيه ﷺ وأكمّله به:

أوضح رحمه الله في هذه المسألة أنّ الله ﷻ قد تمّ الدين بنبيه ﷺ وأكمّله به، ولم يجوجه ولا أمته بعده إلى عقل ولا نقل سواه، ولا رأي ولا منام ولا كشف<sup>(٢)</sup>.

ثم استدل بقوله تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم بيّن رحمه الله أنّ الله ﷻ أنكر على من لم يكتف بالوحي من غيره فقال تعالى: ﴿

أَوْ كَرِهَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْكُمْ فِي ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَرِثَتِهِمْ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم فسّر الآية بقوله: (( ذكر هنا جوابا لطلبهم آية تدل على صدقه، فأخبر أنه يكفيهم من كلّ آية، فلو كان ما تضمنه من الأخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر يناقض العقل، لم يكن دليلا على صدقه فضلا عن أن يكون كافيا ))<sup>(٥)</sup>.

ثم قال رحمه الله: (( والمقصود أنّ الله سبحانه تمّ الدين وأكمّله بنبيه وما بعثه به، فلم يجوج أمته إلى سواه، فلو عارضه العقل وكان أولى بالتقديم منه لم يكن كافيا للأمم، ولا كان تامّا في نفسه ))<sup>(٦)</sup>.

(٦/٢٦٣)، الحلية لابن نعيم (٩/٦٣)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/٥٦)، البداية

والنهاية لابن كثير (١٠/٢٦٢). [

(١) الروح لابن القيم (ص ٣٩١)، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم (١/٥٦-٦٨).

(٢) انظر الصواعق المنزلة لابن القيم (٢/٥٣٩).

(٣) سورة المائدة، من آية ٣.

(٤) سورة العنكبوت، آية ٥١.

(٥) الصواعق المنزلة (٢/٥٣٩).

(٦) نفس المصدر السابق.

ثم بعد ذلك أورد حديثاً في مراسيل أبي داود<sup>(١)</sup>: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بَيْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ<sup>(٢)</sup> وَرَقَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّوْرَةِ، فَقَالَ: (( كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالَةً أَنْ يَتَّبِعُوا كِتَابًا غَيْرَ كِتَابِهِمْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ ))<sup>(٣)</sup> فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَوْ كَمْ يَكْفُرُونَ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم أورد رحمه الله النصوص التي تدل على وجوب التحاكم إلى الرسول ﷺ في جميع المنازعات والخلافات التي تحصل بينهم<sup>(٥)</sup>:-

منها: قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾<sup>(٦)</sup> فقال رحمه الله مبيناً معنى الآية:

(١) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. [ انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٥٨/٢)، الأعلام للزركلي (١٨٢/٣) ].

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني خلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع، واستشهد سنة ٢٣هـ، وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأحدًا وعشرين يوماً، وله ثلاث وستون سنة. [ انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير (١٣٧/٧، ١٤٢، ١٤٣)، الإصابة لابن حجر (ترجمة: ٥٧٣٨) ].

(٣) مراسيل أبي داود السجستاني (ح ٤٥٤)، وانظر سنن الدارمي (ح ٤٨٤)، وتفسير الطبري (١٥٤/١٠)، وتفسير القرطبي (٣٥٥/١٣). قلت: إسناده صحيح إلا أنه مرسل، وقال محقق المراسيل الشيخ/ شعيب الأرنؤوط: (( يحيى بن جعدة هو ابن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، ثقة روى عن غير واحد من الصحابة، وأرسل عن ابن مسعود، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح عبد الله بن محمد بن يحيى وهو ثقة، وعمرو وهو ابن دينار المكي )).

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٥١.

(٥) انظر أعلام الموقعين (٥٨/١).

(٦) سورة النساء، آية: ٦٥.

(( فأقسم سبحانه بنفسه أنا لا تؤمن حتى نحكّم رسوله في جميع ما شجر بيننا وتتسع صدورنا لحكمه فلا ييقى فيها حرج ونسلم لحكمه تسليماً، فلا نعارضه بعقل ولا رأي ولا هوى ولا غيره، فقد أقسم الرب سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسل، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه ))<sup>(١)</sup>.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُهُ إِلَى اللَّهِ... ﴾<sup>(٢)</sup>، فيقول رحمه الله في تفسير الآية: (( وهذا نص صريح في أنّ حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده، وهو الحاكم فيه على لسان رسوله، فلو قدم حكم العقل على حكمه لم يكن هو حاكم بوجهه وكتابه ))<sup>(٣)</sup>.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن مَّرَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ... ﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول رحمه الله: (( فأمر باتباع الوحي المنزل وحده، ونهى عن اتباع ما خالفه، وأخبر سبحانه أنّ كتابه بينة وشفاء وهدى ورحمة ونورا ومفصلاً وبرهاناً وحجة وبياناً... ))<sup>(٥)</sup>.  
\* بيانه رحمه الله بأنّ طالب الهدى في غير القرآن والسنة قد شهد الله ورسوله له بالضلّال:

قال رحمه الله: (( إنّ طالب الهدى في غير القرآن والسنة قد شهد الله ورسوله له بالضلّال، فكيف يكون عقله الذي قد أضله الله مقدماً على كتاب الله وسنة رسوله؟ قال تعالى في أرباب العقول التي عارضوا بها وحيه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ

(١) الصواعق المنزلة ( ٥٤٠/٢ ).

(٢) سورة الشورى، من آية: ١٠.

(٣) الصواعق المنزلة ( نفس الصفحة السابقة ).

(٤) سورة الأعراف، من آية: ٣.

(٥) الصواعق المنزلة ( ٥٤٠/٢ - ٥٤١ ).

عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ (٢)، وقال فيمن قدم عقله على ما جاء به: ﴿... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (٣) والقرآن مملوء بوصف من قدم عقله على ما جاء به بالضلال ((٤)).

ثم أورد رحمه الله حديثا يستدل به على أن من يتغى الهدى في غير كتاب الله والسنة أضله الله، فقال رحمه الله: (( وروى الترمذى وغيره من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( إنها ستكون فتنة )) قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (( كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حيل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته، حتى قالوا: ﴿... إنا سمعنا قرءانا عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به...﴾ (٥) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم )) (٦).

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٢) سورة الأنعام، من آية: ١٥٣.

(٣) سورة النجم، من آية: ٢٣.

(٤) الصواعق المنزلة لابن القيم ( ٥٥٢/٢ ).

(٥) سورة الجن، من آية: ٢٤١.

(٦) الصواعق المنزلة ( ٢٢٥/٢ )، والحديث رواه الترمذى في السنن ( ح ٢٩٠٦ )، والدارمى في

السنن ( ح ٣٢١١ ). وضعفه العلامة الألباني في ضعيف سنن الترمذى ( ح ٥٥٤ - ٣٠٨٢ ).

\*كلامه رحمه الله في بيان أنه لا يمكن بل يستحيل الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع إنكار نبوة محمد رسول الله ﷺ:

أوضح رحمه الله هذه المسألة وبينها أنه من جحد نبوته ﷺ فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً، وهذا يتبين بوجهه:-

الوجه الأول: أن الأنبياء السابقين بشروا بنبوته، وأمروا أقوامهم بالإيمان به، فمن جحد نبوته ﷺ فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به، وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به، والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم، وإذا انتفي اللازم انتفي ملزومه قطعاً<sup>(١)</sup>.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى بعينه في قوله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً معنى الآية: (( فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، مجيئه هو نفس صدق خبرهم، فكان مجيئه تصديق لهم، إذ هو تأويل ما أخبروا به ))<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذا قول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿... يَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله موضحاً مقصود الآية: (( فإن التوراة لما بشرت به ونبوته كان نفس ظهوره تصديقا لها، ثم بشر برسول يأتي من بعده، فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقا له، كما أن ظهوره تصديقا للتوراة، فعادة الله في رسله أن السابق يبشر اللاحق، واللاحق يصدق السابق، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله ))<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر هداية الحيارى لابن القيم (ص ٣٥٩).

(٢) سورة الصافات، آية ٣٧.

(٣) هداية الحيارى (ص ٣١٣).

(٤) سورة الصف، من آية ٦.

(٥) هداية الحيارى (ص ٣١٣-٣١٤).



الوجه الثاني: أنّ دعوة محمد بن عبد الله ﷺ هي نفس دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه الأنبياء كلهم، فإنّ جميع الرسل جاءوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أنّ ما جاء به باطل، وفي ذلك تكذيب كلّ رسول أرسله الله، وكلّ كتاب أنزله الله، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وأنه كاذب مفتر على الله<sup>(١)</sup>.

هناك نصوص قرآنية تدل على أنّ دعوة الرسل عليهم السلام واحدة، من أولهم إلى آخرهم، ودعوتهم هي عبادة الله وحده، وإفراده بجميع أنواع العبادة، والتحذير من الشرك والبدع:

منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أنّ جميع الرسل متفقون على الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك، فأول ما يقولون لقومهم: ﴿...اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أنّ ضد التوحيد وهو الشرك محبط للعمل في نبوة جميع الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) يراجع هداية الحيارى لابن القيم (ص ٣٥٩).

(٢) سورة النحل، من آية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٤) سورة الأعراف، من آية: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، سورة هود، من آية: ٥٠، ٦١، ٨٤.

(٥) سورة الزمر، آية: ٦٥.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأصل دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم إنما هي عبادة الله وحده لا شريك له، المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والإجلال والتعظيم، ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى ))<sup>(١)</sup>.

الوجه الثالث: إنّ الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف آيات من قبله من الرسل، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلاّ ولمحمد ﷺ مثلها، أو ما هو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها، فأيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل، والعلم بنقلها قطعي لقرب العهد، وكثرة النقلة، واختلاف أمصارهم وأعصارهم، واستحالة توأمتهم على الكذب<sup>(٢)</sup>.  
فقد روى عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: (( ما من الأنبياء نبي إلاّ أعطي من الآيات ما مثله أو من - أو آمن - عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أنّي أكثرهم تابعا يوم القيامة ))<sup>(٣)</sup>.

(١) الجواب الكافي (ص ٢٨٧).

(٢) ينظر هداية الحيارى (ص ٣٦٠).

(٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (ح ٧٢٧٤)، صحيح

مسلم (ح ١٥٢-٢٣٩).

المبحث الرابع:

﴿ تعريف التوحيد ﴾

إنَّ عقيدة التوحيد الذي هو إفراد الله وحده بالعبادة هي أعظم المقاصد، وأعلى الغايات، فمن أجلها خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الجنة والنار، فالجنة منزل من أطاعه، وحقق توحيدَه، ولم يشرك به شيئاً، والنار منزل من عصاه، واتخذ له نداً وشريكاً.

وقد تناول ابن القيم رحمه الله تعريف توحيد الرسل عليهم السلام في مؤلفاته، وأوضحه توضيحاً كاملاً، فيقول: (( وأما توحيد الرسل فهو إثبات توحيد الكمال له سبحانه، وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته، وقدرته، واختياره، وأنَّ له فعلاً حقيقة، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد، ويخاف ويرجى، ويتوكل عليه.

فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل، وليس خلقه من دونه وكيل، ولا ولي، ولا شفيع، ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم، وإغاثة لهفاتهم، وإجابة دعواتهم، وبينه وبينهم واسطة<sup>(١)</sup> في تبليغ أمره ونهيه وخبره إليهم، فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه، ويغضه ويسخطه، ولا حقائق أسمائه، وتفصيل ما يجب له، ويمتنع عليه، ويوصف به إلا من جهة هذه الواسطة ))<sup>(٢)</sup>.

ثم بين رحمه الله أنَّ التوحيد أول دعوة الرسل عليهم السلام، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

ثم أورد رحمه الله النصوص التي تدل على ما سبق.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(٤)</sup>، وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿.. اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(٥)</sup>،

(١) أي رسول من رسل الله عليهم السلام.

(٢) الصواعق المرسله لابن القيم (٣/٩٣٣-٩٣٤).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣/٤٦٢).

(٤) سورة الأعراف، من آية ٥٩.

(٥) سورة الأعراف، من آية ٦٥.

وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿...اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(١)</sup>، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿...اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

- ومن السنة: ما قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه - وقد بعثه إلى اليمن - : (( إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ))<sup>(٤)</sup>، وقال ﷺ أيضا: (( أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ))<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن القيم رحمه الله : (( ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف، شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة الأعراف، من آية ٧٣.

(٢) سورة الأعراف، من آية ٨٥.

(٣) سورة النحل، من آية ٣٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٧٣٧٢)، ومسلم في صحيحه (ح ٣٠-١٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٢٥)، ومسلم في صحيحه (ح ٣٦-٢٢).

(٦) القول بأن أول ما يجب على المكلف النظر، أو القصد إلى النظر، أو الشك، يحتاج إلى توضيح أكثر، فقلت:

أمَّا النظر أو القصد إلى النظر، فقد ذهب جمهور المتكلمين إلى أن معرفة الله تعالى ليست فطرية ضرورية، وإنما هي كسبية يكتسبها الإنسان بعقله عن طريق النظر إلى جواهر المخلوقات وأعراضها لمعرفة حدوث العالم الدال على وجود محدثه وصانعه، ولذلك اعتبروا أول واجب

على المكلف النظر المؤدى إلى معرفة الله، وأصل هذا الكلام للمعتزلة وتبعتهم في ذلك الفرق الكلامية الأخرى كالماتريدية والأشعرية الكلامية.

وقد ذكر القاضي عبد الجبار إلى أن أول ما يجب على المكلف النظر إلى الجواهر والأعراض، وإثبات حدوثهما لمعرفة حدوث العالم، ثم الاستدلال بذلك على وجود محدثه وصانعه، وادعى أن هذا هو أول العلم بالله تعالى.

وذكر أن معرفة الله تعالى عند المعتزلة لا تنال إلا بالعقل.

انظر: المحيظ بالتكليف للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٦)، وشرح الأصول الخمسة له أيضا (ص ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٨٨).

وإذا انتقلنا إلى الفرق الكلامية الأخرى كالماتريدية والأشعرية الكلامية نجدهم يسلكون نفس المنهج الذي سلكه المعتزلة في إيجابهم النظر والاستدلال عن طريق الجواهر والأعراض لمعرفة حدوث العالم، ومن ثم الاستدلال بذلك على وجود محدثه، وإنكارهم أن تكون معرفة الله فطرية.

وإذا كان أصل الكلام في إيجاب النظر العقلي على المكلف للمعتزلة، فإنه قد انتقل إلى الماتريدية والأشعرية، وقال به جمهورهم.

فقد أوجب أبو منصور الماتريدي [ت ٣٣٣هـ] مؤسس فرقة الماتريدية الكلامية النظر على كل مكلف، وادعى عدم قبول التقليد في العقائد، إلا أن يكون مع المقلد حجة عقل يعرف بها صدقه، فقال في ذلك: ((... إن التقليد ليس مما يعذر صاحبه إلا أن يكون لأحد ممن ينتهي القول إليه حجة عقل يعلم بها صدقه فيما يدعى، وعلى كل أحد معرفة الحق فيما يدين به عن طريق الدليل والبرهان القاطع...)). [كتاب التوحيد للماتريدي، ص ٣ - ٤].

فاشترط حجة العقل لمعرفة صدق المقلد، بل لا بد على كل أحد أن يستدل بنفسه لمعرفة وجود الله بالأدلة والبراهين العقلية القاطعة - كما يدعونها - وعارضوا بها صحيح المنقول، كاستدلالهم بدليل الجواهر والأعراض لمعرفة وجود الله الذي أدى بهم إلى تعطيل الله تعالى عن صفات الكمال.

وقد اتفق الماتريدية مع المعتزلة على أن وجوب النظر على المكلف لمعرفة الله طريقه العقل لا الشرع، بخلاف الأشعرية فإنهم قالوا: إن الموجب للنظر هو الشرع، وهو إجماعهم على وجوب النظر المؤدى إلى معرفة الله، وليست أدلة الكتاب والسنة، فإنها كما زعموا لا يجوز الاستدلال

بها في القطعيات، إلا إذا قرنت بإجماعهم المستند على دلالة العقل.

وفي ذلك يقول الجويني: (( إنَّ قال قائل: فما الدليل على وجوب النظر من جهة الشرع؟ قلنا: الدليل عليه إجماع المسلمين على وجوب معرفة الله تعالى، مع اتفاقهم على أنَّها من أعظم القرب، وأعلى موجبات الثواب... فإذا ثبت الإجماع فيما قلناه، وثبت بدلالات العقل أنَّ العلوم مكتسبة يتوقف حصولها على النظر الصحيح، وما ثبت وجوبه قطعاً فمن ضرورة ثبوته وجوب ما لا يتوصل إلا به )).

ثم ذكر عدم الاستدلال على وجوب النظر لاكتساب معرفة الله عندهم بأدلة الكتاب والسنة قائلاً: (( وإنما لم نعتصم في إثبات وجوب النظر بظواهر الكتاب والسنة، لأنَّ المقصد إثبات علم مقصود به، والظواهر عرضة للتأويل، فلا يصوغ الاستدلال بها لو قرنت استدلالك بها مع جلالة الإجماع من غير تأويل... )) [ انظر: إشارات المرام للبياضى ( ص ٥٣ )، نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد، لعبد الرحيم الشهير بالشيخ زاده ( ص ٣٥ - ٣٦ )، شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي ( ٧٥ - ٨٨ )، الشامل في أصول الدين للجويني ( ص ٣١ )، المواقف في علم الكلام للإيجي، ( ص ٢٩ ) ].

فقد تابع الأشاعرة الكلاية المعتزلة على أنَّ معرفة الله تعالى كسبية وليست ضرورية فطرية، وأنَّ أوَّل ما يجب على المكلف النظر والاستدلال على طريق معرفة الجواهر والأعراض، وإثبات حدوثهما للاستدلال بهما على وجود محدثهما، وقد انتقل إيجاب النظر على المكلف من مذهب المعتزلة إلى الأشعرية، ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره: (( إيجاب الأشعري النظر في المعرفة بقيت عليه من الاعتزال ))، [ ذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ١/٩٠ ].

وتبع القاضي أبو بكر الباقلاني [ ت ٤٠٣ هـ ] هذا القول، فجعل أوَّل الواجبات النظر. وذهب آخرون: إلى أنَّ أوَّل الواجبات المعرفة.

فنشأ من هذا الخلاف ثلاثة أقوال:

الأوَّل: إنَّ أوَّل واجب على المكلف معرفة الله تعالى.

الثاني: إنَّ أوَّل واجب على المكلف النظر المؤدى إلى معرفة الله.

الثالث: القصد إلى النظر.

والحاصل: أنَّ هذا الخلاف بين الأشعرية بخلاف لفظي، وقد جمع بين هذه الأقوال الأشاعرة

أنفسهم، كالإيجي، والبيجوري، بقولهم: إنَّ أوَّل واجب مقصودًا: المعرفة، وأوَّل واجب وسيلة قربية: النظر، ووسيلة بعيدة: القصد إلى النظر.

والحاصل: أنَّ أوَّل واجب على المكلف النظر الموصل إلى معرفة الله تعالى.

انظر: الإنصاف للباقلاني (ص ٢٢)، الغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي (ص ٥٥)، الشامل في أصول الدين للجويني (ص ٣١، ٩١)، شرح أم البراهين للسنوسي (ص ١٤-١٥)، شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ٣٨-٣٩)، نشر الطوابع لساحفلي زاده (ص ٣٩)، المواقف للإيجي (ص ٣٢).

- وأما الشك فقد نُقل عن أبي هاشم من المعتزلة إلى أنَّ أوَّل واجب على المكلف الشك في الله تعالى.

وخالفهم أصحاب المعارف من المعتزلة حيث اعتبروا معرفة الله ضرورية فطرية، وليست مكتسبة، ولا أوَّل واجب على المكلف.

انظر: المواقف في علم الكلام للإيجي (ص ٣٢)، الإرشاد للجويني (ص ٣١)، شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (ص ٦٧)، والمغني في أبواب التوحيد والعدل له أيضا (١٢/١١٣، ٢٣٠).

- والمراد بالنظر عند المتكلمين كما ذكر الرازي هو: ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى، فإنَّ من صدق بأنَّ العالم متغير حادث لزمه التصديق بأنَّ العالم ممكن.

- ويبيِّن القاضي عبد الجبار السبب الذي من أجله أوجب المعتزلة النظر والاستدلال على المكلف لمعرفة الله بقوله: ((والدلالة على وجوب النظر هو الخوف... وقد تقرر في العقول وجوب دفع الضرر عن النفس معلوما كان أو مظنونًا... وهذا الخوف لا بد من حصوله في الأوَّل لكل عاقل، فوجب دفعه بالنظر)).

- وأسباب الخوف الذي من أجل دفعه يجب النظر والاستدلال بالعقل لحصول معرفة الله تعالى عند المعتزلة كما ذكر القاضي عبد الجبار هو:

١- حتى لا يقع العاقل في المهالك بترك النظر والتفكير، وذلك نتيجة اختلاطه بالناس وسماعه تضليل بعضهم بعضا، وتكفير بعضهم البعض، وأدعاء كل منهم الحق لنفسه.

٢- ويكون سبب الخوف دعاء الدعاة، وقصص القاصين، وتخويف المخوفين.

٣- وربما يكون الخوف بسبب خاطر يخطر للمكلف العاقل من جهة الله تعالى، أو من جهة



فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى

بعض الملائكة.

٤- وربما يكون الخوف بأن ينظر في كتاب فيرى فيه مكتوباً: لا يأمن أن يكون ذلك صانع صنعك، ومدبر دبرك إن أطعته أثابك، وإن عصيته عاقبك، فعند هذه الأسباب أو عند بعضها لا بد من أن يخاف من ترك النظر ضرراً، وقد تقرر في العقل أنّ دفع الضرر عن النفس واجب سواء كان معلوماً أو مظنوناً، وسواء كان معتاداً أو غير معتاد، فثبت وجوب النظر في طريق معرفة الله تعالى.

انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (ص ١٢١)، المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٦، ٦٨)، المعنى في أبواب التوحيد والعدل له (٣٥٨/١٢)، شرح أصول الخمسة له (ص ٦٨).

هذا هو مذهب المتكلمين في معرفة الله، المبني على شبهات وأوهام عقلية لإيجاب النظر على المكلف عن طريق النظر إلى الجواهر والأعراض لمعرفة حدوث العالم، ومن ثم الاستدلال به على وجود محدثه وصانعه.

والفزع عند الخوف إلى هذا النظر المتبدع الذي لا يزيد إلا حيرة وشكاً، فالإنسان عند المعتزلة خال من معرفة الله قبل هذا النظر الذي أوجبه على كل مكلف.

أما هذه الأسباب التي ذكرها القاضي عبد الجبار وادّعى أنّها هي التي يخاف بسببها المكلف فتدفعه إلى النظر إلى معرفة الله فإنّها أسباب كلها واهية ليس فيها ما يوجب النظر لمعرفة الله، لأنّ الإنسان العاقل لا يمكن أن يتصور هذه الأسباب أو غيرها إلا بعد أن استقرت في ذهنه معرفة الله، ولو كان خالياً من ذلك لما حصل له هذه الخوف الذي ذكره القاضي عبد الجبار، لأنّ من كان خالي الذهن ممن يخاف منه لا يتطرق إليه خوف، وعموماً فإنّ الخوف من الله، إنّما يكون بالنظر إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتذكر عقاب الله عز وجل فيفزع الإنسان حينئذ إلى توحيد الله تعالى، وعبادته، بفعل المأمورات وترك المنهيات، أمّا النظر إلى كتب المتكلمين وأدلتهم فلا تزيد الإنسان إلا حيرة وشكاً وظلمة في القلب، وبالله التوفيق.

[ينظر أحكام أهل الذمة لابن القيم، ص ٩٦٩ - ١٠١٥].

الله عليه وسلم : (( من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة ))<sup>(١)</sup>، فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره<sup>(٢)</sup>.

\* بيانه رحمه الله لطف التوحيد وصفاته:

يذكر أنّ التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيء يخذشه<sup>(٣)</sup> ويدنسه ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرأة الصافية جدًا أدنى شيء يؤثر فيها.

ولهذا تشوشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية، فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعاً يتعسر عليه قلعه.

الآثار والطبوع التي تحصل فيه على أربعة أصناف:

صنف منها: ما يكون سريع الحصول، سريع الزوال.

وصنف منها: ما يكون سريع الحصول، بطيء الزوال.

وصنف منها: ما يكون بطيء الحصول، سريع الزوال.

وصنف الأخير: ما يكون بطيء الحصول، بطيء الزوال.

ثم يقول رحمه الله: (( ولكن من الناس من يكون توحيد كبريا عظيما، ينغمر<sup>(٤)</sup> فيه كثير من تلك الآثار، ويستحيل فيه بمنزلة الماء الكثير الذي يخالطه أدنى نجاسة أو وسخ، فيغتر به صاحب التوحيد الذي هو دونه، فيخلط توحيد الضعيف بما خلط به صاحب التوحيد العظيم توحيد، فيظهر من تأثيره فيه ما لم يظهر في التوحيد الكثير. إلى أن قال: وأيضا فإن أصحاب المحاسن الكثيرة والغامرة للسيئات ليسامح به من أتى مثل تلك السيئات، وليست له مثل تلك المحاسن كما قيل:

(١) رواه الحاكم في المستدرک ( ٣٥١/١ )، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ( ٤٦٢/٣ )، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ( ٢١/١ - ٢٤ ) .

(٣) الخدش: مزق الجلد قل أو كثر، والخلوش: الآثار. [ لسان العرب، ٢٩٢/٦ ] .

(٤) الغمر: الكثير، أي يغمر من دخله ويغطيه. [ لسان العرب، ٢٩/٥ ] .

وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ \* جاءت محاسنه بألف شفيع ((<sup>(١)</sup>).

ثم أوضح رحمه الله أنه من المستحيل أن يكون الرجل موحداً أبداً وهو مصر على معصية، بل لا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد، فيقول: (( فاعلم أن هذا النفي العام للشرك - أن لا يشرك بالله شيئاً البتة - لا يصدر من مصر على معصية أبداً، ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد حتى لا يشرك بالله شيئاً، هذا من أعظم المحال ))<sup>(٢)</sup>.

ثم أتى بأمثلة توضح ما ذكره، فيقول: (( واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله، ورجائه لغير الله، وحبه لغير الله، وذله لغير الله، وتوكله على غير الله، ما يصير به منغمساً في بحار الشرك، والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه إن كان له عقل، فإنّ ذلّ المعصية لا بد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفاً من غير الله وذلك شرك، ويورثه محبة لغير الله، واستعانة بغيره في الأسباب التي توصله إلى غرضه فيكون عمله لا بالله ولا لله، وهذا حقيقة الشرك ))<sup>(٣)</sup>.

ولبّ الكلام هنا: أنّ من لم يشرك بالله شيئاً يستحيل أن يلقي الله بقراب الأرض خطايا، مصراً عليها غير تائب منها، مع كمال توحيد الذي هو غاية الحب والخضوع والذل والخوف والرجاء للرب تعالى<sup>(٤)</sup>.

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/٣٥٤).

(٣) نفس المصدر السابق (١/٣٥٥).

(٤) نفس المصدر السابق.

المبحث الخامس:

﴿ سبب تسمية التوحيد دينًا ﴾

سمي التوحيد ديناً لأنه دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وليس لله دين سواه، وهو فطرته التي فطر عليها عباده، فلو خلّوا ودواعي فطرهم لَمَا رَغِبُوا عَن ذَلِكَ، ولا اختاروا سواه، كما سيتبين ذلك من خلال كلام ابن القيم رحمه الله .

قال ابن القيم رحمه الله: (( قال ابن عباس: افتخر المشركون بأبائهم، فقال كل فريق: لا دين إلا دين آبائنا، وما كانوا عليه؛ فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾<sup>(١)</sup> يعني الذي جاء به محمد.

وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد دل قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ على أنه دين جميع أنبيائه ورسوله، وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه.

قال أول الرسل نوح: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران، من آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ٨٥.

(٣) سورة يونس، آية: ٧٢.

(٤) سورة البقرة، من آية ١٢٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٣٢.

وقال يعقوب لبيه عند الموت: ﴿... مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ - إلى قوله -  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال موسى لقومه: ﴿... إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ  
مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ  
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقالت ملكة سبا: ﴿... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.  
فالإسلام دين أهل السماوات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، ولا يقبل الله من أحد  
دينا سواه.

فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان، فدين الرحمن: هو الإسلام،  
والتي للشيطان: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين ((<sup>(٥)</sup>).

ثم قال رحمه الله مبينا أنّ الإسلام دين فطرهم الله عليها: (( قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ  
لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾<sup>(٦)</sup> فبين سبحانه أنّ إقامة الوجه - وهو  
إخلاص القصد وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفاً مقبلاً عليه، معرضاً عما

(١) سورة البقرة، من آية: ١٣٣.

(٢) سورة يونس، من آية: ٨٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٥٢.

(٤) سورة النمل، من آية: ٤٤.

(٥) مدارج السالكين (٣/٤٩٦ - ٤٩٧)، وانظر مفتاح دار السعادة (٣/٢٦-٢٧).

(٦) سورة الروم، من آية: ٣٠.

سواه - هو فطرته التي فطر عليها عباده، فلو خلُّوا ودواعي فطرهم لَمَا رغبوا عن ذلك، ولا اختاروا سواه، ولكن غيَّرت الفطر وأفسدت، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (( ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها <sup>(١)</sup> ))، ثم يقول أبو هريرة <sup>(٢)</sup>: اقرأوا إن شئتم: ﴿... فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

و﴿ مُنْبِئِينَ ... ﴾ <sup>(٤)</sup> نصب على الحال من المفعول، أي فطرهم منبئين إليه، والإنابة إليه تتضمن الإقبال عليه بحبته وحده، والإعراض عما سواه.

وفي صحيح مسلم <sup>(٥)</sup> عن عياض بن حمار <sup>(٦)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه البخارى فى صحيحه ( مع شرحه فتح البارى، ح ٤٧٧٥ )، ومسلم فى صحيحه ( ح: ٢٢ - ٢٦٥٨ ).

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى، المكنى بأبى هريرة، صحابى، كان أكثر الناس حفظاً للحديث ورواية له، ونشأ يتيماً ضعيفاً فى الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، فأسلم سنة سبع من الهجرة، ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم فروى عنه (( ٥٣٧٤ )) حديثاً، وتوفى بالمدينة سنة ٥٩ هـ. [ انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٢/٣٦٢، الإصابة ١٢/٦٣ ].

(٣) سورة الروم، من آية: ٣٠.

(٤) تكلمة الآية: ﴿... إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، سورة الروم، آية:

٣١.

(٥) رواه مسلم فى صحيحه ( ح ٦٣ - ٢٨٦٥ ).

(٦) عياض، بكسر أوله وتخفيف التحتانية، وآخره معجمة، ابن حمار، بكسر المهملة وتخفيف الميم، التميمي المجاشعي، صحابى، سكن البصرة، وعاش إلى حدود خمسين، من رجال الصحيحين. [ تقريب التهذيب لابن حجر، رقم الترجمة: ٨٥٤ ].

أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِنِّي فِي مَقَامِي هَذَا أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا فَهُوَ لَهُ حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاتَّهَمَ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ))، فأخبر سبحانه أنه إنما خلق عباده على الحنيفية المتضمنة لكمال حبه، والخضوع له، والذل له، وكمال طاعته وحده دون غيره ((<sup>(١)</sup>).

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٥٠٣-٥٠٤)، وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم (ص ٩٥٣-٩٦٨)، وطريق المهجرتين وباب السعادتين له أيضا (ص ٣٨٨).



المبحث السادس:

﴿الموحد بين الخوف والرجاء﴾

إنَّ العبد الموحَّد حينما يعبد ربَّه وإلهه، يخاف أن لا يقبل منه عبادته وطاعته لله وحده لا شريك له، ويرجوه أن يستجيب منه هذه الأعمال، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، روى ابن جرير الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (( يا رسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ ﴾ أهو الرجل يزنَى ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا يا ابنة أبي بكر، أو يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، ويخاف أن لا يقبل منه ))<sup>(٢)</sup>.

والسلف الصالح هم خير قدوة في ذلك، فيقول الصحابي الجليل أبو الدرداء<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه: (( لأن أستيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها<sup>(٤)</sup>، إنَّ الله يقول: ﴿ ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله: (( وأحسن ما قيل في تفسير الآية أنه إنما يتقبل عمل من اتقاه في ذلك العمل، وتقواه فيه أن يكون لوجهه على موافقة أمره، وهذا إنما يحصل بالعلم ))<sup>(٦)</sup>.

فالعبد لا يفره كثرة عبادته وتأمله، أنه قد قبل منه، بل يجب عليه أن يعترف بالتقصير حتى لا يصيبه الغرور والعجب.

(١) سورة المؤمنون، آية: ٦٠.

(٢) تفسير الطبري (٢٢٥/٩).

(٣) هو الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الدرداء، عويمر ابن زيد بن قيس، الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق، توفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة النبوية. [ ينظر سير أعلام النبلاء، ٢/٣٣٥ ].

(٤) أورده ابن كثير في تفسيره (٧٩/٣).

(٥) سورة المائدة، من آية: ٢٧.

(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣٠٤/١).

يقول مُطَرِّف<sup>(١)</sup>: (( لأن آيت نائما وأصبح نادما أحبّ إليّ من أن آيت قائما وأصبح معجبا ))<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ الذهبي: (( لا أفلح والله من زكى نفسه أو أعجبه ))<sup>(٣)</sup>.

وابن القيم رحمه الله خير من تكلم في هذا الموضوع، وله جهد واضح في بيان كون العبد الموحد بين الخوف والرجاء.

فيقول رحمه الله: (( فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح له من أبواب التوبة، والندم، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستعانة به، وصدق اللجأ إليه، ودوام التضرع، والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة<sup>(٤)</sup> به سبب رحمته، حتى يقول عدو الله<sup>(٥)</sup>: يا ليتني تركته ولم أوقعه.

وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار.

قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا ورجلاً باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.

(١) مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير، الإمام، القُدوة، الحجّة، أبو عبد الله القرشي، العامري، البصري، وُلد عام بدر، أو عام أحد، كان ثقة لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين، من أقواله المفيدة: ما يسرني أني كذبت كذبة وأنّ لي الدنيا وما فيها، وهو محاب الدعوة، مات سنة ست وثمانين. [ انظر سير أعلام النبلاء، ٤/١٨٧ ].

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/٢٠٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/١٩٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/١٩٠).

(٤) أي حينما ارتكب إثمًا انتبه من غفلته وندم بما حصل له من المنكرات والذنوب، فتاب إلى الله واتبع السيئة الحسنة فمحتها، فيها نال رضوان الله ورحمته.

(٥) أي إبليس وأتباعه من شياطين الإنس والجن.

ويفعل الحسنة فلا يزال يمين بها على ربه، ويتكبر بها، ويرى نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلتُ، وفعلتُ، فيورثه ذلك من العجب والكبر، والفخر والاستطالة، ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله بهذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره ويذل به عنقه، ويصغر به نفسه عنده، وإذا أراد به غير ذلك، خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه<sup>(١)</sup> ((٢)).

ثم قال رحمه الله: (( فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه، علم أنها منبع كل شر، وماوى كل سوء، وأن كل خير فيها ففضل من الله من به عليها، لم يكن منها، كما قال تعالى: ﴿... وَكَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَرْحَمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فهذا الحب، وهذه الكراهة لم يكونا في النفس، ولا بها، ولكن هو الله الذي من بهما، فجعل العبد بسبيهما من الراشدين<sup>(٥)</sup>، ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>، عليم: بمن يصلح لهذا

(١) الوابل الصيب لابن القيم (ص ٨).

(٢) ولهذا قيل: معصية أورثت ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورثت عجا واستكبارا.

(٣) سورة النور، من آية: ٢١.

(٤) سورة الحجرات، من آية: ٧.

(٥) لأن الشرع هو الذي ميز بين الطيب والخبيث، وتبعه في ذلك العقل السليم، وإلا فإن العقل

المنحرف قد يستحسن الخبيث ويستنكر الطيب، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، [ سورة البقرة، آية: ١١ ] وقال تعالى حكاية: عن الملأ من

قوم فرعون: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَيَؤْتُوا هَيْكًا...﴾، [ سورة الأعراف،

من آية: ١٢٧ ] ففي الآية: الأولى: رأوا أنّ الإفساد في الأرض من القتل والتهريب والمعاصي هو

الفضل ويزكو عليه وبه، ويثمر عنده<sup>(١)</sup>، حكيم: فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه بوضعه في غير موضعه<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله المقصود بالتوفيق والخذلان، فيقول: (( فَإِنَّ الْعَارِفِينَ كُلَّهُمْ مَجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ: أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِكَ، وَالْخِذْلَانَ: أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِكَ. فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الذَّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ، وَدَوَامَ اللُّجَأِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالِإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَرُؤْيَا عِيُوبِ نَفْسِهِ وَجَهْلِهَا وَظُلْمِهَا وَعَدْوَانِهَا، وَمَشَاهِدَةَ فَضْلِ رَبِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ وَحَمْدِهِ ))<sup>(٣)</sup>.

ثم بين رحمه الله أنّ منزلة الخوف والرجاء في العبادة كمنزلة الجناحين للطير، إذ لا يمكنه أن يطير بدونهما معا فقال: (( فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتى فاته واحد منهما، فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه ))<sup>(٤)</sup>.  
ثم أورد رحمه الله قول شيخ الإسلام الهروي<sup>(٥)</sup> في كتابه منازل السائرين ما يتعلق بهذا

الإصلاح، وفي الآية: الثانية: رأوا أنّ موسى وقومه هم المفسدون في الأرض، وهكذا شأن كل من حرم عليه التوفيق والسداد، وفي عصرنا الحاضر نرى المتغريين يفرحون بما عندهم من العادات والتقاليد الغربية، وإذا رأوا الملتزمين في الدين قالوا: هؤلاء متأخرون لا يفهمون شيئا من الحضارة، والله المستعان.

(٦) سورة الحجرات، آية: ٨.

(١) انظر شرح نونية ابن القيم للعلامة هراس ( ٧٣/٢ ) وتفسير السعدي ( ٦٢١/٥ ).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ( ٢٤٣/١ )، وانظر شرح قصيدة ابن القيم لأحمد عيسى ( ٢٢٦/٢ )، وتفسير السعدي ( ٦٢١/٥ ).

(٣) الوابل الصيب لابن القيم ( ص ٩ ).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) شيخ الإسلام، الإمام، القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، الهروي، مصنف كتاب ذم الكلام، وكتاب منازل السائرين إلى الحق المبين ( وقد شرحه ابن القيم رحمه الله بكتاب سماه: مدارج السالكين ) ولكن على هذا الكتاب ملاحظات، وله كتب أخرى أيضا نافعة، وهو من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، وُلِدَ بقندهار سنة ٣٩٦هـ، كان مظهرا للسنة داعيا

الموضوع، ونص كلام الشيخ: (( اللطيفة الثانية: أن يعلم أنّ نظر البصير الصادق في سيئته لم يبق له حسنة بحال، لأنه يسير بين مشاهدة المنّة، وتطلّب عيب النفس والعمل ))<sup>(١)</sup>.  
قال ابن القيم رحمه الله: (( يريد أنّ من له بصيرة بنفسه وبصيرة بحقوق الله، وهو صادق في طلبه: لم يُبق له نظره في سيئاته حسنة البتة، فلا يلقي الله إلاّ بالإفلاس المحض، والفقر الصّرف، لأنّه إذا فتش عن عيوب نفسه وعيوب عمله علم أنّها لم تصلح لله، وأنّ تلك البضاعة لا تشتري بها النجاة من عذاب الله<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن الفوز بعظيم ثواب الله، فإنّ خلاص له عمل وحال مع الله، وصفا له معه وقت شاهد منّة الله عليه به، وبمجرد فضله، وأنه ليس من نفسه، ولا هي أهل لذلك، فهو دائماً مشاهد لمنّة الله عليه، ولعيوب نفسه وعمله لأنّه متى تطلبها رآها، وهذا من أجلّ أنواع المعارف وأنفعها للعبد<sup>(٣)</sup> ))<sup>(٤)</sup>.

إليها، وتوفي بهراة سنة ٤٨١ هـ. [ انظر سير أعلام النبلاء، ٥٠٣/١٨، الأعلام للزركلي، ١٢٢/٤ ].

(١) منازل الساترين للهروري (ص ٧)، وانظر: مدارج السالكين (٢٤٣/١)، والوابل الصيّب (ص ٩).

(٢) إنّ سلف الأئمة يستشعرون ذلك ويمرون أنّ أعمالهم لا تكفي في النجاة من عذاب الله، والفوز بالسعادة في الدار الآخرة، إلاّ أن يتغمدهم الله برحمته ورضوانه.

هذا الحسن البصري يحكى عنه يونس بن عبيد فيقول: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، فكان يقول: نضحك ولعل الله قد اطلع على أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً. [ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، ١٩/٣ ].

وهذا فضالة بن عبيد كان يقول: (( لأنّ أعلم أنّ الله تقبل منّي مثقال حبة من خردل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾. [ الحلية، ١٧/٢ ].

(٣) وخير مثال في ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال: (( لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنّكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلاّ رجلاً واحداً، لحفت أن أكون هو، ولو نادى مناد: أيها الناس إنّكم داخلون النار إلاّ رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون هو )) . [ الحلية، ٥٣/١ ].

(٤) مدارج السالكين (٢٤٤/١).

ثم أوضح رحمه الله أن اعتراف العبد بنعمة الله عليه توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، واعترافه بعبث نفسه وعمله توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، فيقول: (( فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى باب الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة منه بمنّ بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل، وكمال فاقته وفقره إليه، وأنّ في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك تعالى، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته ))<sup>(١)</sup>.

ثم استدلل المصنف رحمه الله بحديث سيد الاستغفار على ما ذكره آنفاً، فقال: (( وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث: (( سيّد الاستغفار<sup>(٢)</sup> أن يقول العبد: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء<sup>(٣)</sup> لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي

(١) الوابل الصيب لابن القيم ( ص ١٠-١١ ).

(٢) عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( سيّد الاستغفار: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها موقناً بها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها موقناً بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة )) . رواه البخارى في صحيحه ( مع شرحه فتح البارى، ح ٦٣٠٦ ).

(٣) أي ألتمت وأرجع وأقرّ وأعترف. [ لسان العرب، ٣٧/١ ].

إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله موضحاً معنى الحديث: (( فتضمن هذا الاستغفار: الاعتراف من العبد بربوبية الله، وإلهيته وتوحيده.

والاعتراف بأنه خالقه، العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزمه عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه.

والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده - وهو أمره ونهيه - الذي عهد إليه على لسان رسوله، وأن ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقلك، فإنه غير مقدور للبشر، وإنما جهد المقل، وقدر الطاقة، ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيم على عهدك، مصدق بوعدك، ثم أفرغ إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تُعذني من شره، وإلا أحاطت بي الهلكة، فإن إضاعة حقلك سبب الهلاك.

وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك عليّ، وأقر وألتزم وأبضع<sup>(٢)</sup> بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومنّي الذنب والإساءة.

فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي، وأن تُعفيني من شره، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار، وهو متضمن لمحض العبودية، فأى حسنة تبقى للبصير الصادق، مع مشاهدته عيوب نفسه وعمله، ومنة الله عليه، فهذا الذي يعطيه نظره إلى نفسه ونقصه))<sup>(٣)</sup>.

(١) الوابل الصيب (ص ٩-١٠)، مدارج السالكين (١/٢٤٤).

(٢) أقر. (القاموس المحيط، مادة: بضع).

(٣) مدارج السالكين (١/٢٤٤).



المبحث السابع:

﴿ أركان التوحيد ﴾

ذكر ابن القيم رحمه الله أنّ أركان التوحيد ثلاثة، وهي أن لا يتخذ سوى الله رباً، ولا إلهاً، ولا غيره حكماً.

فقال: (( الرضى بالله رباً: أن لا يتخذ رباً غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره، وينزل به حوائجه، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ... ﴾<sup>(١)</sup> .  
قال ابن عباس رضي الله عنهما ( سيداً وإلهاً ) يعني فكيف أطلب رباً غيره، وهو ربّ كل شيء؟

وقال فى أول السورة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوكُمْ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾<sup>(٢)</sup> يعني معبوداً وناصرًا ومعيناً وملجأً، وهو من الموالاة التى تتضمن الحب والطاعة.

وقال فى وسطها: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا... ﴾<sup>(٣)</sup> أي أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه؟ وهذا كتابه سيد الحكام، فكيف نتحاكم إلى غير كتابه؟ وقد أنزله مفصلاً مبيّناً كافياً شافياً.

وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل، رأيتها هي نفس الرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، ورأيت الحديث<sup>(٤)</sup> يترجم عنها، ومشتق منها.

فكثير من الناس يرضى بالله رباً، ولا يبغى رباً سواه، لكنه لا يرضى به وحده ولياً وناصرًا، بل يوالى من دونه أولياء، فلنا منه أنهم يقربونه إلى الله، وأنّ موالاتهم كموالاة خواص الملك، وهذا عين الشرك.

(١) سورة الأنعام، من آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأنعام، من آية ١٤.

(٣) سورة الأنعام، من آية ١١٤.

(٤) الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: (( رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً )).

بل التوحيد: أن لا يتخذ من دونه أولياء، والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم اتخذوا من دونه أولياء.

وهذا غير موالاته الأنبياء ورسله، وعباده المؤمنين فيه، فإنّ هذا من تمام الإيمان ومن تمام موالاته.

فموالاته أوليائه لون، واتخاذ الولي من دونه لون، ومن لم يفهم الفرقان<sup>(١)</sup> بينهما، فليطلب التوحيد من أساسه، فإنّ هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه.

وكثير من الناس يتغني غيره حكماً، ويتحاكم إليه، ويخاصم إليه، ويرضي بحكمه.

وهذه المقامات الثلاث، هي أركان التوحيد: أن لا يتخذ سواه ربّاً، ولا إلهاً، ولا غيره حكماً<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل: (الفرقان) والصحيح ما أثبت.

(٢) قلت: ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله هنا من أنّ أركان التوحيد هي أن لا يتخذ سوى الله ربّاً ولا غيره إلهاً ولا غيره حكماً، لا يتعارض مع ما عرفناه فيما تقدم من كلام ابن القيم، بل كلام السلف من أن أقسام التوحيد ثلاثة، وذلك لأنّ توحيد الألوهية متضمن ومستلزم لغيره، وإنّما أراد ابن القيم رحمه الله التأكيد على الحاكمية لأهميتها إذ أنّ تحقيق الحاكمية هو من تحقيق الإلهية لله تعالى، هذا ومن باب التنبيه لأنّ كثيراً من المسلمين جعلوه في هامش حياتهم، لا يبالون في أي شرع أو قانون أو نظام أو دستور كانوا، وظنوا أنّ التوحيد قائم بهذين الركنين الأولين، ونسوا أنّ مظاهر الإسلام وقيامه في أي دولة من دول العالم وإن زعم أهلها أنّها دولة إسلامية فإنه لا يرى منهم إسلاماً كاملاً إلا بإقامة شرع الله وتنفيذ حكم الحدود كالقصاص والقطع والجلد والرجم وما شابه ذلك من الحدود التي لولاها لما حصل ما حصل من الأمن والاستقرار والرخاء، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، آية ١٧٩].

-وأما النصوص التي تدل على أنّ التحاكم بما أنزل الله هو المطلوب وأنّ الإعراض عنه كفر وظلم

وفسق وحكم الجاهلية، ونفى الإيمان لمن لم يرض به، فمنها ما يأتي: قال تعالى: ﴿...وَمَنْ لَمْ

يُحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة، من آية: ٤٤]، وقال تعالى:

﴿...وَمَنْ لَمْ يُحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة، من آية: ٤٥]،

وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة المائدة، من آية: ٤٧]،  
وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة المائدة، آية:  
٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ  
حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء، آية ٦٥].

- هذا ولم يكن غريبا من ابن القيم رحمه الله أن يقول هذا الكلام فإن شيخه العلامة ابن تيمية رحمه الله  
يقرر في بعض مؤلفاته كلاما بأن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله فهو كافر فقال: ((ولا ريب أن  
من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه  
هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون  
العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله  
سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون  
الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات  
الجزارية لهم التي يأمرها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل  
استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار)) [منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ١٣٠/٥]،  
وقال في موضع آخر: ((والإنسان متى حلل الحرام - اجمع عليه - أو حرم الحلال - المجمع عليه -  
أو بدل الشرع - المجمع عليه - كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء)) [مجموع الفتاوى لابن تيمية،  
٢٦٧/٣]، ويقول أيضا: ((ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا  
الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير  
ذلك تناوله قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة  
المائدة، آية: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي  
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء، آية: ٦٥]، فيجب على المسلمين أن  
يحكموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم، ومن حكم بحكم البندق وشرع البندق [اسم حكم  
وضعي في تلك الزمان]، أو غيره مما يخالف شرع الله ورسوله، وحكم الله ورسوله وهو يعلمه  
ذلك: فهو من جنس التار الذين يقدمون حكم (الياساق) [اسم شريعة التار] على حكم الله  
ورسوله، ومن تعمد ذلك فقد قدح في عدالته ودينه)) [مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٤٠٧/٣٥ -  
٤٠٨].

-وأما تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله فقد قال في موضع آخر: ((من تحاكم أو حاكم إلى غير ما  
جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه؛ والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود

وتفسير الرضى بالله ربًّا: أن يسخط عبادة ما دونه، هذا هو الرضى بالله إلها، وهو من تمام الرضى بالله ربًّا، فمن أعطي الرضى به ربًّا حقّه سخط عبادة ما دونه قطعاً، لأنّ الرضى بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته، كما أنّ العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية))<sup>(١)</sup>.

أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله؛ فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى تحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة - وهم الصحابة ومن تبعهم - ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً، ثم أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك، ولم يستجيبوا للداعي، ورضوا بحكم غيره، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأمواهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول وتحكيم غيره والتحاكم إليه، كما قال تعالى: ﴿... فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ... ﴾ [سورة المائدة، من آية: ٤٩]، اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق، أي بفعل ما يرضي الفريقين ويوفق بينهما، كما يفعله من يرون التوفيق بين ما جاء به الرسول وبين ما خالفه، ويزعم أنّ بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق، والإيمان إنما يقتضي إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأي، فمحض الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق، وبالله التوفيق)) [

إعلام الموقعين لابن القيم، ١/٥٨-٥٩].

(١) مدارج السالكين (٢/١٨٩-١٩٠).

المبحث الثامن:

﴿ أقسام التوحيد ﴾

لما كان التوحيد هو المحور الأساسي الذي يبنى عليه الإيمان بالله وما يتبع ذلك من الأسماء والصفات، وإفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأنه لا خالق ولا رازق ولا ربّ غيره حرص كثير من علماء الإسلام أن يبينوا التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وغيرهما من علماء السلف، وبينوا أنواعه. فقد قسموا التوحيد إلى نوعين:

النوع الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

النوع الثاني: توحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه،

ف وراء ذلك نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الربّ تعالى، وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سماواته على

عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه،

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح، كما في أول سورة الحديد، وسورة طه،

وآخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص

بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة (( قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ))، وقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وأول سورة ﴿ تَنْزِيلُ

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ( ١٠٧/١٧ )، مدارج السالكين لابن القيم ( ٤٦٨/٣ )، شرح

العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ( تحقيق د/ التركي، ٤٢، ٢٤/١ )، تيسير العزيز الحميد للشيخ

العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ( ص ٣٣ )، فتح المجيد للعلامة عبد

الرحمن بن حسن آل الشيخ ( ص ١٢ )، معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكيمي ( ٤٥/١ )،

(٢٨٥).

(٢) سورة آل عمران، من آية: ٦٤.

الْكِتَابِ... ﴿<sup>(١)</sup>﴾ وآخرها، وأوّل سورة ((يونس))، ووسطها وآخرها، وأوّل سورة ((الأعراف)) وآخرها، وجملة سورة ((الأنعام))، وغالب سور القرآن، بل كل سورة فى القرآن فهى متضمنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولاً كلياً: إنّ كلّ آية فى القرآن فهى متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإنّ القرآن: إمّا خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإمّا أمر ونهي، وإلزام بطاعته فى نهيه وأمره، فهى حقوق التوحيد ومكملاته. وإمّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيد وطاعته، وما فعل بهم فى الدنيا، وما يكرمهم به فى الآخرة، فهو جزاء توحيد.

وإمّا خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال، وما يحل بهم فى العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد <sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً فى قصيدته النونية:

توحيدهم <sup>(٣)</sup> نوعان قولى      وفعلى كلا نوعيه ذو برهان <sup>(٤)</sup>

قال الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله - شارح النونية - : (( وهذا النوع من التوحيد ينقسم إلى قسمين:

أولهما: توحيد قولى اعتقادى، لأنه متعلق بأقوال القلوب السدى هو إقرارها واعتقادها، وأقوال اللسان من الثناء على الله وتمجيده، ويسمى أيضاً بالتوحيد العلمي الخبري، لأنّ المقصود منه مجرد العلم والمعرفة، وتوحيد الأسماء والصفات، لأنّ مداره على إثباتها لله،

(١) سورة الزمر، من آية: ١.

(٢) مدارج السالكين (٤٦٨/٣-٤٦٩)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٢/١-٤٣).

(٣) أي رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

(٤) شرح قصيدة نونية ابن القيم للدكتور محمد خليل هراس (٥٥/٢)، شرح قصيدة ابن القيم

للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (٢١٠/٢).



ويدخل فيه توحيد الربوبية.

**والثاني:** توحيد فعلى، لأنه متعلق بأفعال القلوب والجوارح، ويسمى أيضا بالتوحيد الإرادي الطلبي، لأنّ المقصود منه إرادة الله بأنواع العبادة والإخلاص له فيها، ويسمى كذلك بتوحيد الإلهية والعبادة، لأنه توحيد الله بأفعال العبيد، وأن لا يتخذ من دونه شريك ولا نديد.

وكلا نوعي هذا التوحيد من القول والعمل ثابت بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية، فأيات القرآن الكريم وسوره كلها متضمنة لهذين النوعين من التوحيد، لأنها إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري، وإما أمر بعبادته وحده وإخلاص الدين له سبحانه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي ((<sup>(١)</sup> اهـ).

ومن هذا يتبين لنا أنّ للتوحيد ثلاثة أنواع:

**الأول والثاني:** يتعلق بالمعرفة والإثبات، وهما توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

**والثالث:** يتعلق بالطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

فإنّما للفائدة أذكر كل واحد من هذه الأنواع بشيء من التفصيل والبيان حتى تتضح معالمه وأهدافه.

### **الأول: توحيد الأسماء والصفات:**

إنّ أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهرا وباطنا في القول والعمل والإعتقاد.

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته، هي إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل<sup>(٢)</sup>، ونفي ما نفاه الله

(١) شرح قصيدة نونية ابن القيم للهراس ( ٥٦/٢ )، وانظر شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم عيسى ( ٢٥٩/٢ ).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله : (( والتحريف: العلول بالكلام عن وجهه، وصوابه إلى غيره، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه )) . [ الصواعق المرسله لابن القيم، ٢١٥/١ ].

عن نفسه فى كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده الله تعالى .  
وفىما لم ىرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فىه كالجسم والحىز والجهة ونحو ذلك ،  
فطرىقتهم فىه التوقف فى لفظه ، فلا ىثبتونه ولا ىنفونه لعدم ورود ذلك ، وأما معناه  
فىستفصلون عنه ، فإن أرىد به باطل ىنزّه الله عنه ردّوه ، وإن أرىد به حق لا ىمتنع على الله

النوع الأوّل: تحرىف اللفظ، وهو العدول به عن جهته إلى غيرها، إمّا بزيادة كلمة، أو حرف،  
أو نقصانه، أو تغىىر حركة، كقول أهل الضلال فى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾  
[ سورة طه، آىة: ٥ ] أى استولى، فزادوا فى الآىة حرفاً، وكقولهم فى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ  
مَرْكَبًا...﴾ [ سورة الفجر، من آىة: ٢٢ ] أى أمر ربك، فزادوا كلمة، وكقولهم فى قوله  
تعالى: ﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [ سورة النساء، من آىة: ١٦٤ ] بنصب لفظ  
الجلالة، فغىروا الحركة الإعرابىة من الرفع إلى النصب.

النوع الثانى: تحرىف المعنى، وهو العدول به عن وجهه وحقىقته وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر،  
كقول المبتدعة: إنّ معنى الرحمة: لإرادة الإنعام، وإنّ معنى الغضب: لإرادة الانتقام. [ انظر شرح  
العقيدة الواسطىة للعلامة صالح الفوزان، ص ١٣ ].

-وأما (( التعطىل )) فهو مأخوذ من العطل، الذى هو السخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى:  
﴿...وَبَشِّرِ مَعْطَلَةً...﴾ [ سورة الحج، من آىة: ٤٥ ] أى أهملها أهلها، وتركوا وردها،  
والمراد به هنا: نفى الصفات الإلهىة، وإنكار قىامها بذاته تعالى.

-فالفرق بىن التحرىف والتعطىل: أنّ التعطىل: نفى للمعنى الحق الذى دل علىه الكتاب والسنة،  
وأما التحرىف: فهو تفسىر النصوص بالمعنى الباطل الذى لا ىدل علىها.

-وأما (( التكىىف والتمثىل )) فالفرق بىنهما: أنّ التكىىف أن ىعتقد أنّ صفاته تعالى على كىفىة  
كذا، أو ىسأل عنها بكىف، وأما التمثىل فهو إعتقاد أنّها مثل صفات المخلوقىن، ولىس المراد من  
قولهم (( من غىر تكىىف )) أنّهم ىنفون الكىف مطلقاً، فإنّ كل شىء لا بد أن ىكون على  
كىفىة ما، ولكن المراد أنّهم ىنفون علمهم بالكىف إذ لا ىعلم كىفىة ذاته وصفاته إلا هو  
سبحانه. [ انظر شرح العقيدة الواسطىة للدكتور هراس، ص ٢١-٢٢ ].

قبلوه<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( والعصمة النافعة فى هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، بل تثبت له الأسماء والصفات، وتنفى عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزله عن التشبيه، ونفيك منزله عن التعطيل، فمن نفى حقيقة (( الاستواء )) فهو معطل، ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق فهو ممثل، ومن قال: استواء ليس كمثله شيء فهو الموحد المنزه ))<sup>(٢)</sup>.  
وقوله رحمه الله أيضا: (( فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص ))<sup>(٣)</sup>.

فالذي يفهم من هذا النص أنّ هذا النوع من التوحيد له أسس ينبغى على كل مسلم أن يعتقدّها، ومن أنكرها أو شيئا منها لم يكن موحدا لله فى أسمائه وصفاته، والأسس هي:  
الأول: الإيمان بالأسماء والصفات كما جاءت فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من غير نقص أو تحريف أو تعطيل.

فأهل السنة والجماعة كلهم متفقون على أنّ الله ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله: (( وأهل السنة يقولون: إنّ إثبات صفات الكمال والحمد واجب لذاته، وهو أظهر فى العقول والفطر وجميع الكتب وأقوال الرسل من كل

(١) نقلته بتصرف من رسائل فى العقيدة فى رسالة فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (ص ٥٣)، وانظر الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ص ١٦)، وشرح العقيدة الواسطية للهرايس (ص ٢٠-٢٢)، وشرح العقيدة الواسطية للفرزان (ص ١٠-١٤)، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ص ٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/٨٩-٩٠)، وانظر تفصيله فى الصواعق المرسلّة (٢/٤٢٦).

(٣) مدارج السالكين (١/٣٣).

(٤) سورة الشورى، من آية ١١.

شيء))<sup>(١)</sup>.

الثاني: تنزيهه تعالى عن مشابهة الخلق، وعن كل عيب أو نقص.

يبين ابن القيم رحمه الله أن سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تضمنت إثبات كل

كمال لله، ونفى كل نقص عنه، واستحقاقه سبحانه وتعالى للعبادة دون سواه.

فيقول رحمه الله: (( فسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما

يجب إثباته للربّ تعالى من الأحديّة المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصدمية

المثبتة له جميع صفات الكمال التي لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، ونفى الولد والوالد

الذي هو من لوازم الصدمية، وغناه وأحديّته، ونفى الكفاء المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل

والتنظير، فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له، ونفى كل نقص عنه، ونفى إثبات

شبيهه أو مثيل له في كماله، ونفى مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد

العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك))<sup>(٢)</sup>.

الثاني: توحيد الربوبية.

ومعناه: هو إقرار بأنّ الله تعالى هو الخالق المطلق، ولا يشاركه أحد في فعله من الخلق

والرزق والإحياء والإماتة والتدبير وغير ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: (( فيشهد صاحبه قيومية الربّ تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده

وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطى ولا مانع، ولا يميت ولا يحيي، ولا مدبر لأمر

المملكة - ظاهراً وباطناً - غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلاّ

بإذنه، ولا يجري حادث إلاّ بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلاّ يعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة

في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ أحصاها علمه وأحاطت بها

قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته))<sup>(٣)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٥٨٩).

(٢) زاد المعاد (١/٣١٦).

(٣) مدارج السالكين (٣/٥٣٢).

وما ذكره رحمه الله من معاني وتوضيح لتوحيد الربوبية ولمعنى الرب، قد دلت عليه نصوص كثيرة في القرآن الكريم، فقد أوضح الله في كتابه في غير موضع أنه الرزاق المدبر المنعم القادر على كل شيء المتصرف في شؤون خلقه كلها، إلى غير ذلك من معاني الربوبية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَمْوَاتَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وغيرها من الآيات الدالة على تفرد الله وتوحده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف في جميع المخلوقات، والدالة على قدرته على كل شيء، وأن بيده ملكوت كل شيء، وأن المرجع والمآل إليه وحده.

وهناك نصوص قرآنية أيضا تدل على أن المشركين مقرون بأن الله هو الخالق المتفرد بالربوبية، غير أن هذا الإقرار لا يخرجهم عن دائرة الكفر لعدم إقرارهم له وحده عز وجل بالإلهية، بل اتخذوا معه آلهة أخرى صرفوا لها أنواعا من العبادة.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَمْوَالُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

(٢) سورة يس، آيتا: ٨٢، ٨٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٧.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٨٧.

يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿١﴾.

فالله تعالى فى هذه الآيات ينكر على المشركين إعراضهم عن توحيدته تعالى بالعبادة مع إقرارهم له بصفات الربوبية.

يقول ابن القيم رحمه الله: (( فالجمع الصحيح - الذى عليه أهل الاستقامة هو جمع توحيد الربوبية وجمع توحيد الألوهية ))<sup>(١)</sup>.

ولم ينكر توحيد الربوبية إلا الثنوية<sup>(٢)</sup> من المجوس الذين يرون أن العالم صادر عن النور والظلمة<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله موضحاً ذلك: (( وهم طائفة قالوا: الصانع اثنان، فاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا ))<sup>(٤)</sup>.

### الثالث: توحيد الألوهية.

ومعناه: الاعتقاد الجازم بأنه تعالى هو الإله المعبود الحق ولا إله غيره، وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا مما اتفقت عليه رسل الله من أولهم إلى

(١) سورة المؤمنون، من آية: ٨٤، إلى آية: ٨٩.

(٢) مدارج السالكين (٥٣٢/٣).

(٣) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا: بتساويهما فى القدم، واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والخير، والمكان والأجناس والأبدان والأرواح.

ذكر أن مانى - مؤسس المانوية - زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين، أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قوين حساسين، دراكين سميعين بصيرين، وهما مع ذلك فى النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان، وفى الحيز متحاذيان تحاذى الشخص والظل. [ انظر الملل والنحل للشهرستاني، ١/٢٤٤ ].

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢٧/١).

(٥) إغاثة اللفهان لابن القيم (٦٠٣/٢).

آخريهم لتحقيقه، فما من رسول أرسل إلا كان هذا التوحيد هو أساس دعوته.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله موضحاً هذا التوحيد فى عبارة جامعة: (( وأما جمع توحيد الإلهية، فهو أن يجمع قلبه وهمته وعزمه على الله وإرادته، وحركاته على أداء حقه تعالى، والقيام بعبوديته سبحانه، فتجتمع شؤون إرادته على مراده الديني الشرعي ))<sup>(٢)</sup>. ومعنى هذا أن تكون أفعال العباد من التوكل والعبادة وغير ذلك خالصة لله تعالى، وعلى وفق مراده الشرعي<sup>(٣)</sup>.

### \* العلاقة بين أنواع التوحيد:

لا يكون التوحيد مكتملاً إلا إذا جمع الإنسان بين أنواعه، بل لا يكون موحداً حقيقة إذا أتى بنوع واحد، أو بنوعين فقط ويترك الباقي، فأنواع التوحيد مرتبطة بعضها ببعض. فمثلاً: الذى يعتقد أن الله ربّ كل شيء ومليكه، ولكنه مع هذا يشرك عبادة غيره معه، أو يلحد فى أسمائه، أو عكس بأن يعبد الله وحده ولكنه مع ذلك يعتقد أن هناك من ينفع أو يضر فيما لا يملكه إلا الله فهذا لا يجدى.

فالمسلك الصحيح بتحقيق هذه الأنواع مجتمعة لأنه مما جاءت به الرسل داعية إلى إثبات صفات الكمال، وعبادته وحده، والرضا به ربّاً، واجتناب عن التعطيل والتحريف وعن التشبيه والتمثيل والتكليف والإعراض عن محبته والإشراك به.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيد اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى وبتحقيقها بعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم من أولهم إلى آخرهم. أحدهما: التوحيد العلمى الخبرى الإعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٢) مدارج السالكين ( ٥٣٢/٣ ).

(٣) وسيأتى - إن شاء الله - بيان شروط قبول الأعمال فى موضعه.

وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاءه والتوكل عليه والرضى به ربًّا وإله ووليًّا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء. وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص، وهما سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد الخيري العلمي.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال، وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمة ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمة توحيدا.

فالتوحيد العلمي الخيري له ضدان: التعطيل والتشبيه والتمثيل، فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها كذب تعطيله توحيده، ومن شابهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه وتمثيله توحيده.

والتوحيد الإرادي العملي له ضدان: الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه، والإشراك به في ذلك، واتخاذ أولياء وشفعاء من دونه ((<sup>(١)</sup>)).

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٩٣-٩٤).



# المبحث التاسع:

﴿ أقسام التوحيد بالنسبة لانقسام الطوائف فيه ﴾

ظهرت فرق في الإسلام كثيرة كما أخبر<sup>(١)</sup> الرسول ﷺ تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، وأصبحت كل فرقة تفرح بباطلها<sup>(٢)</sup> وتذبّ عنه، وسُمّي كل فرقة بباطلها الذي تخالف به توحيداً.

وأصول هذه الفرق كما بينها ابن القيم رحمه الله خمس فرق: الفلاسفة، والإتحادية، والجهمية، والقدرية، والجبرية<sup>(٣)</sup>.

(١) وذلك من حديث معاوية رضي الله عنه، وهذا لفظه: (( ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإنّ هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، هي الجماعة ))، أخرجه أبو داود في السنن ( ١٩٨/٤ )، وأحمد في المسند ( ١٠٢/٤ )، والحاكم في المستدرک ( ١٢٨/١ ).

-وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح: ٢٠٤ ).

(٢) لقوله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾، سورة الروم، آية ٣٢.

(٣) هذا منهج ابن القيم رحمه الله في تأصيل الفرق المذكورة في الحديث، وأمّا غيره من العلماء كعبد القاهر البغدادي، فقد ذكر في كتابه ( الفرق بين الفرق ) أنّ أصول هذه الفرق المعنية في الحديث هم: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، وكل واحدة منها تتفرع عنها فرق شتى، والمجموع الكلّي ثنتان وسبعون فرقة، وأمّا الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة. [انظر الفرق بين الفرق، ص ١٩].

- وأمّا ابن الجوزي فقد قسم الفرق الواردة في الحديث إلى ستة أصول، وهم الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية، ثمّ انقسمت كل فرقة منها على اثني عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة، وهكذا. [ انظر تلييس إبليس، ص ٢٨ ].

- وكذلك فعل شهنور بن طاهر الإسفراييني في كتابه (( التبصير ))، وعباس بن منصور السكسكي في كتابه (( البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ))، وعبد الله بن أسعد اليافعي في مصنفه (( ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين )) وغيرهم.

- فمحاولة تعداد الفرق وحصرها في العدد المذكور الوارد في الحديث يعد تكلفاً من أولئك المصنفين لأنّ الأمة الإسلامية تتجدد كلما يمر بها عصر بعد عصر، وقرن بعد قرن، ولم تنته عند

وهذه الطوائف الخمسة قد أوضحها ابن القيم رحمه الله في بعض مؤلفاته، وبينها بيانا شافيا، وذكر أنّ كلّ طائفة منهم سمى باطله توحيدا، فيقول رحمه الله: (( وقد تقسمت الطوائف (( التوحيد )) وسمّى كلّ طائفة باطلهم توحيدا ))<sup>(١)</sup>.  
ويقول رحمه الله في التوبة:-

فاسمع إذا أنواعه هي خمسة قد حصلت أقسامها ببيان<sup>(٢)</sup>

فسأذكر هنا كلام ابن القيم رحمه الله في توضيح هذه الطوائف ومعتقداتها بالتفصيل والإيضاح حتى تتضح طريقتهم ومقاصدهم وأهدافهم.  
الأول: الفلاسفة.

هم أتباع ابن سينا وأشياعه، مثل نصير الدين الطوسي<sup>(٣)</sup>، من المتفلسفة الذين يدينون بفلسفة أرسطو اليوناني وغيره من فلاسفة اليونان.

تاريخ كتابة أيّ كتاب يتعلق بهذا الموضوع، ولم يكن المؤلفون على علم وبصيرة بما سيحدث ويجد بعدهم من فرق كما هو في واقعنا المعاصر بوجود الفرق المنتسبة إلى الإسلام المخالفة لما عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، كما نشاهد اليوم من بعض الفرق المختلفة المنتسبة إلى الإسلام المنتشرة في الأنحاء المعمورة وهم كثيرون، وكل فرقة منهم تدعى أنّها على الحق، وأنّ غيرها على الباطل. [ انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ].

(١) مدارج السالكين ( ٤٦٦/٣ ).

(٢) شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى ( ٢٠١/٢ ).

(٣) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر نصير الدين الطوسي، فيلسوف، علامة بالإرصاد والمجسطى والرياضيات والعلوم العقلية، وُلد بطوس (قرب نيسابور)، سنة ٥٩٧هـ، وله مؤلفات عدة منها: تجريد العقائد، وتلخيص المحصل للفخر الرازي، وحل مشكلات الإشارات والتنبيهات لابن سينا وغير ذلك، وتوفي ببغداد عام ٦٧٢هـ. [ انظر ما قال ابن القيم في شأنه في إغائة اللهفان ٦٢٣/٢، وله ترجمة في فوات الوفيات ١٤٩/٢، وشذرات الذهب ٣٣٩/٥، والأعلام ٣٠/٧ ].

فتوحيد هؤلاء الفلاسفة هو نفي الصفات الوجودية عن الله عز وجل والحكم عليه فقط بالسلوب<sup>(١)</sup> والإضافات<sup>(٢)</sup>، وحثهم أن إثباتها يؤدي إلى التركيب والتجسيم المستلزم للمكان، فنفوا عنه السمع والبصر والعلم، ونفوا صفة اليدين، وكذلك نفوا عنه استواءه على العرش، وقالوا باستحالته لأن الاستواء من خواص الأجسام.

فالشرك عندهم هو إثبات الصفات للذات، فإن ذلك يقتضى وجود ثلاثة أشياء متغايرة، هي الذات والصفات والوجود، وذلك يفضي إلى كثرة.

قال ابن القيم رحمه الله: ((فأتباع أرسطو وابن سينا والنصير الطوسي عندهم التوحيد: إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق، لا يعرض لشيء من الماهيات، ولا يقوم به وصف، ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلها سلوب وإضافات، فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد والكفر.

وفروع هذا التوحيد: إنكار ذات الرب، والقول بقدم الأفلاك، وأن الله لا يبعث من في القبور، وأن النبوة مكتسبة، وأنها حرفة من الحرف، كالولاية والسياسة، وأن الله لا يعلم عدد الأفلاك ولا الكواكب، ولا يعلم شيئاً من الموجودات المعينة البتة، وأنه لا يقدر على قلب شيء من أعيان العالم، ولا شق الأفلاك ولا خرقها، وأنه لا حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى، ولا جنة ولا نار، فهذا توحيد هؤلاء))<sup>(٣)</sup>.

### \*الثاني: الإتحادية.

هؤلاء هم أصحاب مذهب وحدة الوجود، وأبرز الشخصيات عندهم ابن سبعين<sup>(٤)</sup> وأضرابه من الإتحاديين الخبثاء.

(١) السلبية عند الفلاسفة: حالٌ نفسيةٌ تؤدي إلى البطء والتردد في الحركة، وقد تنتهي إلى توقفها. راجع المعجم الوسيط (مادة: سلب، ص ٤٤١).

(٢) الإضافة: نسبةٌ بين شيئين يقتضى وجود أحدهما بوجود الآخر. انظر المصدر السابق (مادة ضاف، ص ٥٤٧).

(٣) مدارج السالكين (٤٦٦/٣)، وانظر التونية لابن القيم مع شرحه لابن عيسى (٢/٢٠٢-٢٠٣)، وشرح القصيدة التونية للهراس (٢/٤٣-٤٧)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٦١٦-٦٢٤).

(٤) وهو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد، ولقب نفسه بابن سبعين، ولد سنة ٦١٣هـ ببلاد الأندلس، وبالأخص بلدة ((رقوطة))، وتوفي بمكة المكرمة متحرراً سنة ٦٦٧هـ. [ينظر ترجمته في البداية والنهاية ٦١/١٣، شذرات الذهب ٥/٣٢٩، فوات الوفيات ١/٢٤٧].

ويقوم مذهبهم في التوحيد على أنّ الإله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق المنبث في هذه الأعيان الخارجية، وأنه هو عينها لا غيرها، فليس هناك ربّ وعبد، ولا خالق ومخلوق، فإنّ ذلك يقتضى اثنيّة الوجود، والوجود كله عندهم شيء واحد في إطلاقه أو في تعيينه. والشرك عندهم: هو ضد هذا الشهود من تنويع الموجودات، واعتقاد كثرتها جريا مع الوهم والخيال<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأما الإتحادية، فالتوحيد عندهم: أنّ الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته، وأنه آية كل شيء، وله فيه آية تدل على أنه عينه، وهذا عند محققهم من خطأ التعبير، بل هو نفس الآية، ونفس الدليل، ونفس المستدل، ونفس المستدل عليه.

فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية، لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عين الناكح، وعين المنكوح، وعين الذابح وعين المذبوح، وعين الأكل وعين المأكول. وهذا عندهم: هو السر الذي رمزت إليه هوامس الدهور الأولى، ورامت إفادته الهداية النبوية، كما قاله محققهم وعارفهم ابن سبعين.

ومن فروع هذا التوحيد: أنّ فرعون وقومه مؤمنون كاملوا الإيمان، عارفون بالله على حقيقة.

ومن فروعه: أنّ عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنّما عبدوا عين الله سبحانه لا غيره..

ومن فروعه: أنّ الحق لا فرق في التحريم والتحليل بين الأمّ والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، الكل من عين واحدة، بل هو العين الواحدة، وإنّما المحجوبون عن هذا السر، قالوا: هذا حرام وهذا حلال، نعم هو حرام عليكم لأنكم في

(١) انظر رسالة الألواح لابن سبعين ضمن رسائل ابن سبعين الفلسفية (ص ٩٣، ٩٤)، والرسالة الفقيرية ضمن رسائل ابن سبعين الفلسفية (ص ١٠)، الرسالة الرضوانية ضمن رسائل ابن سبعين الفلسفية (ص ٣٢٨).

حجاب عن حقيقة هذا التوحيد.

ومن فروعه: أنّ الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس، وبعّدوا عليهم المقصود، والأمر وراء ما جاءوا به، ودعوا إليه ((<sup>(١)</sup>).

### \* الثالث: الجهمية.

هم أتباع جهم بن صفوان، ومذهبهم يقوم على التعطيل المحض، وعدم إثبات شيء من الصفات لله ﷻ، لأنّ ذلك يقتضى في زعمهم مشابهة الله لخلقه، فهو عندهم ليس حيّاً ولا عالماً ولا مريداً ولا سميعاً ولا بصيراً... إلخ، وهم كذلك ينفون علوه تعالى على خلقه واستواءه على عرشه، وينفون حقيقة كلامه تعالى بالوحي والقرآن، ويدعون أنّ معنى كونه متكلماً أنّه خالق الكلام.

هذا هو توحيد هؤلاء الجهمية أئمة الكفر والضلال وموسسي البهتان لمن جاء بعدهم وسلك مسلكهم من الضلال والعميان.

والشرك عندهم، بل ونهاية الكفر هو ما يضاد مذهبهم وينافيه من إثبات الصفات لله تعالى عن قول المعطلين علواً عظيماً<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأما الجهمية، فالتوحيد عندهم: إنكار علو الله على خلقه بذاته، واستوائه على عرشه، وإنكار سمعه وبصره، وقوته، وحياته، وكلامه، وصفاته وأفعاله، ومحبه ومحبة العباد له.

فالتوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه))<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٤٦٦/٣-٤٦٧)، وانظر النونية لابن القيم مع شرحه لابن عيسى (٢/٢٠٥-٢٠٦)، والقصيدة النونية مع شرح المهراس (٢/٤٨-٤٩).

(٢) انظر في شأن فرقة الجهمية: الرد على الجهمية لأبي سعيد الدارمي (ص ٧، ١٠٦-١١٢)، مقالات الإسلاميين (١/٢١٤)، الفرق بين الفرق (ص ١٥٨)، ذكر مذاهب الفرق لليافعي (ص ١٣٦).

(٣) مدارج السالكين (٤٦٧/٣)، وانظر ردّ ابن القيم عليهم في قصيدته النونية مع شرح المهراس

## \* الرابع: القدرية.

يطلق هذا الاسم على قوم يقولون بجزية الإرادة للإنسان، أي أنّ الإنسان قادر وخالق لأفعاله خيرا وشرها.

وأول من نطق بتلك المقالة في الإسلام رجل نصراني من أهل البصرة يسمّى ((سوسن)) فأخذ عنه معبد الجهني تلك المقالة، ثم أخذها غيلان الدمشقي عن معبد.

وسمّي المعتزلة قدرية لأنهم وافقوا القدرية في قولهم: إنّ للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه<sup>(١)</sup>.

فالتوحيد عندهم: هو إنكار القضاء والقدر، وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وسموا من أثبت صفات الرب وأثبت قدره وقضائه أهل التشبيه والجبر<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأما القدرية فالتوحيد عندهم: هو إنكار قدر الله، وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها.

ومتأخروهم ضموا إلى ذلك: توحيد الجهمية<sup>(٣)</sup>، فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وربما سموا إنكار القدر والكفر بقضاء الرب وقدره: عدلاً، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد ))<sup>(٤)</sup>.

(٢/٥٠-٥١)، وفي كتابه إغائة اللفهان (٢/٦٦٤).

(١) انظر المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٣/٨)، وشرح الأصول الخمسة له أيضا (ص ٣٤٥)، والمختصر في أصول الدين له أيضا (١/٢٣٨)، مقالات الإسلاميين (١/٢٩٨)، الملل والنحل (١/٤٥)، الفرق بين الفرق (ص ٧٩)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/٣٥٤)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٢٧).

(٢) انظر الصواعق المرسله لابن القيم (٣/٩٤٨).

(٣) انظر الفرق بين الفرق (ص ١٥١).

(٤) مدارج السالكين (٣/٤٦٧)، وانظر شفاء العليل لابن القيم (ص ٣٠٧-٣١٢)، الصواعق المرسله له أيضا (٣/٩٤٩)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/٢٨٥).

## \* الخامسة: الجبرية.

سموا بذلك نسبة إلى الجبر، فهم يقولون: إنَّ العبد مجبور على فعله، فهو كالريشة في مهب الريح، وكحركات المرتعش ليس له إرادة ولا اختيار ولا قدرة على الفعل، وأنَّ الله تعالى هو خالق كل شيء في الوجود ومريد له، وأمَّا الإنسان فهو مجبور محض، وأمَّا نسبة الأفعال إليه فهو بالنسبة أنه مظهر لتلك الأفعال.

والجبر عند الجبرية أساس التوحيد لأنَّ الله تعالى واحد، ومقتضى هذا التوحيد يقتضى أن يكون متصفا بالخلق وحده فلا يشركه أحد في هذا الوصف، بل هو وحده خالق متصرف في كل أمر، وكل ما يصدر عن العبد من أفعال هو فعل الله الذى هو القادر وحده، وغيره لا قدرة له على شيء، فهو الذى يخلق فى العبد الطاعات من صلاة وصيام وحج وجهاد... إلخ، ويخلق فيه الفسوق والعصيان من شرك وزنى وقتل وسرقة... إلخ، فهذه كلها أفعال الله على الحقيقة، لا يصلح نسبتها إلى العبد كما سبق<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: ((وأما الجبرية فالتوحيد عندهم: هو تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأنَّ العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وأنَّ الرب تعالى لم يفعل لحكمة، ولا غاية تطلب بالفعل، وليس فى المخلوقات قوى وطبائع وغرائز وأسباب، بل ما ثم إلا مشيئة محضة ترجح مثلا على مثل بغير مرجح ولا حكمة ولا سبب البتة))<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الملل والنحل (١/٨٥)، رسالة فى الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي (ص ١٦٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٦٧)، وانظر رد ابن القيم على هذه الطائفة فى شفاء العليل (ص ٢٨٥).

— ٣٠٦)، والصواعق المرسله (١/٢٣٢)، وقصيدته النونية مع شرح الهراس (٢/٥٢).



المبحث العاشر:

﴿ براهين التوحيد ﴾

هناك نصوص قرآنية تبرهن على وحدانية الله تعالى فى العبادة، وأنه لا معبود بحق سواه، وإثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وإثبات البعثة والرسالة والنبوة، وإثبات اليوم الآخر، وطرق إثبات علمه سبحانه وتعالى.

وكلام ابن القيم رحمه الله فى توضيح ذلك واضح جلي كما سأبينه - إن شاء الله - فى هذا المبحث.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وإذا تتبع المتبع ما فى كتاب الله مما حاج به عباده فى إقامة التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات الرسالة والنبوة، وإثبات المعاد وحشر الأجساد، وطرق إثبات علمه بكل خفى وظاهر، وعموم قدرته ومشيتته، وتفرد به بالملك والتدبير، وأنه لا يستحق العبادة سواه، وجد الأمر فى ذلك على ما ذكرناه من تصرف المخاطبة منه سبحانه فى ذلك على أجل وجوه الحجاج وأسبقها إلى القلوب، وأعظمها ملاءمة للعقول، وأبعدها من الشكوك والشبه فى أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأدله على المراد ))<sup>(١)</sup>.

**البرهان الأول: فى إقامة التوحيد وبطلان الشرك وقطع أسبابه وحسم مواده.**

**المثال الأول:** قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ نَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَتَفَعَّلُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ... ﴾<sup>(٢)</sup>.

فى هذه الآيتين بين الله سبحانه وتعالى أنواع التعلقات التى يتعلق بها المشركون بأندادهم وأوثانهم من البشر والشجر وغيرهم، قطعها الله وبين بطلانها تبيننا حاسماً لمواد الشرك قاطعاً لأصوله.

لأنَّ المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء هو الذى أوجب له الشرك.

فإذا كان من يدعو غير الله لا مالكا للنفع والضرر، ولا شريكاً للمالك ولا عوناً وظهيراً

(١) الصواعق المرسله ( ٦٤٠/٢ )

(٢) سورة سبأ، من الآيتين ٢٢، ٢٣.

للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك كان هذا الدعاء، وهذه العبادة ضلالة في العقل باطلة في الشرع.

فقال ابن القيم رحمه الله: (( فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع.

والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيراً، فإن لم يكن معينا ولا ظهيراً كان شقيقاً عنده.

فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفي الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها.

ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتها، وتضمنه له، ويظنون في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل، ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ((<sup>(١)</sup>).

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي قل يا رسول الله ﷺ لهؤلاء المشركين المتخذين لله أندادا يزعمون أنها آلهة مع الله، قل لهم لو كان مع الله آلهة كما يقولون — وإن كان الواقع يكذبهم إذ ليس هناك آلهة مع الله، ولكن على فرض أنه لو كان مع الله آلهة — ﴿... لَابْتِغَوْا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ أي لطلبوا طريقاً إلى ذي العرش سبحانه وتعالى يلتمسون فيها رضاه ويطلبون القرب منه والزلفى إليه لجلاله وكماله

(١) مدارج السالكين ( ٣٧٢/١ )، وانظر الصواعق المرسله ( ٤٦١/٢ - ٤٦٢ ) .

(٢) سورة الإسراء، آية ٤٢ .

وغيانه وحاجتهم وافتقارهم إليه<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( فَإِنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي كَانُوا يَشْتَبُونَهَا مَعَهُ سَبْحَانَهُ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهَا عِبِيدُهُ وَمَمَالِكُهُ وَمَحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ، فَلَوْ كَانُوا آلِهَةً كَمَا يَقُولُونَ لَعَبَدُوهُ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ وَحَدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، فَكَيْفَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَقَدْ أَفْصَحَ سَبْحَانَهُ بِهَذَا بَعِينَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾<sup>(٢)</sup> أي هولاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبيدي يرجون رحمتي ويخافون عذابي كما ترجون أنتم رحمتي وتخافون عذابي، فلماذا تعبدونهم من دوني؟ ))<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله أيضا في معني الآية: (( فقيل: لابتغوا السبيل إليه بالمغالبة والقهر، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، ويدل عليه قوله في الآية الأخرى: ﴿...وَلَعَلَّابَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾<sup>(٤)</sup> .

قال شيخنا رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>: والصحيح أن المعني: لابتغوا إليه سبيلا بالتقرب إليه وطاعته، فكيف تعبدونهم من دونه؟ وهم لو كانوا آلهة كما يقولون لكانوا عبيدا له<sup>(٦)</sup>، قال: ويدل على هذا وجوه:

منها: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾<sup>(٧)</sup> أي هولاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي كما أنتم

(١) انظر تفسير الطبري (٨٤/٨)، تفسير ابن كثير (٤٤/٣).

(٢) سورة الإسراء، من آية: ٥٧.

(٣) الصواعق المرسله (٤٦٢/٢-٤٦٣).

(٤) سورة المؤمنون، من آية ٩١، وانظر تفسير الزمخشري (٦٦٩/٢)، وتفسير الألوسي (٨٢/٨).

(٥) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٦) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٢/١٦-١٢٤، ٥٧٧).

(٧) سورة الإسراء، من آية ٥٧.

عبادي، ويرجون رحمتي ويخافون عذابي، فلماذا تعبدونهم من دوني؟

الثاني: أنه سبحانه لم يقل لا بتغوا عليه سيلا، بل قال: (( لا بتغوا إليه سيلا )) وهذا اللفظ إنما يستعمل في التقرب كقوله تعالى: ﴿... اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾<sup>(١)</sup>، وأما في المغالبة فإنما يستعمل بعلی كقوله تعالى: ﴿... فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا...﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنهم لم يقولوا: إن آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه، وهو سبحانه قال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ...﴾<sup>(٣)</sup> وهم إنما كانوا يقولون: إن آلهتهم تبتغي التقرب إليه وتقربهم زلفى إليه، يقول: لو كان الأمر كما تقولون لكانت تلك الآلهة عبيدا له، فلماذا تعبدون عبيده من دونه؟<sup>(٤)</sup>

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

أي ما اتخذ الله ولدا مطلقا، لا من الملائكة ولا من البشر، وليس معه من يشاركه في الألوهية والربوبية، ولو كان معه إله - كما زعم عبدة الأوثان - لانفرد كل إله بخلقه الذي خلق واستبد به، وتميز ملك كل واحد عن الملك الآخر ولغلب بعضهم على بعض كحال ملوك الدنيا<sup>(٦)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن

(١) سورة المائدة، من آية ٣٥.

(٢) سورة النساء، من آية ٣٤.

(٣) سورة الإسراء، من آية ٤٢.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص ٢٩١-٢٩٢).

(٥) سورة المؤمنون، آية ٩١.

(٦) ينظر تفسير الطبري (٩/٢٤٠)، تفسير ابن كثير (٣/٢٦٤).

الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ لا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدير على قهره وتفرد به بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما انفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم.

إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:  
إمّا أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

وإمّا أن يعلو بعضهم على بعض.

وإمّا أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق، وهم العبيد المربوبون المقهورون.

وانتظام أمر العالم العلوى والسفلى، وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أنّ مدبره واحد لا إله غيره، كما دل دليل التمانع<sup>(١)</sup> على أنّ خالقه واحد لا ربّ له غيره، فذاك تمنع فى الفعل والإيجاد، وهذا تمنع فى العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، يستحيل أن يكون له إلهان معبودان<sup>(٢)</sup>.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ... ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) دليل التمانع: من اصطلاحات المتكلمين، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (( والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً، فأراد واحد تحريك جسم، والآخر أراد سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزاً، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالاً، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكناً لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً)). [ تفسير ابن كثير، ٣/٢٦٤ ].

(٢) الصواعق المرسله ( ٤٦٣/٢ - ٤٦٤ )، وانظر مفتاح دار السعادة ( ٤٨/٣ ).

(٣) سورة لقمان، من آية ١١.

أي هذا الذي تشاهدونه وتعاينونه أيها المشركون هو من مخلوقات الله، فانظروا في السموات والأرض والإنسان والنبات والحيوان وسائر ما خلق الله، ثم تفكروا في أثر قدرته، وبديع صنعته، ثم أخبروني أي شيء خلقتة آهتكم التي عبدتموها من دون الله من الأوثان والأصنام؟<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( فله ما أحلى هذا اللفظ وأوجزه وأدله على بطلان الشرك، فإنهم إن زعموا أن آهتهم خلقت شيئا مع الله طولبوا بأن يروه إياه، وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف وأقل من ذلك كانت إلهيتها باطلا ومحالا ))<sup>(٢)</sup>.

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَكَوَا اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

أي يا معشر المشركين ضرب الله مثلا لما يعبد من دون الله من الأوثان والأصنام فتدبروه حق التدبر واعقلوا ما يقال لكم: إن هذه الأصنام والأوثان التي عبدتموها من دون الله لن تقدر على خلق ذبابة<sup>(٤)</sup> على ضعفها وإن اجتمعت على ذلك، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة وعبادتها من دون الله.

وشيء آخر: وهو إن يسلب الذباب الحقير شيئا من طيب آهتهم التي تضمخونها<sup>(٥)</sup> به،

(١) ينظر تفسير الطبري ( ٢٠٧/١٠ )، وتفسير ابن كثير ( ٤٥٢/٣ ).

(٢) الصواعق المرسله ( ٤٦٥/٢ )، ويراجع بدائع الفوائد لابن القيم ( ١٣٥/٣ ).

(٣) سورة الحج، الآيتان: ٧٣، ٧٤.

(٤) قال القرطبي: (( وخص الذباب لأربع أمور تخصه: لمهانتة، وضعفه، ولاستقذاره، وكثرته، فإذا

كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوهم من دون الله على خلق مثله

ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين، وأربابا مطاعين؟ وهذا من أقوى الحجج

وأوضح البرهان )) . [ تفسير القرطبي، ٩٧/١٢ ].

(٥) الضمخ: لطح الجسد بالطيب حتى كأنما يقطر. [ ينظر لسان العرب، ٣٦/٣ ].

لا تستطيع أهلكم أن تسرده منه، فما أضعفها إذا وما أحقرها! إذا كان الذباب أقدر منها وأعز وأمنع.

ضعف الصنم والذباب معاً، كما ضعف العابد المشرك والمعبود الصنم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي قادر على كل شيء، عزيز غالب لا يمانع في أمر يريد، فكيف ساغ للمشركين أن يولّوها غيره ويعبدونه معه ويجعلون له مثلاً<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: ((حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أنّ المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقهم، فكيف ما هو أكبر منه؟

ولا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه.

فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟

وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أنّ الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدرات، والإحاطة بجميع المعلومات، والغني عن جميع المخلوقات، وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات، وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وإجابة الدعوات، فأعطوها صوراً وتمائيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الآلهة الحق وأذها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه.

(١) انظر تفسير الطبري (١٨٩/٩-١٩٠)، تفسير ابن كثير (٢٤٥/٣-٢٤٦)، تفسير القرطبي



وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئاً واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك، ولم يقدروا عليه، ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: ﴿صَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾.

قيل: الطالب العابد، والمطلوب المعبود، فهو عاجز متعلق بعجز.

وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله [المزعوم] <sup>(١)</sup> والذباب في الضعف والعجز، وعلى هذا فقيل: الطالب الإله الباطل، والمطلوب الذباب يُطلب منه ما استلبه منه.

وقيل: الطالب الذباب، والمطلوب الإله، فالذباب يطلب منه ما يأخذ مما عليه.

والصحيح: أن اللفظ يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود، والمستلب والمستلب، فمن جعل هذا إلهاً مع القوي العزيز فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه <sup>(٢)</sup>.

البرهان الثاني: في إثبات البعثة والرسالة والنبوة.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: ((ومن ذلك احتجاجه سبحانه على نبوة رسوله، وصحة ما جاء به من الكتاب، وأنه من عنده وكلامه الذي يتكلم به، وأنه ليس من صنعة البشر، ولا من كلامهم بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ

(١) ما بين المعكوفتين زيادة للتوضيح.

(٢) إعلام الموقعين (١/١٧٤-١٧٥)، وانظر مفتاح دار السعادة (٢/٣٣٣، ٣/١٩٧)، الصواعق

المرسلة (٢/٤٦٦-٤٦٧، ٤/١٣٦٣-١٣٦٤).

(٣) سورة البقرة، آية ٢٣.

وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾

ثم قال رحمه الله: (( إن حصل لكم ريب فى القرآن الكريم وصدق ما جاء به، وقتلتم: إنه مفتعل، فأتوا بسورة واحدة تشبهه.

وهذا خطاب لأهل الأرض أجمعهم، ومن المحال أن يأتي واحد منهم بكلام يفعله ويختلفه من تلقاء نفسه.

يطالب أهل الأرض بجمعهم أن يعارضوه فى أيسر جزء منه يكون مقدار ثلاث آيات من عدة ألوف، ثم تعجز الخلائق كلهم عن ذلك.

حتى أن الذين راموا معارضته كان ما عارضوه من أقوى الأدلة على صدقه، فإنهم أتوا بشيء يستحيى العقلاء من سماعه، ويحكمون بسماحته<sup>(٢)</sup>، وقبح ركائنه وخسته، فهو<sup>(٣)</sup> كمن أظهر طيباً لم يشم أحد مثل ريحه قط، وتحدى الخلائق، ملوكهم وسوقتهم بأن يأتوا بذرة طيب مثله، فاستحيى العقلاء وعرفوا عجزهم، وجاء الحمقان بعذرة منتنة خبيثة، وقالوا: قد جئنا بمثل ما جئت به، فهل يزيد هذا ما جاء به إلا قوة وبرهاناً وعظمة وجلالة.

وأكد تعالى هذا التوبيخ والتفريع والتعجيز بأن قال: ﴿... وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما يقول المعجز لمن يدعى مقاومته: اجهد علي بكل من تقدر عليه من أصحابك وأعوانك وأولياك ولا تبق منهم أحدا حتى تستعين به.

فهذا لا يقدم عليه إلا أجهل العالم وأحمقه وأسخفه عقلاً، إن كان غير واثق بصحة ما يدعيه، أو أكملهم وأفضلهم وأصدقهم وأوثقهم بما يقوله.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية وأمثالها على أصناف الخلائق أميهم وكتايبهم وعربهم وعجمهم، ويقول: لن تستطيعوا ذلك ولن تفعلوه أبداً، فيعدلون معه

(١) الصواعق المرسله ( ٤٦٧/٢ ).

(٢) سَمِعَ الشَّيْءَ، بِالضَّمِّ: قَبِحَ، يَسْمَعُ سَمَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَلَأَحَةٌ. [ لسان العرب، ٢/٢٠٠ ].

(٣) أي النبي ﷺ.

إلى الحرب والرضى بقتل الأحباب.

فلو قدروا على الإتيان بسورة واحدة لم يعدلوا عنها إلى اختيار المحاربة، وإيتام الأولاد، وقتل النفوس، والإقرار بالعجز عن معارضته.

وتقرير النبوة بهذه الآية له وجوه متعددة، هذا أحدها.

وثانيها: إقدامه ﷺ على هذا الأمر وإسجاله<sup>(١)</sup> على الخلائق إسجالاً عاماً إلى يوم القيامة، أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً، فهذا لا يقدم عليه ويخبر به إلا عن علم لا يخالجه<sup>(٢)</sup> شك مستند إلى وحي من الله تعالى، وإلا فعلم البشر وقدرته يضعفان عن ذلك.

وثالثها: النظر إلى نفس ما تحدى به، وما اشتمل عليه من الأمور التي تعجز قوى البشر عن الإتيان بمثله، الذى فصاحته ونظمه وبلاغته فرد من أفراد إعجازه، وهذا الوجه يكون معجزة لمن سمعه وتأمله وفهمه.

وبالوجهين الأولين يكون معجزة لكل من بلغه خبره ولو لم يفهمه ولم يتأمله.

فتأمل هذا الموضوع من إعجاز القرآن تعرف فيه قصور كثير من المتكلمين، وتقصيرهم في بيان إعجازه، وأنهم لن يوفوه عشر معشار حقه.

حتى قصر بعضهم الإعجاز على صرف الدواعي عن معارضته مع القدرة عليها.

وبعضهم قصر الإعجاز على مجرد فصاحته وبلاغته.

وبعضهم على مخالفة أسلوب نظمه لأساليب نظم الكلام.

وبعضهم على ما اشتمل عليه من الأخبار بالغيوب.

(١) الإسجال من المساجلة: أي المفاخرة بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي، قال ابن بري: أصل

المساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نكل

فقد غلب، فضرته العرب مثلاً للمفاخرة، فإذا قيل: فلان يساجل فلاناً، فمعناه أنه يُخرج من

الشرف مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب، وتساجلوا أي تفاخروا. [يراجع: لسان

العرب، مادة سجل، ٣٢٥/١١-٣٢٦].

(٢) الخلق: الجذب، خلقه يخلجه خلجاً، وتخلجه، واختلجه إذا جذبته وانترعه. [لسان العرب،

٢٥٦/٢].

إلى غير ذلك من الأقوال القاصرة التي لا تشفي ولا تجدي، وإعجازه فوق ذلك ووراء ذلك كله.

فإذا ثبت النبوة بهذه الحجة القاطعة، فقد وجب على الناس تصديق الرسول في خبره وطاعة أمره.

وقد أخبر عن الله تعالى وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعن المعاد والجنة والنار، فثبت صحة ذلك يقينا، فقال تعالى: ﴿... فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾<sup>(١)</sup> الآية.

فاشتملت الآيات على تقرير مهمات أصول الدين من إثبات خالق العالم وصفاته ووحدانيته ورسالة رسوله والمعاد الأكبر<sup>(٢)</sup>.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أي أفلم يتدبروا هذا القرآن العظيم ليعرفوا ما فيه من إعجاز النظم أنه كلام الله فيصدقوا به، أم جاءهم من الله بشيء مبتدع لم يأت مثله في آباءهم السابقين؟

أم لم يعرفوا محمدا ﷺ بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق؟

أم يقولون: إن محمدا ﷺ مجنون؟

وبخهم أولا بترك الانتفاع بالقرآن، وثانيا: بأن ما جاءهم قد جاء مثله لآبائهم الأولين،

وثالثا: بأنهم يعرفون محمدا ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته، ورابعا: اتهامهم له بالجنون، وقد

(١) سورة البقرة، من الآيتين: ٢٤، ٢٥.

(٢) يدائع الفوائد (٤/١١٥-١١٦)، وانظر الصواعق المرسله (٢/٤٦٨-٤٦٩).

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ٦٨، ٦٩، ٧٠.

علموا أنه عليه السلام أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا.

﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا، بل جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالحق الساطع الذي لا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه، وبالقرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أي ومع وضوح الدعوة فإن أكثر المشركين يكرهون الحق لما في قلوبهم من الزيغ والانحراف<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وقال في إثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل لأحواله، وتأمل دعوته وما جاء به: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ... وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول، وتأمل حال القائل، فإن كون القول للشيء كذباً وزوراً يعلم من نفس القول تارة، وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه، فالكذب بادٍ على صفحاته، وبادٍ على ظاهره وباطنه.

ويعرف من حال القائل تارة، فإن المعروف بالكذب والفجور والمكر والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله.

ولا يتأتى منه من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة وغدر وكذب وفجور.

بل قلب هذا وقصده وقوله وعمله يشبه بعضه بعضاً.

وقلب ذلك وقوله وعمله وقصده يشبه بعضه بعضاً.

فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل سيرة القائل وأحواله، وحينئذ تتبين لهم حقيقة الأمر، وأن ما جاء به في أعلى مراتب الصدق<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣٣/٩)، الكشف للزمخشري (٣/١٩٤-١٩٥)، تفسير ابن كثير

(٢/٢٦٠)، روح المعاني للألوسي (١٨/٥٠-٥٢).

(٢) الصواعق المرسله (٢/٤٦٩-٤٧٠).

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ

لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

أي قل لهم يا محمد: لو شاء الله ما تلوتُ هذا القرآن عليكم، وما تلوته إلا بمشيئته تعالى، لأنه من عنده وما هو من عندي، ولا أعلمكم به على لساني، فقد مكثت بين أظهركم زمنا طويلا، مدة أربعين سنة من قبل القرآن لا أعلمه أنا ولا أتلوه عليكم، أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا أنّ مثل هذا الكتاب المعجز ليس إلا من عند الله تعالى؟<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( فتأمل هاتين الحجتين القاطعتين تحت هذا اللفظ الوجيز: -  
إحداهما: أنّ هذا من الله لا من قلبي، ولا هو مقدر لي، ولا من جنس مقدر  
البشر، وأنّ الله ﷻ لو شاء لأمسك عنه قلبي ولساني وأسماعكم وأفهامكم، فلم أتمكن  
من تلاوته عليكم ولم تتمكنوا من درايته وفهمه.

الحجة الثانية: أنّي قد لبثتُ فيكم عمري إلى حين أتيتكم به وأنتم تشاهدوني وتعرفون  
حالي وتصحبوني حضراً وسفراً، وتعرفون دقيق أمري وجليله، وتحققون سيرتي، هل  
كانت سيرة من هو أكذب الخلق، وأفجرهم وأظلمهم؟ فإنه لا أكذب ولا أظلم ولا أقبح  
سيرة ممن جاهر ربّه وخالفه بالكذب والفرية عليه، وطلب إفساد العالم وظلم النفوس  
والبغي في الأرض بغير الحق.

هذا وأنتم تعلمون أنّي لم أكن أقرأ كتاباً، ولا أخطه يميني، ولا صاحبتُ من أتعلم  
منه، بل صحبتكم أنتم في أسفاركم لمن تتعلمون منه وتسالونه عن أخبار الأمم والملوك  
وغيرها ما لم أشاركم فيه بوجه.

ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وما

(١) سورة يونس، آية: ١٦.

(٢) ينظر تفسير الطبري (٥٤٠/٦)، تفسير ابن كثير (٤٢٤/٢-٤٢٥)، روح المعاني (١١/٨٥-

٨٧)، تفسير السعدي (٣/٣٣٥-٣٣٦).

سيكون على التفصيل.

فأيّ برهان أوضح من هذا، وأيّ عبارة أفصح وأوجز من هذه العبارة المتضمنة له<sup>(١)</sup>.

**المثال الرابع:** قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَىٰ وَقُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون، إنما أعظكم وأنصحكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم.

وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصا، متفرقين اثنين اثنين، وواحدا واحدا، ثم تفكروا في أمر محمد ﷺ وما جاء به.

أما الاثنان: فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محمول فكره على صاحبه، وينظران فيه متصادقين متناصفين، ولا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يحصل بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسنته.

وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونصفه من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه، وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم.

والذي أوجب تفرقهم مثنى وفردى: أن الاجتماع يحصل فيه أحيانا مما يشوش الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الرؤية، ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف<sup>(٣)</sup>، ويثور عجاج التعصب، ولا يسمع إلا نصرة المذهب.

ثم إذا قمتم لله مثنى وفردى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم: هل هو مجنون، وفيه صفات المجانين من كلامه، وهيته وصفاته؟

(١) الصواعق المرسلّة (٢/٤٧٠-٤٧٢).

(٢) سورة سبأ، آية: ٤٦.

(٣) العسْفُ: السير بغير هداية والأخذ على غير الطريق، وكذلك التعسف والاعتساف. [لسان

العرب، مادة عسف، ٢٤٥/٩].

أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟ فكل من تدبر أحواله وقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده أم معه غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، وأنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد، أي ما هو ﴿١﴾ إلا نذير لهم أمام عذاب شديد قد ينزل بهم وهو مشفق عليهم في ذلك خائف لا يريد لهم ﴿١﴾.

قال ابن القيم رحمه الله: (( ولما كان للإنسان الذي يطلب معرفة الحق والصواب حالتان:

أحدهما: أن يكون ناظراً مع نفسه.

والثانية: أن يكون مناظراً لغيره.

أمرهم بمخصلة واحدة وهي أن يقوموا لله اثنين اثنين فيتناظران ويتساءلان بينهما، وواحدًا واحدًا، يقوم كل واحد مع نفسه فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعوا إليه، ويستدعي أدلة الصدق والكذب، ويعرض ما جاء به عليها ليتبين له حقيقة الحال، فهذا هو الحجاج الجليل والإنصاف البين والنصح التام)) ﴿٢﴾.

البرهان الثالث: في إثبات المعاد وحشر الأجساد.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَصَرَبْنَا مَثَلًا وَوَسَّيْ خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

مَرْمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ إلى آخر السورة.

في هذه الآيات براهين قطعية عقلية يسلم بها العقلاء ولا ينازعون فيها أبداً على أن إثبات المعاد وحشر الأجساد واقع لا محالة.

البرهان الأول: هذا المنكر للبعث جعل لله تعالى مثلاً وهو إنكاره على الله قدرته

(١) ينظر تفسير الطبري ( ٣٨٤/١٠ )، تفسير ابن كثير ( ٥٥١/٣ )، الكشاف للزخشري

(٢) تفسير السعدي ( ٢٩٢/٦ ) .

(٣) الصواعق المرسله ( ٤٧٢/٢ ) .

(٣) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩ .



على البعث حيث جعل إعادة الله للخلق أمرا عجبا وغريبا إذ قال: ﴿... مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي قد رمت وبليت، ونسي خلقه من ماء حقير، وكيف جعله الله بشراً سوياً يجادل ويخاصم، فلو ذكر أصل نشأته لخلج أن ينكر إحياء العظام وهي بالية رميم، ولما قال: ﴿... مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ وهذا هو القياس العقلي الجملي الواضح، إذ بالبداية أن من أوجد شيئاً من العدم قادر على إيجاد مثله.

وقوله: ﴿... وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي مخلوق عليم، فالعلم والقدرة إذا اجتمعا كان من السهل إيجاد ما أعدم بعد أن كان موجوداً فأعدم، لا سيما أن الموجد من العدم هو المخبر بالإعادة وبقدرته عليها.

البرهان الثاني: في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا

أنتم منه توقدون﴾<sup>(١)</sup> أي النار وتشعلونها.

ووجه الاستدلال أن البعث لو كان مستحيلاً عقلاً - وما هو بمستحيل بل هو واجب الوقوع - لكان على الله غير مستحيل لأن الله تعالى قد أوجد من المستحيل ممكناً وهو النار من الماء، إذا الشجر الأخضر<sup>(٢)</sup> ماء سار في أغصان الشجرة، ومع هذا يوجد منها النار، فكان هذا برهاناً عقلياً يسلم به العقلاء ولا ينازعون فيه أبداً.

(١) سورة يس، آية: ٨٠.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (( قال غير واحد من المفسرين: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ، والأخرى العفار، فمن أراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضروان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ - وهو ذكر - على العفار - وهو أنثى - فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى، وتقول العرب: في كل شجرة نار، واستمجد المرخ والعفار، وقال بعض الناس: في كل شجرة نار إلا العناب ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ فذلك زنادهم )) .  
[مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٤٢/١٧، وانظر تفسير القرطبي، ٥٩/١٥ - ٦٠].

البرهان الثالث: وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

ووجه البرهنة في هذه الآية أنه سبحانه وتعالى يقول مخبرا منبهاً على قدرته العظيمة في خلق السماوات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة.

ولذا أجاب الله تعالى عن سؤاله بنفسه فقال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ أي الخلاق لكل ما أراد خلقه، العليم بكل مخلوقاته لا يخفى عليه شيء منها.

البرهان الرابع: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجه الاستدلال في هذه الآية أن من كان شأنه في إيجاد ما أراد إيجاداً أن يقول له كن فهو يكون، لا يستنكر عليه عقلاً أن يجيئ الأموات بكلمة كونوا أحياء فيكونون كما طلب منهم.

وفي الأخير حتم الله ﷻ هذا الرد المقنع بتزيره نفسه عن العجز فقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ أي ملك كل شيء ﴿...وَأِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أحيينم أم كرهتم أيها الناس منكرين كنتم للبعث أم مقرين به مومنين<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وقال سبحانه في تثبيت أمر البعث: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

(١) سورة يس، من آية: ٨١.

(٢) سورة يس، آية: ٨٢.

(٣) سورة يس، آية: ٨٣.

(٤) ينظر تفسير الطبري (١٠/٤٦٥-٤٦٦)، تفسير ابن كثير (٣/٥٨٨-٥٩٠)، تفسير السعدي

(٦/٣٦٢-٣٦٥).

وَسَيِّ خَلْقَهُ... ﴿١﴾ إلى آخر السورة.

فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو مثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووضوح الدلالة وصحة البرهان لألقى نفسه ظاهر العجز منقطع الطمع يستحيى الناس من ذلك.

فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده الملحد اقتضى جوابا فكان في قوله سبحانه: ﴿وَسَيِّ خَلْقَهُ﴾ ما وفى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة، لو لا ما أراد الله سبحانه من تأكيد حجته وزيادة تقريرها، وذلك أنه سبحانه أخبر أن هذا الملحد السائل عن هذه المسألة لو لم ينس خلق نفسه وبدأ كونه وذكر خلقه لكانت فكرته فيه كافية في جوابه مسكته له عن هذا السؤال.

ثم أوضح سبحانه ما تضمنه قوله ﴿وَسَيِّ خَلْقَهُ﴾ وصرح به جوابا له عن مسألته فقال: ﴿قُلْ يُخْبِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ ﴿٢﴾.

فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم علما ضروريا أن من قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله:

﴿... وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

فهو عليم بالخلق الأول وتفصيله وجزئياته ومواده وصورته وعلله الأربع<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يس، من آية: ٧٨.

(٢) سورة يس، من آية: ٧٩.

(٣) العلل الأربع هي: الفاعلة والمادية والصورية والغائية. فالفاعلة: كالنحار الذي يصنع الكرسي، والمادية: هي الخشب أو الحديد الذي يصنع منه، والصورية: هي الهيئة التي يتم عليها شكله، والغائية: هي الجلوس عليه. =

وكذلك هو عليم بالخلق الثاني وتفصيله ومواده وكيفية إنشائه، فإن كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم، ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعته حارة رطبة لتقبل صورة الحياة.

فتولى سبحانه جواب هذا السؤال بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معا فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم علي الأيسر الأصغر، وأن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر.

فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدارا، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

فأخبر سبحانه أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبير

= وهذه هي العلة الأربع عند أرسطوا، ومنها أخذت العلة الأولى، وعلة العلل، وتطلق - عندهم - على الله وحده.

- وعند المحدثين: تطلق العلة على العلة الفاعلة، وتسمى السبب، وهي ما يترتب عليه سبب عقلا أو واقعا، وهذا هو المعنى السائد اليوم. [ ينظر المعجم الفلسفي ص ١٢٢، ١٢٣، تهافت التهافت لابن الرشيد، ٤٣١/٢ ].

(١) سورة يس، آية: ٨٠.

(٢) سورة يس، من آية: ٨١.

أجسادهما وسعتهما وعجيب خلقتهما أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما  
فيردها إلى حالتها الأولى كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ  
خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم أخذ سبحانه ذلك وبينه بيانا آخر يتضمن مع إقامة الحجة دفع شبهة كل ملحد  
وجاحد، وهو أنه ليس في فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات<sup>(٣)</sup> والكلفة والتعب والمشقة،  
ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لا بد معه من آلة ومشارك ومعين، بل يكفي في خلقه لما  
يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون (( كُنْ )) فإذا هو كائن كما شاءه  
وأراداه.

فأخبر عن نفاذ مشيئته وإرادته وسرعة تكوينه وانقياد المكون له وعدم استعصائه عليه.  
ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله وهو قوله:

﴿... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فتبارك الذي تكلم بهذا الكلام الذي جمع في نفسه - بوجازته وبيانه وفصاحته وصحة  
برهانه - كل ما تلزم الحاجة إليه من تقرير الدليل، وجواب الشبهة ودحض حجة  
الملحد، وإسكات المعاند بألفاظ لا أعذب منها عند السمع ولا أحلى منها من معانيها

(١) سورة غافر، آية: ٥٧.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٣.

(٣) قلت: كما هو الواقع في حالنا اليوم كالنجارة فإنّ صانع الكرسي مثلا بحاجة إلى مطرقة ومنشار  
ومسامير وخشب وغيرها فبدونها لا يستطيع أن يصنع شيئا أبدا.

(٤) سورة يس، من آية: ٨٣.

للقلب، ولا أنفع من ثمرتها للعبد))<sup>(١)</sup>.

**المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَتُذَكَّرُونَ بِذُنُوبِكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاصْرِفْ إِلَيْنَا آلِهَتَكُمْ كَذَّبْتُمُوهَا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].  
 ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي قال المشركون المكذبون بالبعث: أتذا صرنا عظاما نخرة، وذرات متفتتة كالتراب، هل سنبعث ونخلق خلقا جديدا بعد أن نبلى ونفنى؟

قل لهم يا محمد - ﷺ -: لو كنتم حجارة أو حديدا لقدر الله على بعثكم وإحيائكم فضلا عن تكونوا عظاما ورفاتا فإن الله لا يعجزه شيء، فالحجارة والحديد أبعد عن الحياة وهي أصلب الأشياء، ولو كانت أجسامكم منها لأعادها الله، فكيف لا يقدر على إعادتكم إذا كنتم عظاما ورفاتا؟

﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ... ﴾ أي أو كونوا خلقا آخر أو غل في البعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يصعب في نفوسكم تصور الحياة فيه فسيبعثكم الله.

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا؟ ﴾ أي من الذي يردنا إلى الحياة بعد فئتنا؟

﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ... ﴾ أي قل لهم: يعيدكم القادر العظيم الذي خلقكم وأنشأكم من العدم أول مرة.

﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ ﴾ أي يحركون رءوسهم متعجبين مستهزئين ويقولون - استنكارا واستبعادا - متى يكون البعث والإعادة؟

(١) الصواعق المرسله ( ٢/٤٧٣-٤٧٧ )، وانظر إعلام الموقعين ( ١/١٤١-١٤٢ ) .

(٢) سورة الإسراء، آيات: ٤٩ - ٥١ .

﴿... قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي لعله يكون قريبا فإن كل ما هو آتٍ قريب<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؟

﴿... قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾

فرد عليهم سبحانه ردًا يتضمن الدليل القاطع على قدرته على إعادتهم خلقًا جديدًا

فقال: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ

مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ فلما استبعدوا أن يعيدهم الله خلقًا جديدًا

بعد أن صاروا عظامًا ورفاتا قيل لهم: كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في

صدوركم.

ومضمون الدليل أنكم مربوبون مخلوقون مقهورون على ما يشاء خالقكم، وأنتم لا

تقدرون على تغيير أحوالكم من خلقة إلى خلقة لا تقبل الإضمحلال<sup>(٢)</sup> كالحجارة

والحديد، ومع ذلك فلو كنتم على هذه الخلقة من القوة والشدة لنفذت أحكامي فيكم

وقدرتي ومشيتي، ولم تسبقوني ولم تفوتوني، كما يقول القائل لمن هو في قبضته: اصعد

إلى السماء فأني لاحقك، أي لو صعدت إلى السماء لحققتك.

وعلى هذا فمعنى الآية: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو أعظم خلقًا من ذلك لما

أعجزتموني ولما فتموني.

وقيل: المعنى كونوا حجارة أو حديدًا عند أنفسكم أي صوروا أنفسكم وقدروها خلقًا

لا يضمحل ولا ينحل فإننا سنميتكم ثم نحْييكم ونعيدكم خلقًا جديدًا.

وبين المعنيين فرق لطيف فإن:

المعنى الأولى: يقتضي أنكم لو قدرتم على نقل خلقتكم من حالة إلى حالة هي أشد

منها وأقوى لنفذت مشيئتنا وقدرتنا فيكم، ولو تعجزونا فكيف وأنتم عاجزون عن ذلك؟

(١) يراجع تفسير الطبري (٨/٨٨-٩٢)، تفسير ابن كثير (٣/٤٨-٤٩).

(٢) اضمحلال الشيء: أي ذهب. [ يراجع لسان العرب، ١١/٣٩٠ ].

والمعنى الثاني: يقتضي أنكم صوروا أنفسكم وأنزلوها هذه المنزلة ثم انظروا أتفوتونا وتعجزونا أم قدرتنا ومشيتنا محيطة بكم ولو كنتم كذلك؟ وهذا من أبلغ البراهين القاطعة التي لا تعرض فيها شبهة البتة، بل لا تجرد العقول السليمة عن الإذعان والانقياد لها أبدا.

فلما علم القوم صحة هذا البرهان وأنه ضروري انتقلوا إلى المطالبة بمن يعيدهم فقالوا: من يعيدنا؟

وهذا سواء كان سؤالا منهم عن تعيين المعيد أو إنكارا منهم له، فهو من أقبح التعنت وأبينه ولهذا كان جوابه: ﴿... قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾<sup>(١)</sup>.

ولما علم القوم أنّ هذا جواب قاطع، انتقلوا إلى باب آخر من التعنت وهو السؤال عن وقت هذه الإعادة فأنغضوا إليه رؤوسهم وقالوا: متى هو؟

فقال تعالى: ﴿... قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

فليتأمل اللبيب لطف موقع هذا الدليل واستلزامه. عدلوله استلزاما لا محيد عنه، وما تضمنه من السؤالات والجواب عنها أبلغ جواب وأصح وأوضحه، فله ما يفوت المعرضين عن تدبر القرآن المتعوضين عنه بزباله الأذهان ونخالة الأفكار<sup>(٢)</sup>.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُشْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمسَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْبِيَ الْمَوْتَى﴾<sup>(٣)</sup>.

أي أفيظن الإنسان أن يترك هملا من غير بعث ولا حساب ولا جزاء؟ وبدون تكليف بحيث يبقى كالبهائم المرسلّة؟ لا ينبغي له ولا يليق به هذا الحساب.

(١) سورة الإسراء، من آية: ٥١.

(٢) إعلام الموقعين (١/١٤٢-١٤٣)، وانظر الصواعق المرسلّة (٢/٤٧٨-٤٨٠).

(٣) سورة القيامة، آيات: ٣٦-٤٠.



قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن ذلك احتجاجه سبحانه على إثبات علمه بالجزئيات كلها بأحسن دليل وأوضحه وأصححه حيث يقول: ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

ثم قرر علمه بقوله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ وهذا من أبلغ التقرير فإن الخالق لا بد أن يعلم مخلوقه والصانع يعلم مصنوعه، وإذا كنتم مقربين بأنه خالقكم وخالق صدوركم وما تضمنته، فكيف تخفى عليه وهي خلقه. وهذا التقرير مما يصعب على القدرية فهمه، فإنه لم يخلق عندهم ما في الصدور فلم يكن في الآية على أصولهم دليل على علمه بها، ولهذا طرد غلاة القوم ذلك ونفوا عنه فأكفرهم السلف قاطبة.

وهذا التقرير من الآية صحيح على التقديرين، أعنى تقدير أن تكون (( مَنْ )) في محل رفع على الفاعلية، وفي محل نصب على المفعولية. فعلى التقدير الأول: ألا يعلم الخالق الذي شأنه الخلق. وعلى التقدير الثاني: ألا يعلم الرب مخلوقه ومصنوعه. ثم ختم الحجة باسمين مقتضيين لثبوتها وهما: اللطيف: الذي لطف صنعه وحكمته ودق حتى عجزت عنه الأفهام.

والخبير: الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفائها كما أحاط بظواهرها، فكيف يخفى على اللطيف الخبير ما تحويه الضمائر وتخفيه الصدور ((<sup>(١)</sup>). قلت: كل ما ذكرته من براهين التوحيد التي أوضحتها ابن القيم رحمه الله في بعض مؤلفاته فإن ذلك بعض من كثير مما أورده ابن القيم رحمه الله في هذا الموضوع، ولكن فيما أوردت من كلامه يحصل المقصود ولم أقصد الاستقصاء فإن ذلك يطول بل يتعذر لكثرة ذلك في كتبه رحمه الله واهتمامه الكثير بهذا الجانب.

(١) الصواعق المرسله، (٢/٤٩١-٤٩٢).

# المبحث الحادى عشر:

﴿ أقسام الناس بالنسبة لتوحيد الربوبية ﴾

في مطلع هذا المبحث أذكر بمفهوم توحيد الربوبية ومعناه: -

وهو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى هو الربّ المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الضراء، فهو سبحانه وتعالى المتفرد بربوبية خلقه إيجاباً وإمداداً وخلقاً وتدبيراً<sup>(١)</sup>.

والناس بهذا التوحيد قسمان: مقر بالرب تعالى، ومنكر له، وتفصيل ذلك كما سيأتي من كلام ابن القيم رحمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله: (( الناس قسمان:

مقر بالحق تعالى<sup>(٢)</sup>.

وجاحد له<sup>(٣)</sup>.

(١) قد ذكرت كلام ابن القيم رحمه الله في تعريف هذا التوحيد ومفهومه في المبحث الثامن من هذا الفصل المتقدم.

(٢) سيأتي تفصيله.

(٣) له ضروب متعددة :

- منها: تعطيل الرب جل وعلا، وأشهر من ذهب إلى ذلك فرعون لعنه الله، فإنه أشهر من

عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع، وقد كان مستيقنا به في الباطن، كما قال له موسى عليه السلام:

﴿... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ...﴾ [سورة الإسراء، من

آية: ١٠٢]، وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا

وَعُلُوًّا...﴾ [سورة النمل، من آية: ١٤]، ولهذا قال: ﴿... وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟﴾ [سورة

الشعراء، من آية: ٢٣] على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

آبَائِكُمُ الْأُولِينَ قَالَ إِنْ مَرَّ سَوْلَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْزُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الشعراء، آيات: ٢٤ - ٢٨]، ولم يقل فرعون:

(( ومن ربّ العالمين؟ )) فإنّ (( من؟ )) سؤال عن عينه يسأل بها من عرف جنس المسؤول عنه أنّه من أهل العلم، وقد شك في عينه، وأمّا (( ما؟ )) فهو سؤال عن الوصف، يقول: أي شيء هو هذا؟ وما هو هذا الذي سمّيته (( ربّ العالمين؟ )) قال ذلك منكرا له جاحدا.

وقد زعم بعض الناس أنّ فرعون سأل موسى مستفهما عن الماهية، وأنّ المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية، عجز موسى عن الجواب، وهذا غلط، وإنّما هذا استفهام إنكارٍ وجحدٍ، كما دل سائر آيات القرآن على أنّ فرعون كان جاحداً لله، نافيّاً له، لم يكن مثبتاً له، طالبا للعلم بماهيته، فلهذا بيّن لهم موسى أنّه معروف، وأنّ آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يُسأل عنه ما هو؟ بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل، بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف. [ ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٣٣٢-٣٣٥، شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٦٦ ].

- ومنها: القول بوحدة الوجود، وهم الذين يزعمون أنّ الله تعالى هو عين الخلق، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وهؤلاء هم الإتحادية القائلون بوحدة الوجود، فليس عند هؤلاء القوم ربّ وعبد ولا مالك ومملوك ولا راحم ومرحوم، ولا عابد ومعبود، ولا مستعين ومستعان به، ولا هاد ولا مهدي، ولا منعم ومنعم عليه، ولا غضبان ومغضوب عليه، بل الرب هو نفس العبد وحقيقته، والمالك هو عين المملوك، والراحم هو عين المرحوم، والعابد هو نفس المعبود، وإنّما التغير أمر اعتباري بحسب مظاهر الذات وتجلياتها، فتظهر تارة في صورة معبود، كما ظهرت في صورة فرعون كما يزعمون، وفي صورة عبد كما ظهرت في صورة العبيد، وفي صورة هاد كما في صورة الأنبياء والرسل والعلماء، والكل من عين واحدة، بل هو العين الواحدة، فحقيقة العابد ووجوده أو إنّيته هي حقيقة المعبود ووجوده وإنّيته.

- ومن أقوالهم الباطلة ما قاله ابن عربي شيخ الصوفية الناطق بلسانهم:  
فيحمدني وأحمده      ويعبدني وأعبده

- البيت في فصوص الحكم لابن عربي (١/٨٣)، وانظر بغية المرتاد لابن تيمية (ص ٣٩٤-٤٠٨)، ومدارج السالكين (١/٧٢).

- ومنها: الدهرية الذين ينفون الربوبية وجحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ولا بصانع، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان، كذلك

فتضمنت الفاتحة إثبات الخالق تعالى، والرد على من جحده بإثبات ربوبيته تعالى للعالمين، وتأمل حال العالم كله، علويه وسفليه، بجميع أجزائه تجده شاهدا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه.

فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعال<sup>(١)</sup> على الفعل والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية، والفطر الصحيحة أظهر من العكس.

فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان، كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما. فأما الاستدلال بالصنعة فكثير.

كان وكذلك يكون، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ... ﴾ [سورة الجاثية، من آية ٢٤].

-انظر بشأن هذه الطائفة: المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي (ص ١٠٣-١٠٥)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليميني (٧٦٧/٢)، الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغاني. -ومنها: الثنوية من الجوس، فهم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أنّ النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف الجوس، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. [ ينظر الملل والنحل ١/٢٤٤، شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٧].

-ومنها: الملاحدة قديما وحديثا، وفي مقدمتهم الشيوعيون الذين ينكرون وجود الله تعالى وكل الغيبات، ويقولون بأنّ المادة هي أساس كل شيء، ولهم شعار يرددونه وهو القول (( بلا إله والحياة مادة )) عليهم من الله ما يستحقون. [ راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صفحة ٣٠٩-٣١٣].

(١) لعله: الفاعل.

وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشار إليه الرسل بقولهم ﴿... أَفِي اللَّهِ شَكٌّ...﴾<sup>(١)</sup> أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟

ثم نبهوا على الدليل بقولهم: ﴿... فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أنّ وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها<sup>(٢)</sup>.

ثم قال رحمه الله: (( ثمّ المثبتون للخالق تعالى نوعان:

أهل توحيد<sup>(٣)</sup>.

وأهل إشراك.

وأهل الإشراف نوعان:

(١) سورة إبراهيم، من آية: ١٠.

(٢) مدارج السالكين ( ٧١/١ ).

(٣) أي توحيد الربوبية، وهم قسمان:

-قسم: يرون أنّ هذا التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل، وبه أنزلت الكتب، ويرون أنّ إثباته هو الأساس، فيقدمونه على ما هو أهم منه وهو توحيد العبادة، هذا عند كثير من أصحاب النظر والكلام وفرقة من الصوفية.

-وقسم: وهم جمهور السلف، يرون أنّ هذا التوحيد حق لا ريب فيه، لكن ليس هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد العبادة، ويتضمن الدعوة إلى توحيد الربوبية. [ انظر شرح العقيدة الطحاوية، ٢٥/١-٢٦ ].

أحدهما: أهل الإشراك به في ربوبيته وإلهيته، كالمجوس ومن ضاهاهم من القدرية، فإنهم<sup>(١)</sup> يثبتون مع الله خالقا آخر، وإن لم يقولوا إنه مكافئ له. والقدرية<sup>(٢)</sup> المجوسية تثبت مع الله خالقين للأفعال، ليست أفعالهم مقدورة لله، ولا مخلوقة لهم، وهي صادرة بغير مشيئته، ولا قدرة له عليها، ولا هو الذي جعل أربابها فاعلين لها، بل هم الذين جعلوا أنفسهم شائين مرادين فاعلين.

(١) أي المجوس الأصلية زعموا أنّ الأصليين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثمّ لهم اختلاف في سبب حدوثهما، أمن النور حدث؟ والنور لا يحدث شرا جزئيا، فكيف يحدث أصل الشر؟ أم من شيء آخر؟ ولا شيء يشرك النور في الإحداث والقدم؟ وبهذا يظهر خبط المجوس. [ الملل والنحل ١/٢٣٣، وينظر البرهان للسكسكي ص ٩٠، وعقائد الثلاث والسبعين لأبي محمد اليميني ٧٤١/٢، ورسالة في الرد على الرافضة للمقدسي ص ١٣٤ ].

(٢) سمو بالقدرية المجوسية لوجود وجوه الشبه بينهما:

- منها: أثبتت القدرية أنّ العباد يخلقون الشر، نظيرا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر.

- ومنها: زعمت القدرية أنّ الله عز وجل يخلق الخير وأما الشيطان فيخلق الشر.

- ومنها: زعموا أنّ الله عز وجل يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، خلافا لما أجمع عليه

المسلمون من أنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وردّا لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... ﴾ [ سورة الإنسان، من آية: ٣٠ ] فأخبر أنا لا نشاء شيئا إلا وقد شاء الله

أن نشاءه، ولهذا سماهم رسول الله ﷺ: (( مجوس هذه الأمة )) [ رواه أبو داود في السنن، باب

في القدر، ح ٤٦٩١، والحاكم في المستدرک، ١/٨٥، وأحمد في المسند، ٢/٨٦، وحسنه العلامة

الألباني في المشكاة، ح ١٠٧ ] لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقاويلهم.

- ومنها: زعموا أنّهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله، ردّا لقول الله ﷻ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ... ﴾ [ سورة الأعراف، من آية: ١٨٨ ]

وإعراضا عن القرآن، و عما أجمع عليه أهل الإسلام.

فربوبية العالم الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوال هؤلاء كلهم، لأنها تقتضى ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال.

وحقيقة قول القدرية المجوسية: أنه تعالى ليس رباً لأفعال الحيوان، ولا تناولتها ربوبيته، وكيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيتته وخلقه؟ مع أن في عموم حمده على طاعات خلقه، إذ هو المعين عليها والموفق لها، وهو الذي شاءها منهم، كما قال في غير موضع من كتابه ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... ﴾<sup>(١)</sup> فهو محمود على أن شاءها لهم، وجعلهم فاعليها بقدرته ومشيتته، فهو المحمود عليها في الحقيقة.

وعندهم<sup>(٢)</sup>: أنهم هم المحمودون عليها، ولهم الحمد على فعلها، وليس لله حمد على نفس فاعليتها عندهم، ولا على ثوابه وجزائه عليها.

أما الأول: فلأن فاعليتها بهم لا به.

وأما الثاني: فلأن الجزاء مستحق عليه استحقاق الأجرة على المستاجر، فهو محض حقهم الذي عاوضوه عليه<sup>(٣)</sup>.

-ومنها: زعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله ﷻ، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله ﷻ بالقدرة عليه، كما أثبتت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله ﷻ، فكانوا مجوس هذه الأمة إذ دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم، ومالوا إلى أضاليلهم، وقنطوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من روحه. [يراجع: الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ص ٤٧-٤٩].

(١) سورة الإنسان، من آية ٣٠.

(٢) أي القدرية.

(٣) زعمت القدرية أن الجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض، واستدلوا بقوله تعالى:

﴿ قَتَبْنَاكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [سورة المؤمنون، من آية ١٤] قالوا: والجزاء مرتب على

الأعمال ترتيب العوض كما قال تعالى: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الواقعة، آية:



وفي قوله: ﴿وَأَيُّكَ نَسْتَعِينُ﴾ ردّ ظاهر عليهم، إذ استعانتهم به إنّما تكون عن شيء هو بيده وتحت قدرته ومشئته، فكيف يستعين من بيده الفعل وهو موجد، إن شاء أوجده وإن شاء لم يوجده، بمن ليس ذلك الفعل بيده ولا هو داخل تحت قدرته ولا مشئته؟

وفي قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أيضا ردّ عليهم، فإنّ الهداية المطلقة التامة هي المستلزمة لحصول الإهداء، ولولا أنّها بيده تعالى دونهم لما سألوه إياها، وهي المتضمنة للإرشاد والبيان والتوفيق والإقذار، وجعلهم مهتدين.

وليس مطلوبهم مجرد البيان والدلالة، كما ظنته القدرية، لأنّ هذا القدر وحده لا يوجب الهدى، ولا ينجي من الردى، وهو حاصل لغيرهم من الكفار، الذين استحبوا العمى على الهدى، واشتروا الضلالة بالهدى.

النوع الثاني: أهل الإشراك به في إلهيته<sup>(١)</sup>.

[٢٤] وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الزخرف، آية: ٧٢].

-والصواب: أنّ الباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ونحوها باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضله ورحمته. [يراجع شرح العقيدة الطحاوية، ٦٤٢/٢-٦٤٣].

(١) هذا النوع يشمل المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأنّ خالق السماوات

والأرض واحد، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ [سورة لقمان، من آية: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: ٨٤، ٨٥]، ومثل

هذا كثير في القرآن، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنّها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أنّ

وهم مقرون بأنه وحده ربّ كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه ربّهم وربّ آبائهم الأولين، وربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، وهم مع هذا يعبدون غيره، ويعدلون به سواء في المحبة والطاعة والتعظيم.

وهم الذين اتخذوا من دون الله أندادا، فهؤلاء لم يوفوا ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ حقه، وإن كان لهم نصيب من ((نعبدك)) لكن ليس لهم نصيب من ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ المتضمن معنى: لا نعبد إلا إياك، حبًا وخوفًا ورجاء وطاعة وتعظيمًا، ف﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ تحقيق لهذا التوحيد، وإبطال للشرك في الإلهية، كما أنّ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحقيق لتوحيد الربوبية، وإبطال للشرك به فيها، وكذلك قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾ فإنهم أهل التوحيد، وهم أهل تحقيق ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأهل الإشراك هم أهل الغضب والضلال))<sup>(١)</sup>.

هذه تمثيل قوم صالحين من الأنبياء والمصالحين، ويتخلونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب. [ انظر شرح العقيدة الطحاوية، ٢٩/١ ].

- ويشمل أيضا القبوريين الذين يتوجهون إلى الميت العاجز، فيسألون منه الغوث ويندرون له، إلى غير ذلك من الشركيات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى. [ انظر كتاب كيف نفهم التوحيد لمحمد أحمد باشميل، وكتاب إرشاد المسلمين في الرد على القبوريين للشيخ حمد بن ناصر ابن عثمان معمر، وكتاب كنت قبوريا لعبد المنعم الجداوي ].

(١) مدارج السالكين ( ٧٢/١ - ٧٥ ).

المبحث الثاني عشر:

﴿ أقسام الناس بالنسبة لتوحيد الإلهية ﴾

سبق أن ذكرتُ في المبحث الثامن من هذا الفصل تعريف توحيد الإلهية، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، وذلك بأنَّ تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا التوحيد هو أصل الدين، ومن أجله أرسلت الرسل عليهم السلام، وأنزلت الكتب. وفي هذا المبحث أبين أقسام الناس بالنسبة لتوحيد الإلهية، إذ الناس في ذلك متفاوتون تفاوتاً عظيماً.

والناس في هذا الأصل أربعة أقسام:

القسم الأوّل: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها.

القسم الثاني: وهم معرضون عن عبادته والاستعانة به.

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة.

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنعف والضرر ويستدل بهما على الرضى والغضب،

فمن كان منعماً في هذه الحياة الدنيوية فهو دليل على محبة الله له ورضاه عنه، ومن كان متضرراً بائساً فيها فهو دليل على كره الله له وسخطه إياه.

وتفصيل ذلك كما سيأتي من كلام ابن القيم رحمه الله حيث قد أوضح هذه الأقسام الأربعة في مدارج السالكين.

فقال رحمه الله: (( تقسيم الناس إلى أهل عبادة ومعرضين<sup>(١)</sup>):

إذا عرفت هذا، فالناس في هذين الأصلين - وهما العبادة والاستعانة - أربعة أقسام:

**القسم الأوّل:** أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها.

ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علّمه النبي ﷺ **لِحِبِّهِ**<sup>(٢)</sup> معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: (( يا معاذ، والله إنني لأحبك، فلا تنس أن تقول ذُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ ))<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: معرضون، والصحيح ما أثبت.

(٢) في الأصل: لِحِبِّ، والصحيح ما أثبت.

(٣) رواه أبو داود في السنن (كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، ح ١٥٢٢)، والنسائي في السنن (كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، ٤٥/٣)، وصححه ابن حبان (٢٣٤٥)، والحاكم في المستدرک (٢٧٣/٣)، ووافقه الذهبي، والعلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٤٧-١٥٢٢).

فوالله لو كشف عن حاصله وسره لرأي هناك معاتبه القدر واتهامه، وأنه قد كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، ولكن ما حيلتي، والأمر ليس إلي؟ والعاقل خصم نفسه، والجاهل خصم أقدار ربه.

فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئاً معيناً خيرته وعاقبته مغيبة عنك، وإذا لم تجد من سؤاله بدءاً، فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة، وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة<sup>(١)</sup>. ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة، بل استخارة من لا علم له بمصالحه، ولا قدرة له عليها، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، بل إن وُكل إلى نفسه هلك كل الهلاك، وانفرط عليه أمره.

وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال: تسأله أن يجعله عوناً لك على طاعته وبلاغاً إلى مرضاته، ولا يجعله قاطعاً لك عنه، ولا مبعداً عن مرضاته.

ولا تظن أن عطاءه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه، ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه، ولكن عطاؤه ومنعه ابتلاء وامتحان، يمتحن بهما عباده، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

(١) وأما كيفية الاستخارة فقد علمنا الصادق المصدوق عليه السلام في حديثه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني قال ويسمي حاجته (( رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٦٣٨٢، ٧٣٩٠).

رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلًّا... ﴿١١﴾ أي ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته: فقد أكرمه، وما ذاك لكرامته علي، ولكنه ابتلاء مني، وامتحان له: أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إياه، وأحوّل فيه غيره<sup>(٢)</sup>؟ وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لا يفضل عنه، فذلك من هوانه علي، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له، أيصير؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق، أم يتسخط؟ فيكون حظه التسخط<sup>(٣)</sup>.

فرد الله سبحانه علي من ظن أنّ سعة الرزق إكرام، وأنّ الفقر إهانة، فقال: لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته علي، ولم أبتله بالفقر لهوانه علي.

فأخبر أنّ الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنّه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته، ويُقتّر<sup>(٤)</sup> على المؤمن لا لإهانته، إنّما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته، فله الحمد على هذا وعلى هذا، وهو الغني الحميد.

### القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة.

وهؤلاء نوعان:

أحدهما: القدرية، القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل، فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق،

(١) سورة الفجر، من آيات: ١٥-١٧.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم، آية ٧]، قال ابن القيم رحمه الله: ((والذكر رأس الشكر... والشكر

جلاب النعم، وموجب للمزيد، قال بعض السلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا

يفغل عن ذكرك)). [الوابل الصيب لابن القيم، صفحة: ١٤٤-١٤٥].

(٣) بالنسبة لتفسير هذه الآيات السالفة الذكر انظر أيضا كلام ابن القيم رحمه الله في عدة الصابرين

(ص ١٥١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٣٦-٣٧).

(٤) القتر والتقتير: الرمقة من العيش، وقتر عليهم وأقتر: ضيق في النفقة. [القاموس المحيط،

وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أوليائه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد، وأوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر.

فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة، لا استعانة معه، فهم موكلون إلى أنفسهم، مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيداً.

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد، ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وتلاشيها في ضمنه، وقيامها به، وأنها بدون القدر كالموت الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول على المحرك الأول.

فلم تنفذ قوي بصائرهم من المتحرك إلى المحرك، ومن السبب إلى المسبب، ومن الآلة إلى الفاعل، فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم، فقل نصيبهم من ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير، بحسب استعانتهم وتوكلهم، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم.

ولو توكل العبد حق توكله في إزالة جبل عن مكانه - وكان مأموراً بإزالته - لأزاله<sup>(١)</sup>.

(١) كما قال الله تعالى حكاية عن قوم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَائِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، آية: ٢٣] قال ابن كثير رحمه الله: ((أي إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها لكم...)) [تفسير ابن كثير، ٤٠/٢].

فإن قلت: فما معنى التوكل والاستعانة؟

قلت: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، -والإيمان بتفرده بالخلق، والتدبير والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس.

فيوجب له اعتمادا عليه، وتفويضا إليه، وطمأنينة به، وثقة به، وبقينا بكفايته لما توكل عليه فيه، وأنه مَلِيٌّ به، ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه.

فتشبه حاله حالة الطفل مع أبويه فيما ينويه من رغبة ورهبة هما مَلِيَّان بهما، فانظر في تجريد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه، وحبس همّه على إنزال ما ينويه بهما.

فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولا بد، قال تعالى: ﴿...وَمَنْ

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾<sup>(١)</sup> أي كافيه، و((الحسب)) الكافي، فإن كان - مع هذا

- من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة، وإن لم يكن من أهل التقوى فهو...<sup>(٢)</sup>

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضر، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولم يدر مع ما يحبه ويرضاه.

فتوكل عليه، واستعان به على حفظه وشهوته وأغراضه، وطلبها منه، وأنزلها به، فقضيت له، وأسعف بها، سواء كانت أموالا أو رياسة أو جاها عند الخلق، أو أحوالا من كشف وتأثير وقوة وتمكين، ولكن لا عاقبة له، فإنها من جنس الملك الظاهر والأموال، لا تستلزم الإسلام، فضلا عن الولاية والقرب من الله.

فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر والمؤمن والكافر، فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل

(١) سورة الطلاق، من آية: ٣.

(٢) هكذا كلام ابن القيم ثم سكت، ويبدو الكلام ناقص وسيأتي كلامه رحمه الله عن التوكل في مبحثه إن شاء الله.



الجاهلين، وأبعدهم عن معرفة الله ومعرفة دينه، والتميز بين ما يحبه ويرضاه، ويكرهه  
ويستخطه، فالحال من الدنيا، فهو كالمملك والمال، إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته،  
وتنفيذ أوامره ألحقه بالملوك العادلين البررة، وإلا فهو وبال على صاحبه، ومبعد له عن الله،  
وملحق له بالملوك الظلمة، والأغنياء الفجرة))<sup>(١)</sup>.

---

(١) مدارج السالكين ( ٩٠/١ - ٩٤ )، ففي هذه المسألة قد سبقه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله  
في تقسيم الناس في العبادة والاستعانة إلى أربعة أقسام. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية  
(١٤/١٠-١٢، ٣٦).

## المبحث الثالث عشر:

﴿ أقسام الناس بالنسبة للإخلاص والمتابعة ﴾

العبادة لا تقبل من فاعلها إلا إذا توفر فيها شرطان أصليان عظيمان:  
أحدهما: الإخلاص للمعبود.  
وثانيهما: متابعة الرسول ﷺ.

فإن عدم أحدهما فلن تقبل من فاعلها، بل يكون من الخاسرين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾<sup>(١)</sup>.

هذا وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على هذين الشرطين.

### من أدلة الشرط الأول في الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

(١) سورة الكهف، آيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٢) سورة البينة، من آية: ٥.

(٣) سورة الزمر، آية: ٢.

(٤) سورة الزمر، آية: ١١.

(٥) سورة الزمر، آية: ١٤.

(٦) سورة غافر، آية: ١٤.

أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ... ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٢﴾.

### ومن أدلة الشرط الأول في السنة:

ما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ )) ﴿٣﴾.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ )) ﴿٤﴾ وغيرها من النصوص الدالة على وجوب تجريد وإخلاص العبادة لله وحده تبارك وتعالى.

### ومن أدلة الشرط الثاني في الكتاب:

قوله تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ ﴿٥﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦﴾، وقوله تعالى: ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾.

(١) سورة النساء، من آية: ٤٨.

(٢) سورة المائدة، من آية: ٧٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج ١)، ومسلم في صحيحه (ح ١٥٥ - ١٩٠٧)، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (ح ٤٦ - ٢٩٨٥).

(٥) سورة الحشر، من آية: ٧.

(٦) سورة آل عمران، آيتان: ٣١، ٣٢.

(٧) سورة النور، من آية: ٦٣.

## ومن أدلة الشرط الثاني في السنة:

ما روي في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ ))<sup>(١)</sup>، وفي رواية لمسلم: (( مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ))<sup>(٢)</sup>، وما روي عن العرياض بن سارية<sup>(٣)</sup> - والحديث طويل - وفيه: (( فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ))<sup>(٤)</sup>، وغيرها من النصوص الدالة على وجوب المتابعة.

-وأما الأدلة على ذلك من كلام السلف الصالح فإنهم قد أوضحوا معنى شرطي قبول الأعمال.

قال ابن القيم رحمه الله (( قال الفضيل بن عياض<sup>(٥)</sup>: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا.

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه (ح ١٧١٨-١٧) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح ١٧١٨-١٨).

(٣) العرياض بن سارية، أبو نجیح، من أعيان أهل الصُّفَّة، سكن حمص، وروى أحاديث، توفي سنة خمس وسبعين. [ انظر سير أعلام النبلاء، ٤١٩/٣-٤٢٢ ].

(٤) رواه أحمد في المسند (١٢٦/٤)، والترمذي في السنن (ح ٢٦٧٦)، وأبو داود في السنن (ح ٤٦٠٧)، وابن ماجه في السنن (ح ٤٢)، وصحح إسناده العلامة الألباني في المشكاة (ح ١٦٥)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في سير أعلام النبلاء (٤٢٠/٣).

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي، الإمام القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، التميمي، اليربوعي الخرساني، المجلور بحرم الله، وُلد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم وهو كبير، ثم تعبد وانتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات بها في أوّل سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون الرشيد. [ يراجع: سير أعلام النبلاء، ٤٢١/٨-٤٤٨ ].

والخالص: ما كان لله، والصواب ما كان على السنة<sup>(١)</sup>، وهذا هو المذكور في قوله تعالى:

﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وفي

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...﴾<sup>(٣)</sup> فلا يقبل الله من العمل إلا

ما كان خالصا لوجهه، على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يُرد عليه - أحوج ما هو إليه - هباء منثورا.

وفي الصحيح من حديث عائشة عن النبي ﷺ: (( كل عمل ليس عليه أمرنا فهو

رد ))<sup>(٤)</sup> وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدا، فإن الله تعالى إنما يُعبد بأمره، لا بالآراء والأهواء<sup>(٥)</sup>.

ثم أوضح ابن القيم رحمه الله أقسام الناس بحسب هذين الأصلين فقال: (( والناس

منقسمون بحسب هذين الأصلين ... إلى أربعة أقسام:

أحدها: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة.

وهم أهل ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ حقيقة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله،

ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده، لا

يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة،

والمنزلة في قلوبهم، ولا هربا من ذمهم.

بل قد عَدُّوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة

ولا نشورا.

(١) انظر الحلية (٩٥/٨).

(٢) سورة الكهف، من آية: ١١٠.

(٣) سورة النساء، من آية: ١٢٥.

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

(٥) مدارج السالكين (٩٥/١ - ٩٦).

فالعامل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجائهم للضر والنفع منهم: لا يكون من عارف بهم البتة، بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه.

فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه، وحبه وبغضه.

ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس أثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها عبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه.

وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾<sup>(١)</sup> وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملاً...

### الضرب الثاني<sup>(٢)</sup>: من لا إخلاص له ولا متابعة.

فليس عمله موافقا لشرع، وليس هو خالصا للمعبود، كأعمال المتزينين للناس، المرادين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله.

وهؤلاء شرار الخلق، وأمقتهم إلى الله عز وجل، ولهم أوفر نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحْمَدُونَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَانِرٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمداوا باتباع السنة والإخلاص.

(١) سورة الملك، من آية: ٢.

(٢) هكذا عبر ابن القيم رحمه الله بكلمة الضرب الثاني مقابل كلمة أحدهما في الصفحة السابقة.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٨.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف - من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة - عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات، والرياء والسمعة ويجبون أن يحمدا بما لم يفعلوه من الإتياع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

**الضرب الثالث:** من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة الأمر.

كجهال العباد، والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عبد الله بغير أمره، واعتقد عبادته هذه قربة إلى الله فهذا حاله.

كمن يظن أنّ سماع المكاء والتصدية قربة، وأنّ الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأنّ مواصلة صوم النهار بالليل قربة، وأنّ صيام يوم فطر الناس كلهم قربة، وأمثال ذلك.

**الضرب الرابع:** من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله.

كطاعة المرئيين، وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة، فلا تقبل.

﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴾<sup>(١)</sup> فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما

أمر، والإخلاص له في العبادة، وهم أهل ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٢)</sup> ((٣)).

[ مسألة ]

قال ابن القيم رحمه الله: ((فإن قيل: فقد بان بهذا أنّ العمل لغير الله مردود غير مقبول، والعمل لله وحده مقبول، فبقي قسم آخر: وهو أن يعمل العمل لله ولغيره، فلا يكون لله محضاً، ولا للناس محضاً، فما حكم هذا القسم؟ هل يبطل العمل كله أم يبطل ما كان لغير الله، ويصح ما كان لله؟

قيل: هذا القسم تحته أنواع ثلاثة:

(١) سورة البينة، من آية: ٥.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٣) مدارج السالكين (١/٩٥-٩٧).



أحدها: أن يكون الباعث الأوّل على العمل هو الإخلاص، ثمّ يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثناءه، فهذا المعوّل فيه على الباعث الأوّل ما لم يفسخ بإرادة جازمة لغير الله، فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها، أعني قطع<sup>(١)</sup> استصحاب حكمها.

الثاني: عكس هذا، وهو أن يكون الباعث الأوّل لغير الله، ثمّ يعرض له قلب النية لله، فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته، ثمّ كانت العبادة لا يصح آخرها إلاّ بصحة أوّلها وجبت الإعادة، كالصلاة، وإلاّ لم تجب، كمن أحرم لغير الله ثمّ قلب نيته لله عند الوقوف والطواف.

الثالث: أن يتدنّها مريدًا بها الله والناس، فيريد أداء فرضه والجزاء والشكور من الناس، وهذا كمن يصلي بالأجرة، فهو لو لم يأخذ الأجرة صلى، ولكنه يصلي لله وللأجرة، وكمن يحج ليسقط الفرض عنه ويقال فلان حج، أو يعطي الزكاة كذلك، فهذا لا يقبل منه العمل.

وإن كانت النية شرطًا في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة، فإن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدّم عند عدمه.

فإنّ الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود، ولم يؤمر إلاّ بهذا، وإذا كان هذا المأمور به فلم يأت به بقي في عهدة الأمر، وقد دلت السنة الصريحة على ذلك كما في قوله ﷺ: (( يقول الله ﷻ يوم القيامة: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو كله للذي أشرك به ))<sup>(٢)</sup> وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا<sup>(٣)</sup>﴾<sup>(٤)</sup>.

ثمّ بين رحمه الله المقبول من العمل، فقال: (( والمقبول من العمل قسمان:

(١) في الأصل: (( قطع ترك استصحاب حكمها ))، والصواب حذف كلمة: ترك.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) سورة الكهف، من آية: ١١٠.

(٤) إعلام الموقعين، (٢/١٥٩-١٦٠).

أحدهما: أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله ﷻ، ذاكر لله ﷻ على الدوام، فأعمال هذا العبد تُعرض على الله ﷻ حتى تقف قبالته، فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية، وقد صدرت عن قلب سليم مخلص محباً لله ﷻ متقرب إليه، أحبها ورضيها وقبّلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة، وينوى بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله ﷻ، لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز، فيثيبه على ما كان له منها، ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها.

فهذا قبوله بهذا العمل: إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والخور العين.

وإثابة الأوّل رضي العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله، وتقريه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون والأوّل لون<sup>(١)</sup>.

### [ مفهوم الإخلاص وتعريفه ]

ثم بين ابن القيم رحمه الله مفهوم الإخلاص وتعريفه لأنّ الأمة في أمس الحاجة إلى معرفته.

فقال رحمه الله: (( وقد تنوعت عبارتهم في ( الإخلاص ) و ( الصدق ) والقصد واحد.

فقيل: هو أفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.

وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسه، و ( الصدق ) التنقي من مطالعة النفس،

المخلص لا رياء له، والصدق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا

بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر.

(١) الوابل الصيب لابن القيم ( ص ٣٩-٤٠ ).

وقيل: من شهد في إخلاصه الإخلاص، احتاج إخلاصه إلى إخلاص، فنقصان كل مخلص في إخلاصه: بقدر رؤية إخلاصه، فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص، صار مخلصاً مُخلصاً. وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء: أن يكون ظاهره خيراً من باطنه، والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره. وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما<sup>(١)</sup>.

قال الجنيد<sup>(٢)</sup>: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

وقيل لسهل<sup>(٣)</sup>: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب.

وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.

وقال مكحول<sup>(٤)</sup>: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

(١) أورده أبو نعيم الأصبهاني في الحلية ( ٩٥/٨ )، والذهبي في سير أعلام النبلاء ( ٤٢٧/٨ ).

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، والده الخزّار [ والخزّر: كسر العين بصركها خِلْقَةٌ، أو ضيقها وصغرُها، أو النظر كأنه في أحد الشَّقَّين، أو أن يفتح عينيه ويُغْمَضَهُمَا، أو حَوْلُ إِحْدَى الْعُيُونِ ]، هو شيخ الصوفية، وُلِدَ سنة نيف وعشرين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائتين. [ ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٤/٦٦-٧٧ ].

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد التسري، الصوفي الزاهد، ومن كلامه: (( لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه ))، وموته في المحرم سنة ثلاث ومائتين ومائتين، ويقال: عاش ثمانين سنة أو أكثر. [ راجع: سير أعلام النبلاء، ١٣/٣٣٣-٣٣٣ ].

(٤) مكحول الأزدي البصري، أبو عبد الله، فروي عن ابن عمر وأنس، وعنه عمارة بن زاذان وغيره، ومن أقواله: (( لأن أقدم فتضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أليّ القضاء، ولأن أليّ القضاء أحبّ إليّ من أن أليّ بيت المال ))، ومرة أقبل يزيد بن عبد الملك ( الخليفة الأموي ) إلى

وقال يوسف بن الحسين<sup>(١)</sup>: أعز شيء في الدنيا: الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه يثبت على لون آخر.

وقال أبو سليمان الداراني<sup>(٢)</sup>: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس والرياء<sup>(٣)</sup>.

### [ ثمرة الإخلاص ]

ثم أوضح رحمه الله ثمرة الإخلاص التام لله وحده لا شريك له، فقال: (( ثمرة الإخلاص التام لله وحده ترك الشهوات لله، وإن أنجى من عذاب الله، وأوجب الفوز برحمته، فذخائر الله، وكنوز البر، ولذة الأنس والشوق إليه، والفرح والابتهاج به، لا تحصل في قلب فيه غيره، وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم، فإن الله سبحانه أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه وهمته متعلقة بغيره وإنما يودع ذخائره في قلب يرى الفقر غنى مع الله، والغنى فقراً دون الله، والعزّ ذلاًّ دونه، والذلّ عزاً معه، والنعيم عذاباً دونه، والعذاب نعيماً معه.

وبالجملة: فلا يرى الحياة إلاّ به ومعها، والموت والألم والهم والغم والحزن إذا لم يكن معه، فهذا له جنتان: جنة في الدنيا معجلة، وجنة يوم القيامة<sup>(٤)</sup>.

مكحول في أصحابه فلما رأوه هموا بالتوسعة له، فقال مكحول: دعوه يجلس حيث أدرك يتعلم التواضع. [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٦٠/٥-١٦٤]، وأما تاريخ وفاته فلم أجد من يذكره في كتب التراجم والله أعلم.

(١) يوسف بن الحسين الرازي، الإمام العارف، شيخ الصوفية، أبو يعقوب، أكثر الترحال، مات سنة أربع وثلاثمائة. [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٢٤٨/١٤-٢٥١].

(٢) أبو سليمان الداراني، زاهد العصر، عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية، وقيل: ابن عسكر العنسي الداراني، وُلد في حدود الأربعين ومائة، ومن أقواله: (( من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه، وقلت وساوسه في صلاته ))، توفي سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: خمس ومائتين. [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٨٢/١٠-١٨٦].

(٣) مدارج السالكين (٩٥/٢-٩٦).

المبحث الرابع عشر:

﴿ حقوق الله على عباده ﴾

الحقوق ثلاثة أنواع: نوع خاص لله ﷻ، ونوع خاص للرسول ﷺ، ونوع مشترك بين الله وبين رسوله الأمين ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَمَرْنَا سَلْطَانَكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾<sup>(١)</sup> فبدأ بالحق المشترك وهو الإيمان، ثم ثنى بحق الرسول الكريم ﷺ في التعزيز والتوقير، ثم ثلث بحقه هو سبحانه في التسبيح بالغدوة والعشي<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

ولعبده حق هـ حقان	الله حق لا يكون لغيره
من غير تمييز ولا فرقان <sup>(٣)</sup>	لا تجعلوا الحقيقين حقا واحدا
	ثم قال رحمه الله:
يختص بل حقان مشتركان <sup>(٤)</sup>	والحب والإيمان والتصديق لا
	وبيان ذلك كما يلي:

النوع الأول: حقوق الله تعالى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى.

إن المسلم يعتقد اعتقادا جازما أنه ما وجد في هذه الحياة إلا لعبادة الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(٥)</sup>، وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (( يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ )) قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (( أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا

(١) سورة الفتح، آيتان، ٨، ٩.

(٢) يراجع تفسير القرطبي ( ٢٦٥/١٦ ).

(٣) متن القصيدة النونية لابن القيم ( ص ٢٤٩ ).

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟)) قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (( أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ ))<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله مفسراً هذه الآية: (( فأخبر سبحانه أنّ الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته التي أصلها كمال محبته، وهو سبحانه كما يحب أن يعبد، يحب أن يحمد ويشتم عليه ويذكر بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ))<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن القيم رحمه الله بعض حقوق الله الخاصة في قصيدته النونية ونصه:

فالحج للرحمن دون رسوله	وكذا الصلاة وذبح ذا القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا	وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والإنابة والتقسي	وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به	إياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسـره	دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير	والتـهليل حق إلـهنا الديان <sup>(٣)</sup>

ويقول الشيخ محمد بن الموصلي مختصراً كلام ابن القيم رحمه الله: (( ومما يوضح الأمر أنّ من حق الله على عبده أن يرضى به ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. وهذا الرضى يقتضي رضاه بربوبيته له في كل ما يقتضيه ويقدره عليه في عطائه له ومنعه، وفي قبضه وبسطه.

ورضاه بالإسلام ديناً: يوجب عليه رضاه به وعنه في كل ما يأمره به وينهاه عنه، ويحبه منه ويكرهه له، فلا يكون في صدره من ذلك حرج بوجه ما.

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٧٣٧٣)، ومسلم في صحيحه (ح:

٤٨-٣٠)، واللفظ للبخاري، وانظر مفتاح دار السعادة (٥/٣).

(٢) طريق المهجرتين وباب السعادتين، (دار الوطن للنشر والتوزيع، ص ٢٣٩).

(٣) متن القصيدة النونية (ص ٢٤٩).

ورضاه بمحمد رسولاً: يوجب أن يرضي بحكمه له وعليه؛ وأن يسلم لذلك وينقاد له ولا يقدم عليه غيره، وهذا يوجب أن يكون حبه كله لله، وبغضه كله لله، وعطاؤه لله ومنعه لله، وفعله لله، وتركه لله ((<sup>(١)</sup>).

وأنواع العبادة كثيرة منها: الحج والصلاة والنسك والسجود والنذر والحلف والتوبة من المعاصي والتوكل والإنابة والتقوى والرجاء والخشية والاستعانة والتسبيح والتهليل والتكبير، فهذه حقوق الله التي لا تنبغي لأحد سواه تبارك وتعالى.

### النوع الثاني: الحقوق التي يختص بها الرسول ﷺ.

منها: تعزيره ونصره وتوقيره وإجلاله واحترامه لقوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتَعَزِّمُوا وَتُوقِرُوهُ...﴾ <sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

لكنما التعزير والتوقير حقوق للرسول بمقتضى القرآن <sup>(٣)</sup>

ومنها: ألا نقدم على قول الرسول ﷺ قول أحد من الناس، بل قوله عندنا هو الميزان الذي توزن به سائر الأقوال، فإذا قال غيره قولاً لم نبادر إلى قبوله أو رفضه حتى نرده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا وافقهما وحكهما تلقيناهما بالقبول والتقدير، وشكرنا لقائله إصابته للكتاب والسنة، وإذا خالف رددناه على صاحبه وضربنا به وجهه كائناً من كان، وكانت مخالفته دليلاً على نقصه وفساد رأيه.

وأما ما أشكل علينا أمره من كلام الناس ولم ندر إن كان موافقاً لقول الله أو قول رسوله ﷺ أو مخالفاً، توقفنا فيه، فلا نقبله ولا نرفضه، ولا نجزم بصحته ولا بخطئه حيث أعوزنا الدليل.

(١) مختصر الصواعق المرسله (ص ٢٥١).

(٢) سورة الفتح، من آية: ٩.

(٣) متن القصيدة التونسية (ص ٢٤٩).



هذا هو المنهج القويم الذي يجب أن يسير عليه كل طالب للحق، وهو الذي ندين الله به في كل وقت وخين، فهو صلوات الله وسلامه عليه المطاع الذي فرض الله علينا طاعته، وأمره عندنا مقدم على كل أمر.

يقول ابن القيم رحمه الله:

ورسوله فهو المطاع وقوله المــــ	ــــقبول إذ هو صاحب البرهان
والأمر منه الحتم لا تخيير فيــــ	ــــه عند ذي عقل وذو إيمان
من قال قولاً غيره قمنا على	أقواله بالسبر والميزان
إن وافقت قول الرسول وحكمه	فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هــــذا رددناه على	من قالها من كان من إنسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم	نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا	وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالي على	أمر الورى وأوامر السنطان <sup>(١)</sup>

ومنها: إنه ﷺ المقدم عندنا في المحبة على كل ما تحبه النفس من الأهلين والأزواج والأولاد، فلا يكمل إيمان أحد حتى يكون هو أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين. بل لا يكمل إيمان أحد حتى يكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (( لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك )) فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: (( الآن يا عمر ))<sup>(٢)</sup>.

(١) متن القصيدة التونية ( ص ٢٥٠ ).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٦٦٣٢ )، وأحمد في المسند ( ٣٣٦/٤ )، واللفظ للبخاري.

يقول ابن القيم رحمه الله:

وهو المقدم في محبتنا على \_\_\_\_\_ أهلين والأزواج والولدان  
وعلى العباد جميعهم حتى على اللذ \_\_\_\_\_ فس التي قد ضمها الجنان<sup>(١)</sup>

النوع الثالث: الحقوق المشتركة بين الله عز وجل وبين رسوله ﷺ وهي المحبة والإيمان والتصديق.

يقول ابن القيم رحمه الله:

والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان<sup>(٢)</sup>

أما المحبة فلقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَبْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ: (( ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما... ))<sup>(٤)</sup>.

وأما الإيمان فلقوله تعالى: ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنقَضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ... ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم (ص ٢٥٠).

(٢) القصيدة النونية (ص ٢٤٩).

(٣) سورة التوبة، من آية: ٢٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج ٢١)، ومسلم في صحيحه (ح ٦٧-

٤٣).

(٥) سورة الحديد، من آية: ٧.

(٦) سورة الفتح، آية: ١٣.

وَأَمَّا التصديق فلقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾<sup>(١)</sup>.

فهذه هي تفاصيل الحقوق الثابتة لله ولرسوله: حقان مختصان، وحق مشترك، فلا ينبغي لأحد أن يجهلها، ولا يخلط بعضها ببعض، وأن لا يجعل المختص منها مشتركاً، فحق الإله أن نعبد، ولا نشرك به أحداً.

قال ابن القيم رحمه الله:

هذه تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلونها يا أولي العدوان<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأحزاب، من آية: ٢٢.

(٢) متن القصيدة التونية (ص ٢٤٩).

المبحث الخامس عشر:

﴿ جزاء المخلص بتوحيده وعبادته ﴾

ذكر ابن القيم رحمه الله أنّ العبد إذا خلصت نيته لله تعالى وكان قصده وهمّه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه، فإنّه سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون<sup>(١)</sup>.

ثم أوضح أنّ رأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق فقال: (( ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق، والله سبحانه لا غالب له، فمن كان معه، فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان الله مع العبد فمن يخاف؟<sup>(٢)</sup> وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ ومن يثق؟ ومن ينصره من بعده؟

فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه بالله والله لم يقم له شيء، ولو كادته السماوات والأرض والجبال لكفاه الله مؤونتها، وجعل له فرجا ومخرجا<sup>(٣)</sup>.

وإنما يؤتي العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة<sup>(٤)</sup>، أو في اثنين منها، أو في واحد، فمن كان قيامه في باطل لم يُنصر، وإن نصر نصراً عارضاً فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول<sup>(٥)</sup>.

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل، آية: ١٢٨].

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٤٠].

(٣) ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق، من الآيتين: ٣، ٤٢].

(٤) الأمور الثلاثة هي: الإخلاص والمتابعة والتوكل.

(٥) ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ شِمْلَةِ الرَّجْلِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ...﴾ [سورة الرعد، من آية: ١٧].

وإن قام في حق لكن لم يقيم فيه الله، وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق، أو التوصل إلى غرض دنيوي، كان هو المقصود أولاً، والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تضمن له النصر، فإن الله إنما ضمن النصر لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه، فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين، وإن نُصر فبحسب ما معه من الحق، فإن الله لا ينصر إلا الحق، وإذا كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما معهم من الصبر، والصبر منصور أبدأ، فإن كان صاحبه محققاً كان منصوراً له العاقبة، وإن كان مُبطلًا لم يكن له عاقبة.

وإذا قام العبد في الحق لله ولكن قام بنفسه وقوته، ولم يقيم بالله مستعيناً به متوكلاً عليه مفوضاً إليه يربياً من الحول والقوة إلا به قله من الخذلان وضعف النصر بحسب ما قام به من ذلك.

ونكتة المسألة: أن تجريد التوحيد<sup>(١)</sup> في أمر الله لا يقوم له شيء البتة، وصاحبه مؤيد منصور ولو توالى عليه زمر الأعداء<sup>(٢)</sup>.

بعد أن ذكرت بعض كلام ابن القيم رحمه الله في توضيح عاقبة الإخلاص والصبر والمجاهدة في العمل المتواصل أذكر هنا أقواله في جزاء المخلص في دنياه وآخرته.

فقال ابن القيم رحمه الله: (( فصل: جزاء المخلص في دنياه وآخرته.

وقوله<sup>(٣)</sup>: (( فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته )) يريد به تعظيم جزاء المخلص، وأنه رزق عاجل إما للقلب أو للبدن أو هما.

(١) أي الاستعانة والتوكل.

(٢) إعلام الموقعين ( ١٥٢/٢ - ١٥٧ ).

(٣) أي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا الكلام جزء من رسالته التي كتبها عمر

إلى أبي موسى الأشعري، ومطلعها: (( أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة... ))،

وقال ابن القيم رحمه الله: (( وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم

والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه ولي تأمله والتفقه فيه )) [إعلام الموقعين،

١/٩٢-٩٣]، والرسالة أوردها الدار قطني في السنن ( ٢٠٦/٤ - ٢٠٧ )، والبيهقي في السنن

ورحمته مدخرة في خزائنه، فإنَّ الله سبحانه يجزي العبد على ما عمل من خير في الدنيا ولا بد، ثمَّ في الآخرة يوفيه أجره، كما قال تعالى: ﴿... وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾<sup>(١)</sup>.

فما يحصل في الدنيا من الجزاء على الأعمال الصالحة ليس جزاء توفية، وإن كان نوعاً آخر، كما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿... وَءَاثِنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿... وَءَاثِنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فأخبر سبحانه أنه آتى خليله أجره في الدنيا من النعم التي أنعم بها عليه في نفسه وقلبه وولده وماله وحياته الطيبة.

ولكن ليس ذلك أجر توفية، وقد دلَّ القرآن في غير موضع على أنَّ لكل من عمل خيراً أجرين: عمله في الدنيا ويكمل له أجره في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿... لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَامُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَامُ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي الآية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال في هذه السورة: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(١٠/١٥٠)، وابن حجر في الدراية (١٧١/٢)، رقم ٨٢٩)، والزيلعي في نصب الراية

(٤/٨١-٨٢)، وابن حزم في المحلى، بتحقيق أحمد شاكر (١/٥٨-٥٩).

(١) سورة آل عمران، من آية: ١٨٥.

(٢) سورة العنكبوت، من آية: ٢٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٢.

(٤) سورة النحل، من آية: ٣٠.

(٥) سورة النحل، آية: ٤١.

فَلنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾، وقال فيها عن خليفته: ﴿وَأَيُّنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

فقد تكرر هذا المعنى في هذه السورة دون غيرها في أربعة مواضع لسرِّ بديع، فإنها سورة النعم التي عدد الله سبحانه فيها أصول النعم وفروعها، فعرف عباده أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعاف هذه بما لا يدرك تفاوته، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعماً أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تمام التوفية.

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا مِنِّي لَأَغْفِرَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَجْعَلَ لَهُمْ خَيْرًا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)، فلماذا قال أمير المؤمنين (٤): ((فما ظنك بشواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام)) (٥).

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٢.

(٣) سورة هود، من آية: ٤.

(٤) أي عمر بن الخطاب ؓ.

(٥) إعلام الموقعين (٢/١٦٠-١٦١).



# الفصل الثاني:

## ﴿ العبادة ﴾

المبحث الأول:

﴿ لفظ العبودية في القرآن ﴾

المطلب الأول:

﴿ تعريف العبادة في إصطلاح السلف ﴾

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف العبادة، منها قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: (( العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ))<sup>(١)</sup>.  
فيدخل تحت هذا التعريف أمور كثيرة:

- من الأعمال الظاهرة: كالصلاة والزكاة والحج والصوم والصدقة والإحسان وبر الوالدين وصلة الأرحام وإمارة الأذى عن الطريق وغيرها.

- ومن الأعمال الباطنة: كالخوف والرجاء والمحبة وإخلاص النية وغيرها.

وقيل: (( عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف ))<sup>(٢)</sup>، لأنَّ الحب الكامل مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد هو الذي ذلَّه الحب والخضوع لمحبهه، فطاعة العبد لربه تكون بحسب محبته وذلّه له.  
وقيل: (( هي طاعته بفعل المأمور وترك المحذور ))<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حبان: (( عبادة الله: إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح ))<sup>(٤)</sup>.

ولعل الأصل في اختلاف العبارات بين السلف في تعريف العبادة يرجع إلى شيئين اثنين هما: أنَّ العبادة تطلق مصدرا وتعني بها التعبد بمعنى فعل العابد، وتطلق اسما وتعني به المتعبد به<sup>(٥)</sup>.

وبين ابن القيم رحمه الله هذا المعنى فقال: (( فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب<sup>(٦)</sup> والتوبة والنذر والخلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدًا والطواف بالبيت والدعاء، كل ذلك محض حق الله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل ))<sup>(٧)</sup>.

ويبين ابن القيم رحمه الله أهمية هذا التوحيد وعظم الحاجة إليه فيقول: (( اعلم أنَّ حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الخلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به فإنَّ حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلاَّ بإلهها الذي لا إله إلاَّ هو، فلا تظمن الدنيا إلاَّ بذكره، وهي كادحة إليه كدحا فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلاَّ بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها ))<sup>(٨)</sup>.

(١) العبودية لابن تيمية (ص ٣٨)، وانظر تفسير العزيز الحميد (ص ٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧/١).

(٣) المصدر السابق (٢٣٨/٤).

(٤) الفتح الباري (٣٤٧/١١)، نرى أن تعريف العبادة عند ابن حبان هي عين تعريف الإيمان عند السلف.

(٥) انظر ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تعريف التدمورية (ص ١٢٩).

(٦) التحسب: احتسبَ بكذا أجراً عند الله: اعتدَّه يُتوي به وَجْهَ الله. [ القاموس المحيط، مادة حسب، ص ٩٥ ].

(٧) الجواب الكافي لابن القيم (ص ١٩٩-٢٠٠).

(٨) طريق المعترتين وباب السعادتين لابن القيم (ص ٥٧-٥٨).

المطلب الثاني:

﴿ مفهوم العبودية في القرآن الكريم ﴾

أوضح ابن القيم رحمه الله مفهوم العبودية في القرآن الكريم بقوله: (( والله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه، وأقربهم إليه قال: ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ<sup>(١)</sup> الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُ إِلَىٰ جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَكَهْ يَسْجُدُونَ<sup>(٣)</sup>﴾.

وهذا يبين أن الوقف التام في قوله في سورة الأنبياء: ﴿وَكَمْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ههنا، ثم يتدنى ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ<sup>(٤)</sup>﴾ فهما جملتان تامتان مستقلتان، أي إن له من في السماوات والأرض عبيدًا وملكًا.

ثم استأنف جملة أخرى فقال: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ...﴾ يعني أن الملائكة الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته يعني لا يأنفون عنها، ولا يتعاضمون ولا يستحسرون، فيعيون وينقطعون - يقال: حَسَرَ واستحسر إذا تعب وأعبأ - بل عبادتهم وتسيبهم كالنفس لبني آدم.

فالأول: وصف لعبيد ربوبيته.

والثاني: وصف لعبيد إلهيته.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾<sup>(٥)</sup> إلى آخر السورة،

(١) أي لن يستكبر. [ انظر تفسير ابن كثير، ٦٠٥/١ ] .

(٢) سورة النساء، آية: ١٧٢ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦ .

(٤) سورة الأنبياء، آيتان: ١٩، ٢٠ .

(٥) سورة الفرقان، من آية: ٦٣ .

وقال: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾<sup>(٤)</sup>، وقال عن سليمان: ﴿... نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال عن المسيح: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ...﴾<sup>(٦)</sup> فجعل غايته العبودية لا الإلهية، كما يقول أعداؤه النصارى<sup>(٧)</sup>.

ووصف أكرم الخلق عليه<sup>(٨)</sup>، وأعلامه عنده منزلة بالعبودية في أشرف مقاماته، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾<sup>(٩)</sup>، وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ...﴾<sup>(١٠)</sup>، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾<sup>(١١)</sup> فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه، وفي مقام التحدى بأن يأتيوا

(١) سورة الإنسان، آية: ٦.

(٢) سورة ص، من آية: ١٧.

(٣) سورة ص، من آية: ٤١.

(٤) سورة ص، من آية: ٤٥.

(٥) سورة ص، من آية: ٣٠.

(٦) سورة الزخرف، من آية: ٥٩.

(٧) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن النصارى: ﴿... وقالت النصارى المسيح ابن الله...﴾ | سورة التوبة، من آية: ٣٠ | وقال أيضا: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم...﴾ [سورة المائدة، من آية: ٧٢]. وافترق النصارى في عيسى بن مريم <sup>عليه السلام</sup> إلى ثلاث فرق، فقالت فرقة: إن الله هو المسيح بن مريم، وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: إن المسيح ابن الله، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: إن المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله، وهؤلاء المسلمون. انظر تفسير ابن كثير (٥٨٨/١).

(٨) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٩) سورة البقرة، من آية: ٢٣.

(١٠) سورة الفرقان، من آية: ١.

(١١) سورة الكهف، من آية: ١.

وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾<sup>(١)</sup> فذكره بالعبودية في مقام الدعوة إليه.

وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾<sup>(٢)</sup> فذكره بالعبودية في مقام الإسراء. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (( لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله ))<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث: (( أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد ))<sup>(٤)</sup>، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو<sup>(٥)</sup> قال: (( قرأت في التوراة صفة محمد ﷺ: محمد رسول الله، عبدي ورسولي، سميته المتوكل ليس

(١) سورة الجن، آية: ١٩.

(٢) سورة الإسراء، من آية: ١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٣٤٤٥ ).

(٤) الحديث في مجمع الزوائد ( ٢١/٩ )، وكتاب الزهد للكوبي ( ٤١١/٢ )، وتلخيص الحبير في أحاديث الرازي الكبير لابن حجر العسقلاني ( ١٢٥/٣ )، وقال الميثمي: رواه البزار وفيه حفص بن عمار الطاحي ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا. وقال ابن حجر: (( البيهقي في الشعب من طريق يحيى بن أبي كثير مرسل وهو في مصنف عبد الرزاق عن معمر بن يحيى ولفظه: أن النبي ﷺ قال: أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد، وقال البزار: نا أحمد بن المعلى الأدمي نا حفص بن عمار الطاحي نا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع عن بن عمر بلفظ: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وقال: لا تعلم يروى بإسناد متصل إلا من هذا المرحه ولا تعلم رواه إلا بن عمر ولا عن عبيد الله إلا مبارك ولا عن مبارك إلا حفص ولا يتابع عليه، قلت: وحفص فيه مقال ووصله بن شاهين في ناسخه من حديث أنس وفيه قصة ولأبي الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث جابر نحوه ومن حديث عائشة وإسنادها ضعيف ولا بن شاهين من طريق عطاء بن يسار مرسل نحوه وفي ابن أبي شيبة من حديث مجاهد مرسل أيضا ))، له كلام ابن حجر رحمه الله.

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، القرشي، السهمي، من نجباء الصحابة وعلمائهم، أسلم قبل أبيه، ولم يكن أصغر من أبيه إلا بآثني عشرة سنة، وكان واسع العلم، مجتهدا في العبادة، توفي سنة خمس وستين بمصر. [ انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ( ٣٧٣/٢ )، تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ووفيات ٦١-٨٠هـ، ص



بفظ غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر ((<sup>(١)</sup>).

وجعل الله البشارة المطلقة لعباده فقال تعالى: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾<sup>(٢)</sup>.

• • وجعل الأمن المطلق لهم فقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعزل الشيطان عن سلطانه عليهم خاصة، وجعل سلطانه على مَنْ تولاه وأشرك به فقال:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ

عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ

مُشْرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وجعل النبي ﷺ إحسان العبودية أعلى مراتب الدين، وهو الإحسان، فقال في حديث

جبريل - وقد سأله عن الإحسان - (( أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه

فإنه يراك ))<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٢١٢٥ ).

(٢) سورة الزمر، من آية: ١٧، ١٨.

(٣) سورة الزخرف، آيتان: ٦٨، ٦٩.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٢.

(٥) سورة النحل، آيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٦) الحديث جزء من حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان الإحسان وعلامة القيامة، وقد

رواه مسلم في صحيحه ( ح ٢٦١٠ ).

(٧) مدارج السالكين ( ١١٥/١ - ١١٧ )، وانظر مفتاح دار السعادة ( ١١٠/١ - ١١١ ).

المطلب الثالث:

﴿ عتبة العبودية ﴾

العبادة هي الغاية المطلوبة من الجن والإنس، وإنما خلق الله الخلق لعبادته، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن القيم رحمه الله أنّ مشهد العبودية هو الغاية التي شمر إليها السالكون، وأمّها القاصدون، ولحظ إليها العاملون.

ثمّ قال رحمه الله: (( وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق إلى لقائه، والإبتهاج به، والفرح والسرور به، فتقرُّ عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولى ذكره على لسان محبه وقلبه.

فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وإرادات التقرب إليه وإلى مرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حرّكاتها بالمعاصي. قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج لسانه بذكره، وانقادت الجوارح لطاعته، فإنّ هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه.

ويُحكى عن بعض العارفين أنّه قال: دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها، فما دخلتُ من باب إلا رأيت عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخول، حتى جئتُ باب الذل والافتقار، فإذا هو أقرب باب إليه وأوسع، ولا مزاحم فيه ولا معوق، فما هو إلا أن وضعتُ قدمي في عتبه فإذا هو - سبحانه - قد أخذ بيدي وأدخلني عليه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يقول: من أراد السعادة الأبدية، فليلتزم عتبة العبودية. وقال بعض العارفين: لا طريق أقرب إلى الله من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى<sup>(٢)</sup>، ولا ينفع مع الإعجاب والكبر عمل واجتهاد، ولا يضر مع الذل والافتقار بطالة<sup>(٣)</sup>.. يعني بعد فعل الفرائض<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦، وانظر مفتاح دار السعادة ( ١١٢/١ ).

(٢) الدعوى: وادّعى كذا: زعم أنه له حقاً أو باطلاً. [ القاموس المحيط، مادة الدعاء، ص ١٦٥٥ ].

(٣) بطالة: تعطل. [ المعجم الوحيز، مادة بطل، ص ٥٥ ].

(٤) وأساس الذل والانكسار والافتقار والعبودية: هو أداء الفرائض، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ في قوله عن ربه ﷻ: (( ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه )) الحديث رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري ) ح ٦٥٠٢، ومن زعم أنّ هناك ذلاً وانكساراً مع إضاعة الفرائض وإهمال الحقوق والواجبات فهو أضل من البهائم. [هذا الكلام للناسخ، وأنبه

والقصد: أنّ هذه الذلة والكسرة الخاصة يدخله على الله، وترميه على طريق المحبة، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق، وإن كانت طرق سائر الأعمال والطاعات تفتح للعبد أبوابا من المحبة، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والإنكسار والإفتقار وأزدياء النفس، ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم، بحيث يشاهدها ضيعة وعجزا، وتفريطا وذنبا وخطيئة: نوع آخر وفتح آخر.

والسالك بهذه الطريق غريب في الناس، وهم في وادٍ وهو في وادٍ، وهي تسمى طريق الطير، يسبق النائم فيها على فراشه الساعة، فيصبح وقد قطع الطريق وسبق الركب، بينما هو يحدثك، إذا به قد سبق الطرف وفات الساعة، فאלله المستعان، وهو خير الغافرين))<sup>(١)</sup>.

هنا للفائدة].

(١) مدارج السالكين ( ١/٤٦٣-٤٦٥ ).

المطلب الرابع:

﴿ في لزوم العبادة لكل عبد إلى الموت ﴾

في لزوم العبادة لكل عبد إلى الموت يقول ابن القيم رحمه الله: (( قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ <sup>(١)</sup>، وقال أهل النار: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّىٰ أَنَا الْيَقِينُ﴾ <sup>(٢)</sup>، واليقين ههنا: هو الموت بإجماع أهل التفسير <sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيح - في قصة موت عثمان بن مظعون <sup>(٤)</sup> - أن النبي ﷺ قال: (( أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه )) <sup>(٥)</sup> أي الموت وما فيه.

فلا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف، بل عليه في البرزخ عبودية أخرى لما يسأله الملكان: من كان يعبد؟ وما يقول في رسول الله ﷺ؟ ويلتمسان منه الجواب <sup>(٦)</sup>.

وعليه عبودية أخرى يوم القيامة، يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود فيسجد المؤمنون، ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون السجود <sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الحجر، آية: ٩٩.

(٢) سورة المدثر، آيتان: ٤٦، ٤٧.

(٣) انظر تفسير الطبري (٥٥٤/٧)، وتفسير ابن كثير (٥٨٠/٢).

(٤) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، أحد السابقين أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، وشهد بدرًا، وتوفي بعد بدر يسيرو. [ انظر تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص ١٢٦ ].

(٥) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ١٢٤٣) بلفظ: (( أما هو فقد جاءه اليقين ... )).

(٦) وذلك في قوله ﷺ: (( إذا قبر الميت، أو قال: أحدكم أتاه ملكان، أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو: عيب الله ورسوله... )) إلى آخر الحديث. [ رواه الترمذي في السنن ٣/٣٧٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح: ١٣٩١ ].

(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك، وصارت عبودية أهل الثواب تسيحاً مقروناً بأنفاسهم لا يجدون له تعباً ولا نصيباً<sup>(١)</sup>.  
ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعب<sup>(٢)</sup> فهو زنديق كافر بالله وبرسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله، والانسلاخ من دينه<sup>(٣)</sup>.  
بل كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، والواجب عليه منها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه.  
ولهذا كان الواجب على رسول الله ﷺ - بل على جميع الرسل - أعظم من الواجب على أمهم.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ [ سورة القلم، آيتان: ٤٢، ٤٣ ].

(١) ذكر البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ في صفة أول زمرة تدخل الجنة، قال في آخره: (( يسبحون الله بكرة وعشيا )).

- قال ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث: (( قال القرطبي: هذا التسيح ليس عن تكليف وإلزام، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله: (( يلهمون التسيح والتكبير كما تلهمون النفس ))، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بد منه، فجعل تنفسهم تسيحاً، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه، وامتألت بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره )) . [ صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ح ٣٢٤٦ ].

- وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا التسيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة، قال: (( هذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تنتعم به الأنفس وتلذذ به )) . [ مجموع فتاوى ابن تيمية، ٤/ ٣٣٠ ].

(٢) أي في هذه الحياة الدنيوية قبل أن يموت كما يدعي ضلال الصوفية.

(٣) وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك ( العبودية، ص ٥٠، ٦٣، ٦٤ ).

والواجب على أولي العزم<sup>(١)</sup> أعظم من الواجب على من دونهم، والواجب على أولي العلم أعظم من الواجب على من دونهم، وكل أحد بحسب مرتبته ((<sup>(٢)</sup>).

---

(١) أولو العزم من الرسل: هم محمد بن عبد الله ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٧]، وقوله تعالى: ﴿شَرَحْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وصى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...﴾ [سورة الشورى، من آية: ١٣].

(٢) مدارج السالكين (١/١١٧-١١٨).



المطلب الخامس:

﴿ العبودية لله على عبده أمر وقضاء ونعمة ﴾

قال ابن القيم رحمه الله: (( العبودية لله سبحانه على عبده أمر أمره به، وقضاء يقضيه عليه، ونعمة ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة.

والقضاء نوعان: إمّا مصائب، وإمّا معائب.

وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها، فأحب الخلق إليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفّأها حقّها، فهذا أقرب الخلق إليه.

وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب، فعطلها علماً وعملاً.

فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصاً واقتداءً برسول الله ﷺ، وفي النهاية اجتنابه خوفاً منه وإجلالاً ومحبة.

وعبوديته في القضاء والقدر الصبر عليها، ثمّ الرضا بها، وهو أعلى منه، ثمّ الشكر عليها، وهو أعلى من الرضا، وهذا إنّما يتأتى منه إذا تمكن حبّه من قلبه علماً حسن اختياره له وبرّه به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة.

وعبوديته في قضاء المعايب المبادرة إلى التوبة منها والتنصّل، والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار، عالماً بأنّه لا يرفعها عنه إلّا هو، ولا يقيه شرّها سواه، وأنّها وإن استمرت أبعدهت من قربه وطردهت من بابه، فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره، حتى إنّ ليراها أعظم من الضرّ بالبدن.

فهو عائد برضاه من سخطه، وبغفوه من عقوبته، وبه منه مستجير، وملتجئ منه إليه، يعلم إذا تخلّى عنه وخلي بينه وبين نفسه فعنده أمثالها وشرّ منها، وأنّه لا سبيل له إلى الإقلاع والتوبة إلّا بتوفيقه وإعانتة، وأنّ ذلك بيده سبحانه لا بيد العبد؛ فهو أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه أو يأتي بمرضاة سيده بدون إذنه ومشيتته وإعانتة، فهو ملتجئ إليه متضرع ذليل مسكين، ملقٍ نفسه بين يديه، طريح بيابه، مستخذله، أذل شيء وأكسره له، وأفقره وأحوجه إليه، وأرغبه فيه، وأحبه له، بدنه متصرف في أشغاله، وقلبه ساجد بين يديه، يعلم يقيناً أنّه لا خير فيه ولا له ولا به ولا منه.

وأنّ الخير كله لله وفي يديه وبه ومنه، فهو وليّ نعمته، ومبتدئه بها من غير استحقاق، ومجريها عليه مع تمقته إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته.

فحظه سبحانه الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الذم والنقص والعيب، قد استأثر بالمحامد والمدح والثناء، وولّى العبد الملامة والنقائص والعيوب، فالحمد كله له، والخير كله في يديه، والفضل كله له، والثناء كله له، والمنّة كلها له.

فمنه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودد إلى العبد بنعمه، ومن العبد التبغض إليه بمعاصيه، ومنه النصح لعبده، ومن العبد الغش له في معاملته.

وأما عبودية النعم فمعرفة والإعتراف بها أولاً، ثمّ العياد به أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه<sup>(١)</sup>، وإن كان سببا من الأسباب فهو مسببه ومقيمه، فالنعمه منه وحده بكل وجه واعتبار، ثمّ الثناء بها عليه، ومحبه عليها، وشكره بأن يستعملها في طاعته.

ومن لطائف التعبد بالنعم: أن يستكثر قليلها عليه، ويستقلّ كثير شكره عليها، ويعلم أنّها وصلت إليه من سيده من غير ثمن بذله فيها ولا وسيلة منه توسل بها إليه، ولا استحقاق منه لها، وأنّها لله في الحقيقة لا للعبد، فلا تزيده النعم إلاّ انكسارا وذلا وتواضعا ومحبة للمنعّم.

وكلّما جدد له نعمه أحدث لها عبودية ومحبة وخضوعا وذلا، وكلّما أحدث له قبضا أحدث له رضى، وكلّما أحدث ذنبا أحدث له توبة وانكسارا واعتذارا، فهذا هو العبد الكيس، والعاجز بمعزل عن ذلك.. وبالله التوفيق ((<sup>(٢)</sup>).

(١) كما فعل قارون الذي نسبها وأضافها إلى نفسه بقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيته عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي... ﴾ فأهلكه الله بالخسف. [ انظر سورة القصص من الآية: ٧٦ إلى الآية: ٨٢ ].

(٢) الفوائد لابن القيم ( ص ١٦٧ ).

المطلب السادس:

﴿ السكينة عند القيام بوظائف العبودية ﴾

قال ابن القيم رحمه الله: (( السكينة عند القيام بوظائف العبودية، هي التي تورث الخضوع والخشوع وغيض الطرف وجمعية القلب على الله تعالى بحيث يؤدي عبوديته بتقلبه وبدنه.

والخشوع نتيجة هذه السكينة وثمرتها، وخشوع الجوارح نتيجة خشوع القلب، وقد رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: (( لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ))<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله الأسباب المؤدية إلى السكينة فقال: (( سببها استيلاء مراقبة العبد لربه جل جلاله حتى كأنه يراه، وكلما اشتدت هذه المراقبة أوجبت له من الحياء والسكينة والخبية والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ما لا يحصل بدونها.

فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به، ولقد جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة، وهي قوله في الإحسان: (( أن تعبد الله كأنك تراه ))<sup>(٢)</sup> فتأمل كل مقام من مقامات الدين، وكل عمل من أعمال القلوب، كيف تجد هذا أصله ومنبعه؟

**والمقصود:** أن العبد محتاج إلى السكينة عند الوسوس المعترضة في أصل الإيمان ليثبت قلبه ولا يزيغ، وعند الوسوس والخطرات القادحة في أعمال الإيمان لئلا تقوى وتصير هموما وغموما وإرادات ينقص بها إيمانه.

وعند أسباب المخاوف على اختلافها ليثبت قلبه ويسكن جأشه، وعند أسباب الفرح لئلا يطمح به مركبه فيجاوز الحد الذي لا يُعبر فينقلب ترحاً وحرناً.

(١) الحديث عزاه جلال الدين السيوطي في الدر المنثور للحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي هريرة رضي الله عنه. [ الدر المنثور، ٤-٣/٥ ].

- وقال الحافظ العراقي في تخریج الإحياء المسمى (( بالمغني عن حمل الأسفار )) بعد أن عزاه لنحكيمة في النوادر: (( بسند ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب، رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفيه رجل لم يسم )) . [ الإحياء للغزالي، ٢٠١/١ ].

(٢) تقدم تخریجه قريباً.

وكم ممن أنعم الله عليه بما يفرحه فجمع به مركب الفرج وتجاوز الحد فانقلب ترحا عاجلا! ولو أعين بسكينة تعدل فرحه لأريد به الخير، وبالله التوفيق.

وعند هجوم الأسباب المولمة على اختلافها الظاهرة والباطنة، فما أحوجه إلى السكينة حينئذ، وما أنفعها له، وأجداها عليه، وأحسن عاقبتها!

والسكينة في هذه المواطن علامة على الظفر، وحصول المحبوب، واندفاع المكروه، وفقدتها علامة على ضد ذلك، لا يخطئ هذا ولا هذا، والله المستعان ((<sup>(١)</sup>).

---

(١) إعلام الموقعين ( ٤ / ١٧٨ - ١٧٩ ) .

المطلب السابع:

﴿ آثار الأسماء والصفات في العبودية ﴾

قال ابن القيم رحمه الله: (( والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية، والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعنى من موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها.

وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح:-

- فعلمُ العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة: تثمر له عبودية التوكل عليه باطنا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا.

- وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: تثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقباح.

- ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبرّه وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

- وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه: تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

- وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى: يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها.

فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها، لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم، ولا تشينه معصيتهم.

وتأمل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح الذي يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (( يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ))<sup>(١)</sup>، ذكر هذا عقب قوله: (( يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا،

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه (ح ٢٥٧٧)، وهو حديث قدسي طويل عن أبي ذر رضي الله



فاستغفروني أغفر لكم))؛ فتضمن ذلك أنّ ما يفعله تعالى بهم في غفران زلاتهم وإجابة دعواتهم وتفريج كرباتهم ليس لجلب منفعة منهم، ولا لدفع مضرة يتوقعها منهم؛ كما هو عادة المخلوق الذي ينفع غيره ليكافئه بنفع مثله، أو ليدفع عنه ضررا.

فالرب تعالى لم يحسن إلى عباده ليكافئوه، ولا ليدفعوا عنه ضررا، فقال: (( لن تبلغوا نفعي فتنفَعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني ))، إني لستُ إذ هديتُ مستهديكم، وأطعمتُ مستطعمكم وكسوتُ مستكسيكم، وأوريتُ مستقيكم، وكفيتُ مستكفيكم، وغفرتُ لمستغفركم: بالذي أطلب منكم أن تنفَعوني، أو تدفعوا عني ضررا، فإنكم لن تبلغوا ذلك وأنا الغني الحميد؛ كيف والخلق عاجزون عمّا يقدرّون عليه من الأفعال إلّا بإقداره وتيسيره وحلقه؟ فكيف بما لا يقدرّون عليه؟ فكيف يبلغون نفع الغني الصمد الذي يمتنع في حقّه أن يستجلب من غيره نفعاً أو يستدفع منه ضرراً؟ بل ذلك مستحيل في حقّه! ثم ذكر بعد هذا قوله: (( يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، ولو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ))<sup>(١)</sup>.

فبين سبحانه أنّ ما أمرهم به من الطاعات، وما نهاهم عنه من السيئات لا يتضمن استجلاب نفعهم، ولا استدفاع ضررهم؛ كأمر السيّد عبده، والوالدِ ولده، والإمام رعيته، بما ينفع الأمر والمأمور، ونهيهما عما يضر الناهي والمنهي.

فبين تعالى أنّه المنزه عن لحوق نفعهم وضررهم به في إحسانه إليهم بما يفعله بهم، وبما يأمرهم به.

ولهذا لما ذكر الأصليين بعد هذا، وأنّ تقواهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لا يزيد في ملكه شيئا ولا ينقصه، وأنّ نسبة ما يسألونه كلهم إياه فيعطيههم إلى ما عنده كلا نسبة؛ فتضمن ذلك أنّه لم يأمرهم ولم يحسن إليهم بإجابة الدعوات، وغفران الزلات وتفريج

(١) جزء من الحديث الذي ذكر تخريجه قريبا.

الكربات لاستجلاب المنفعة، ولا لاستدفاع المضرة، وأنهم لو أطاعوه كلهم لم يزيدوا في ملكه شيئاً، ولو عصوه كلهم لم ينقصوا من ملكه شيئاً، وأنه الغني الحميد.

ومن كان هكذا فإنه لا يتزين بطاعة عباده، ولا تشينه معاصيهم، ولكن له من الحكيم البوالغ في تكليف عباده وأمرهم ونهيهم ما يقتضيه ملكه التام، وحمده وحكمته، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يستوجب من عباده شكر نعمه التي لا تحصى، بحسب قواهم وطاقتهم، لا بحسب ما ينبغي له فإنه أعظم وأجل من أن يُقدر خلقه عليه، ولكنه سبحانه يرضى من عباده بما تسمح به طبائعهم وقواهم، فلا شيء أحسن في العقول والفطر من شكر المنعم، ولا أنفع للعبد منه.

فهذان مسلكان آخران في حسن التكليف والأمر والنهي:

أحدهما: يتعلق بذاته وصفاته، وأنه أهل لذلك، وأن جماله تعالى وكمالته وأسمائه وصفاته تقتضي من عباده غاية الحب والذل والطاعة.

والثاني: متعلق بإحسانه وإنعامه، ولا سيما مع غناه عن عباده، وأنه إنما يحسن إليهم رحمة منه وجوداً وكرماً، لا لمعاوضة، ولا لاستجلاب منفعة، ولا للدفع مضرة.

وأبيّ للمسلكين سلكه العبد أوقفه على محبته وبذل الجهد في مرضاته، فأين هذان المسلكان من ذنبيك المسلكين؟! وإنما أتيت القوم من إنكارهم المحبة، وذلك الذي حرمهم من العلم والإيمان ما حرمهم وأوجب لهم سلوك تلك الطرق المسدودة، والله الفتاح العليم ((<sup>(١)</sup>).

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٥١٠-٥١٣).

المبحث الثاني:

﴿ حقيقة العبادة ﴾

العبادة لا تتحقق إلا بتوفر أصلين عظيمين هما: المحبة ، والخضوع والتذلل.  
قال ابن القيم رحمه الله: (( العبادة تجمع أصلين: غاية الحبّ بغاية الذلّ والخضوع،  
والعرب تقول: طريق معبد أي مذل.

والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن  
خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له، حتى تكون محبّا خاضعا.

ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لرّبهم منكرين حقيقة العبودية ((<sup>(١)</sup>).

ثم ذكر رحمه الله أنّ هذه المرتبة لا تصلح لأحد غير الله عز وجل فقال: (( ولا تصلح  
هذه المرتبة لأحد غير الله عز وجل، ولا يغفر الله سبحانه لمن أشرك به في عبادته، ويغفر ما  
دون ذلك لمن شاء<sup>(٢)</sup>).

فمحبة العبودية هي أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله على عباده، وفي  
الصحيح<sup>(٣)</sup> عن معاذ أنه قال: كنت سائرا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (( يا  
معاذ ))، فقلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، فقال: (( يا معاذ ))، قلت:  
لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (( أتدري ما حق الله على عباده؟ )) قلت: الله  
ورسوله أعلم، قال: (( حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا، أتدري ما حق العباد  
على الله، إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم بالنار ))<sup>(٤)</sup> اهـ.

وأما حقيقة العبادة فقد أوضحها ابن القيم رحمه الله بقوله: (( أنه سبحانه يستجلب من  
عباده بذلك ما هو من أعظم أسباب السعادة له، من استعاذته واستعانته به من شرّ نفسه،

<sup>(١)</sup> مدارج السالكين ( ١ / ٨٥ )، وانظر روضة المحبين ( ص ٦٨ ).

<sup>(٢)</sup> يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك  
بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ [ سورة النساء، آية: ٤٨ ]، وقوله تعالى: ﴿ ... إنه من يشرك بالله  
فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ [ سورة المائدة، من آية: ٧٢ ].

<sup>(٣)</sup> رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٧٣٧٣ )، ومسلم في صحيحه ( ح ٥٠ -

( ٣٠ ).

<sup>(٤)</sup> روضة المحبين ( ص ٦٨ - ٦٩ ).

عباده بذلك ما هو من أعظم أسباب السعادة له، من استعاذته واستعانته به من شرّ نفسه، وكيد عدوّه، ومن أنواع الدعاء والتضرع والابتهال والإنابة والفاقة والمحبة والرجاء والخوف، وأنواع من كمالات العبد تبلغ نحو المائة.

ومنها ما لا تدركه العبارة، وإنما يدرك بوجوده فيحصل للروح بذلك قرب خاص لم يكن يحصل بدون هذه الأسباب، ويجد العبد من نفسه كأنه مُلقَى على باب مولاه بعد أن كان نائياً عنه.

وهذا الذي أئمر له: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾<sup>(١)</sup>، وهو ثمرة: (( لله أفرح بتوبة عبده... ))<sup>(٢)</sup>... فكم بين عبادة مُدِلٍّ<sup>(٣)</sup> صاحبها على ربه بعبادته، شامخ بأنفه؛ كلما طلب منه أوصاف العبد قامت صور تلك الأعمال في نفسه، فحجبتة عن معبوده وإلهه، وبين عبادة من قد كسر الذل قلبه كل الكسر، وأحرق ما فيه من الرُّعونات والحماقات والخيالات، فهو لا يرى نفسه مع الله إلا مسيئاً، كما لا يرى ربه - إليه - إلا محسناً. فهو لا يرضى أن يرى نفسه طرفة عين إلا قد كسر إزراؤه على نفسه قلبه، وذلل لسانه وجوارحه، وطأطأ منه ما ارتفع من غيره، فقلبه واقف بين يدي ربه وقوف ناكس الرأس خاضع غاضٍ البصر، خاضع الصوت، هادئ الحركات، قد سجد بين يديه سجدة إلى الممات، فلو لم يكن من ثمرة ذلك القضاء والقدر إلا هذا وحده لكفى به حكمة، والله المستعان ))<sup>(٤)</sup>.

### [ تمام العبودية ]

وبعد هذا البيان من ابن القيم رحمه الله في حقيقة العبادة بين رحمه الله تمام العبودية فقال: (( فإنّ تمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية أكملهم

(١) سورة البقرة، من آية: ٢٢٢.

(٢) رواه الشيخان بلفظ (( لله أشد فرحاً بتوبة عبده... )) . صحيح البخاري ( مع شرحه فتح الباري، ح ٦٣٠٨ )، ومسلم في صحيحه ( ح ٣-٢٧٤٤ ) .

(٣) هو الواثق بالمحبة، المفرط في الدلال على محبه. [ يراجع القاموس المحيط، ص ٩٠٠ ] .

(٤) مفتاح دار السعادة ( ٢/٢٦٥-٢٦٦ ) .

ذلاً لله وانقيادا وطاعة.

والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لعزّه، وذليل لقهره، وذليل لربوبيته فيه وتصرفه، وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه، فإنّ مَنْ أحسن إليك فقد استعبدك، وصار قلبك مُعبّداً له، وذليل تعبد لحاجته إليه على مدى الأنفاس في جلب كل ما ينفعه ورفع<sup>(١)</sup> كل ما يضره.

### [ أنواع التذلل والتعبد ]

وهنا نوعان من أنواع التذلل والتعبد، هما أثر عجيب يقتضيان من صاحبهما من الطاعة والفوز ما لا يقتضيه غيرهما:

أحدهما: ذلّ المحبة، وهذا نوع آخر غير ما تقدم، وهو خاصة المحبة وليّها، بل وروحها وقوامها وحقيقتها، وهو المراد على الحقيقة من العبد لو فطِنَ، وهذا يستخرج من قلب المحب من أنواع التقرب والتودّد والتعلق والإيثار والرّضا والحمد والشكر والصبر والتندّم وتحمل العظائم ما لا يستخرجه الخوف وحده، ولا الرجاء وحده، كما قال بعض الصحابة: إنّه ليستخرج محبته في قلبي من طاعته ما لا يستخرجه خوفه، أو كما قال<sup>(٢)</sup>؛ فهذا ذلّ المحبين.

الثاني: ذلّ المعصية، فإذا انضاف هذا إلى هذا هناك فنيّت الرسوم، وتلاشت الأنفس، واضمحلت القلوب، وبطلت الدعاوى جملةً، وذهبت الرعونات، وطاحت الشطحات، ومُجّي من القلب واللسان أنا وأنا، واستراح المسكين من شكاوى الصدود والإعراض والمهجر وتجرد الشهود، فلم يبق إلاّ شهود العز والجلال المحض الذي تفرد به ذو الجلال والإكرام، الذي لا يشاركه أحد من خلقه في ذرة من ذراته، وشهود الذلّ والفقر المحض من جميع الوجوه بكل اعتبار، فيشهد غاية ذلّه وانكساره، وعزّة محبوبه وجلاله وعظمته وقدرته وغناه.

فإذا تجرد له هذان الشهودان ولم يبق ذرة من ذرات الذل والفقر والضرورة إلى ربه إلاّ شاهداً فيه بالفعل، وقد شهد مقابلهما هناك، فله أيّ مقام أقيم فيه هذا القلب إذ ذاك؟ وأيّ

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: دفع.

(٢) هذا الأثر بحث عنه فلم أجد له أصلاً والله أعلم.

قرب حَظِيٍّ به؟ وأيِّ نعيم أدركه؟ وأيِّ روح باشره؟

فتأمل الآن موقع الكسرة التي حصلت له بالمعصية في هذا الموطن ما أعجبها! وما أعظم موقعا!

كيف جاءت فمحقت من نفسه الدعاوي والرعونات وأنواع الأمانى الباطلة، ثم أوجبت له الحياء والحجل<sup>(١)</sup> من صالح ما عمل، ثم أوجبت له استكثار قليل ما يردُّ عليه من ربِّه - لعلَّه بأنَّ قدره أصغر من ذلك، وأنَّه لا يستحقه - واستقلال أمثال الجبال من عمله الصالح بأنَّ سيئاته وذنوبه تحتاج من المكفرات والمآحيات إلى أعظم من هذا، وهو لا يزال محسنا وعند نفسه المسيئ المذنب منكسرا ذليلا خاضعا، لا يرتفع رأس، ولا ينقام له صدر، وإنما ساقه إلى هذا الذل - والذي أورثه إياه - مباشرة الذنب، فأَيُّ شيء أنفع له من هذا الدواء؟!؟

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

ونكتة هذا الوجه أنَّ العبد متى شهد صلاحه واستقامته شَمَخَ بأنفه وتعاضمت نفسه، وظنَّ أنه ... وأنَّه<sup>(٢)</sup> ... فإذا ابتليَ بالذنب تصاغرت إليه نفسه، وذللَّ وخضع وتيقَّن أنه... وأنَّه<sup>(٣)</sup> ... ((<sup>(٤)</sup>).

(١) فائدة: قال العسكري في (( الفروق اللغوية )) ص ٢٠٥: (( الفرق بين الحجل والحياء أنَّ الحجل معنى يظهر في الوجه لغم يلحق القلب عند ذهاب حجة أو ظهور على ريبة وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيئة، والحياء هو الارتداع بقوة الحياء، ولهذا يقال: فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال: يخجل أن يفعله في هذا الحال لأنَّ هيئته لا تتغير منه قبل أن يفعله، فالخجل مما كان، والحياء مما يكون، وقد يستعمل الحياء موضع الخجل توسعا، وقال الأنباري: أصل الخجل في اللغة الكسل والتواني وقلة الحركة في طلب الرزق، ثم كثر استعمال العرب له حتى أخرجوه على معنى الإنقطاع في الكلام )) اهـ.

(٢) أي: رجل عظيم.

(٣) أي: عبد ذليل.

(٤) مفتاح دار السعادة ( ٢٦٧/٢ - ٢٦٩ )، وقارن به مع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في حقيقة

العبودية. ( العبودية، ص ٤٩، ٦١ ).

المبحث الثالث:

﴿قواعد العبودية﴾



ذكر ابن القيم رحمه الله أنّ العبادة مبنية على أربع قواعد فقال: (( وبني ﴿إياك نعبد﴾ على أربع قواعد: التحقيق بما يجب الله ورسوله ورضاه، من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

العبودية: إسم جامع لهذه المراتب الأربع<sup>(١)</sup>.

فأصحاب ﴿إياك نعبد﴾ حقاً هم أصحابها.

- فقول القلب<sup>(٢)</sup>: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله<sup>(٣)</sup>.

- وقول اللسان<sup>(٤)</sup>: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب<sup>(٥)</sup> عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره<sup>(٦)</sup>.

- وعمل القلب<sup>(٧)</sup>: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضي به وعنه، والموالاتة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع والاحبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرّضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة<sup>(٨)</sup>.

(١) قارن به مع قول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف العبادة، وقد سبق ذكره.

(٢) أي: القاعدة الأولى.

(٣) أي: الإيمان بالغيب.

(٤) أي القاعدة الثانية.

(٥) أي: دفع. [ القاموس المحيط، ص ٨٠ ].

(٦) وهذه القاعدة تشمل جميع جوانب التعبدية التي كان اللسان هو الذي يقوم بأدائها، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأذكار، والدعوة إلى الله وغير ذلك.

(٧) أي: القاعدة الثالثة.

(٨) ومما يلفت الانتباه هنا أنّ ابن القيم رحمه الله ذكر في هذا الكلام الفرق بين قول القلب وعمل القلب.

- وأعمال الجوارح<sup>(١)</sup>: كالصلاة والجهاد، ونقل الأئمة إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق وغير ذلك.

ف ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كُنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا خَلِيفَةً لِّرَسُولِهِ﴾ التزم لأحكام هذه الأربعة، وإقرارها، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كُنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا خَلِيفَةً لِّرَسُولِهِ﴾ طلب الإعانة عليها والتوفيق لها، و ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ متضمن للتعريف بالأمرين<sup>(٢)</sup> على التفضيل، وإلهام القيام بهما، وسلوك طريق السالكين إلى الله بها<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: القاعدة الرابعة.

(٢) أي: العبادة والاستعانة.

(٣) مدارج السالكين ( ١١٣/١ - ١١٤ )، وانظر تفصيل هذه القواعد الأربعة في نفس المصدر (١/١٢٣ - ١٢٧)، فقد طوّل رحمه الله بيانها فيه.

المبحث الرابع:

﴿ مراتب العبادة ﴾

في هذا المبحث أذكر كلام ابن القيم رحمه الله في مراتب العبادة علماً وعملاً:

فقال: (( للعبودية مراتب، بحسب العلم والعمل.

فأما مراتبها العلمية فمرتان:

إحدهما: العلم بالله، والثانية: العلم بدينه.

- فأما العلم به سبحانه، فخمس مراتب: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه

عماً لا يليق به.

- والعلم بدينه مرتتان:

إحدهما: دينه الأمري الشرعي، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه.

والثانية: دينه الجزائي، المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم: العلم بملائكته،

وكتبه، ورسله.

وأما مراتبها العملية، فمرتان: مرتبة لأصحاب اليمين، ومرتبة للسابقين المقربين.

- فأما مرتبة أصحاب اليمين: فأداء الواجبات، وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات،

وبعض المكروهات، وترك بعض المستحبات.

- وأما مرتبة المقربين: فالقيام بالواجبات والندوبات، وترك المحرمات والمكروهات

زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم، متورعين عما يخافون ضرره.

- وخاصتهم: قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية<sup>(١)</sup>، فليس في حقهم

مباح متساوي الطرفين، بل كل أعمالهم راجحة، ومن دونهم يترك المباحات مشتغلاً عنها

(١) وذلك في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ... )) إلى آخره، وقد تقدم تخريجه.

- قلت: يقصد ابن القيم رحمه الله - والله أعلم - من النية: عقد القلب وتوجه عزمه وقصده في

حسن تلقي هذه النعم، وأنها من ربهم العليم الحكيم، الذي ما رزقهم إياها إلا ليريهم بها كما

قيل: أكل لأعيش وأعبد ربي، وليس كما يزعم بعض الملحددين: أعيش لأكل - فهؤلاء في كل

شؤونهم وأحوالهم عابدون ذاكرون، فهم في حقهم عابدون، وفي متاجرهم عابدون، وفي

مضاجعهم مع زوجاتهم عابدون، وهكذا لا يرون في شيء مما آتاهم ما يشغلهم عن ربهم.

بالعبادات، وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات، ولأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلا الله<sup>(١)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> مدارج السالكين ( ١٢١/١ - ١٢٣ ).

المبحث الخامس:

﴿ أقسام العبادة ﴾

ذكر ابن القيم رحمه الله أن العبودية قسمان: عامة وخاصة، فقال رحمه الله: (( العبودية نوعان: عامة وخاصة.

فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَكَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتُنشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَكَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَكَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿<sup>(١)</sup> فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ... ﴿<sup>(٢)</sup> فسامهم عباده مع ضلالهم، لكن تسمية مقيدة بالإشارة، وأما المطلقة فلم تجئ إلا لأهل النوع الثاني، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكُمْ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿ ... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿ ... اللَّهُ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿<sup>(٥)</sup>، فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ

(١) سورة مزيم، الآيات: ٨٨-٩٣.

(٢) سورة الفرقان، من آية: ١٧.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٦.

(٤) سورة غافر، من آية: ٣١٠.

(٥) سورة غافر، من آية: ٤٨.

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَخْزُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾ (٢)، وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٣)، وقال تعالى عن إبليس: ﴿... لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤)، فقال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾ (٥).

فالخلق: كلهم عبيد ربوبيته.

وأهل طاعته وولايته: هم عبيد إلهيته.

وأما وصف عبيد ربوبيته بالعبودية، فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه:

إما منكرًا، كقوله: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١).

والثاني: معرفًا باللام، كقوله: ﴿... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ﴾ (٢)، ﴿... إِنَّ اللَّهَ قَدْ

حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (٣).

الثالث: مقيدًا بالإشارة أو نحوها، كقوله: ﴿... أَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَوْلًا...﴾ (٤).

(١) سورة الزخرف، آية: ٦٨.

(٢) سورة الزمر، من آيتين: ١٧، ١٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) سورة الحجر، من آيتين: ٣٩، ٤٠.

(٥) سورة الحجر، من آية: ٤٢.

(٦) سورة مريم، آية: ٩٣.

(٧) سورة غافر، من آية: ٣١٠.

(٨) سورة غافر، من آية: ٤٨.

(٩) سورة الفرقان، من آية: ١٧.



الرابع: أن يذكروا في عموم عبادته، فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر، كقوله: ﴿...أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

الخامس: أن يذكروا موصوفين بفعالهم، كقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن مَّرْحَمَةِ اللَّهِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد يقال: إنما سماهم ((عباده)) إذ لم يقنطوا من رحمته، وأنابوا إليه، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة.

وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة، لأن أصل معنى اللفظة: الذل والخضوع، يقال: طريق معبد إذا كان مذلاً بوطء الأقدام، وفلان عبده الحب إذا ذلله، لكن أولياءه خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً لأمره ونهيه، وأعداءه خضعوا له قهراً ورغماً.

ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة: انقسام ((القنوت)) إلى خاص وعام، و((السجود)) كذلك.

قال تعالى في القنوت الخاص: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو مَرْحَمَةَ رَبِّهِ...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال في حق مريم: ﴿... وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وهو كثير في القرآن.

وقال في القنوت العام: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾<sup>(٥)</sup> أي خاضعون أذلاء.

(١) سورة الزمر، من آية: ٤٦.

(٢) سورة الزمر، من آية: ٥٣.

(٣) سورة الزمر، من آية: ٩.

(٤) سورة التحريم، من آية: ١٢.

(٥) سورة الروم، آية: ٢٦.

وقال في السجود الخاص: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿... إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> وهو كثير في القرآن.

وقال في السجود العام: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولهذا كان هذا السجود الكره غير السجود المذكور في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...﴾<sup>(٤)</sup>، فخص بالسجود هنا كثيرا من الناس، وعمهم بالسجود في سورة النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ...﴾<sup>(٥)</sup> وهو سجود الذل والقهر والخضوع.

فكل أحد خاضع لربوبيته، ذليل لعزته، مقهور تحت سلطانه تعالى ((<sup>(٦)</sup>).

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦.

(٢) سورة مريم، من آية: ٥٨.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٥.

(٤) سورة الحج، من آية: ١٨.

(٥) سورة النحل، من آية: ٤٩.

(٦) مدارج السالكين (١/١١٨-١٢١)، وقارن به مع كلام ابن سعدي رحمه الله في تقسيم العبادة

إلى عامة وخاصة. [راجع: تفسير السعدي، ٢٩٣/٥].

## الفصل الثالث:

﴿ بعض أنواع العبادة ﴾

المبحث الأول:

﴿ الشفاعة ﴾

الشفاعة لغة: الطلب للغير، شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً وَتَشَفَّعَ: طلب.

والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان، وتشفع له إليه فشفعه فيه.

وقال الفارسي: استشفعه طلب منه الشفاعة، أي قال له: كن لي شفيعاً.

وشفع إليه: في معنى طلب إليه، والشافع: الطالب لغيره يتشفَّع به إلى المطلوب، يقال:

تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، واسم الطالب: شفيع؛ قال الأعشى:

واستشفَّعت من سراة الحَيِّ ذا ثقة فقد عصاها أبوها والذي شفعا

واستشفَّعته إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه؛ وتشفعت إليه في فلان فشفعني فيه

تشفيعاً؛ قال حاتم يخاطب النعمان:

فككَّتْ عدِيًّا كلها من إسارها فأفضل وشفَّعني بقيس بن جحدر

وفي الإصطلاح: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وفي حديث الحدود: (( إذا

بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفَّع ))<sup>(١)</sup>.

وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة، وهي السؤال في

التجاوز عن الذنوب والجرائم.

والمُشَفَّع: الذي يَقْبَلُ الشفاعة، والمشفَّع: الذي تُقْبَلُ شفاعته<sup>(٢)</sup>.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن لرسول الله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات:

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف، حتى يقضي بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء: آدم

(١) يشير إلى ما أورده مالك في الموطأ عن الزبير قال: (( إذا بلغت به السلطان فلعن الله الشافع

والمشفَّع ))، وقال ابن حجر العسقلاني: (( وأخرج الموطأ عن ربيعة عن الزبير نحوه، وهو

منقطع مع وقفة، وهو عند ابن أبي شيبة بسند حسن عن الزبير موقوفاً، وبسند آخر حسن عن

عليّ نحوه كذلك )) اهـ. [ الموطأ للإمام مالك، كتاب: الحدود، باب: ترك الشفاعة للسارق إذا

بلغ السلطان، ١٧٤/٢، وفتح الباري، شرح صحيح البخاري، شرح حديث: ٦٧٨٨،

[ ٩٠/١٢ ]

(٢) لسان العرب بتصرف شديد ( ١٨٤/٨ ).

ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة، حتى تنتهي إليه<sup>(١)</sup>.  
وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة<sup>(٢)</sup>؛ وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار<sup>(٣)</sup>، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين، والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلوها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله تعالى من النار أقواماً بغير شفاعة، بل بفضلته ورحمته<sup>(٤)</sup>.  
 وبعد أن ذكرتُ تعريف الشفاعة وأنواعها، أذكر كلام ابن القيم رحمه الله في الشفاعة المقبولة، والشفاعة المرفوضة، فيقول رحمه الله: ((وأخبر أنّ الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم، حيث لم يتخذهم شفعاء من دونه.

فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له: صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله ربه ومولاه، والشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده.  
 والتي تقاها الله: هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعاتهم، ويفوز بها الموحدون.  
 وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟

(١) الحديث ورد في صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ح ٤٧١٢)، وصحيح مسلم (ح ٣٢٧-١٩٤)، والمسند للإمام أحمد (٤٣٥/٢-٤٣٦).

(٢) الحديث في صحيح مسلم (ح ٣٣٣-١٩٦).

(٣) الحديث بطوله في صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ح ٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه (ح ١٩٣).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية بتصرف (١٤٧/٣-١٤٨)، وانظر بدائع الفوائد لابن القيم (٣/١٨٠)، وذكر ابن أبي العز أن الشفاعة ثمانية أنواع، منها ما هو متفق على جميع الأمة، ومنها ما هو مختلف فيه على هذه الأمة. [يراجع: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٨٢-٢٩٠].

قال: (( أسعد الناس بشفاعتي: من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه ))<sup>(١)</sup>.

كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته: تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين: أنّ الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله. فقلّب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أنّ سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك: اعتقاده أنّ من اتخذه ولياً أو شفيعاً: أنه يشفع له، وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم.

ولم يعلموا أنّ الله لا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلاّ لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأوّل<sup>(٢)</sup>: ﴿... مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

بِإِذْنِهِ...﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الفصل الثاني<sup>(٤)</sup>: ﴿... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ امْرُؤٌ تَضَى...﴾<sup>(٥)</sup>، وبقي

فصل ثالث: وهو أنّه لا يرضي من القول والعمل إلاّ التوحيد واتباع الرسل<sup>(٦)</sup>.

وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين، كما قال أبو العالية<sup>(٧)</sup>: كلمتان يسأل

(١) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٦٥٧٠ ).

(٢) أي الشافع.

(٣) سورة البقرة، من آية: ٢٥٥.

(٤) أي المشفوع.

(٥) سورة الأنبياء، من آية: ٢٨.

(٦) أي شرطي قبول الأعمال وهما الإخلاص والمتابعة.

(٧) هو رُفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام،

كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثمّ من بني تميم، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب،

وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع الصحابة، وحفظ القرآن وقرأه على أبي

ابن كعب، وتصدر لإفادة العلم ويعدّ صيته، وتوفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: غير ذلك.

[يراجع سير أعلام النبلاء، ٤/٢٠٧-٢١٣].

عنهما الأولون والآخرون: ما ذا كنتم تعبدون؟ وما ذا أحببتم المرسلين؟<sup>(١)</sup>  
فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها:  
لا شفاعاة إلا بإذنه.

ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله.

ولا يرضي من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله.

فالله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره، كما قال تعالى: ﴿... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأصح القولين في معنى الآية: أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاتة والمحبة، كما في  
الآية الأخرى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّجُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وكما في  
آية البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) هذا الأثر بحث عنه فلم أجد له أصلا في مظانه والله أعلم، ولكن وجدت له شاهدا وهو حديث  
عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: (( ما من أحد إلا سيخلوا الله به كما يخلوا أحدكم بالقمر  
ليلة البدر، فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي، يا ابن آدم ما ذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ما ذا  
أحببت المرسلين؟ ))، أخرجه ابن المبارك في الزهد ( رقم: ٣٨، ص ١٣ )، والطبراني في  
الكبير ( ج ٩/ رقم: ٨٩٠٠ )، وفي الأوسط ( رقم: ٨٨٩٩ )، وأبو نعيم في الحلية ( ١٣١/١ )،  
والهيثمي في مجمع الزوائد ( ٣٥٠/١٠ )، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير موقوفا، وروى  
بعضه مرفوعا في الأوسط (( عبيد ما غرك بي، ما ذا أحببت المرسلين؟ )) ورجال الكبير رجال  
الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة وفيه ضعف، ورجال الأوسط فيهم شريك أيضا  
وإسحاق بن عبد الله التميمي، ووثقه ابن حبان وبقيه رجاله رجال الصحيح (( أحمد.

(٢) سورة الأنعام، من آية: ١.

(٣) سورة الشعراء، آيتا: ٩٧، ٩٨.

(٤) سورة البقرة، من آية: ١٦٥.

(٥) مدارج السالكين ( ١/ ٣٦٩-٣٧٠ )، وانظر مفتاح دار السعادة ( ٣/ ٣٧٧-٣٧٨ )، والجواب



بعد أن ذكرتُ كلام ابن القيم رحمه الله في أصول الشفاعة الثلاثة، أذكر كلامه في شفاعة صاحب الحاجة فيصير له شفعا في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها.

فقال رحمه الله: (( قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ... ﴾<sup>(١)</sup> وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعا له، والشفاعة للمشفوع له هذا أصلها، فإنَّ الشافع يشفع صاحبَ الحاجة فيصير له شفعا في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿ ... وَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه كان إذا جاءه طالب حاجة يقول: (( اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما أحب ))<sup>(٣)</sup>، وفي صحيح البخاري أن بريرة<sup>(٤)</sup> لما عتقت اختارت فكان زوجها يمشي خلفها ودموعه تسيل على لحيته، فقال لها النبي ﷺ: (( لو راجعته فإنه أبو ولدك )) فقالت: تأمرني؟ قال: (( لا إنما أنا شافع ))، قالت: فلا حاجة لي فيه<sup>(٥)</sup>.

الكافي (ص ٢٧٣).

(١) سورة النساء، من آية: ٨٥.

(٢) سورة المائدة، من آية: ٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ١٤٣٢).

(٤) بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبها قال رسول الله ﷺ: ((... وإنما الولاء لمن أعتق)). [ انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء، ٢/٢٩٧-٣٠٤ ].

(٥) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٥٢٨٣) بلفظ: عن ابن عباس: أن زوج

بريرة كان عبدا يقال له: مغيث، كأنني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته،

فقال النبي ﷺ لعباس: (( يا عباس ألا تعجبك من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا ))،

فقال النبي ﷺ: (( لو راجعته ))، قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: (( إنما أنا أشفع ))، قالت:

فهذه شفاعته من سيد الشفعاء لمحبة إلى محبوبه، وهي من أفضل الشفاعات وأعظمها أجراً عند الله، فإنها تتضمن اجتماع محبوبين على ما يحبه الله ورسوله، ولهذا كان أحب ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين المحبوبين<sup>(١)</sup>.

وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة ﴿... يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا...﴾، فإن لفظ الكفل يُشعر بالحمل والثقل، ولفظ النصيب يُشعر بالحفظ الذي ينصب طالبه في تحصيله، وإن كان كل منهما يُستعمل في الأمرين عند الإنفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن اختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكفل<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيفة عمرو بن شعيب<sup>(٣)</sup> عن أبيه عن جده أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ زوّج ابنة له - وكان خطبها قبل ذلك عمّ بنتها - فبلغ النبي ﷺ أنها كارهة هذا الذي زوّجها أبوها، وأنه كان يعجبها أن يتزوجها عمّ بنتها، فأهدر النبي ﷺ نكاح أبيها وزوجها عمّ بنتها<sup>(٤)</sup>.

لا حاجة لي فيه.

(١) يشير إلى حديث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت)). رواه مسلم في صحيحه (ح: ٦٧-٢٨١٣).

(٢) راجع تفسير الطبري (٤/١٨٨)، وتفسير ابن كثير (١/٥٤٤).

(٣) عمرو بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام المحدث، أبو إبراهيم وأبو عبد الله، القرشي السهمي الحجازي، فقيه أهل الطائف ومحدثهم، وكان يتردد كثيراً إلى مكة، وينشر العلم، وأمّه حبيبة بنت مرة الجمحية، وقال ابن أبي شيبة: سألتُ علي بن المديني عن عمرو بن شعيب، فقال: ما روى عنه أيوب وابن جريج فذاك كله صحيح، وما روى عمرو عن أبيه عن جده فإنما هو كتاب وجدته فهو ضعيف، ومات عمرو سنة ثمان مائة ومائة بالطائف. [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٦٥/٥-١٨٠].

(٤) يشير إلى قول النبي ﷺ: ((ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له

و... حديث عمرو بن دينار<sup>(١)</sup>، عن طاوس<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، في حجري يتيمة قد خطبها رجل موسر ورجل معدم، فنحن نحبّ الموسر، وهي تحبّ المعدم، فقال رسول الله ﷺ: (( ليس للمتحابين مثل النكاح ))<sup>(٣)</sup> رواه سليمان بن موسى<sup>(٤)</sup> عنه... وقد جاء في غير واحد من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم أنهم شفّعوا هذه الشفاعة<sup>(٥)</sup>.

ثم سرد بعض النماذج الواقعية التي وقعت زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم مما تثبت أنهم قد فعلوها<sup>(٦)</sup>.

الخاطب)). [ رواه البخاري في صحيحه مع شرحه فتح الباري، ح ٥١٤٢ ].

(١) عمرو بن دينار، الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم، أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه، ولد في إمرة معاوية سنة خمس أو ست وأربعين، وسمع من ابن عباس وابن عمر وغيرهم، أفنى بمكة ثلاثين سنة، وقال عبد الله بن أبي نجيح: ما رأيت أحداً قط أفقه من عمرو بن دينار، لا عطاء ولا مجاهداً ولا طاووساً. [ انظر سير أعلام النبلاء، ٣٠٠/٥-٣٠٧ ].

(٢) طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليميني الجندي الحافظ، وقيل: ولاؤه لهمدان، وُلد في دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه أو قبل ذلك، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وتوفي عام ستة ومائة. [ يراجع ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٣٨/٥-٤٩ ].

(٣) الحديث انفرد به ابن ماجه بلفظ: (( لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح )) . [ سنن ابن ماجه، ح: ١٨٤٧ ].  
وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ( ح ١٤٩٧-١٨٤٧ )، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح ٦٢٤ ).

(٤) سليمان بن موسى، الإمام الكبير مفتي دمشق، أبو أيوب، الدمشقي الأشدق، مولى آل معاوية بن أبي سفيان، يروى عن جابر بن عبد الله وغيره وغالب رواياته مرسل، وقال الذهبي: (( وقال ابن عدي: هو فقيه راو، حدّث عنه الثقات، وهو أحد العلماء، روى أحاديث ينفرد بها لا يرويها غيره، وهو عندي ثبت صدوق )) اهـ. مات سنة خمس عشرة ومائة، وقيل: سنة تسع عشرة ومائة. [ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤٣٣/٥-٤٣٧ ].

(٥) روضة المحبين لابن القيم ( ص ٣٨١-٣٨٣ )، وانظر بدائع الفوائد ( ١٧٦/٣ ).

(٦) انظر المصدر السابق ( ص ٣٨٤-٣٩٦ ).

المبحث الثاني:

العَوَكُلُ

التوكل: إظهار العجز والإعتماد على الغير، والاسم التكلان، وأتكل على فلان في أمره إذا اعتمد عليه<sup>(١)</sup>.

وفي لسان العرب: (( وَكَلَّ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَكِيلُ: هُوَ الْمَقِيمُ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِ الْمَوْكُولِ إِلَيْهِ.

وفي التنزيل العزيز: ﴿... أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾<sup>(٢)</sup> قال الفراء: يقال: ربُّا، ويقال: كافيًّا؛ وقال ابن الأنباري: وقيل: الوكيل الحافظ.

وقال أبو إسحاق<sup>(٣)</sup>: الوكيل في صفة الله تعالى، الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق.

وقال بعضهم: الوكيل الكفيل ونعم الكفيل بأرزاقنا، وقال في قولهم: ﴿... حَسْبُنَا اللَّهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٤)</sup> كافينا الله ونعم الكافي، كقولك: رازقنا الله ونعم الرزاق...

والتوكل على الله: الذي يعلم أنّ الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( والوكالة يراد بها أمران:

أحدهما: التوكيل: وهو الاستنابة والتفويض.

والثاني: التوكل: وهو التعريف بطريق النيابة عن الموكل.

وهذا من الجانبين، فإنّ الله تبارك وتعالى يوكل العبد وقيمه في حفظ ما وكله فيه،

(١) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (ص ٦٤٨).

(٢) سورة الإسراء، من آية: ٢.

(٣) لعله: أبو إسحاق الشيرازي، الشيخ الإمام القدوة المجتهد، شيخ الإسلام، إبراهيم بن علي بن

يوسف الفيروز آبادي، الشافعي، نزيل بغداد، قيل: لقبه جمال الدين، مولده في سنة ثلاث

وتسعين وثلاثمائة، وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة ببغداد. [ ينظر ترجمته في سير أعلام

النبلاء، ١٨/٤٥٢-٤٦٤ ].

(٤) سورة آل عمران، من آية: ١٧٣.

(٥) لسان العرب (١١/٧٣٤).

والعبد يوكل الرب ويعتمد عليه.

فأما وكالة الرب عبده، ففي قوله تعالى: ﴿... فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال قتادة<sup>(٢)</sup>: وكننا بها الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرناهم - يعني قبل هذه الآية.

وقال أبو رجاء العطاردي<sup>(٣)</sup>: معناه إن يكفر بها أهل الأرض فقد وكننا بها أهل السماء وهم الملائكة.

وقال ابن عباس ومجاهد<sup>(٤)</sup>: هم الأنصار أهل المدينة.

والصواب: أن المراد من قام بها إيماناً ودعوة وجهاداً ونصرة، فهؤلاء هم الذين وكلهم الله بها.

فإن قلت: فهل يصح أن يقال: إن أحداً وكيل الله؟

قلت: لا، فإن الوكيل من يتصرف عن موكله بطريق النيابة، والله ﷻ لا نائب له، ولا يخلفه أحد، بل هو الذي يخلف عبده، كما قال النبي ﷺ: ((اللهم أنت الصاحب في السفر

(١) سورة الأنعام، من آية: ٨٩.

(٢) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، وقيل: اسم جده عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضير الأكمة، مولده في سنة ستين، وتوفي سنة ثمانى عشرة ومائة. [ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٥/٢٦٩-٢٨٣ ].

(٣) أبو رجاء العطاردي، الإمام الكبير، شيخ الإسلام، عمران بن ملحان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم يرى النبي ﷺ، وقيل إنه رأى أبا بكر الصديق، مات سنة خمس ومائة، وله أزيد من مائة وعشرين سنة، وقيل: غير ذلك. [ يراجع ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤/٢٥٣-٢٥٧ ].

(٤) مجاهد بن جبر، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى عبد الله بن السائب القارئ، ويقال: مولى قيس بن الحارث المخزومي، مات سنة ثلاث ومائة، وقيل: غير ذلك. [ ينظر سيرته في سير أعلام النبلاء، ٤/٤٤٩-٤٥٧ ].

والخليفة في الأهل...))<sup>(١)</sup> على أنه لا يمتنع أن يطلق ذلك باعتبار أنه مأمور بحفظ ما وكله فيه، ورعايته والقيام به.

وأما توكل العبد ربّه: فهو تفويضه إياه، وعزل نفسه عن التصرف، وإثباته لأهله ووليه، ولهذا قيل في التوكل: إنه عزل النفس عن الربوبية، وقيامها بالعبودية، وهذا معنى كون الربّ وكيل عبده، أي كافيّه، والقائم بأمره ومصالحه لأنّه نائبه في التصرف.

فوكالة الربّ عبده أمر وتعبّد وإحسان له، وخلعة منه عليه، لا عن حاجة منه، وافتقار إليه كمولاته.

وأما توكل العبد ربّه: فتسليم لربوبيته، وقيام بعبوديته<sup>(٢)</sup>.

### [ معنى التوكل ودرجاته ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( فلنذكر معنى ( التوكل ) ودرجاته، وما قيل فيه: قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي، ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات. ومن الناس من جعله من باب المعارف والعلوم، فيقول: هو علم القلب بكفاية الربّ للعبد.

ومنهم من يفسره بالسكون وحمود حركة القلب، فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الربّ، كأنطراح الميت بين يديّ الغاسل يقلبه كيف يشاء، وهو ترك الاختيار والاسترسال مع جاري الأقدار.

قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد.

ومنهم من يفسره بالرضي، فيقول: هو الرضي بالمقدور.

(١) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ٤٢٥-١٣٤٢ ).

(٢) مدارج السالكين ( ٢/١٣١-١٣٢ ).

.....

وسئل يحيى بن معاذ<sup>(١)</sup>: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكَيْلاً. ومنهم من يفسره بالثقة بالله، والطمأنينة إليه، والسكون إليه. قال ابن عطاء<sup>(٢)</sup>: التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب، مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها.

.....

.....

وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال. وقيل: التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات، فلا تسمو إلا إلى من إليه الكفايات. وقيل: نفي الشكوك، والتفويض إلى ملك الملوك.

.....

.....

ومنهم: من جعله مركباً من أمرين أو أمور.

---

(١) يحيى بن معاذ الرازي، الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، وتوفي عام ٢٥٨هـ. [ ينظر ترجمته في حلية الأولياء، ١٠/٥١-٧، و سير أعلام النبلاء، ١٣/١٥-١٦ ].

(٢) ابن عطاء، أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي، كان له في كل يوم ختمة، وفي رمضان تسعون ختمة، وكان ينام في اليوم واللييلة ساعتين، مات في سنة تسع وثلاثمائة. [ انظر ترجمته في حلية الأولياء، ١٠/٣٠٢-٣٠٥، و سير أعلام النبلاء، ١٤/٢٥٥-٢٥٦ ].



فقال بعضهم: التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.  
يريد حركة ذاته في الأسباب بالظاهر والباطن، وسكون إلى المسبب، وركون إليه، ولا  
يضطرب قلبه معه، ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه.  
وقال بعضهم: هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى  
الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن مُنع صبر.  
فجعله مركبا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب،  
وسكونه إلى قضائه وقدره، وطمأنينته وكفايته له، وشكره إذا أعطي، وصبره إذا مُنع.  
وقال بعضهم: التوكل على الله بكمال الحقيقة، كما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام في الوقت  
الذي قال لجبريل عليه السلام: ((أما إليك فلا))<sup>(١)</sup> لأنه غائب عن نفسه بالله، فلم ير مع الله غير  
الله.

وأجمع القوم أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها،  
وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.  
قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد

(١) أورده الحافظ ابن كثير في قصص الأنبياء، ولفظه: (( وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في  
الهواء فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا)). [ قصص الأنبياء لابن كثير،

طعن في الإيمان.

فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يترك سنته، وهذا معنى قول أبي سعيد: (( هو اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب ))، وقول سهل<sup>(١)</sup> آيين وأرفع.

وقيل: التوكل قطع علائق القلب بغير الله.

وسئل سهل عن التوكل؟ فقال: قلب عاش مع الله بلا علاقة.

وقيل: التوكل هجر العلائق، ومواصلة الحقائق.

وقيل: التوكل أن يستوى عندك الإكثار والإقلال.

وهذا من موجباته وآثاره، لأنه حقيقته.

وقيل: هو ترك كل سبب يوصلك إلى مسبب، حتى يكون الحق هو المتولى لذلك.

وهذا صحيح من وجه، باطل من وجه، فترك الأسباب المأمور بها قادح في التوكل، وقد

تولى الحق إيصال العبد بها، وأما ترك الأسباب المباحة فإن تركها لما هو أرجح منها مصلحة

فمدوح، وإلا فهو مذموم.

وقيل: هو إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية.

يريد استرسالها مع الأمر، وبرائها من حولها وقوتها، وشهود ذلك بها، بل بالرب وحده.

ومنهم من قال: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه.

ومنهم من قال: هو التفويض إليه في كل حال.

ومنهم من جعل التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية.

[ درجات التوكل ]

قال أبو علي الدقاق<sup>(٢)</sup>: التوكل ثلاث درجات:

(١) أي سهل بن عبد الله التستري.

(٢) أبو علي الدقاق: الحسن بن علي النيسابوري، توفي في ذي الحجة سنة ست وأربعمائة. [ انظر

ترجمته في تذكرة الحفاظ، ص ١٠٦٤، والبداية والنهاية، ١٣/١٢، وشذرات الذهب،

الدرجة الأولى: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض.

فالتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفى بعمله، وصاحب التفويض يرضى بحكمه، فالتوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية، فالتوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين.

التوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خاصة الخاصة. التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم الخليل، والتفويض صفة نبينا محمد ﷺ، وعليهم أجمعين.

وهذا كله كلام الدقاق، ومعنى هذا التوكل: اعتماد على الوكيل، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح عليه، وإرادة وشائبة منازعة، فإذا سلم إليه زال ذلك، ورضي بما يفعله وكيله، وحال المفوض فوق هذا، فإنه طالب مريد ممن فوض إليه، ملتزم منه أن يتولى أموره، فهو رضى واختيار، وتسليم واعتماد، فالتوكل يندرج في التسليم، وهو والتسليم يندرجان في التفويض، والله ﷻ أعلم.

وحقيقة الأمر: أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، وكلُّ أشار إلى واحد من هذه الأمور، أو اثنين أو أكثر.

فأول ذلك: معرفة الربِّ وصفاته: من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

قال شيخنا<sup>(١)</sup> ﷺ: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من قدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضا من الجهمية النفاة لصفات الرب ﷻ، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات.

فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفليه وعلويه؟ ولا هو فاعل باختياره؟ ولا له إرادة ومشئته، ولا يقوم به صفة؟ فكل من كان با لله وصفاته أعلم وأعرف: كان توكله أصح وأقوى، والله ﷻ أعلم.

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

### الدرجة الثانية: إثبات في الأسباب والمسببات.

فإن من نفاها فتوكله مدخول، وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي: أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل، وأن نفيها تمام التوكل.

فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول التوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به، فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سببا، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء، فإن التوكل فيه المدعو بحصوله: إن كان قُدْر حاصل، توكل أو لم يتوكل، دعا أو لم يدع، وإن لم يُقَدَّر لم يحصل، توكل أيضا أو ترك التوكل.

وصرح هولاء: أن التوكل والدعاء عبودية محضة، ولا فائدة لهما إلا ذلك، ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته شيء مما قُدّر له.

ومن غلاتهم من جعل الدعاء بعدم المواخذة على الخطأ والنسيان عديم الفائدة، إذ هو مضمون الحصول.

ورأيتُ بعض متعمقي هولاء - في كتاب له - لا يجوز الدعاء بهذا، وإنما يجوز تلاوة لا دعاء، قال: لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه، لأن الداعي بين الخوف والرجاء، والشك في وقوع ذلك شك في خير الله.

فانظر إلى ما قاد انكار الأسباب من العظائم، وتحريم الدعاء بما أثنى الله على عباده وأوليائه بالدعاء به وبطلبه، لم يزل المسلمون من عهد نبيهم ﷺ وإلى الآن يدعون به في مقامات الدعاء وهو من أفضل الدعوات.

وجواب هذا الوهم الباطل أن يقال: بقي قسم ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكروه، وهو الواقع، وهو أن يكون قضى بحصول الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء، فنصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب، وقضى الله بحصوله إذا فعل العبد سببه.

فإن لم يأت بالسبب امتنع المسبب، وهذا كما قضى بحصول الولد إذا جامع الرجل من

يجلبها، فإذا لم يجامع لم يخلق الولد، وقضي بحصول الشبع إذا أكل، والري إذا شرب، فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو.

وقضي بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق، فإذا جلس بيته لم يصل إلى مكة.

وقضي بدخول الجنة إذا أسلم، وأتى بالأعمال الصالحة، فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبدًا.

وقضي بانضاج الطعام بإيقاد النار تحته، وقضي بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض، وإلقاء البذر فيها، فما لم يأت بذلك لم يحصل إلا الخيبة.

فوازن ما قاله منكرو الأسباب: أن يترك كل من هؤلاء السبب الموصل، ويقول: إن كان قضي لي وسبق في الأزل حصول الولد والشبع والري والحج ونحوها، فلا بد أن يصل إليّ، تحركتُ أو سكنتُ، وتزوجتُ أو تركتُ، سافرتُ أو قعدتُ، وإن لم يكن قد قضي لي لم يحصل لي أيضا، فعلتُ أو تركتُ.

فهل يعد أحد هذا من جملة العقلاء؟ وهل البهائم إلا أفقه منه؟ فإنّ البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة<sup>(١)</sup>.

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية، والله ﷻ أعلم<sup>(٢)</sup>.

(١) وانظر أيضا رده رحمه الله على هذه الشبهة في مدارج السالكين (٤٩٧/٣ - ٥٠٠).

(٢) انظر كلام المصنف رحمه الله في تقسيم الناس في طلب الأسباب، فقد ذكره مفصلا في

كتابه بدائع الفوائد، (١٥٢/٣)، وانظر أيضا قوله في زاد المعاد (٤٨٠/٣)، فإنه قد بين أنّ

من تمام التوكل استعمال الأسباب...

### الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيده التوكل<sup>(١)</sup>.

فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصلح له توحيده، بل حقيقة التوكل: توحيده القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإنَّ العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن ههنا ظن من ظن أنَّ التوكل لا يصح إلاَّ برفض الأسباب.

وهذا حق، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، التوكل لا يتم إلاَّ برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعاً منها متصلاً بها، والله تعالى أعلم.

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويلبسه السكون إلى مسببها.

وعلاوة هذا أنه لا يزال بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه، ويخفق عند إدبار ما يجب منها، وإقبال ما يكره، لأنَّ اعتماده على الله، وسكونه إليه، واستناده إليه، وقد حصنه من خوفها ورجائها، فحالته حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به، فرأى حصناً مفتوحاً، فأدخله ربّه إليه، وأغلق عليه باب الحصن، فهو يشاهد عدوه خارج الحصن، فاضطراب قلبه وخوفه من عدوه في هذه الحال لا معنى له.

وكذلك من أعطاه ملك درهماً، فسُرق منه، فقال الملك: عندي أضعافه، فلا تهتم، متى جئت إليّ أعطيتك من خزائني أضعافه، فإذا علم صحة قول الملك ووثق به، واطمأن إليه، وعلم أنَّ خزائنه مليئة بذلك لم يحزنه فوته.

وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه، وطمأنينته بشدي أمّه لا يعرف غيره، وليس في قلبه التفات إلى غيره، كما قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل، لا يعرف شيئاً يأوى إليه إلاَّ ثدي أمّه، كذلك المتوكل لا يأوى إلاَّ إلى ربّه سبحانه.

(١) انظر كلام المؤلف رحمه الله في كتابه طريق المحرّتين وباب السعادتين (ص ٤٦٠)، فإنه قد ذكر أنَّ دليل صحة الإسلام التوكل، وأنَّ قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه...

### الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله ﷻ.

فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.

والتحقيق: أنّ حسن الظن به يدعو إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه، والله أعلم.

### الدرجة السادسة: استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، وقطع منازعته، وبهذا

فسره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله، كالميت بين يدي الغاسل، يقبله كيف أراد، لا يكون له حركة ولا تدبير.

وهذا معنى قول بعضهم: التوكل إسقاط التدبير، يعنى الاستسلام لتدبير الرب لك، وهذا في غير باب الأمر والنهي، بل فيما يفعله بك، لا فيما أمرك بفعله<sup>(١)</sup>.

فلاستسلام كتسليم العبد الذليل نفسه لسيدته، وانقياده له، وترك منازعات نفسه وإرادتها مع سيده، والله ﷻ أعلم.

### الدرجة السابعة: التفويض.

وهو روح التوكل وتبّه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً.

بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره كل أموره على أبيه، العالم بشفقته عليه ورحمته، وتمام كفايته، وحسن ولايته له، وتدبيره له، فهو يرى أنّ تدبير أبيه له خير من

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ

مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ [سورة النساء، من آية: ٧٨] فإنّ المراد بالحسنات

والسيئات في الآية النعم والمصائب، بخلاف الحسنات والسيئات المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَنْ

جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا...﴾ [سورة الأنعام، من آية:

١٦٠] فإنّ المراد بهما الأعمال المأمور بها والمنهي عنها. [راجع: شفاء العليل لابن القيم،

تديره لنفسه، وقيامه بمصالحه وتوليه لها خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إلى أبيه، وراحته من حمل كلفها وثقل حملها، مع عجزه عنها، وجهله بوجوه المصالح فيها، وعلمه بكمال علم من فوض إليه، وقدرته وشفقته.

فإذا وضع قدمه في هذه الدرجة، انتقل منها إلى درجة (( الرضي ))، وهي ثمرة التوكل، ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضى بما يفعله وكيهه.

وكان شيخنا<sup>(١)</sup> يقول: المقدور يكتبه أمران: التوكل قبله، والرضي بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، والرضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية، أو معنى هذا. قلت<sup>(٢)</sup>: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: (( اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم )) فهذا توكل وتفويض، ثم قال: (( فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب )) فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلاً أو آجلاً، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلاً أو آجلاً، فهذا حاجته التي سألتها، فلم يبق عليه إلا الرضي بما يقضيه له، فقال: (( والقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به ))<sup>(٣)</sup>.

فهذا اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها: التوكل والتفويض، قبل وقوع المقدور والرضي بعده، وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قضى له، فتفويضه معلول فاسد<sup>(٤)</sup>، فباستكمال هذه الدرجات

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) أي ابن القيم رحمه الله.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ١١٦٢، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠).

(٤) فقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن للتوكل ثلاث علل، انظرها في مدارج السالكين (٣/٥٠٠).



الثمان يستكمل العبد مقام التوكل، وتثبت قدمه فيه ... ))<sup>(١)</sup>.

[ منزلة التوكل من الكتاب والسنة ]

وبعد أن ذكرت كلام ابن القيم رحمه الله في تعريف التوكل ودرجاته، أذكر هنا قوله في منزلة التوكل من الكتاب والسنة، فقال رحمه الله: (( ومن منازل ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة التوكل.

قال الله تعالى: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾<sup>(٤)</sup>، وقال عن أوليائه: ﴿... رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال لرسوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا...﴾<sup>(٦)</sup>، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾<sup>(٧)</sup>، وقال له: ﴿... وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٨)</sup>، وقال له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ...﴾<sup>(٩)</sup>، وقال له: ﴿... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقال عن أنبيائه ورسوله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا

(١) المصدر السابق ( ١١٩/٢ - ١٢٨ ) .

(٢) سورة المائدة، من آية: ٢٣ .

(٣) سورة التوبة، من آية: ٥١ .

(٤) سورة الطلاق، من آية: ٣ .

(٥) سورة الممتحنة، من آية: ٤ .

(٦) سورة الملك، من آية: ٢٩ .

(٧) سورة النمل، آية: ٧٩ .

(٨) سورة النساء، من آية: ٨١ .

(٩) سورة الفرقان، من آية: ٥٨ .

(١٠) سورة آل عمران، من آية: ١٥٩ .

تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا... ﴿١﴾، وقال عن أصحاب نبيه: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ  
 إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿٢﴾،  
 وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ  
 إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٣﴾، والقرآن مملوء من ذلك.

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (( هم الذين لا  
 يسرقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون )) ﴿٤﴾.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (( حسبنا الله ونعم الوكيل  
 ))، قالها إبراهيم عليه السلام، حين ألقى في النار، وقالها محمد عليه السلام حين قالوا له: ﴿... إِنَّ النَّاسَ قَدْ  
 جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿٥﴾.

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ كان يقول: (( اللهم لك أسلمت وبك آمنت  
 وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن  
 تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون )) ﴿٦﴾.

وفي الترمذي عن عمر عليه السلام مرغوعا: (( لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم

(١) سورة إبراهيم، من آية: ١٢٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٤) صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ح ٦٤٧٢)، صحيح مسلم (ح ٣٧٢-٢١٨)،  
 واللفظ لمسلم.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٤٥٦٣).

(٦) صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ح ٧٣٨٣)، وصحيح مسلم (ح ٦٧-٢٧١٧)،  
 واللفظ لمسلم.

كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا))<sup>(١)</sup>.

وفي السنن عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (( من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله، توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت ووُقيت وكُفيت، فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكفي ووقي؟ ))<sup>(٢)</sup>.  
التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإنَّ الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

ومنزلة: أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل، ووقوعه من المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، والطير والوحش والبهائم.

فأمَّا أهل السماوات والأرض - المكلفون وغيرهم - في مقام التوكل، وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابه وتنفيذ أوامره.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغا عن الناس.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه، من رزق أو عافية، أو نصر على عدوٍّ أو زوجة أو ولد، ونحو ذلك.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش، فإنَّ أصحاب هذه المطالب لا

(١) رواه الترمذي في السنن ( ح ٢٣٤٤ )، والحاكم في المستدرک ( ٣١٨/٤ )، والإمام أحمد في المسند ( ٣٠/١ )، وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي، وقال محقق المسند: إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة فمن رجال مسلم. [ المسند، ٣٠/١، ح: ٢٠٥ ].

(٢) رواه الترمذي في السنن ( ح: ٣٦٦٦ )، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٢٥١/٥ )، والهندي في كنز العمال ( ح: ٤١٥٣٧ )، وصححه العلامة الألباني في المشكاة ( ح: ٢٤٤٣ )، وفي الكلم الطيب ( ح ٤٩، ٥٨ )، وفي صحيح سنن الترمذي ( ح: ٢٧٢٤-٣٦٦٦ ).

ينالونها غالباً إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك، معتمدين على الله أن يسلمهم، ويظفرهم بمطالبهم.

فأفضل التوكل: التوكل في الواجب - أعنى واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس - وأوسع وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية، أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض.

وهذا توكل ورثتهم، ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف.

ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوباً له، مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه، وإن لم يستعن به على طاعته، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

### [ أنواع التوكل على الله ]

بعد أن ذكرتُ كلام ابن القيم رحمه الله في منزلة التوكل من الكتاب والسنة، أودّ أن أورد هنا كلامه رحمه الله في أنواع التوكل على الله ﷻ.

فقال رحمه الله: (( التوكل على الله نوعان: <sup>(٢)</sup>

أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حقّ

(١) مدارج السالكين (١١٦/٢-١١٩)، وانظر طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص ٢٥٤-٢٦٤).

(٢) وانظر طريق المهجرتين (ص ٢٦٢).

توكله كفاه النوع الأوّل تمام الكفاية.

ومتى توكل عليه في النوع الأوّل دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه.

فأعظم التوكل عليه: التوكل في الهداية، وتجرید التوحيد، ومتابعة الرسول، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء، بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وزراً<sup>(١)</sup> إلاّ التوكل، كما إذا ضاقت عليه الأسباب، وضاقت عليه نفسه، وظنّ أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه؛ وهذا لا يتخلف عنه الفرج واليسير البتة.

وتارة يكون التوكل اختياراً، وذلك التوكل مع وجود السبب المفضى إلى المراد، فإن كان السبب مأموراً به ذمّ على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذمّ على تركه أيضاً، فإنّه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما والجمع بينهما.

وإن كان السبب محرماً حرم عليه مباشرته وتوحد السبب في حقّه في التوكل فلم يبق سبب سواه؛ فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق.

وإن كان السبب مباحاً، نظرت هل يُضعف قيامك به التوكل أو لا يضعفه؟ فإنّ أضعفه، وفرّق عليك قلبك، وشتت همّك، فتركه أولى، وإن لم يضعفه، فمباشرته أولى، لأنّ حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به، فلا تعطل حكمته مهما أمكنه القيام بها، ولا سيما إذا فعلته عبودية؛ فتكون قد أتيت بعبودية القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنوى به القربة.

والذي يحقق التوكل: القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطّلها لم يصح توكله، كما أنّ القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاءه تمنيّاً، كما أنّ من عطّلها يكون توكله عجزاً وعجزه توكلًا<sup>(٢)</sup>.

(١) الوَزْرُ: الْمَلْجَأُ وَالْمُعْتَصِمُ. ينظر القاموس المحيط، مادة وزر، ص ٦٣٣.

(٢) انظر كلام المصنف رحمه الله في كتابه (( الروح، ص ٣٧٧ )) فإنّه قد ذكر فيه الفرق بين التوكل والعجز...

وسرّ التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلوّ القلب من الإعتقاد عليها، والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلتُ على الله، مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أنّ توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد: توكلتُ على الله، مع اعتماد قلبه على غيره، مثل قوله: تبتُّ إلى الله، وهو مُصِرٌّ على معصيته مرتكب لها))<sup>(١)</sup>.

### [ ثمرة التوكل على الله ]

إثر ذكر كلام ابن القيم رحمه الله في أنواع التوكل، أسرد هنا كلامه في ثمرة التوكل على الله.

فقال رحمه الله: (( فصل: ثمرة التوكل على الله.

من ترك الإختيار والتدبير في رجاء زيادة، أو خوف نقصان، أو طلب صحة، أو فرار من سقم، وعَلِمَ أنّ الله على كل شيء قدير، وأنّه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأنّ تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه، وعَلِمَ مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة، ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره، ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف بوجه من الوجوه، استراح حيثئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات، وحَمَلَ كَلَّهُ<sup>(٢)</sup> وحوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكثرث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبرّه ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه، وجعله وحده همّه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه، وفرّغ قلبه منها، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم

(١) الفوائد (ص ١٢٩-١٣٠)، وانظر زاد المعاد (٢/٣٦٣) فإنه قد ذكر فيه غلط طائفتين من الناس في التوكل...

(٢) كَلَّهُ: ضَعَفَهُ. المعجم الوجيز (مادة: كَلَّ).

سروره وفرحه<sup>(١)</sup>.

وإن أباي إلاّ تدبيره لنفسه، واختياره لها، واهتمامه بحظه، دون حق ربّه خلاه وما اختاره، وولاه ما تولى، فحضره الهمّ والغمّ والحزن والنكد والخوف والتعب وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصل، ولا راحة يفوز بها، ولا لذة يتهنى بها، بل قد حيل بينه وبين مسرّته وفرحه وقرّة عينه، فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش، ولا يظفر منها بأمل، ولا يتزود منها لمعاد.

والله سبحانه قد أمر العبد بأمر، وضمن له ضمانا، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد، قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج، فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده، والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همّه ومراده، والمغفرة لمن استغفره، وقضاء الحوائج لمن صدقه في طلبها ووثق به وقوي رجاؤه وطمعه في فضله وجوده.

فالفطين الكيس، إنما يهتم بأمره وإقامته وتوفيقه لا بضمانه، فإنه الوفي الصادق، ومن أوفى بعهد من الله.

فمن علامات السعادة صرف اهتمامه إلى أمر الله دون ضمانه، ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبّه وخشيته والاهتمام بضمانه .. والله المستعان<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مفتاح دار السعادة ( ٣ / ٣٥٤ ) فإنه رحمه الله ذكر فيه موافقة القضاء والقدر للأسباب.

(٢) الفوائد لابن القيم ( ص ١٦٧-١٦٨ ).

المبحث الثالث:

﴿ الْمَحَبَّة ﴾



[ معنى المحبة ]

الحبّ: نقيض البغض، وهو الوداد والمحبة.

والمحبة: اسم للحُبِّ، وتَحَبَّبَ إليه: تَوَدَّدَ، وامرأة محبة لزوجها ومُحَبِّة أيضا.

والحِبِّ: الحبيب، مثل خِدْنٍ وخَدِينٍ، وهو المحبوب، وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يُدْعَى:حِبُّ رسول الله ﷺ أي محبوبه.

والأنثى: حِبَّة، وجمع الحِبِّ أحبابٌ وحِبَّانٌ وحُبُوبٌ وحِبِّيةٌ.

والحُبَابُ: الحبّ، قال أبو عطاء السُّنْدِي، مولى بني أسد:

فوالله ما أدري وإني لصادق      أداء عراني من حُبَابِكُ أم سِحْرُ

وقيل: المشهور عند الرواة: من حِبَابِكُ بكسر الحاء، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدر حَابَيْتُهُ مُحَابَيْتُهُ وحِبَابًا.

والثاني: أن يكون جمع حُبٍّ، مثل عُشٍّ وَعِشَاشٍ<sup>(١)</sup>.

وأما تعريف المحبة في الشرع فقد ذكر ابن القيم رحمه الله عدة تعريفات لها.

فيقول رحمه الله: (( فقيل: المحبة: ميل القلب إلى محبوبه.

وهذا الحد لا يعطى تصور حقيقة المحبة، فإنَّ المحبة أعرف عند القلب من الميل، وأيضاً فإنَّ

الميل لا يدل على حقيقة المحبة، فإنَّها أخص من مجرد ميل القلب، إذ قد يميل قلب العبد إلى

الشيء ولا يكون محباً له لمعرفته بمضرتة له، فإن سمي هذا الميل محبة فهو اختلاف عبارة.

وقيل: المحبة علم المحبِّ بحمال المحبوب ومحاسنه.

وهذا حد قاصر، فإنَّ العلم بحماله ومحاسنه هو السبب الداعي إلى محبته، فعبر عن المحبة

بسببه.

وقيل: المحبة تعلق القلب بالمحبوب.

وقيل: انصباب<sup>(٢)</sup> القلب إلى المحبوب.

(١) لسان العرب بتصرف ( ٢٨٩/١ ).

(٢) صبَّ الماء ونحوه يصبُّه صبًّا فصبًُّ وانصبَّ وتصبب: أراقه، وصببتُ الماء: سكبته. [ لسان

العرب، مادة صبب، ٥١٥/١ ].

وقيل: سكون القلب إليه.

وقيل: اشتغال القلب بالمحجوب بحيث لا يتفرغ قلبه لغيره.

وقيل: المحبة بذل المجهود في معرفة محبوبك، وبذل المجهود في مرضاته.

وقيل: هيجان القلب عند ذكر المحجوب.

وقيل: شجرة تنبت في القلب تسقى بماء المراقبة، وإيثار رضى المحجوب.

وقيل: المحبة حفظ الحدود، فليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

وقيل: المحبة إرادة لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر.

وقيل: فطام الجوارح عن استعمالها في غير مرضات المحجوب.

وقيل: المحبة هي السخاء بالنفس للمحجوب.

وقيل: المحبة أن لا يزال عليك رقيب من المحجوب لا يمكنك من الانصراف عنه أبداً،

وأنشد في ذلك:

أبت غلبات الشوق إلا تقربا	إليك ويأبى العذل إلا تجنبا
وما كان صدى عنك صد ملامة	ولا ذلك الإعراض إلا تقربا
وما كان ذاك العذل إلا نصيحة	ولا ذلك الأعضاء إلا تهيبا
عليّ رقيب منك حل بمهجتي	إذا رمت تسهلا عليّ تعصبا

وقيل: المحبة سقوط كل محبة من القلب سوى محبة حبيبك.

وقيل: المحبة صدق المجاهدة في أوامر الله، وتجرید المتابعة لسنة رسول الله ﷺ.

وقيل: المحبة أن لا يفتر من ذكره، ولا يأنس بغيره.

.....

وقيل: المحبة أن يملك حبيبك وتحيا به.

وقال أبو عبد الله القرشي<sup>(١)</sup>: المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء.

وقيل: أن تمحو من قلبك ما سوى المحبوب.

وقيل: المحبة نسيان حظك من محبوبك وفقرك بكلك إليه.

وقال النصر آبادي<sup>(٢)</sup>: المحبة بجانب السلو<sup>(٣)</sup> على كل حال.

وقيل: المحبة سكر لا يصحو إلا بمشاهدة المحبوب.

وقيل: المحبة إقامة بالباب على الدوام.

وقيل: المحبة حرفان: حاء وباء، فالحاء: الخروج عن الروح وبذلها للمحبوب، والباء:

الخروج عن البدن وصرفه في طاعة المحبوب.

وقال أبو عمر الزجاجي<sup>(٤)</sup>: سألتُ الجنيد عن المحبة، فقال: تريد الإشارة؟ قلتُ: لا، قال:

(١) الإمام العابد الحافظ الحجة الفقيه، مفتي دمشق، أبو عبد الله، محمد بن مبارك بن يعلى، القرشي

الصورى القلانسي، ومن كلامه: (( اعمل لله فإنه أنفع لك من العمل لنفسك )) اهـ، وتوفي في

شوال سنة خمس عشرة ومائتين. [ ينظر سير أعلام النبلاء، ١٠/٣٩٠-٣٩١ ].

(٢) الإمام المحدث، القدوة الواعظ، أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه الخراساني

النصر آبادي، النيسابوري، ونصر آباذ: محلة من نيسابور، ودفن بمكة في ذي الحجة سنة

سبع وستين وثلاثمائة، ودفن عند الفضيل. [ راجع سير أعلام النبلاء، ١٦/٢٦٣-٢٦٧ ].

(٣) سَلَاةٌ وَسَلَاةٌ عَنْهُ وَسَلِيَةٌ سَلُوًّا وَسَلُوًّا وَسَلِيًّا وَسَلِيًّا وَسَلُوًّا نَسِيَةً. [ لسان العرب، ١٤/٣٩٤ ].

(٤) لعله: عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، شيخ العربية في عصره، وُلد في نهاوند، ونشأ

في بغداد، وتوفي في طبرية من بلاد الشام، وكانت وفاته في سنة أربعين وثلاثمائة، وله تصانيف

عديدة. [ ينظر سير أعلام النبلاء، ١٥/٤٧٥، والأعلام للزركلي، ٤/٦٩ ].

تريد الدعوى؟ قلت: لا قال: فايش تريد؟ قلت: عين المحبة، فقال: أن تحب ما يحب الله في عباده، وتكره ما يكره الله في عباده.

وقيل: المحبة معية القلب والروح مع المحبوب معية لا تفارقه، فإن المرء مع من أحب. وقد قيل في المحبة حدود أكثر من هذا، وكل هذا تعن، ولا توصف المحبة ولا تحدّ بحدّ أوضح من المحبة، ولا أقرب إلى الفهم من لفظها. وأما ذكر الحدود والتعريفات فإنما يكون عند حصول الاشكال والاستعجام على الفهم، فإذا زال الاشكال وعدم الاستعجام فلا حاجة إلى ذكر الحدود والتعريفات. كما قال بعض العارفين: إنّ كل لفظ يعبر به عن الشيء فلا بد أن يكون أطف وأرق منه، والمحبة أطف وأرق من كل ما يعبر به عنها<sup>(١)</sup>.

### [ مراتب المحبة ]

بعد أن أوردتُ كلام ابن القيم رحمه الله في تعريف المحبة، أبين هنا قوله في مراتب المحبة، فيقول رحمه الله: (( ويقال للحب: التيم أيضا، فإنه أول مراتب العلاقة، وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب.

قال الشاعر:

وعلقت ليلي وهي ذات تمام لم يبد للأتراب من ثديها حجم  
وقال الآخر:

أعلاقة أم الوليد بعيد ما أفنان رأسك كالغمام الأبيض  
ثم بعدها الصبابة، وسميت بذلك لانصباب القلب إلى المحبوب.  
قال الشاعر:

ويشكى المحبوب الصبابة، ليتني تحملت ما يقولون من بينهم وحدي  
فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص ٣٠٩-٣١٠).

ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه، ومنه سمي الغريم غريماً لملازمته صاحبه، ومنه قوله تعالى: ﴿... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أولع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ في الحب، وقل أن تجده في أشعار العرب.

ثم العشق وهو إفراط المحبة، ولهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا يطلق في حقه.

ثم الشوق وهو سفر القلب إلى المحبوب أحت السفر، وقد جاء إطلاقها في حق الرب تعالى<sup>(٢)</sup>، كما في مسند الإمام أحمد من حديث عمار بن ياسر: أنه صلي صلاة فأوجز فيها، فقبل له في ذلك، قال: أما أني دعوت فيها بدعوات كان النبي ﷺ يدعو بهن: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِي إِذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَيَّ وَجَهَكَ الْكَرِيمِ وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَيَّ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زِينَةَ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِينَ))<sup>(٣)</sup>.

وفي أثر آخر: (( طال شوق الأبرار إلى وجهك، وأنا إلى لقائك أشد شوقاً ))<sup>(٤)</sup>، وهذا في المعنى الذي عبّر عنه ﷺ بقوله: (( من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ))<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الفرقان، من آية: ٦٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابه (( طريق المهجرتين وباب السعادتين، ص ٢٢٨ ))، فإنه رحمه الله قد بين فيه إطلاق العشق والشوق على الله، وهل يجوز إطلاقهما أو أحدهما؟

(٣) رواه أحمد في المسند ( ٢٦٤/٤ )، والنسائي في السنن ( كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، ٤٦/٣ )، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن النسائي ( ح: ١٢٣٨ ).

(٤) هذا الأثر بحث عنه فلم أحد له أصلاً في مظانه، ولكن وجدت له شاهداً في كتاب الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب الإحياء للسبكي ( ص ٣٣١ )، وفي تذكرة الموضوعات للفتني ( ص ١٩٦ )، ولفظه: (( طال شوق الأبرار إلى لقائي )).

(٥) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٥٠٨ )، ومسلم في صحيحه ( ح: ١٨-٢٦٨٦ )، والإمام أحمد في المسند ( ٣١٣/٢ ).

(٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ( ص ٢٦٥-٢٦٦ ).

ثم قال رحمه الله: (( ثم الحلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها، بحيث لا يبقى في القلب سعة لغير محبوه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه، وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد، كما قال ﷺ: (( إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ))<sup>(١)</sup>، وفي الصحيح عنه ﷺ: (( لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لا اتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله ))<sup>(٢)</sup>، وفي حديث آخر: (( إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ))<sup>(٣)</sup>، ولما سأل إبراهيم الطيب الولد فأعطيه، فتعلق حبه بقلبه، فأخذ منه شعبة غار الحبيب على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبحه، وكان الأمر في المنام ليكون تنفيذ الأمور به أعظم ابتلاء وامتحانًا، ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب، فلما بادر الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال، وقدم محبة الله على محبة ولده، حصل المقصود، فرفع الذبح وقدى الولد بذبح عظيم، فإنَّ الربَّ تعالى أمر بشيء ثم أبطله رأسًا<sup>(٤)</sup>، بل لا بد أن يبقى بعضه أو بدله كما

(١) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٢٣-٥٣٢)، من حديث حنبل بلفظ: (( إني أبرأ إلى الله أن

يكون لي منكم خليل فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا... ))

(٢) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٦٥٨)، ومسلم في صحيحه (ح:

٦-٢٣٨٣)، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (ح ٧-٢٣٨٣)، وأحمد في المسند (١/٣٨٩)، واللفظ للمسند.

(٤) هذا معنى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ

الصَّالِحِينَ قَبَشْرَانَهُ بَعْلَامَ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ

مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَجِدْ لِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَوَدَّعْنَاهُ أَنْ

يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَقَدَّعْنَاهُ بِذَنْحِ

عَظِيمٍ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ [ سورة

أبقى شريعة الفداء، وكما أبقى استحباب الصدقة عند المناجاة<sup>(١)</sup>، وكما أبقى الصلوات الخمس بعد رفع الخمسين وأبقى ثوابها، وقال: (( لا يبدل القول لدي، هي خمس في الفعل وهي خمسون في الأجر ))<sup>(٢)</sup>.

وأما ما يظنه بعض الظانين: أنّ المحبة أكمل من الخلة، وأنّ إبراهيم خليل الله، ومحمد ﷺ حبيب الله فمن جهله أتى، فإنّ المحبة عامة والخلة خاصة، والخلة نهاية المحبة، وقد أخبر النبي ﷺ أنّ الله اتخذ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup> وغيرهم.

وأيضاً فإنّ الله سبحانه: ﴿... يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، و: ﴿... يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، و: ﴿... يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، و: ﴿... يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، و:

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون﴾. [سورة المجادلة، الآيتان: ١٢، ١٣].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٤٩) ومسلم في صحيحه (ح: ٢٦٣-١٦٣)، ولفظهما: ((هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي)).

(٣) يشير إلى حديث عمرو بن العاص ﷺ أنه سأل النبي ﷺ: أي الناس أحبّ إليك؟ فقال: ((عائشة))، فقلت: من الرجال؟ قال: ((أبوها))، قلت: ثمّ من؟ قال: ((عمر بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً)). [رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٦٦٢)، ومسلم في صحيحه (ح: ٨-٢٣٨٤)، واللفظ للبخاري].

(٤) سورة البقرة، من آية: ٢٢٢.

(٥) سورة آل عمران، من آية: ١٤٦.

(٦) سورة البقرة، من آية: ١٩٥، وسورة آل عمران، من آية: ١٣٤، ١٤٨.

(٧) سورة آل عمران، من آية: ٧٦.

﴿...يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وخلته خاصة بالخليلين عليهما الصلاة والسلام، والشاب التائب حبيب الله، وإنما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### [ أنواع المحبة ]

بعد أن ذكرت قول ابن القيم رحمه الله في مراتب المحبة أبين هنا كلامه في أنواع المحبة، فقال رحمه الله: (( وههنا أربعة أنواع من الحب، يجب التفريق بينهما، وإنما ضلّ بعدم التمييز بينهما:

أحدهما: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإنّ المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحبّ الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدّهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحبه الله، ولا تستقيم محبة ما يحبه الله إلاّ بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحبّ شيئاً مع الله، لا لله، ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتّخذهُ نداءً من دون الله، وهذه محبة المشركين<sup>(٣)</sup>. وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه، وهي المحبة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تدم إلاّ إن أهت عن ذكر الله، وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا

(١) سورة الحجرات، من آية: ٩.

(٢) الجواب الكافي (ص ٢٧٥-٢٧٧)، وانظر طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص ٥٣١، ٥٩٣)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/١٦٥).

(٣) انظر تفصيل كلامه رحمه الله في المحبة مع الله في روضة المحبين (ص ٢٨٧)، وفي طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص ٢٩٦)، وفي الجواب الكافي (ص ٢٧٣).



أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ... ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿مَرَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾... ﴿٢﴾... ﴿٣﴾.

[ مسألة ]

وبعد أن ذكرتُ كلامه رحمه الله في أنواع المحبة أذكر هنا قوله رحمه الله في المسألة التي يغلط فيها كثير من المدعين للمحبة، فقال رحمه الله: ((ولكن هاهنا مسألة يغلط فيها كثير من المدعين للمحبة، وهي أن موافقة المحبوب في مراده ليس المعني بها مراده الخَلْقِي الكوني، فإن كل الكون مراده، وكل ما يفعله الخلائق فهو موجب مشيئته وإرادته الكونية، فلو كانت موافقته في هذا المراد هي محبته لم يكن له عدو أصلاً، وكانت للشياطين والكفار والمشركون عباد الأوثان والشمس والقمر أوليائه وأحبابه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما يظن ذلك من يظنه من أعدائه الجاحدين لمحبته ودينه الذين يسوون بين أوليائه وأعدائه، قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٤﴾، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٥﴾، وقال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٦﴾، وبين المطيعين والمفسدين مع أن الكل تحت المراد الكوني والمشينة العامة.

(١) سورة المنافقون، من آية: ٩.

(٢) سورة النور، من آية: ٣٧.

(٣) الجواب الكافي (ص ٢٧٤-٢٧٥)، وانظر طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص ٥٣٢) فإنه رحمه الله قد ذكر فيه أن المحبة المشتركة ثلاثة أنواع...

(٤) سورة ص، آية: ٢٨.

(٥) سورة الجاثية، آية: ٢١.

(٦) سورة القلم، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: قال لي بعض شيوخ هولاء: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأَيُّ شيء أبغض منه؟  
قال: فقلتُ له: فإذا كان المحبوب قد أبغض بعض ما في الكون، فأبغض قومًا ومقتهم ولعنهم وعاداهم، فأحببتهم أنت وواليتهم، تكون موائبًا للمحبيب موافقًا له، أو مخالفًا له معاديًا له؟  
قال: فكأنما ألقم حجرًا.

ويبلغ الجهل والكفر ببعض هولاء إلى حد بحيث إذا فعل محظورًا يزعم أنه مطيع لله ﷻ، ويقول: أنا مطيع لإرادته، وينشد في ذلك:

أصبحت منفعلًا لما يختاره      مني، ففعلني كله طاعات<sup>(١)</sup>

ويقول أحدهم: إبليس وإن عصى الأمر، لكنه أطاع الإرادة، يعني أنّ فعله طاعة لله من حيث موافقة إرادته.

وهذا انسلاخ من ربة العقل والدين، وخروج عن الشرائع كلها، فإنّ الطاعة إنّما هي موافقة الأمر الديني الذي يحبه الله ويرضاه، وأمّا دخوله تحت القدر الكوني الذي يبغضه ويسخطه ويكفر فاعله ويعاقبه، فهي المعصية والكفر ومعاداته ومعادة دينه.

ولا ريب أنّ المسرفين على أنفسهم المنهمكين في الذنوب والمعاصي المعترفين بأنهم عصاة مذنبون أقرب إلى الله من هولاء العارفين المنسلخين عن دين الأنبياء كلهم، الذين لا عقل لهم ولا دين، فنسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه ((<sup>(٢)</sup>).

وأختتم هذا المبحث بذكر أنّ أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى، فقال رحمه الله: (( ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحبّ الله بكلّ قلبه وروحه وجوارحه، فيوحد محبوه ويوحد حبه... ))

فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوه، وتوحيد الحبّ أن لا يبقى في قلبه بقية حبّ حتى ينلها له، فهذا الحبّ وإن سمي عشقًا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرّة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلاّ بأن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما.

(١) نسبه شيخ الإسلام ابن تيمية لابن إسرائيل، وهو الشاعر المشهور نجم الدين محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر الشيباني المتوفى سنة ٦٧٧هـ. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٥٧/٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ت: التركي، ص ٣٣٥)، العبر (٢١٦/٥).

(٢) طريق المحرّتين (ص ٥٤٧-٥٤٩).

وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله، فلا يحب إلا الله، كما في الحديث الصحيح: (( ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: مَنْ كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومَنْ كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار ))<sup>(١)</sup>، فأخبر أنّ العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومحبة رسوله هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبة الله، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها. وتصديق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد.

ولا ريب أنّ هذا من أعظم المحبة، فإنّ الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئاً، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خيّر بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر كان أحبّ إليه من نفسه<sup>(٢)</sup>.

وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العُشّاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً. وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق مَنْ كان.

ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركاً شركاً لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخْذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُجِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٦)، وومسلم في صحيحه (ح: ٤٣-٦٧).

(٢) وكان المثل الأعلى في هذا المجال الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي عندما أُلقي في النار بكى فسأله الملك: ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله. [ انظر سير أعلام النبلاء، ١٤/٢ ].

﴿...وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>، والصحيح أن معنى الآية ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾ من أهل الأنداد لأناداهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلاً، كما لا يماثل محبوبهم غيره.

وكل أذى من محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته.

ومن ضرب محبته الأمثال التي هي في محبة المخلوق للمخلوق كالوصل والهجر والتجني بلا سبب من المحب، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه علواً كبيراً، فهو مخطئ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيق بالإبعاد والمقت.

والآفة إنما هي من نفسه وقلة أدبه مع محبوبه، والله تعالى نهى أن يضرب عباده له الأمثال فهو لا يقاس بمخلقه.

وما ابتدع من ابتدع إلا من ضرب الأمثال له سبحانه، فأصحاب الكلام المحدث المتبدع ضربوا له الأمثال الباطلة في الخير عنه وما يوصف به، وأصحاب الإرادة المنحرفة ضربوا له الأمثال في الإرادة والطلب، وكلاهما على بدعة وخطأ. ((<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة، من آية: ١٦٥.

(٢) روضة المحيين (ص ٢١١-٢١٣).

المبحث الرابع:

﴿ الخوف والرجاء ﴾

[ مفهوم الخوف ]

الْخَوْفُ: الْفَرْعُ، خَافَهُ يَخَافُهُ خَوْفًا وَخَيْفًا وَمَخَافَةً.

قال الليث: خَافَ يَخَافُ خَوْفًا، وَإِنَّمَا صَارَتِ الْوَاوُ أَلْفًا فِي يَخَافُ لِأَنَّهُ عَلَى بِنَاءِ عَمَلٍ يَعْمَلُ، فَاسْتَقْبَلُوا الْوَاوُ فَأَلْقَوْهَا، وَفِيهَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْحَرْفُ وَالصَّرْفُ وَالصَّوْتُ، وَرَبَّمَا أَلْقَوْا الْحَرْفَ بِصَرْفِهَا وَأَبْقَوْا مِنْهَا الصَّوْتُ، وَقَالُوا: يَخَافُ، وَكَانَ حُدَّهُ يَخَوْفُ بِالْوَاوِ مَنْصُوبَةً، فَأَلْقَوْا الْوَاوُ وَعَاطَمُوا الصَّوْتُ عَلَى صَرْفِ الْوَاوِ، وَقَالُوا: خَافَ، وَكَانَ حُدَّهُ خَوْفٌ بِالْوَاوِ الْمَكْسُورَةِ، فَأَلْقَوْا الْوَاوُ بِصَرْفِهَا وَأَبْقَوْا الصَّوْتُ، وَعَاطَمُوا الصَّوْتُ عَلَى فَتْحَةِ الْخَاءِ فَصَارَ مَعَهَا أَلْفًا لَيْتَةً، وَمِنْهُ التَّخْوِيفُ وَالْإِخْفَاءُ وَالْتَّخَوُّفُ، وَالتَّعْنَتُ خَائِفٌ وَهُوَ الْفَرْعُ، وَقَوْلُهُ:

أَتَهَجُرُ بَيْتًا بِالْحِجَازِ تَلَفَعْتُ  
بِهِ الْخَوْفُ وَالْأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ

إِنَّمَا أَرَادَ بِالْخَوْفِ الْمَخَافَةَ فَأَنْتَ لَذَلِكَ.

وَقَوْمٌ خَوْفٌ عَلَى الْأَصْلِ، وَخَيْفٌ عَلَى اللَّفْظِ، وَخَيْفٌ وَخَوْفٌ، الْأَخِيرَةُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ، كُلُّهُمْ خَائِفُونَ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ نَخَفَ، بِفَتْحِ الْخَاءِ.

قال الكسائي: مَا كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ مِنْ بِنَاتِ الْوَاوِ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ عَلَى فُعْلٍ، وَفِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ، يُقَالُ: خَائِفٌ وَخَيْفٌ وَخَوْفٌ وَخَوْفٌ، وَتَخَوَّفْتُ عَلَى الشَّيْءِ أَيِ خِيفْتُ، وَتَخَوَّفَهُ كَخَافَهُ وَأَخَافَهُ إِيَّاهُ إِخْفَاءً وَإِخْفًا.

وَخَوْفُ الرَّجُلِ إِذَا جَعَلَ فِيهِ الْخَوْفَ، وَخَوْفَتُهُ إِذَا جَعَلْتَهُ بِحَالَةٍ يَخَافُهُ النَّاسُ.

وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَخَوْفُ الرَّجُلِ جَعَلَ النَّاسَ يَخَافُونَهُ.

وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَحْوِفُ أَوْلِيَاءَهُ...﴾<sup>(١)</sup> أَيِ يَجْعَلُكُمْ تَخَافُونَ أَوْلِيَاءَهُ.

وَقَالَ ثَعْلَبٌ: مَعْنَاهُ يَخَوْفُكُمْ بِأَوْلِيَاءِهِ، قَالَ: وَأَرَاهُ تَسْهِيلًا لِلْمَعْنَى الْأَوَّلِ، وَالْعَرَبُ تَضِيفُ الْمَخَافَةَ إِلَى الْمَخَوْفِ، فَتَقُولُ: أَنَا أَخَافُكَ كَخَوْفِ الْأَسَدِ أَيِ كَمَا أَخَوْفُ بِالْأَسَدِ، وَمِثْلُهُ:

وَقَدْ خِيفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي  
عَلَى وَعَلٍ بِذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

كَأَنَّهُ أَرَادَ: وَقَدْ خَافَ النَّاسُ مِنِّي حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتَهُمْ إِيَّايَ عَلَى مَخَافَةِ وَعَلٍ.

(١) سورة آل عمران، من آية: ١٧٥.

قال ابن سيده: والذي عندي في ذلك أنّ المصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل، وفي التنزيل: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ...﴾<sup>(١)</sup> فأضاف الدعاء وهو مصدر إلى الخير وهو مفعول، وعلى هذا قالوا: أعجبتني ضرب زيدٍ عمراً، فأضافوا المصدر إلى المفعول الذي هو زيد، والاسم من ذلك كله الخيفة، والخيفة: الخوف.

وفي التنزيل: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً...﴾<sup>(٢)</sup> والجمع: خيفٌ، وأصله الواو.

والمخافُ والمخيفُ: موضع الخوف، وفي حديث عمر رضي الله عنه: (( نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ))<sup>(٣)</sup>، أراد أنه إنما يطيع الله حباً له، لا خوف عقابه، فلو لم يكن عقاب يخافه ما عصى الله، ففي الكلام محذوف تقديره: لو لم يخف الله لم يعصه فكيف وقد خافه.

(١) سورة فصلت، من آية: ٤٩.

(٢) سورة الأعراف، من آية: ٢٠٥.

(٣) ذكره السيوطي في تدريب الراوي ( ١٧٥/٢ )، وقال: (( قال العراقي وغيره: لا أصل له ولا يوجد بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث )).

- وذكره أيضا القاري في المصنوع ( ص ٢٠٢ )، وقال: (( لا أصل له كما صرح به الحفاظ )).

- وذكره أيضا العجلوني في كشف الخفاء ( ٤٢٩/٢ )، وقال: (( وقال الجلال السيوطي في شرح نظم التلخيص: كثر سؤال الناس عن حديث (( نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه )) ونسبه بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ابن مالك في شرح الكافية، وغيره إلى عمر، قال الشيخ بهاء الدين السبكي: لم أر هذا الكلام في شيء من كتب الحديث لا مرفوعا ولا موقوفاً لا عن عمر ولا عن غيره مع شدة التفحص عنه انتهى، نعم قد روي الدلمي في سالم لا صهيب عن عمر مرفوعاً أن معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة لا يحجبه من الله إلا المرسلين وأن سالماً مولى أبي حذيفة شديد الحب في الله لو لم يخف الله ما عصاه، والله أعلم )).

وفى الحديث: (( أَخِيفُوا الْهُوَامَ قَبْلَ أَنْ تُخِيفَكُم ))<sup>(١)</sup> أي احترسوا منها فإذا ظهر منها شيء فاقتلوه، المعنى: اجعلوها تخافكم واحملوها على الخوف منكم لأنها إذا أرادتكم ورأتكم تقتلونها فرت منكم.

وخاوفني فحففتُه أخوفه: غلبته بما يُخَوِّفُ و كنت أشد خوفاً منه<sup>(٢)</sup>.

والخوف أيضا يأتي بمعنى القتل، قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَبُوا كُفْرَ بَشِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ... ﴾<sup>(٣)</sup>، ويأتي أيضا بمعنى القتال، قال الله تعالى: ﴿ ... فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ... ﴾<sup>(٤)</sup>،

ويأتي أيضا بمعنى العِلم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا... ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَصَّ جَنَفًا... ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>.

[ مفهوم الرجاء ]

الرجاء من الأمل: نقيض اليأس، ممدود، رجاءه يرجوه رجواً ورجاءً ورجاوةً ومرجأةً ورجاةً، وهمزته منقلبة عن واوٍ بدليل ظهورها في رجاوة، وفي الحديث (( إلا رجاة أن أكون من أهلها ))<sup>(٨)</sup>.

وأنشد ابن الأعرابي:

غدوتُ رجاةً أن يجود مقاعس      وصاحبه، فاستقبلاني بالغدر

(١) الحديث ذكره ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٤/٥)، وذكر أنه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

وكذلك ابن حزم في المحلى (القسم الأول: ٤٠٦/٧).

(٢) لسان العرب بتصرف (٩٩/٩-١٠٠).

(٣) سورة البقرة، من آية: ١٥٥.

(٤) سورة الأحزاب، من آية: ١٩.

(٥) سورة النساء، من آية: ١٢٨.

(٦) سورة البقرة، من آية: ١٨٢.

(٧) القاموس المحيط بتصرف (ص ٧٢٨).

(٨) هذا الحديث بحثت عنه في مظانه فلم أجد له أصلاً، والله أعلم.



ويروى: بالغدر، وقد تكرر في الحديث ذكر الرجاء بمعنى التَّوَقُّع والأمل، وقد يكون الرَّجْوُ والرجاء بمعنى الخوف، وبه قال ابن سيده، وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال الفراء: الرجاء في معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد، تقول: ما رجوتك أي ما خفتك، ولا تقول: رجوتك في معنى خفتك.

وأنشد لأبي ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها      وخالفها في بيت نوب عَوَاسِلِ  
أي لم يخف ولم يبال.

وقال الفراء: رجا في موضع الخوف إذا كان معه حرف نفي، ومنه قول الله ﷻ: ﴿مَا

لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، المعنى: لا تخافون لله عظمة.

قال الراجز:

لا ترتجي حين تلاقى الذئبدا      أسبعة لاقت معاً أو واحداً

قال الفراء: وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿... وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

يَرْجُونَ...﴾<sup>(٢)</sup> معناه: تخافون، قال: ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد، فإذا

كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك كقوله ﷻ:

﴿... لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup> هذه للذين لا يخافون أيام الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿... لَا

تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وأنشد بيت أبي ذؤيب:

\* إذا لسعته النحل لم يرج لسعها \*

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) سورة النساء، من آية: ١٠٤.

(٣) سورة الجاثية، من آية: ١٤.

قال: ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا... ﴾<sup>(١)</sup> أي لا يخشون لقاءنا<sup>(٢)</sup>.

### [ مقارنة الخوف بالوجل والخشية والرهبة ]

وبعد أن ذكرتُ معنى الخوف والرجاء، أذكر كلام ابن القيم رحمه الله في معنى الخوف والمقارنة بينه وبين الوجَلِ والخشية والرهبة.

فقال رحمه الله: (( والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

قال أبو القاسم الجنيد: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس.

وقيل: الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام، وهذا سبب الخوف، لا أنه نفسه.

وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

والخشية: أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى

اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ... ﴾<sup>(٣)</sup> فهو خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي ﷺ: (( إني أتقاكم لله،

وأشدكم له خشية ))<sup>(٤)</sup>.

فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسييل ونحو ذلك له حالتان:

إحدهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية...

(١) سورة الفرقان، من آية: ٢١.

(٢) لسان العرب بتصرف ( ٣١٠-٣٠٩/١٤ ).

(٣) سورة فاطر، من آية: ٢٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ٥٠٦٣ )، ومسلم في صحيحه ( ح

٤٧-١١٠٨ )، ولفظه عند البخاري: (( أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ))، وأما لفظه

عند مسلم فهو: (( أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له )).

وأما الرهبنة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه.

وبين الرهب والهرب تناسب في اللفظ والمعنى، يجمعهما الإشتقاق الأوسط الذي هو عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع.

وأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته.  
وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة، والإجلال: تعظيم مقرون بالحب.

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال النبي ﷺ: (( إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ))<sup>(١)</sup>، وفي رواية (( خوفًا ))، وقال: (( لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا؛ ولما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ))<sup>(٢)</sup>.

فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء.  
قال أبو حفص<sup>(٣)</sup>: الخوف سوط الله، يُقوّم به الشاردين عن بابه.

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٧٣٠١)، ومسلم في صحيحه (ح ١٢٧-٢٣٥٦)، ولفظه عند البخاري: (( فوالله إني أعلمكم بالله وأشدهم له خشية )).  
(٢) رواه أحمد في المسند (١٧٣/٥)، والترمذي في السنن (ح ٢٣١٢)، وابن ماجه في السنن (كتاب الزهد، ح ١٩، ٤٢٤٣)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣٧٨-٤١٩٠).

(٣) أبو حفص النيسابوري عمر بن سلم، الإمام القدوة الرباني الزاهد، شيخ خراسان، وتوفي سنة أربع وستين ومائتين. [يراجع ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٢/٥١٠-٥١٣].



مَرَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ... ﴿١﴾ فجمع بين المقامات الثلاثة، فإنَّ ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه، ثمَّ يقول: ﴿... وَيَرْجُونَ مَرَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾ فذكر الحب والخوف والرجاء.

والمعنى: أنَّ الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيدٌ له؟ وقد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله: ﴿... فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ فجعل الخوف منه شرطاً في تحقق الإيمان، وإن كان الشرط داخلاً في الصيغة على الإيمان فهو المشروط في المعنى، والخوف شرط في حصوله وتحققه.

وذلك لأنَّ الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه، وحصول المسبب شرط في تحقق السبب، كما أنَّ حصول السبب موجب لحصول مسببه.

فانتفاء الإيمان عند انتفاء الخوف للمشروط عند انتفاء شرطه، وانتفاء الخوف عند انتفاء الإيمان للمعلول عند انتفاء علته فتدبره.

والمعنى: إن كنتم مؤمنين فخافوني، والجزاء محذوف مدلول عليه بالأول عند سيبويه<sup>(٣)</sup> وأصحابه.

أو هو المتقدم نفسه، وهو جزاء وإن تقدم كما هو مذهب الكوفيين.

(١) سورة الإسراء، آيتا: ٥٦، ٥٧.

(٢) سورة آل عمران، من آية: ١٧٥.

(٣) سيبويه: إمام النحو، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي ثمَّ البصري، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثمَّ أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألّف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، وسمي سيبويه لأنَّ وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن، عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين، مات سنة ثمانين ومائة. [ ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء،

وعلى التقديرين فأداة الشرط قد دخلت على السبب المقتضي للخوف وهو الإيمان، وكل منهما مستلزم للآخر.

لكن الاستلزام مختلف، وكل منهما منتف عند انتفاء الآخر، لكن جهة الانتفاء مختلفة كما تقدم.

والمقصود: أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته، فلا يختلف عنه، وقال تعالى: ﴿... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ...﴾<sup>(١)</sup> وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم: ﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا...﴾<sup>(٢)</sup> فالرغب: الرجاء والرغبة، والرهب: الخوف والخشية.

وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً﴾<sup>(٤)</sup> وفي لفظ آخر: ((إِنِّي أَخَوْفُكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِمَا اتَّقَى)).

وكان ﷺ يصلي ولصدره أزيز كل أزيز الرجل من البكاء وقد قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾<sup>(٥)</sup> فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف. قال ابن مسعود<sup>(٦)</sup>: وكفى بخشية الله علماً<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة المائدة، من آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، من آية: ٩٠.

(٣) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٤) تقدم تحريجه.

(٥) سورة فاطر، من آية: ٢٨.

ونقصان الخوف من الله إنما هو نقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياءً وخوفاً وحباً.

فالخوف من أجلّ منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهو بهم أليق، ولهم ألزم. فإنّ العبد إمّا أن يكون مستقيماً أو مائلاً عن الاستقامة، فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله.

### [ منشأ الخوف ]

ولا يصح الإيمان إلاّ بهذا الخوف، وهو ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: معرفته بالجناية وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأنّ الله رتب على المعصية عقوبتها.

والثالث: أنّه لا يعلم، لعله يُمنع من التوبة ويُحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب.

فهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف، وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه، فإنّ الحامل على الذنب إمّا أن يكون عدم علمه بقبحه، وإمّا عدم علمه بسوء عاقبته، وإمّا أن يجتمع له الأمران لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة، وهو الغالب من ذنوب أهل الإيمان. فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته وخاف أن لا يفتح له باب التوبة بل يمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه.

وهذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد.

(٦) عبد الله بن مسعود، الصحابي الجليل، الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكّي المهاجري البدري، حليف بني زهرة، ومناقبه غزيرة روى علماً كثيراً، مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين. [ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١/٤٦١-٥٠٠ ].

(٧) ذكره البيهقي في شعب الإيمان ( ١/٣٧٧ )، وذكر أنّه من كلام الفضيل بن عياض، ومطلع الكلام: (( كفى بالله محباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً... )).

وبالجملة: فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزائها، وذكر المعصية والتوعد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح هاج في قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو.

وأما إن كان مستقيماً مع الله فخوفه يكون مع جريان الأنفاس لعلمه بأن الله مقلب القلوب، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ، فإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه، كما ثبت عن النبي ﷺ، وكانت أكثر يمينه: (( لا ومقلب القلوب، لا ومقلب القلوب ))<sup>(١)</sup>.

وقال بعض السلف: القلب أشد تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانا.

وقال بعضهم: مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة، تقلبها الرياح ظهراً لبطن.

ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ...﴾<sup>(٢)</sup> فأي قرار

لمن هذه حاله؟ ومن أحق بالخوف منه؟ بل خوفه لازم له في كل حال، وإن توارى عنه بغلبة حالة أخرى عليه.

فالخوف حشو قلبه، لكن توارى عنه بغلبة غيره، فوجود الشيء غير العلم به، فالخوف الأول ثمرة العلم بالوعد والوعيد، وهذا الخوف ثمرة العلم بقدره الله وعزته وجلاله، وأنه الفعال لما يريد، وأنه المحرك للقلب المصرف له المقلب له كيف يشاء لا إله إلا هو<sup>(٣)</sup>.

(١) يشير إلى ما روي عن عبد الله قال: (( كثيراً ما كان النبي ﷺ يحلف: لا ومقلب القلوب )).

رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٦١٧، ٦٦٢٨، ٧٣٩١ ).

(٢) سورة الأنفال، من آية: ٢٤.

(٣) طريق المهجرتين وباب السعادتين ( ص ٢٨٢-٢٨٤ )، وانظر مدارج السالكين ( ١/٥٤٨-٥٤٩ ).



## [ الفرق بين الخوف والحب ]

بين ابن القيم رحمه الله الفرق بين الخوف والحب، ووجه خوف الملائكة وأنهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخالفة، وشدة خوف النبي ﷺ مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنه أقرب الخلق إلى الله.

فقال رحمه الله: (( إنَّ الخوف يتعلّق بالأفعال، وأمّا الحب يتعلّق بالذات والصفات، ولهذا يزول الخوف في الجنة، وأمّا الحب فيزداد.

ولمّا كان الحب يتعلّق بالذات كان من أسمائه سبحانه (( الودود ))، قال البخاري في صحيحه: الحبيب<sup>(١)</sup>.

وأما الخوف فإنّ متعلّقه أفعال الرب، ولا يخرج عن كون سببه جنائفة العبد، وإن كانت جنائفة من قدر الله.

ولهذا قال علي بن أبي طالب: (( لا يرجوّ عبد إلاّ ربّه، ولا يخافنّ عبد إلاّ ذنبه ))، فمتعلّق الخوف ذنب العبد وعاقبته، وهي مفعولات للرب، فليس الخوف عائدا إلى نفس الذات.

والفرق بينه وبين الحب: أنّ الحب سببه الكمال، وذاته تعالى لها الكمال المطلق، وهو متعلّق الحب التام.

وأما الخوف فسببه توقع المكروه، وهذا إنّما يكون في الأفعال والمفعولات، وبهذا يعلم بطلان قول من زعم أنّه سبحانه يخاف لا لعلّة ولا لسبب، بل كما يخاف السيل الذي لا يدري العبد من أين يأتيه، وهذا بناء من هولاء على نفي محبته سبحانه وحكمته. وأنه ليس إلاّ محض المشيئة والإرادة التي ترجح مثلا على مثل بلا مرجح، ولا يراعى فيها حكمة ولا مصلحة.

(١) أورده البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، كتاب التوحيد ٩٧، باب وكان عرشه على الماء، وهو ربّ العرش العظيم ٢٢، ١٣/٤١٤، قبيل الحديث ٧٤١٨ ).

وهؤلاء عندهم الخوف يتعلق بنفس الذات من غير نظر إلى فعل العبد، وأنه سبب المخالفة، إذ ليس عندهم سبب ولا حكمة، بل إرادة محضة يفعل بها ما يشاء من تنعم وتعذيب.

وعند هؤلاء فالخوف لازم للعبد في كل حال، أحسن أم أساء، وليس لأفعاله تأثير في الخوف، وهذا من قلة نصيبهم من المعرفة بالله وكمالته وحكمته.

وأين هذا من قول أمير المؤمنين علي: (( لا يرحون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه؟ ))، فجعل الرجاء متعلقا بالرب ﷻ، لأن رحمة من لوازم ذاته، وهي سبقت غضبه. وأما الخوف فمتعلق بالذنب، فهو سبب المخالفة، حتى لو قدر عدم الذنب بالكلية لم تكن مخافة.

\* فإن قيل: فما وجه خوف الملائكة، وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخالفة، وشدة خوف النبي ﷺ مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنه أقرب الخلق إلى الله؟  
قيل: عن هذا أربعة أجوبة:

الجواب الأول: إن هذا الخوف على حسب القرب من الله والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد، لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره.

ونظير هذا في المشاهد أن المائل بين يدي أحد الملوك المشاهد له أشد خوفا منه من البعيد عنه، بحسب قربه منه ومنزلته عنده ومعرفة به وبحقوقه، وأنه يطالب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالب به غيره، فهو أحق بالخوف من البعيد.

ومن تصور هذا حق تصوره فهم قوله ﷺ: (( إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ))، وفهم قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت<sup>(١)</sup> عن النبي

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة، الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرضيين، مفتي المدينة، أبو سعيد، الخزرجي النجاري

ﷺ أنه قال: (( إن الله تعالى لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ))<sup>(١)</sup>.

وليس المراد به لو عذبهم لتصرف في ملكه - والمتصرف في ملكه غير ظالم - كما يظنه كثير من الناس، فإن هذا<sup>(٢)</sup> يتضمن مدحا، والحديث إنما سيق للمدح وبيان عظم حق الله على عباده، وأنه لو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم ولم يكن بغير استحقاق، فإن حقه سبحانه عليهم أضعاف أضعاف ما أتوا. ولهذا قال بعده: (( ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم )) يعنى أن رحمته لهم ليست ثمنا لأعمالهم ولا تبلغ أعمالهم رحمته، فرحمته لهم ليست على قدر أعمالهم، إذ أعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمة.

وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها، فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعديا لحقه، وهو غير ظالم لهم فيه.

ولا سيما فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم، فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم، فإذا عذبهم على ترك شكره وأداء حقه الذي ينبغي له سبحانه عذبهم ولم يكن ظالما لهم.

### [ مسألة ]

فإن قيل: فهم إذا فعلوا مقدرهم من شكره وعبوديته لم يكن ما عداه مما ينبغي له سبحانه مقنونا لهم، فكيف يحسن العذاب عليه؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: إنَّ المقدور للعبد لا يأتي به كله، بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوان.

وأیضا ففي نفسه قيامه بالعبودية لا يوفيهما حقا الواجب لها من كمال المراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامة لله فيها بحيث يبذل مقدوره كله في تحسينها وتكملها ظاهرا وباطنا.

الأنصاري، كاتب الوحي، ومناقبه جمّة، مات سنة خمس وأربعين، وقيل: غير ذلك. | انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤٢٦/٢-٤٤١.]

(١) رواه أبو داود في السنن (ح: ٤٦٩٩)، وابن ماجه في السنن (ح: ٧٧)، وصحح إسناده العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح: ٦٢-٧٧)، والمشكاة (ح: ١١٥).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: فإن هذا لا يتضمن مدحا...

فالتقصير لازم في حال الترك وفي حال الفعل، ولهذا سأل الصديق النبي ﷺ دعاء يدعو به في صلاته، فقال: (( قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم ))<sup>(١)</sup>.

فأخبر عن ظلمه لنفسه مؤكداً له بأن المقتضية ثبوت الخير وتحقيقه، ثم أكده بالمصدر النافي للتجاوز والاستعارة؛ ثم وصفه بالكثرة المقتضية لتعدد وتكرره، ثم قال: (( فاغفر لي مغفرة من عندك )) أي لا ينالها عملي ولا سعبي، بل عملي يقصر عنها، وإنما هي من فضلك وإحسانك، ولا بكسي ولا باستغفاري وتوبيتي، ثم قال: (( ارحمني )) أي ليس معولي إلا على مجرد رحمتك، فإن رحمتي وإلا فالهلاك لازم لي.

فليتدبر اللبيب هذا الدعاء وما فيه من المعارف والعبودية وفي ضمنه: إنه لو عذبتني لعدلت في ولم تظلمني، وإني لا أنجو إلا برحمتك ومغفرتك.

ومن هذا قوله ﷺ: (( لن ينجي أحداً منكم عمله ))، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (( ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل ))<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة، فلو لم ينجه الله فلم يكن قد نجسه شيئاً من حقه ولا ظلمه، فإنه ليس معه ما يقتضي نجاته.

وعمله ليس وافياً بشكر القليل من نعمه، فهل يكون ظالماً له لو عذبه؟ وهل تكون رحمته له جزاء لعمله، ويكون العمل ثمناً لها مع تقصيره فيه، وعدم توفيقه ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياء والمراقبة، والمحبة والخشوع وحضور القلب بين يدي الله في العمل له؟

ومن علم هذا علم السر في كون أعمال الطاعات تختم بالاستغفار، ففي صحيح مسلم عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: (( اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ))<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٨٣٤)، وأحمد في المسند (٣/١، ٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٤٦٣)، ومسلم في صحيحه (ح:

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل.

قال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر، فلمّا كان السحر جلسوا يستغفرون.

وأمر الله تعالى عباده بالاستغفار عقيب الإفاضة في الحج، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وشرع رسول الله ﷺ للمتوضئ أن يحنم وضوءه بالتوحيد والاستغفار فيقول: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين))<sup>(٣)</sup> فهذا ونحوه مما يبين حقيقة الأمر، وأنّ كل أحد محتاج إلى مغفرة الله ورحمته، وأنه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلاً.

الجواب الثاني: أنه لو فرض أنّ العبد يأتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهراً وباطناً، فالذي ينبغي لربه فوق ذلك وأضعاف أضعافه.

فإذا عجز العبد عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاء، والذي أتى به لم يقابل أقل النعم، فإذا حرم جزاء العمل الذي ينبغي للرب من عبده كان ذلك تعذيباً له، ولم يكن الرب ظالماً له في هذا الحرمان، ولو كان عاجزاً عن أسبابه فإنّه لم يمنعه حقاً يستحقه عليه فيكون ظالماً يمنعه.

فإذا أعطاه الثواب كان مجرد صدقة منه وفضل وتصدق بها عليه لا ينالها عمله، بل هي خير من عمله وأفضل وأكثر، ليست معاوضة، والله أعلم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (ح: ١٣٥-٥٩١).

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) رواه الترمذي في السنن (ح: ٥٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح

الجواب الثالث: عن السؤال الأول: إنَّ العبد إذا علم أنَّ الله ﷻ وهو مقلب القلوب، وأنَّه يحول بين المرء وقلبه، وأنَّه تعالى كل يوم هو في شأن، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنَّه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرقع من يشاء، ويخفض من يشاء، فما يومنه أن يقلب الله قلبه ويحول بينه وبينه، ويزيغه بعد إقامته؟

وقد أتى الله على عباده المؤمنين بقولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا... ﴾<sup>(١)</sup> فلولاً خوف الإزاعة لما سأله أن لا يزيغ قلوبهم.

وكان من دعاء النبي ﷺ: (( اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، ومثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك ))<sup>(٢)</sup>.

وفي الترمذي عنه ﷺ أنه كان يدعو: (( أعوذ بعزتك أن تضلني، أنت الحي الذي لا تموت ))<sup>(٣)</sup>.

وكان من دعائه: (( اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك ))<sup>(٤)</sup> فاستعاذ بصفة الرضي من صفة الغضب، وبفعل العافية من فعل العقوبة، واستعاذ به منه باعتبارين.

(١) سورة آل عمران، من آية: ٨.

(٢) قوله ﷺ: (( اللهم مصرف القلوب - على طاعتك )) رواه مسلم في صحيحه (ح: ١٧-٢٦٥٤)، والطرف الأخير منه: رواه ابن ماجة في السنن (المقدمة، باب ١٣، ح: ١٨٧)، وأحمد في المسند (٣/١١٢، ٢٥٤، ٤/١٨٢، ٦/٢٥١، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣١٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (ح: ١٦٥-١٩٩) وفي سلسلة الصحيحة (ح: ٢٠٩١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٧٣٨٣)، ومسلم في صحيحه (ح: ٢٧٦٨-٢٧٦٩)، ولفظه عند مسلم: (( أعوذ بك بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت )).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٢٢٢-٤٨٦)، بلفظ: (( اللهم أعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك )).

وكان استعاذته منه جمعا لما فصله في الجملتين قبله، فإن الاستعاذة به منه ترجع إلى معنى الكلام قبلها، مع تضمنها فائدة شريفة وهي كمال التوحيد وأن الذي يستعيذ به العائد ويهرب منه، إنما هو فعل الله ومشيتته وقدره، فهو وحده المنفرد بالحكم. فإذا أراد بعبده سوءاً لم يعذبه منه إلا هو، فهو الذي يريد به ما يسوءه، وهو الذي يريد دفعه عنه.

فصار سبحانه مستعاذاً به منه باعتبار الإرادتين: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...﴾<sup>(١)</sup> فهو الذي يمس بالضر، وهو الذي يكشفه، لا إله إلا هو، فالهرب منه إليه، والفرار منه إليه، واللجأ منه إليه، كما أن الاستعاذة منه به، فإنه لا رب غيره ولا مدبر للعبد سواه، فهو الذي يحركه ويقلبه، ويصرفه كيف يشاء.

**الجواب الرابع:** أن الله ﷻ هو الذي يخلق أفعال العبد الظاهرة والباطنة، فهو الذي يجعل الإيمان والهدي في القلب، ويجعل فيه التوبة والإنابة والإقبال والمحبة والتفويض وأضدادها. والعبد في كل لحظة مفتقر إلى هداية يجعلها الله في قلبه، وحرركات يحركه بها في طاعته، وهذا إلى الله ﷻ، فهو خلقه وقدره، وكان من دعاء النبي ﷺ: ((اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها))<sup>(٢)</sup>.

وعلم حصين بن المنذر<sup>(٣)</sup> أن يقول: ((اللهم أهمني رشدي وقني شر نفسي)).

(١) سورة الأنعام، من آية: ١٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٧٣-٢٧٢٢)، وأورده الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦/١١).

(٣) بل هو حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، والقصة هي: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: (( يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا )) قَالَ أَبِي: سَبْعَةٌ سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: (( فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغِيبتِكَ وَرَهَيْتِكَ ))؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: (( يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ ))، قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: (( قُلِ اللَّهُمَّ أَهْمِنِي رَشْدِي وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي ))، رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَأُورِدَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَقَالَ: هَذَا

وعامة أدعيته ﷺ متضمنة لطلب توفيق ربه وتزكيته له واستعماله في محابه، فمن هداه وصلاحه وأسباب نجاحه بيد غيره، وهو المالك له ولها، المتصرف فيه بما يشاء ليس له من أمره شيء، من أحق بالخوف منه؟

وهب أنه قد خلق له في الحال الهداية، فهل هو على يقين وعلم أن الله ﷻ يخلقها له في المستقبل ويلهمه رشده أبداً؟

فعلم أن خوف المقربين عند ربهم أعظم من خوف غيرهم، والله المستعان.

ومن هنا كان خوف السابقين من فوات الإيمان كما قال بعض السلف: أنتم تخافون الذنب، وأنا أخاف الكفر.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة<sup>(١)</sup>: (( نشدتك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ؟ - يعني في المنافقين<sup>(٢)</sup> - فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً ))<sup>(٣)</sup>، رواه البخاري. يعني لا أفتح عليّ هذا الباب في سؤال الناس لي، وليس مراده أنه لم يخلص من المنافقين غيرك ))<sup>(٤)</sup>.

حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. [ سنن الترمذي، ح: ٣٤٨٣، المستدرک ١/٥١٠، سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٨ ].

(١) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، ولما ولي عمر ﷺ، سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم واحد، فقال: من هو؟ قال: لا أذكره. وولاه عمر على المدائن فتوفي فيها سنة ست وثلاثين من الهجرة النبوية. [ ينظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦/١٥٠، أسد الغابة ١/٤٦٨، الإصابة ٢/٢٢٣ ].

(٢) لأن حذيفة كان موضع سر الرسول ﷺ من هذه الناحية.

(٣) الخبر مذكور في سير أعلام النبلاء ( ٢/٣٦٤ )، وكنز العمال لعلاء الدين الهندى ( ح: ٣٦٩٦٢ )، وعزوه للبخاري وهم.

(٤) طريق الهجرتين ( ص ٢٨٥-٢٨٩ ).



## [ الرد على أصحاب وحدة الوجود في تأويلهم لمعنى الخوف ]

أبطل ابن القيم رحمه الله قول أصحاب وحدة الوجود الذين يزعمون نفي الخوف عن الخواص، معللين بأنهم يرون العذاب عذبا والوعيد وعدا والعقاب ثوابا، وذلك في معرض رده على القول الذي يحكيه عنهم أبو العباس بن العريف في كتابه محاسن المجالس. فيقول رحمه الله: (( قوله<sup>(١)</sup>: وأما الخواص فإنهم جعلوا الوعيد منه وعدا، والعذاب فيه عذبا، لأنهم شاهدوا المبتلي والمعذب، فاستعذبوا ما وجدوا في جنب ما شاهدوا، إلى آخر كلامه.

فيقال: هذا الكلام ونحوه من رعونات النفس، ومن الشطحات التي يجب إنكارها. فمن ذا الذي جعل وعيد الله وعدا، وعقابه ثوابا، وعذابه عذبا؟ وهل هذا إلا إنكار لوعيده وعذابه في الحقيقة؟ وأي عذاب أشد من عذابه نعوذ بالله منه؟

قال تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا أظهر في كل ملة من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه.

وإنما ينسب هذا المذهب إلى الملاحدة من القائلين بوحدة الوجود، كما قال قائلهم:  
ولم يبق إلا صادق الوعد وحده      فما لوعيد الحق عين تعالين  
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم      على لذة فيها نعيم مباينين  
يسمى عذابا من عذوبة طعمه      وذاك له كالقشر والقشر صائنين

(١) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، الإمام الزاهد العارف، الصنهاجي الأندلسي المرثي المعروف بابن العريف، صاحب المقامات والإشارات، وكان متناهيا في الفضل والدين، منقطعا إلى الخير، وكان العباد والزهاد يقصدونه، ويألفونه ويحمدون صحبته، وسُعي به إلى السلطان فأمر بإشخاصه إلى حضرته بمراكش فوصلها وتوفي بها، ومولده في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة. [ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١١/٢٠ ]

(٢) سورة الحج، من آية: ٢.

(٣) سورة الفجر، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

نعيم جنان الخلد والأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين

فهذا القائل خط على تلك النقطة التي نقطها أبو العباس، ولعل الكلاميين من مشكاة واحدة.

وهذا مبين للمعلوم بالاضطرار من دين الرسل وما أخبرت به عن الله وأخبر به على لسان رسوله ﷺ.

فإن قيل: ليس مراده ما ذكرتم وفهمتم من كلامه، وإنما مراده أنه سبحانه إذا ابتلي عبده في الدنيا فهو لكامل محبته له يتلذذ بتلك البلوى ويعدها نعمة، وليس مراده عذاب الآخرة. قيل: قوله عن الخواص: (( إنهم جعلوا الوعيد منه وعدا )) ينفي ما ذكرتم من التأويل، فإن ابتلاء الدنيا غير الوعيد.

وأیضا: فإنه في مقام الخوف ونفيه عن الخاصة، محتجا عليه بأنهم يرون العذاب عذبا والوعيد وعدا، فما لهم وللخوف؟

هذا مقصوده من سياق كلامه واحتجاجه عليه بهذا الهديان الذي يسخر منه العقلاء. بل نحن لا ننكر أن العبد إذا تمكن حب الله في قلبه حتى ملك جميع أجزائه فإنه قد يتلذذ بالبلوى أحيانا.

وليس ذلك دائما ولا أكثريا، ولكنه يعرض عند هيجان الحب وغلبة الشوق، فيقهر شهود الألم، ثم يراجع طبيعته فيذوق الألم.

ولكن أين هذا من جعل الوعيد وعدا، والعذاب عذبا؟ وإن أحسن الظن بصاحب هذا الكلام ظن به أنه ورد عليه وارد من الحب يخيل في نفسه أن محبوبه إذا توعدده كان ذلك منه وعدا، وإن عذبه كان عذابه عنده عذبا لموافقته مراد محبوبه، وهذا خيال فاسد وتقدير في النفس، وإلا فالحقيقة الخارجية تكذب هذا الخيال الباطل.

بل لو صب عليه أدنى شيء من عذابه لصاح واستغاث وطلب العفو والعافية، وحكمة الله تقتضي تعجيز هذه النفوس الجاهلة الرعناء الحمقاء بأدنى شيء يكون من الألم والوجع، حتى يتبين لها دعاويها الكاذبة، وشطحها الباطل. وهذا سيد المحبين وسيد ولد آدم استعاذته بالله من عذابه وبلائه، وسؤاله عافيته ومعافاته، معلومة في أدعيته وتضرعه إلى ربه وابتهااله

إليه في ذلك، وهي أكثر وأشهر من أن تذكر ههنا، وإنما في سيد المحبين أسوة وقدوة، ولكن قد ابتلي كثير من أهل الإرادة بالشطح، كما ابتلي كثير من أهل الكلام بالشك، والمعافي من عافاه الله من هذا وهذا، فنسأل الله عافيته ومعافاته ((<sup>(١)</sup>).

### [ الرجاء ]

وبعد ذلك أذكر كلامه رحمه الله في الرجاء، فيقول: (( ورجاء الأنبياء والرسل فمن دونهم إنما هو طمعهم في رحمته ومغفرته.

وانظر إلى دعوى هؤلاء وإلى قول إمام الخفاء خليل الرحمن: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾<sup>(٢)</sup> كيف علق رجاءه وطمعه بمغفرة الله له.

قال تعالى عن خاصة خلقه وأعلمهم به أنهم: ﴿ ... أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ... ﴾<sup>(٣)</sup>

وآية الرجاء في القرآن أكثر وأظهر وأصرح في المقصود ظاهرة واستنباطا:

فالظاهرة: كقوله تعالى: ﴿ ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ... ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى:

﴿ ... وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ... ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ... ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين ( دار الوطن للنشر والإعلام، ص ٢٨٥-٢٩١ ).

(٢) سورة الشعراء، آية: ٨٢.

(٣) سورة الإسراء، من آية: ٥٧. وسبب نزول الآية عن عبد الله في هذه الآية ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

الْوَسِيلَةَ ﴾ قَالَ كَانَ نَاسٌ مِنَ الْجِنِّ يُعْبِدُونَ فَأَسْلَمُوا. [ رواه البخاري في صحيحه، رقم: ٤٣٤٦ ] وفي رواية

قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يُعْبِدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءُ بِدِينِهِمْ. [ رواه البخاري في

صحيحه، رقم: ٤٣٤٥ ]، ففي قوله تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء

فبالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء يكثر من الطاعات. راجع تفسير ابن كثير ( ٥٠/٣ ).

(٤) سورة الكهف، من آية: ١١٠.

(٥) سورة الإسراء، من آية: ٥٧.

(٦) سورة العنكبوت، من آية: ٥.

والمستتبطة: كآيات البشارة كلها كقوله تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>،  
 ﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾<sup>(٣)</sup>،  
 ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾<sup>(٤)</sup> ((٥)).

[ الفرق بين الرجاء والتمني ]

ثم أختتم هذا المبحث في ذكر كلام ابن القيم رحمه الله في الفرق بين الرجاء والتمني،  
 فيقول رحمه الله: (( والفرق بين الرجاء والتمني:

أن الرجاء: يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز.  
 والتمني: حديث النفس بمحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ...﴾<sup>(٦)</sup> فطوى سبحانه بساقي<sup>(٧)</sup> الرجاء إلا عن هؤلاء.

وقال المغتزون: إن الذين ضيعوا أوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما أسخطه، وتجنبوا ما  
 يرضيه، أولئك يرجون رحمته.

وليس هذا بيدع من غرور النفس والشيطان لهم، فالرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الإيمان  
 بالله واليوم الآخر فمثل بين عينيه ما وعد الله تعالى من كرامته وجنته امتد القلب ماثلاً إلى  
 ذلك شوقاً إليه وحرصاً عليه في شبيهه بالماد عنقه إلى مطلوب قد صار نصب عينيه.

(١) سورة البقرة، من آية: ٢٢٣.

(٢) سورة البقرة، من آية: ١٥٥.

(٣) سورة الزمر، من آيتي: ١٧، ١٨.

(٤) سورة الشورى، من آية: ٢٣.

(٥) طريق المهجرتين وباب السعادتين (دار الوطن للنشر والتوزيع، ص ٣٤٥).

(٦) سورة البقرة، من آية: ٢١٨.

(٧) هكذا في الأصل، والصواب: بساط.

وعلامه الرجاء الصحيح: أنّ الراجي يخاف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف أن يحول بينه وبين دخولها.

فمثله مثل رجل خطب امرأة كريمة في منصب وشرف إلى أهلها، فلما آن وقت العقد واجتماع الأشراف والأكابر وإتيان الرجل إلى الحضور أعلم عشية ذلك اليوم ليتأهب للحضور فتراه المرأة وأكابر الناس، فأخذ في التأهب والتزين والتجميل، فأخذ من فضول شعره وتنظف وتطيب ولبس أجمل ثيابه، وأتى إلى تلك الدار متقيا في طريقه كل وسخ وذنس وأثر يصيبه أشد تقوى حتى الغبار والدخان وما هو دون ذلك، فلما وصل إلى الباب رحب به ربها ومكّن<sup>(١)</sup> له في صدر الدار على الفرش والوسائد ورمقته العيون، وقصد بالكرامة من كل ناحية.

فلو أنه ذهب بعد أن أخذ هذه الزينة فجلس في المزابل وتمرغ عليها وتمعك بها وتلطخ في بدنه وثيابه عليها من عذرة وقدر، ودخل ذلك في شعره وبشره وثيابه فجاء على ذلك الحال إلى تلك الدار وقصد دخولها للوعد الذي سبق له لقيام إليه البواب بالضرب والطرده والصياح<sup>(٢)</sup> عليه والإبعاد له من بابها وطريقها فرجع متحيرا خاسئا.

### فالأوّل<sup>(٣)</sup> حال الراجي، وهذا<sup>(٤)</sup> حال المتمني.

وإن شئت مثلتُ حال الرجلين بملك هو من أغير الناس وأعظمهم أمانة وأحسنهم معاملة، لا يضيع لديه حق أحد، وهو يعامل الناس من وراء ستار لا يراه أحد، وبضائعه وأمواله وتجارته وعبيده وإماؤه ظاهر وبارز في داره للمعاملين، فدخل عليه رجلان فكان أحدهما يعامله بالصدق والأمانة والنصيحة، لم يجرب عليه غشا ولا خيانة ولا مكرا، فباعه بضائعه كلها واعتمد مع ممالئكه وجواريه ما يجب أن يعتمد معهم، فكان إذا دخل عليه ببضاعة تخير له أحسن البضائع وأحبها إليه، وإن صنعها بيده بذل جهده في تحسينها وتنميقها، وجعل ما خفي عنها أحسن مما ظهر ويستلم المؤنة ممن أمره أن يستلمها منه وامثل ما أمره به، السفير بينه وبينه في مقدار ما يعمله، صفته وهيئته وشكله ووقته وسائر شؤونه.

(١) في الأصل: ( مسكن ) والصحيح ما أثبت.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: الصياح.

(٣) أي الذي تنظف وتطيب ولبس أجمل الثياب، وأخذ جميع الأسباب الذي يسبب قبوله عند صاحب الدار.

(٤) أي الذي تلطخ بالأوساخ وترك الأسباب التي لو فعلها لقبلوه عند صاحب الدار.

وكان الآخر إذا دخل دخل بأخس بضاعة يجدها لم يخلصها من الغش ولا نصح فيها، ولا اعتمد في أثرها ما قاله المترجم عن الملك، والسفير بينه وبين الصناع والتجار بل كان يعملها على ما يهواه.

ومع ذلك فكان يخون الملك في داره إذ هو غائب عن عينه فلا يلوح طمع إلا خانه ولا حرمة للملك إلا مد بصره إليها، وحرص على إفساده ولا شيء يسخط الملك إلا ارتكبه إذا قدر عليه.

فمضيا على ذلك مدة ثم قيل: إن الملك يبرز اليوم لمعامله حتى يحاسبهم ويعطيهم حقوقهم، فوقف الرجلان بين يديه فعامل كل واحد منهما بما يستحقه.

فتأمل هذين المثليين فإنّ الواقع مطابق لهما، فالراجي على الحقيقة لما صارت اللجنة نصب عينه، ورجاءه وأمله إمتد إليها قلبه، وسعى لها سعيها، فإنّ الرجاء هو إمتد<sup>(١)</sup> القلب وميله.

وحقق رجاءه كمال التأهب وخوف الفوت والأخذ بالحذر - وأصله من التنحي ورجا البئر ناحيته، وارجاء السماء نواحيها - وامتداد القلب إلى المحبوب منقطعا عما يقطعها عنه هو تنح عن النفس الأمانة وأسبابها وما تدعو إليه.

وهذا الإمتداد والميل والخوف من شأن النفس مطمئنة، فإنّ القلب إذا انفتحت بصيرته فرأى الآخرة وما أعد الله فيها لأهل طاعته وأهل معصيته خاف وخف مرتحلا إلى الله والدار الآخرة، وكان قبل ذلك مطمئنا إلى النفس، والنفس إنّ الشهوات والدينا<sup>(٢)</sup> فلما انكشف عنه غطاء النفس خف وارتحل عن جوارها طالبا حوار العزيز الرحيم في جنات النعيم.

ومن هنا صار كل خائف راجيا، وكل راج خائفا فأطلق اسم أحدهما على الآخر، فإنّ الراجي قلبه قريب الصفة الخائف هذا الراجي قد نحى قلبه عن مجاورة النفس والشيطان مرتحلا إلى الله قد رفع له من اللجنة عَلم فشمّر إليه وله مادا إليه قلبه كله.

(١) هكذا في الأصل، والصواب: إمتداد.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الخطاء من الناسخ والله أعلم، والصواب أن يقال: وإنّ النفس مائل للشهوات والدينا...

وهذا الخائف فار من جوارهما ملتجئ إلى الله من حبسه في سجنها في الدنيا فيحبس معها بعد الموت، ويوم القيامة، فإنّ المرء مع قرينه في الدنيا والآخرة، فلما سمع الوعيد ارتحل من مجاورة جار السوء في الدارين فأعطى اسم الخائف.

ولما سمع الوعد امتد واستطار شوقا إليه وفرحًا بالظفر به فأعطى اسم الراجي. وحالاه متلازمان لا ينفك عنهما فكل راج خائف من فوات ما يرجوه، كما أنّ كل خائف راج آمنه مما يخاف.

فلذلك تداول الاسمان عليه، قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾<sup>(١)</sup> قالوا في

تفسيرها: لا تخافون الله عظمة.

وقد تقدم أنّ الله سبحانه طوى الرجاء إلاّ عن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا. وقد فسر النبي ﷺ الإيمان بأنه ذو شعب وأعمال ظاهرة وباطنة، وفسر الهجرة بأنها هجر ما نهى الله عنه، والجهاد بأنه جهاد النفس في ذات الله، فقال: (( المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله ))<sup>(٢)</sup>.

والمقصود: أنّ الله سبحانه جعل أهل الرجاء من آمن وهاجر وأخرج من سواهم من هذه الأمم.

وأما الأمانى فإنّها رؤوس أموال المقاليس أخرجوها في قالب الرجاء وتلك أمانيتهم وهي تصدر من قلب تزاومت عليه وساوس النفس، فأظلم من دخلها، فهو يستعمل قلبه في شهواتها، وكلما فعل ذلك منته حسن العاقبة والنجاة، وأحالاته على العفو والمغفرة والفضل، وإنّ الكريم لا يستوفى حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ويسمى ذلك رجاء، وإنّما هو وساوس وأمانى باطلة تقذف بها النفس إلى القلب الجاهل فيستريح إليها.

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) الطرف الأوّل من الحديث رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٠،

٨٤٨٤)، والحديث بكامله أخرجه أحمد في المسند (٢١/٦)، والحاكم في المستدرک (١٠/١--

١١)، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ٥٤٩)، وشعيب

الأرنؤوط في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للفراسي (ح: ٤٨٦٢).

قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِي بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا ترك العبد ولاية الحق ونصرته ترك الله ولايته ونصرته ولم يجد له من دونه وليا ولا نصيرا، وإذا ترك ولايته ونصرته تولته نفسه والشيطان، فصارا وليين له ووكل إلى نفسه فصار انتصاره لها بدلا من نصره الله ورسوله، فاستبدل بولاية الله ولاية نفسه وشيطانه، وبنصرته نصره نفسه وهواه، فلم يدع للرجاء موضعا.

فإذا قالت لك النفس: أنا في مقام الرجاء، فطالبيها بالبرهان، وقل هذه أمنية فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

فالكيس يعمل أعمال البر على الطمع والرجاء، والأحمق العاجز يعطل أعمال البر ويتوكل على الأمانى التى يسميها رجاء، والله الموفق ((<sup>(٢)</sup>).

(١) سورة النساء، آية: ١٢٣.

(٢) الروح لابن القيم (ص ٣٦٤-٣٦٨).



# الباب الثاني:

﴿ المضادات للتوحيد كلية أو جزئية ﴾

الفصل الأول:

﴿ الْكُفْرُ ﴾

المبحث الأول:

﴿ أنواع الكفر وأحكامها ﴾

## [ معنى الكفر ]

الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزُّراع لستره البذر في الأرض، ومن ذلك سمي الكافر كافراً لأنه ستر نعم الله ﷻ.

قال الأزهري: ونعمه آياته الدالة على توحيده، والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أنّ خالقها واحد لا شريك له؛ وكذلك إرسال الرسل بالآيات المعجزة والكتب المنزلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة، فمن لم يصدق بها وردّها فقد كفر نعمة الله أي سترها وحجبها عن نفسه<sup>(١)</sup>.

وأما الكفر في معناه الشرعي فقد توسع في بيانه ابن القيم رحمه الله أثناء تقسيمه الكفر إلى أكبر وأصغر وعند ذكره لأنواع الكفر الأكبر.

فقال رحمه الله: (( فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار.

والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود<sup>(٢)</sup>.

كما في قوله تعالى - وكان مما يتلى فنسخ لفظه - (( لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ))<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ في الحديث: (( اثنتان في أمتي، هما كفر: الطعن في النسب والنياحة ))<sup>(٤)</sup>، وقوله في السنن: (( من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل الله على

(١) انظر لسان العرب (١٤٧/٥).

(٢) أي لم يخرج من الملة وإنما هو كبيرة من كبائر الذنوب.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٨٣٠)، ومسلم في صحيحه (ح: ١١٣-٦٢)، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٨٥٠)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٢١-٦٧)، واللفظ لمسلم.

محمد))<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الآخر: (( من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد ))<sup>(٢)</sup>، وقوله: (( لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ))<sup>(٣)</sup>.

وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قال ابن عباس: (( ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر ))<sup>(٥)</sup>، وكذلك قال طاووس<sup>(٦)</sup>.

وقال عطاء<sup>(٧)</sup>: (( هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق )) ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو قول عكرمة<sup>(٨)</sup>، وهو

(١) الحديث رواه الترمذي في السنن (ح: ١٣٥)، والدارمي في السنن (ح: ١١٢٤)، وابن ماجه في السنن (ح: ٦٣٤)، وأحمد في المسند (٨٦/١)، وصححه الألباني في الإرواء (ح: ٢٠٠٦)، والمشكاة (ح: ٥١١)، وشعيب الأرنؤوط في المسند بتحقيقه (ح: ٦٥٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٢٩/٢، ح: ٩٥٣٦)، والحاكم في المستدرک (٨/١)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال محقق المسند: حديث حسن رجاله رجال ثقات، رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٧٣٩، ١٧٤١)، ومسلم في صحيحه (ح: ١١٨-٦٥).

(٤) سورة المائدة، من آية: ٤٤.

(٥) أورده الطبري في التفسير (٥٩٦٦/٤)، وابن كثير في التفسير (٦٤/٢).

(٦) أي طاووس بن كيسان، وقد سبقت ترجمته.

(٧) عطاء بن أبي رباح، الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي، يقال: ولاؤه لبني جُمح، كان من مؤلّي الجند في اليمن، ونشأ بمكة، وُلد في أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه، مات في رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وعاش ثمانيا وثمانين سنة. [ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٥/٧٨-٨٨ ].

(٨) عكرمة مولى ابن عباس، العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري

تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر، سواء حكم أو لم يحكم.

ومنهم من تأولها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكم بالتحديد والإسلام، وهذا تأويل عبد العزيز الكناني<sup>(١)</sup>.

وهو أيضا بعيد، إذ الوعيد على نفي الحكم بالمنزل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعة وبيعضه.

ومنهم: من تأولها على الحكم بمخالفة النص، تعمدًا من غير جهل به ولا خطأ في تأويل، حكاه البغوي<sup>(٢)</sup> عن العلماء عموماً.

ومنهم: من تأولها على أهل الكتاب، وهو قول قتادة والضحاك<sup>(٣)</sup> وغيرها، وهو بعيد،

الأصل، قيل: كان حصين بن أبي الحر العنبري فوهيه لابن عباس، يقول عكرمة: طلبتُ العلم أربعين سنة، وكنتُ أفتي بالباب وابن عباس في الدار، مات بالمدينة سنة أربع ومائة، وهو ابن ثمانين سنة. [ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٢/٥-٣٦ ].

(١) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي الفقيه، ويلقب بالغول لدماة منظره، قدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن، وهو صاحب الحيدة، وله مصنفات عدة، وكان ممن تفقه للشافعي واشتهر بصحته، توفي سنة أربعين ومائتين. [ يُرى ترجمته في تاريخ بغداد، ١٠/٤٤٩-٤٥٠، شذرات الذهب، ٢/٩٥ ].

(٢) هو الإمام الحافظ، الفقيه المجتهد، محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، يلقب بركن الدين، أحد العلماء الذين خدموا الكتاب والسنة بالعكوف على دراستهما وتدريسهما، وكشف كنوزهما وأسرارهما، والتأليف فيهما، والفراء نسبة إلى عمل الفراء وبيعها، ولد سنة ٤٣٣هـ، وتوفي بجمرو الروذ مدينة من حدائق خراسان في شوال عام ٥١٦هـ، وعاش بضعا وسبعين. [ يُرى ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٩/٤٣٩، والبداية والنهاية، ١٢/٢٠٦ ].

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وله باع كبير في التفسير والقصص، توفي سنة خمس ومائة، وقيل: غير ذلك. [ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤/٥٩٨-٦٠٠، والبداية والنهاية، ٦/٢٢٣ ].

وهو خلاف ظاهر اللفظ، فلا يصار إليه.

ومنهم من جعله كفرةً ينقل عن الملة.

**والصحيح:** أنّ الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم<sup>(١)</sup>.

فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر.

وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

وإن جهله وأخطأه: فهذا مخطئ، وله حكم المخطئين.

**والقصد:** أنّ المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر، الذي هو العمل بالطاعة، فالسعي إما شكر، وإما كفر، وإما ثالث، لا من هذا ولا من هذا، والله أعلم.

#### الكفر الأكبر:

وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

**فأما كفر التكذيب:** فهو اعتقاد كذب الرسل.

وهذا القسم قليل في الكفر، فإنّ الله تعالى آيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المذعة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾<sup>(٢)</sup> وقال لرسول الله ﷺ: ﴿... فَإِنَّهُ لَا

(١) سبق أن ذكرت كلام ابن القيم رحمه الله فيما يتعلق بهذا الموضوع في بيانه رحمه الله أركان التوحيد والتعليق عليها.

(٢) سورة النمل، من آية: ١٤.

يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١﴾، وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا  
فصحيح إذ هو تكذيب باللسان.

وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله، ولا قابله  
بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار.

ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءاً  
واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه:  
﴿... أَتُؤْمِنُ بِبَشْرَيْنِ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (١)، وقول الأمم لرسولهم: ﴿... إِنَّ أَنتُمُ الْإِنْسَانُ  
مِثْلُنَا...﴾ (٢)، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَفْوَاهَا﴾ (٣)، وهو كفر اليهود كما قال تعالى:  
﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ...﴾ (٤)، وقال: ﴿... يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ...﴾ (٥) وهو كفر أبي طالب (٦) أيضاً، فإنه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته

(١) سورة الأنعام، من آية: ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون، من آية: ٤٧.

(٣) سورة إبراهيم، من آية: ٦٠.

(٤) سورة الشمس، آية: ١١.

(٥) سورة البقرة، من آية: ٨٩.

(٦) سورة البقرة، من آية: ١٤٦.

(٧) يشير إلى ما أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا  
حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ  
الْمُغِيرَةَ فَقَالَ: (( أَيُّ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ))، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ  
وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْضُضُهَا عَلَيْهِ  
وَيُعِيدِلِيهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، وَأَبَى أَنْ  
يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْ مِنْكَ )) فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ



الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر.

وأما كفر الإعراض: فإن يعرض بسمعه عن الرسول ولا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصفى إلى ما جاء به البتة، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: (( والله أقول لك كلمة، إن كنت صادقاً، فأنت أجلّ في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك ))<sup>(١)</sup>.

وأما كفر الشك: فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره. وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها.

وأما مع التفاته إليها، ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك، لأنها مستلزمة للصدق، ولا سيما مجموعها، فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار.

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوى بقلبه على التكذيب، فهذا هو كفر الأكبر<sup>(٢)</sup>...

### [ كفر الجحود ]

وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزل الله، وإرساله الرسل.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصفه الله بها نفسه، أو خيراً أخبر الله به عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض.

وأما جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه: فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾. [ صحيح البخاري

(مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٧٧٢)، صحيح مسلم، ح: ٣٩-٢٤].

(١) هذا الكلام بحث عنه فلم أجده في مظانه، والله أعلم.

(٢) سيأتي المبحث إن شاء الله الذي يتعلق بالنفاق وأقسامه.

جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذره في الريح<sup>(١)</sup>، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادًا أو تكذيبًا<sup>(٢)</sup>.

(١) يشير إلى الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (( كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِنَبِيِّهِ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ وَاللَّهُ لَيَنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَبَهُ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبُّ خَشِيتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: مَعَاذُكَ يَا رَبُّ )) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٤٨١ )، ومسلم في صحيحه ( ح: ٢٤-٢٧٥٦ )، واللفظ للبخاري.

(٢) مدارج السالكين ( ١/٣٦٤-٣٦٧ )، وانظر مفتاح دار السعادة ( ١/٣٣١ ) .

# المبحث الثاني:

﴿ رؤساء الكفر وأئمة ودعاته وبيان أنّ الكفر يتفاوت ﴾

في هذا المبحث يذكر ابن القيم رحمه الله رؤساء الكفر وأئمتهم ودعاته وجزاءهم عند الله لصددهم عن سبيل الله وعن الإيمان، ويبين أيضا أن الكفر يتفاوت كما أن الإيمان يتفاوت. فيقول رحمه الله: (( رؤساء الكفر وأئمتهم ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله وعن الإيمان وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة.

فهؤلاء عذابهم مضاعف، ولهم عذابان: عذاب بالكفر، وعذاب بصد الناس عن الدخول في الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ نَزَّاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ...﴾<sup>(١)</sup> فأحد العذابين بكفرهم، والعذاب الآخر بصددهم عن سبيل الله.

وقد استقرت حكمة الله وعدله أن يجعل على الداعي إلى الضلال مثل آثام من اتبعه واستجاب له، ولا ريب أن عذاب هذا يتضاعف ويتزايد بحسب من اتبعه وضل به.

وهذا النوع في الأشقياء مقابل دعاة الهدى في السعداء، فأولئك يتضاعف ثوابهم وتعلو درجاتهم بحسب من اتبعهم واهتدى بهم، وهؤلاء عكسهم، ولهذا كان فرعون وقومه في أشد العذاب، قال تعالى في حقهم: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا تنبيه على أن فرعون نفسه في الأشد من ذلك، لأنهم إنما دخلوا أشد العذاب تبعاً له، فإنه هو الذي استخفهم فأطاعوه، وجرهم فاتبعوه.

ولهذا يكون يوم القيامة أمامهم وفرطهم في هذا الورد، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

والمقصود: أنهم استحقوا أشد العذاب لغلظ كفرهم، وصددهم عن سبيل الله، وعقوبتهم

(١) سورة النحل، من آية: ٨٨.

(٢) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٣) سورة هود، من آية: ٩٨.

من آمن بالله.

فليس عذاب الرؤساء في الناس كعذاب أتباعهم، ولهذا كان في كتاب النبي ﷺ لهرقل: (( فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيْسِيِّنَ ))<sup>(١)</sup>، والصحيح في اللفظ أنهم أتباع.

ولهذا كان عدو الله إبليس أشد أهل النار عذابا، وهو أول من يكسي حلة من النار<sup>(٢)</sup>، لأنه إمام كل كفر وشرك وشر، فما عصي الله إلا على يديه وبسببه، ثم الأمثل فالأمثل من نوابه في الأرض ودعاته.

ولا ريب أن الكفر يتفاوت، فكفر أغلظ من كفر، كما أن الإيمان يتفاوت، فإيمان أفضل من إيمان.

فكما أن المؤمنين ليسوا في درجة واحدة، بل هم درجات عند الله، فكذلك الكفار ليسوا في طبقة واحدة ودرك واحد، بل النار درجات كما أن الجنة درجات، ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وهو الغني الحميد<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ج: ٧ )، وأحمد في المسند ( ٢٦٣/١ ).

(٢) يشير إلى حديث عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال (( أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبِهِ وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ يُنَادِي يَا تُبْرَاهُ وَيُنَادُونَ يَا تُبْرَاهُ، قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ: قَالَهَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى يَقْفُوا عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا تُبْرَاهُ، وَيَقُولُونَ: يَا تُبْرَاهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ بُرْمًا وَاحِدًا وَادْعُوا بُرْمًا كَثِيرًا ﴾ قَالَ عَفَّانُ: وَذُرِّيَّتُهُ خَلْفُهُ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا تُبْرَاهُ، قَالَ عَفَّانُ: حَاجِبِي ))، رواه أحمد في المسند ( ١٥٢/٣ )، ح: ١٢٥٣٦، وابن جرير الطبري في التفسير ( ٣٧١/٩ )، ح: ٢٦٢٩٤، وابن كثير في التفسير ( ٣٢٣/٣ ).

- وقال ابن كثير: لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة.

- وقال محقق المسند: إسناده ضعيف.

(٣) طريق المهجرتين وباب السعادتين [ المحقق ] ( ص ٧٢١-٧٢٢ ).

## المبحث الثالث:

﴿ تغلظ العذاب حسب غلظ الكفر ﴾

يقول ابن القيم رحمه الله: (( وغلظ الكفر الموجب لغلظ العذاب يكون من ثلاثة أوجه: أحدها: من حيث العقيدة الكافرة في نفسها، كمن جحد رب العالمين بالكلية، وعطل العالم عن الرب الخالق المدبر له، فلم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر.

ولهذا لا يقر أرباب هذا الكفر بالجزية عند كثير من العلماء، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم اتفاقاً لتغلظ كفرهم.

وهؤلاء هم المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة وأهل الوحدة القائلين بأنه لا وجود للرب ﷻ غير وجود هذا العالم.

### الجهة الثانية: تغلظه بالعناد والضلال عمدا على بصيرة.

ككفر من شهد قلبه أنّ الرسول حق لِمَا رآه من آيات صدقه، وكفر عنادا وبغيا، كقوم ثمود وقوم فرعون واليهود الذين عرفوا الرسول كما عرفوا أبناءهم<sup>(١)</sup>، وكفر أبي جهل، وأمّية بن أبي الصلت، وأمثال هؤلاء.

الجهة الثالثة: السعي في إطفاء نور الله وصد عبادته عن دينه بما تصل إليه قدرتهم، فهؤلاء أشد الكفار عذابا بحسب تغلظ كفرهم.

ومنهم من يجتمع في حقه الجهات الثلاث، ومنهم من يكون فيه جهتان، أو واحدة. فليس عذاب هؤلاء كعذاب من هو دونهم في الكفر ممن هو ملبوس عليه لجهله، والمؤمنون من أذاه في سلامة لا ينالهم منه أذى، ولم يتغلظ كفره كتغلظ هؤلاء، بل هو مقر بالله ووحدانته وملائكته، وجنس الكتب والرسل واليوم الآخر.

وإن شارك أولئك في كفرهم بالرسول فقد زادوا عليه أنواعا من الكفر، وهل يستوى في النار عذاب أبي طالب وأبي لهب<sup>(٢)</sup> وأبي جهل وعقبة بن أبي معيط<sup>(٣)</sup> وأبي بن

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ دَانَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. [سورة البقرة، آية: ١٤٦].

(٢) أبو لهب: اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي، وكان قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، ومات إثر غزوة بدر. ينظر سيرة ابن هشام (٢/٦٤٦-٦٤٦).

خلف<sup>(١)</sup> وأضرابهم!

والمقصود: أنّ هذه الطبقة وهي طبقة الرؤساء الدعاة الصادين عن دين الله ليست كطبقة من دونهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (( أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ))<sup>(٢)</sup>، ومعلوم أنّ كفر أبي طالب لم يكن مثل كفر أبي جهل وأمثاله ))<sup>(٣)</sup>.

### [ طبقة المقلدين ]

وأما طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم فقد ذكر ابن القيم رحمه الله أنّ هؤلاء تبع لهم فيقول: (( طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبعاً لهم. يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على أسوة بهم، ومع هذا فهم متاركون لأهل الإسلام غير محاربين لهم، كنساء المحاربين وخدمهم وأتباعهم الذين لم ينصبوا أنفسهم لما نصب له أولئك أنفسهم من السعى في إطفاء نور الله وهدم دينه وإحماد كلماته، بل هم بمنزلة الدواب.

وقد اتفقت الأمة على أنّ هذه الطبقة كفار، وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم.

إلا ما يحكي عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم هؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه

(٦٤٧)، والتبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة المقدسي (ص ٤٧، ١١٩-١٢٠).

(٣) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: من مقدمي قريش في الجاهلية، عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام وذلك في السنة الثانية من الهجرة النبوية. [ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ٤/٢٤٠ ].

(١) أبي بن خلف بن جُمح الجُمحي القرشي، قتله رسول الله ﷺ يوم أحد، الذي قال ابن عباس ﷺ في حقه: (( اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَ النَّبِيَّ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ))، رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٠٧٤). [ يراجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٥٩، والبداية والنهاية ٤/٢٤، ٣٣، ٣٦ ].

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٣٦٢-٢١٢).

(٣) طريق المهجرتين وباب السعادتين [ المحقق ] (ص ٧٢٣-٧٢٤).



الدعوة.

وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم، وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (( ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ))<sup>(١)</sup>.

فأخبر أن أبويه ينقلانه عن الفطرة إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية، ولم يعتبر في ذلك غير المربي والمنشأ على ما عليه الأبوان.

وصح عنه أنه قال ﷺ: (( إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ))<sup>(٢)</sup>، وهذا المقلد ليس بمسلم، وهو عاقل مكلف، والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام أو الكفر.

وأما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال، وهو بمنزلة الأطفال والمجانين<sup>(٣)</sup>...

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٣٥٨، ١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه (ح: ٢٢-٢٦٥٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٣٧٧-٢٢١)، وأحمد في المسند (٣٠/١، ٤٧).

(٣) وقد أورد ابن القيم رحمه الله أحاديث كثيرة تتعلق بهذا الموضوع ومنها: عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (( أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمٌ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ وَرَجُلٌ هَرَمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَالصَّبِيَّانَ يَحْدِفُونِي بِالْبَعْرِ وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَائِقَهُمْ لِيُطِيعَهُ فَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا )) رواه أحمد في المسند (٢٤/٤)، وابن كثير في التفسير (٣١/٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٥/٧-٢١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١٦٨/٤)، والهندي في كنز العمال (ح: ٣٨٩٨٠).

-وقال الهيثمي: (( هذا لفظ أحمد ورجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح )) اهـ.

والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله ورسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل. فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً، فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله، إما عنادا أو جهلا وتقليدا لأهل العناد.

فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد، وقد أخبر الله في القرآن في غير موضع بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار، وأن الأتباع مع متبوعهم، وأنهم يتحاجون في النار، وأن الأتباع يقولون: ﴿... رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ يَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُنْذِرُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿... وَكَوْتَرِي إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّهُ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا...﴾<sup>(٣)</sup>، فهذا إخبار من الله وتحذير بأن

- رصحه أيضا العلامة الألباني في صحيح الجامع الصحيح (ح: ٨٩٤)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ١٤٣٤)، وانظر طريق المهجرتين وباب السعادتين [المحقق] (ص ٧٠٢)، وقد تكلم فيه ابن القيم رحمه الله عن حكم أطفال المشركين وإلى كل من لم تبلغه الدعوة.

(١) سورة الأعراف، من آية: ٣٨.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٧، ٤٨.

(٣) سورة سبأ، من آيات: ٣١-٣٣.

المتبوعين والتابعين اشتروا في العذاب، ولم يغن عنهم تقليدهم شيئا.

وأصرح من هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَمَآ أَوَّاهُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا...﴾<sup>(١)</sup>.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: ((من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل أوزار من اتبعه، لا ينقص من أوزارهم شيئا))<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على أن كفر من اتبعهم إنما هو بمجرد اتباعهم وتقليدهم.

نعم لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال، وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم معرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه. والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه، لا عذر له عند الله.

وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضا:

أحدهما: مريد للهدى موثر له، محب له، غير قادر عليه، ولا على طلبه لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات، ومن لم تبلغه الدعوة.

الثاني: معرض لإرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه.

فالأول يقول: يا رب لو أعلم لك دينا خيرا مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي.

والثاني: راض بما هو عليه، لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته.

وكلاهما عاجز، وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق:

فالأول: كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزا وجهلا.

(١) سورة البقرة، من آيتي: ١٦٦، ١٦٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ج: ١٦-١٧٤٦).

والثاني: كمن لم يطلبه، بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجز عنه.

ففرق بين عجز الطالب، وعجز المعرض.

فتأمل هذا الموضوع، والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسول، فهذا مقطوع به في جملة الخلق.

وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا؟ فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه.

بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله ﷻ لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة.

والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر:

فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم.

وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة، وهو مبني على أربعة أصول:

أحدهما: أن الله ﷻ لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿... وَمَا

كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿... كُلَّمَا أَلَمِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُهُ

خَزَائِنَهُ أَلْمِيَاتِكُمْ تَدِيرُ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا تَدِيرُ فَكذبنا وقلنا ما نزل الله من

شيء...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَاغْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمِيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

(١) سورة الإسراء، من آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، من آية: ١٦٥.

(٣) سورة الملك، من آيتي: ٨، ٩.

(٤) سورة الملك، آية: ١١.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١﴾.

وهذا كثير في القرآن، يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة، وهو  
المدنب الذي يعترف بذنبه.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> والظالم من عرف ما  
جاء به الرسول، أو تمكن من معرفته بوجهه، وأما من لم يعرف ما جاء به الرسول وعجز عن  
ذلك فكيف يقال إنه ظالم؟

**الأصل الثاني:** أن العذاب يستحق بسببين:

**أحدهما:** الإعراض عن الحجة، وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

**الثاني:** العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول: كفر إعراض، والثاني: كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم  
التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

**الأصل الثالث:** أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقدم

حجة الله على الكفار في زمان دون زمان وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم  
على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا  
يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له.

فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين  
يدلون على الله بالحجة يوم القيامة<sup>(٣)</sup>...

**الأصل الرابع:** أن أفعال الله ﷻ تابعة لحكمته التي لا يخل بها، وأنها مقصودة لغايتها

المحمودة وعواقبها الحميدة.

(١) سورة الأنعام، آية: ١٣٠.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٧٦.

(٣) انظر طريق المهجرتين [ المحقق ] ( ص ٧٠٢ ).

وهذا الأصل هو أساس الكلام في هذه الطبقات، إلا ما عرف ما في كتب الناس، ووقف على أقوال الطوائف في هذا الباب وانتهى إلى غاية مراتبهم ونهاية إقدامهم، والله الموفق للسداد الهادي إلى الرشده.

وأما من لم يثبت حكمة ولا تعليلا، ورد الأمر إلى محض المشيئة التي ترجح أحد المثالين علي الآخر بلا مرجح، فقد أراح نفسه من هذا المقام الضنك، واقتحام عقبات هذه المسائل العظيمة، وأدخلها كلها تحت قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهو الفعال لما يريد.

وصدق الله وهو أصدق القائلين ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ...﴾ لكمال حكمته وعلمه ووضع الأشياء مواضعها، وأنه ليس في أفعاله خلل ولا عيب ولا فساد سأل عنه كما يسأل المخلوق، وهو الفعال لما يريد، ولكن لا يريد أن يفعل إلا ما هو خير ومصلحة ورحمة وحكمة، فلا يفعل الشر ولا الفساد ولا الجور، ولا خلاف مقتضى حكمته لكمال أسمائه وصفاته، وهو الغني الحميد العليم الحكيم ((<sup>(٢)</sup>).

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٣.

(٢) طريق المهجرتين وباب السعادتين [المحقق] (ص ٧٢٤-٧٣٠).

المبحث الرابع:

﴿ أركان الكفر وكيفية هدمها ﴾

## [ مفهوم الركن ]

الركن في اللغة: من رَكِنَ إلى الشيء: أي مال إليه وسكن، ورَكِنَ إلى الدنيا إذا مال إليها، ورَكِنَ في المنزل يَرَكُنُ رُكْنًا: ظل به فلم يفارقه.

ورُكُنُ الشيء: جانبه الأقوى، والركن: الناحية القوية وما تقوي به من مُلْكٍ وِجْدٍ وغيره، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿ قَتَلْتَنِي بِرُكْنِهِ... ﴾<sup>(١)</sup>، ودليل ذلك قوله

تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُ الْجُودَةَ... ﴾<sup>(٢)</sup> أي أخذناه وركنه الذي تولى به.

والجمع: أركان وأرُكُن، أنشد سيبويه لرؤبة:

\* وزحم ركنيك شديد الأركُن \*

وركن الإنسان: قوته وشدته، وكذلك ركن الجبل والقصر وهو جانبه، وركن الرجل: قومه وعدده ومادته.

وفي قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنِّي بَكَرْتُ قُوَّةَ أَوْءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفلان ركن من أركان قومه أي شريف من أشرافهم، فهو يأوي إلى ركن شديد أي عز ومنعة<sup>(٤)</sup>.

قال الراغب الأصبهاني: (( وأركان العبادات: جوانبها التي عليها مبناها وبتركها بطلانها ))<sup>(٥)</sup>.

## [ تعريف الركن عند الأصوليين ]

وأما تعريف الركن عند الأصوليين:

(١) سورة الذاريات، من آية: ٣٩.

(٢) سورة القصص، من آية: ٤٠.

(٣) سورة هود، من آية: ٨٠.

(٤) لسان العرب بتصريف ( مادة: ركن، ١٣/١٨٥ ).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني ( ص ٣٦٥ ).



فالركن عند الحنفية: هو ما يتوقف عليه وجود الشيء، وكان جزءاً من حقيقته أو ماهيته، فالركوع مثلاً ركن في الصلاة؛ لأنه جزء منها، وكذا القراءة في الصلاة ركن لأنها جزء من حقيقة الصلاة.

والركن عند الجمهور: ما يتوقف عليه أساساً وجود الشيء، وإن كان خارجاً عن ماهيته.

ولا يسقط الركن عمداً ولا سهواً ولا جهلاً، وسمي ركناً تشبيهاً له بركن البيت الذي لا يقوم إلا به<sup>(١)</sup>.

وكل شيء له أركان وأسس وللکفر أركان قد بينها ابن القيم رحمه الله وكيفية هدمها، فقال: (( أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة.

**فالكبر** يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة.

فإذا انهدم ركن **الكبر** سهل عليه الانقياد، وإذا انهدم ركن **الحسد** سهل عليه قبول النصيح وبذله، وإذا انهدم ركن **الغضب** سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن **الشهوة** سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة.

وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمّن بلي بها، ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وملكات وصفات ثابتة، فإنه لا يستقيم له معها عمل البتة، ولا تزكو نفسه مع قيامها بها.

وكلما اجتهدت في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة، وكل الآفات متولدة منها، وإذا استحكمت في القلب أرتته الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، والمعروف في صورة المنكر والمنكر في صورة المعروف، وقربت منه الدنيا، وبعُدت منه الآخرة.

وإذا تأملت كفر الأمم رأيت ناشئاً منها وعليها يقع العذاب، وتكون خفته وشدته

(١) انظر الفقه الإسلامي للزحيلي (١/٥٤، ٦٢٣).

بحسب خفتها وشدتها.

فمن فتحها على نفسه فتح عليه أبواب الشرور كلها عاجلا وأجلا، ومن أغلقها على نفسه أغلق عنه أبواب الشرور، فإنها تمنع الانقياد والإخلاص والتوبة والإنابة وقبول الحق ونصيحة المسلمين والتواضع لله ولخلقه.

ومنشأ هذه الأربعة من جهله بربه وجهله بنفسه، فإنه لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وعرف نفسه بالنقائص والآفات، لم يتكبر ولم يغضب لها ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله.

فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله، فإنه يكره نعمة الله على عباده وقد أحبها الله، ويجب زوالها عنه والله يكره ذلك.

فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبه وكراهته، ولذلك كان إبليس عدوه حقيقة لأن ذنبه كان عن كبر وحسد.

فقلع هاتين الصفتين بمعرفة الله وتوحيده والرضا به وعنه والإنابة إليه.

وقلغ الغضب بمعرفة النفس، وأنها لا تستحق أن يغضب لها وينتقم لها، فإن ذلك إثارة لها بالرضا والغضب على خالقها وفاطرها، وأعظم ما تدفع به هذه الآفة أن يعودها أن تغضب له سبحانه وترضى له، فكلما دخلها شيء من الغضب والرضا له خرج منها مقابله من الغضب والرضا لها، وكذا بالعكس.

أما الشهوة فدواؤها صحة العلم والمعرفة بأن إعطاءها شهواتها أعظم أسباب حرمانها إياها ومنعها منها.

وحميمتها<sup>(١)</sup> أعظم أسباب اتصالها إليها، فكلما فتحت عليها باب الشهوات كنت ساعيا في حرمانها إياها، وكلما أغلقت عنها ذلك الباب كنت ساعيا في إيصالها إليها على أكمل الوجوه.

(١) يقال: هذا شيء حمى - على فعلٍ - أي محذور لا يُقرب. [يراجع الصحاح للجوهري، مادة

حمى، ٢٣١٩/٦، ولسان العرب، مادة: حما، ٢٠٠/١٤].

فالغضب مثل السبع إذا أفلته صاحبه بدأ بأكله، والشهوة مثل النار إذا أضرمتها صاحبها بدأت بإحراقه، والكبر بمنزلة منازعة الملك ملكه فإن لم يهلكك طردك عنه، والحسد بمنزلة معاداة من هو أقدر منك، والذي يغلب شهوته وغضبه يفرق<sup>(١)</sup> الشيطان من ظله، ومن تغلبه شهوته وغضبه يفرق<sup>(٢)</sup> من خياله.

---

(١) أي يخاف.

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٢٢٩-٢٣٠).

# الفصل الثاني:

## ﴿ الشِّرْكُ ﴾

المبحث الأول:

﴿ أقسام الشرك وأحكامه ﴾

الشرك أقسام. وأنواع بعضه واضح وجلبي، وبعضه غامض وخفي، والعلامة ابن القيم رحمه الله له كلام بارز في توضيح هذه المسألة.

فقال رحمه الله: (( الشرك شركان:

شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا

في صفاته، ولا في أفعاله.

[ الشرك الأوّل ]

والشرك الأوّل نوعان:

أحدهما: التعطيل<sup>(١)</sup>، وهو أتبع أنواع الشرك، كشرك فرعون إذ قال: ﴿ وَمَا رَبُّ

(١) التعطيل في اللغة: التفرغ، وعطل الدار: أخلاها، وتعطيل الحدود: أن لا تقام على من وجبت

عليه، وعطلت الفلاة والمزارع إذا لم تُعمروا ولم تُحَث. [ راجع: لسان العرب، ٤٥٤/١١ ].

- والتعطيل: نوع من أنواع الإلحاد في أسمائه تعالى، إذ يقول ابن القيم رحمه الله: (( فالإلحاد في

أسمائه تعالى أنواع: أحدها: أن يسمي الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من

العزير، وتسميتهم الصنم إلهها، وهذا الإلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وألهتهم

الباطلة. الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا

بذاته، أو علة فاعلة بالطبع.. ونحو ذلك. وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص،

كقول أحبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلقه، وقولهم: ﴿ ... يَدُ اللَّهِ

مَغْلُوبَةٌ... ﴾ [ سورة المائدة، من آية: ٦٤ ] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته. ورابعها:

تعطيل الأسماء عن معانيها ووجد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: أنها ألفاظ

بجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحى والرحيم والمتكلم

والمريد، ويقولون: لا حياة ولا سميع ولا بصير ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم

الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل الإلحاد للمشركين، فإن أولئك أعطوا أسمائه

وصفاته لألهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ووجدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه،

ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾؟ قال تعالى مخبرا عنه أنه قال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَٰذَا مَا لِي لَأُبْلِغَنَّكَ أَسْبَابَ الْأَسْبَابِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّه كاذبًا... ﴾ (٢).

فالشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وبصفاته، ولكن عطل حق التوحيد (٣).

جحد شيئا عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد أهدى في ذلك، فليستقل أو ليستكثر. وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا. - فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه وتنزيههم خليا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، وعطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما)). [ بدائع الفوائد، ١٥٣/١-١٥٤ ].

(١) سورة الشعراء، آية: ٢٣.

(٢) سورة غافر، من آيتي: ٣٦، ٣٧.

(٣) كقوله تعالى مخبرا عن مشركي قريش: ﴿ فَإِذَا مَرَّ كِبُوا فِي الْفَلَكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [ سورة العنكبوت، آية: ٦٥ ] وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [ سورة العنكبوت، آية: ٦١ ] وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [ سورة العنكبوت، آية: ٦٣ ] وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [ سورة الزخرف، آية: ٩ ].

## [ أصل الشرك وقاعدته ]

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو التعطيل.  
وهو ثلاثة أقسام:

تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه<sup>(١)</sup>.

وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله<sup>(٢)</sup>.

وتعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود<sup>(٤)</sup> الذين يقولون: ما ثمّ خالق ومخلوق، ويقولون: ما هنا شيئان، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه.

ومنه شرك الملاحدة<sup>(٥)</sup> القائلين بقدوم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمونها بالعقول والنفوس.

ومن هذا شرك من عطّل أسماء الربّ تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية

(١) كنسبة بعض خلقه أو كلّه لغيره ﷻ.

(٢) كنفى السمع والبصر والاستواء والنزول ونحوها.

(٣) بترك عبادته وحده لا شريك له، أو عبادة غيره معه.

(٤) وحدة الوجود: عقيدة إلحادية، قال بها غلاة الصوفية وغيرهم، تقوم هذه المقولة على وحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر، فالعالم بما فيه إنّما هو التجلي الإلهي الدائم الذي كان لا يزال، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات، فكل شيء هو الله، واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات، وهي بذلك امتداد لعقيدة الحلول، وصور مهذبة للإلحاد. ينظر مشكاة الأنوار للغزالي (ص ٥٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٨٧-١١٥).

(٥) الملاحدة: جمع ملحد، والإلحاد في اللغة: الميل والعدول، والإلحاد مذهب من ينكر وجود الله، وقد يطلق على التشكك الذي يتظاهر بالاعتناع دون عقيدة. انظر: المعجم الفلسفي (ص ٢٠، ١٧٤، ١٩٢)، ولسان العرب (٣/٣٨٨-٣٨٩).



والقرامطة<sup>(١)</sup>، فلم يثبتوا له اسماً ولا صفة، بل جعلوا المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذات: بأسمائها وصفاتها.

[ النوع الثاني من الشرك الأول ]

**النوع الثاني:** شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسماءه وربوبيته وصفاته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلهاً<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، ومن هذا شرك القدرية<sup>(٣)</sup> القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته، ولهذا كانوا من أشباه المجوس.

(١) هم أتباع حمدان القرمطي، وكان رجلاً متوارياً صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعاه إلى معتقدتهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها، وضل بسببه خلق كثير، وكان ظهورهم في عام ٢٨١هـ في خلافة المعتضد ودخلوا مكة سنة ٣١٧هـ، واقتلعوا الحجر الأسود وقتلوا المسلمين في الحرم، وقد أعيد الحجر الأسود إلى مكة سنة ٣٣٩هـ، على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري رحمه الله. يراجع: إعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٢٢)، والبرهان للسكسكي (ص ٨٠).

(٢) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾ [سورة المائدة، من آية: ٧٣] يقول الحافظ ابن كثير: ((وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار. قال السدي: وهي كقوله تعالى في آخر السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ...﴾ [سورة المائدة، من آية: ١١٦] الآية، وهذه القول هو الأظهر والله أعلم)) اهـ. تفسير ابن كثير (٨٤/٢).

(٣) سماوا بالقدرية لقولهم في القدر، وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالاً، فأثبتوا خالقاً مع الله ولذا سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، لأن المجوس قالوا: بإثبات خالقين النور والظلمة، وهم يزعمون أن الله لا يقدر على مقدرات غيره، وهذا هو مذهب المعتزلة في القدر. ينظر الملل والنحل للشهرستاني (٥٤/١)، والبرهان للسكسكي (ص ٥٥).

ومن هذا شرك الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿... إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخْبِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخْبِي وَأُمِيتُ...﴾<sup>(١)</sup> فهذا جعل نفسه<sup>(٢)</sup> ندا لله، يخبي ويميت بزعمه، كما يخبي الله ويميت، فالزمه إبراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته أن طرد قولك هذا يستلزم أن تقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي بها الله منها<sup>(٣)</sup>، وليس هذا انتقالا كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزاما على طرد الدليل إن كان حقا.

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها أربابا مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة<sup>(٤)</sup> وغيرهم.

ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم.

ومن هولاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة، ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة، ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة، وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه والانقطاع إليه أقبل

(١) والآية هي قوله تعالى: ﴿الْمُتَرَاوِعِينَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخْبِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخْبِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

(٢) أي نمرد.

(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (١/٢٤٠).

(٤) الصابئ: هو التارك لدينه إلى دين غيره، والصابئون سما بذلك لأنهم فارقوا دين التوحيد وعبدوا النجوم وعظموها، ولما بعث إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة، وهم يقولون: إن مدبر العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم، وهم أقدم من عباد الأصنام، لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها، ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صوراً، فصنعوا أصناماً واشتغلوا بعبادتها، فظهرت من هنا عبادة الأصنام. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٤٣)، الملل والنحل (٥/٢)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٩٢).

عليه واعتنى به، ومنهم من يزعم أنّ معبوده الأدنى يقربه إلى المعبود الذي هو فوقه، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى يقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه، فتارة تكثر الوسائط، وتارة تقل<sup>(١)</sup>.

(١) كما قال الله ﷻ في كتابه المنزل: ﴿... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾ [سورة الزمر، من آية: ٣].

- قال الحافظ ابن كثير: (( قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة، وهذا كانوا يقولون في تليبتهم إذا حجوا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ [سورة النحل، من آية: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٢٥] وأخبر أنّ الملائكة التي في السماوات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ...﴾ [سورة النحل، من آية: ٧٤] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)). [تفسير ابن كثير (٤٩/٤)].

- قال ابن القيم رحمه الله: (( وكذا قال المشركون عن معبودهم: إنّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، فلم ينتف عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف لأنّ من عبد غير الله لم يكن ثابتاً على عبادة الله موصوفاً بها، فتأمل هذه النكتة البديعة كيف تجرد في طيها أنّه لا يوصف بأنّه عابدٌ لله، وعبدته المستقيم على عبادته، إلاّ من انقطع إليه بكلّيته، وتبتل إليه تبتيلاً، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحداً في عبادته، وأنّه وإن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً لله ولا عبداً له)). بدائع الفوائد (١٢٥/١).

## [ الشرك الثاني ]

وأما الشرك في العبادة: فهو أسهل من هذا الشرك وأخف شراً، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا ربّ سواه.

ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحفظ نفسه تارة، وطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة.

قلله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب.

هذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان<sup>(١)</sup> في صحيحه: (( الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل ))، قيل: وكيف ننحو منه يا رسول الله؟ قال: (( قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم ))<sup>(٢)</sup>.

(١) الإمام العلامة الحافظ الجوّد، شيخ خراسان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي الدارمي البستي، صاحب الكتب المشهورة، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، وقال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والرّعة، ومن عقلاء الرجال، قدم نيسابور سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، فسار إلى قضاء نسا، ثمّ انصرف إلينا في سنة سبع، فأقام عندنا بنيسابور، وبني الخانقاه، وقُرى عليه جملة من مصنفاته، ثمّ خرج من نيسابور إلى وطنه سجستان عام أربعين، وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه، وتوفي بسجستان بمدينة بُست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦ - ١٠٤)، البداية والنهاية (٢٥٩/١١).

(٢) الحديث بحث عنه في صحيح ابن حبان فلم أجده فيه، ولكن أورده الإمام أحمد في المسند (٤٠٣/٤)، وابن كثير في التفسير (٥١٣/٢)، وصححه العلامة الألباني بلفظ يقاربه في صحيح الجامع الصغير للسيوطي (ح: ٣٧٣١).

فالرياء<sup>(١)</sup> كله شرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أي كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكلما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة<sup>(٣)</sup>. وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (( اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً ))<sup>(٤)</sup>.

وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنه ينزل منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله سبحانه إنما أمر بعبادته خالصة<sup>(٥)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾<sup>(٦)</sup>، فمن لم يخلص لله في عبادته ولم يفعل ما أمره به، بل الذي أتى بشيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه، ويقول الله: (( أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيبي، فهو للذي أشرك وأنا منه بريء ))<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.

(١) ففي قوله تعالى: ﴿... يُرَاءُونَ النَّاسَ...﴾ [سورة النساء، من آية: ١٤٢] قال: في لسان العرب: معناه: إذا أبصرهم الناس صلوا، وإذا لم يروهم تركوا الصلاة، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿... بَطْرًا وَرِيَاءَ النَّاسِ...﴾ [سورة الأنفال، من آية: ٤٧] وهو المرابي كأنه يرى الناس أنه يفعل ولا يفعل بالنية، وأرأى الرجل: إذا أظهر عملاً صالحاً رياءً وسمعةً. لسان العرب (٣٠٢/١٤).

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) انظر مفتاح دار السعادة (٣٠٣/١).

(٤) الأثر وارد في الزهد للإمام أحمد (ح: ٦١٥)، وفي كنز العمال (٦٧٥/٢، ح: ٥٠٤١).

(٥) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: أن يقال: أمر بعبادة خالصة. أو: أمر بعبادته عبادة خالصة.

(٦) سورة البينة، من آية: ٥.

(٧) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٤٦-٢٩٨٥).

## [ أقسام شرك العباداة ]

يقول ابن القيم رحمه الله: (( وأما الشرك: فهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً، يحبه كما يحب الله. وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لأهنتهم في النار:

﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اِذْ نُسُوِّكُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> مع إقرارهم بأن الله وحده

خالق كل شيء، وربّه ومليكه، وأن أهنتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت.

وإنما هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل

كلهم<sup>(٢)</sup>.

يجبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم - بل أكثرهم - يجبون

أهنتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده،

ويغضون لمنتقص معبوديهم وأهنتهم - من المشايخ - أعظم مما يغضون إذا انتقص أحد ربّ

العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرّمات أهنتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب اللبث إذا

حرّد<sup>(٣)</sup>، وإذا انتهكت حرّمات الله فلم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً

رضوا عنه، ولم تنتكر له قلوبهم، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة.

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه دَيْدناً له، إن قام وإن

قعد، وإن عثر وإن مرض وإن استوحش، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على

قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته

إليه.

(٨) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٩٢-١٩٥)، وانظر متن القصيدة النونية

(ص ٢٩٧-٣٠٣).

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٢) انظر الجواب الكافي (ص ١٩٥-١٩٦)، وطريق المهجرتين، دار الوطن للنشر، (ص ٢٩٦)،

وجلاء الإفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام لابن القيم (ص ٣٣٩).

(٣) أي غضِبَ. القاموس المحيط (ص ٢٥١).

وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذها من البشر، قال الله تعالى: حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ...﴾ (١).

ثم شهد عليهم بالكفر والكذب، وأخبر أنه لا يهديهم فقال: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٢).

فهذه حال من اتخذ من دون الله وليًا، يزعم أنه يقربه إلى الله، وما أعز من يخلص من هذا! بل ما أعز من لا يعادى من أنكر!

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد، الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم، حيث لم يتخذهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له، صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعًا من دون الله ربه ومولاه...

### [ الشرك الأصغر ]

وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (( من حلف بغير الله فقد أشرك )) (٣)، وقول الرجل للرجل: (( ما شاء

(١) سورة الزمر، من آية: ٣.

(٢) سورة الزمر، من آية: ٣.

(٣) رواه أحمد في المسند ( ١٢٥/٢، ح: ٦٠٧٢ )، وأبو داود في السنن ( ح: ٣٢٥١ )، والترمذي في السنن ( ح: ١٥٣٥ )، والحاكم في المستدرک ( ١٨/١، ٥٢، ٢٩٧/٤ )، وابن حبان ( ح: ٤٣٥٨ )، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٢٩/١٠ )، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال محقق المسند: رجاله رجال مسلم غير سعد بن عبيدة فمن

الله وشئت ))، (( وهذا من الله ومنك ))، (( وأنا بالله وبك ))، (( ومالي إلا الله وأنت ))، (( وأنا متوكل على الله وعليك ))، (( ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ))، وقد يكون هذا شركاً أكبر، بحسب قائله ومقصده.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لرجل قال له: ما شاء الله وشئت، (( أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده ))<sup>(١)</sup>، وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ<sup>(٢)</sup>.

رجال الشيخين.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ( ٢١٤/١، ح: ١٨٣٩ )، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح: ١٣٩ ).

(٢) مدراج السالكين بتصريف ( ٣٦٨/١-٣٧٣ )، وانظر الجواب الكافي ( ص ١٩٥-١٩٦ ).



المبحث الثاني:

﴿ تنزيه آدم عليه السلام عن الشرك ﴾

الكلام في هذه المسألة يدور حول الشبهة التي وقعت في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثَقَلَتِ دَعَا اللَّهَ رَبِّهِنَّ لِنِءِ آيَاتِنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

مَنْ الْمَعْنَى بِالضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا...؟﴾

اختلف العلماء في ذلك إلى قولين:

القول الأول: المعنى بذلك: رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعل الله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد، فعلى هذا القول يكون الشرك حصل منهما.

وبه قال الحسن البصري<sup>(٢)</sup> وغيره.

وقد صح عنه أنه قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم.

وقال أيضا: عني بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده يعني ﴿جَعَلَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٩، ١٩٠.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وُلد لستين بقيتا من خلافة عمر، واسم أمه خيرة، وكانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو طفل فتسكنه أم سلمة بثديها وتخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير، وكانت أمه منقطعة إليها، فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر فدعا له وقال: ((اللهم فقهه في الدين وحيه إلى الناس))، ثم نشأ بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة، ومات بالبصرة سنة عشر ومائة، وعاش نحوًا من ثمان وثمانين سنة رحمه الله. [ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤/٥٦٣-٥٨٨].

ءَاتَاهُمَا ﴿﴾

وعن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني:** إن المعنى بذلك آدم وحواء، والشرك الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا...﴾ في الاسم لا في العبادة<sup>(٢)</sup>.  
وبه قال ابن جرير الطبري، وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما<sup>(٣)</sup>.  
ومن أدلتهم ما رواه الترمذي في السنن عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال: ((لَمَّا جَمَلَتْ حَوَاءٌ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَسَمَّيْتَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ))<sup>(٤)</sup>.

(١) وهذه الروايات الثلاث التي ذكرتها عن الحسن البصري أسانيدنا صحيحة، وهو أولى ما حملت عليه الآية كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، ووافقه العلامة الألباني على ذلك. انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٦/٢)، وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم، تحقيق الألباني (ص ٩٤).  
(٢) قال أبو عبيد: ((وإنما هو في التأويل أن الشيطان قال لهما سميا ولدكما عبد الحارث، فهل لأحد يعرف الله ودينه أن يتوهم عليهما الإشراف بالله مع النبوة والمكان من الله، فقد سمي فعلهما شركاً، وليس هو الشرك بالله)). [ كتاب الإيمان لأبي عبيد، ص ٩٤ ].  
(٣) انظر تفسير الطبري (١٤٤/٦، ١٤٧).

(٤) رواه الترمذي والحاكم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصحح إسناده الحاكم، ووافقه الحافظ الذهبي.

- قلت: والذي أرجح أن الحديث ضعيف لما ذكره ابن كثير في تفسيره، والعلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة. قال الحافظ ابن كثير: ((ولو كان هذا الحديث عنده - أي الحسن البصري - محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو وغيره، ولا سيما مع تقواه وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على صحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب، أو وهب بن منبه وغيرهما)). انظر: سنن الترمذي (ج: ٣٠٧٧)، ومستدرك الحاكم (٥٤٥/٢)، وتفسير ابن كثير (٢٨٦/٢)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (ج: ٣٤٢).

والقول الراجح من كلا القولين القول الأول وهو ما ذهب إليه الحسن البصري والعلامة ابن القيم وتلميذه الحافظ ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمهم الله.  
 قال ابن القيم رحمه الله: (( فالنفس الواحدة وزوجها<sup>(٢)</sup> آدم وحواء، واللذان جعلوا له شركاء فيما آتاها<sup>(٣)</sup> المشركون من أولادهما.  
 ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد فآتاها إبليس فقال: إن أحببنا أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعل<sup>(٤)</sup>، فإن الله سبحانه اجتباها وهدها فلم يكن ليشرك به بعد ذلك ))<sup>(٥)</sup>.

(١) قال الحافظ ابن كثير: (( وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته )) اهـ. [ تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٧٨ ].

(٢) أي في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا... ﴾.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا... ﴾.

(٤) الحديث الوارد في ذلك حديث ضعيف كما ذكرته سابقا.

(٥) روضة المحبين لابن القيم ( ص ٢٩٦ ).

المبحث الثالث:

﴿ إزالة مواضع الشرك ﴾

قال ابن القيم رحمه الله: (( لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة.

وهذا حكم للمشاهد التي بُنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والترك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها.

وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركاً عندها، وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حنو القذة بالقذة<sup>(١)</sup>، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم<sup>(٢)</sup>، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة السنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس<sup>(٣)</sup>.

(١) يشير إلى حديث: (( لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتهم )) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (( فمن؟ )) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ج: ٧٣٢٠ )، ومسلم في صحيحه ( ج: ٦ - ٢٦٦٩ )، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر أسباب وقوع الشرك على الأمة في كتابه إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ( ص ٥٧٣ - ٦٩١ ) فإن ابن القيم رحمه الله قد استوفى الكلام بها.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، سورة الروم، آية: ٤١.

ولكن لا تزال طائفة من العصاة المحمدية بالحق قائمين<sup>(١)</sup>، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين<sup>(٢)</sup>))<sup>(٣)</sup>.

### [ بعض الأحداث الذي وقع بعد غزوة تبوك ]

ثم أورد رحمه الله قصة غزوة تبوك وما فيها من الأحداث المشهورة، منها حرق مسجد الضرار وهدمه وإزالته لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين.

ثم قال: (( في الإشارة إلى بعض ما تضمنته هذه الغزوة من الفقه والفوائد: ...

ومنها: تحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها، كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار، وأمر بهدمه، وهو مسجد يُصلى فيه، ويذكر اسم الله فيه، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين<sup>(٤)</sup>، وكل مكان هذا شأنه، فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضع له.

(١) يشير إلى قوله ﷺ: (( لا تزال طائفة من أممي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون )) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٧٣١١ )، ومسلم في صحيحه ( ح: ١٧٤ - ١٠٣٧ )، واللفظ للبخاري.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾، [ سورة مريم، آية: ٤٠ ] .

(٣) زاد المعاد ( ٣ / ٥٠٦ - ٥٠٧ ) .

(٤) قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمرُ صَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ حِجْبَ الْمُطَهَّرِينَ أَقْنُ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَامِرٍ فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَنْزِلُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴾ [ سورة التوبة، آيات: ١٠٧ - ١١٠ ] .

وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار، فمشاهد الشرك التي تدعو سدتها إلى اتخاذ من فيها أندادا من دون الله أحق بالهدم وأوجب.

وكذلك محال المعاصي والفسوق، كالحانات وبيوت الخمارين، وأرباب المنكرات، وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكماها يُباع فيها الخمر<sup>(١)</sup>، وحرق حانوت رُويشد الثقفي وسماه فويسقا<sup>(٢)</sup>، وحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية، وهم رسول الله ﷺ بتجريق بيوت تاركي حضور الجماعة والجمعة<sup>(٣)</sup>، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم، كما أخرج هو<sup>(٤)</sup> عن ذلك.

- قال ابن القيم رحمه الله: ((وأقبل رسول الله ﷺ من تبوك، حتى نزل بذي أوان وبينهما وبين المدينة ساعة، وكان أصحاب مسجد الضرار أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة للمطيرة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: ((إني على جناح سفر، وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه))، فلما نزل بذي أوان جاءه خبر المسجد من السماء، فدعا مالك بن الدخشم أخا بني سلمة بن عوف، ومعن بن عدي العجلاني، فقال: ((انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلها، فاهدماه، وحرقاه)) فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، ودخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه - وفيه أهله - فحرقاه وهدماه، ففرقوا عنه، فأنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَامًا وَكُفِّرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلى آخر القصة)). زاد المعاد (٥٤٩/٣)، وأورده ابن جرير الطبري في التفسير (٤٦٩/٦)، وابن كثير في التفسير (٤٠٣/٢).

(١) بل علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي أحرق قرية كان يباع فيها الخمر. انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٦٦٧/٢٨).

(٢) أورده ابن تيمية في المجموع الفتاوى (٦٦٧/٢٨).

(٣) يشير إلى ما رواه أبو هريرة عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال



ومنها: أن الوقف لا يصح على غير برٍّ ولا قرابة، كما لم يصح وقف هذا المسجد، وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بني على قبر، كما ينبش إذا دُفن في المسجد، ونص على ذلك الإمام أحمد وغيره<sup>(١)</sup>.

فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق، فلو وضع معاً، لم يجوز، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز، ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولعنه من اتخذ القبر مسجداً أو أوقد عليه سراجاً<sup>(٢)</sup>، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه، وغرخته بين الناس كما ترى<sup>(٣)</sup>.

### [ قدوم وفد ثقيف وهدم اللات ]

ثم أورد رحمه الله قصة قدوم وفد ثقيف على النبي ﷺ، ومن ضمنها ما تم من هدم اللات وإزالتها تماماً وهي صنم يعبدها أهل الطائف.

فأحرق عليهم بيوتهم...)). رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٤٤)،  
ومسلم في صحيحه (ح: ٢٥١-٦٥١)، واللفظ للبخاري.

(٤) أي الرسول ﷺ.

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/٤٦١-٤٦٤، ٢٢/١٩٤-١٩٥)، فإنه قد استوفى الكلام في ذلك.

(٢) فقد علق البخاري رحمه الله قول النبي ﷺ: (( لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) في باب هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ( باب رقم: ٤٨ )، وفي كتاب المساجد ( رقم: ٥ ).

- وعن عائشة أم المؤمنين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسته رأيتها بالحبيشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: (( إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة ))، رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٢٧)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٦-٥٢٨). واللفظ للبخاري.

(٣) زاد المعاد (٣/٥٧١-٥٧٢)، وانظر: (١/٥٢٤-٥٢٥) في نفس المصدر.

ثم قال رحمه الله: (( وفي قصة الوفد من الفقه...: هدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتاً للطواغيت، وهدمها أحبّ إلى الله ورسوله، وأُنفَع للإسلام. والمسلمين من هدم الحانات والمواخير، وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التي تُعبد من دون الله، ويشرك بأربابها مع الله، لا يحل إبقاؤها في الإسلام، ويجب هدمها، ولا يصح وقفها، ولا الوقف عليها، وللإمام أن يقطعها وأوقافها لجند الإسلام، ويستعين بها على مصالح المسلمين، وكذلك ما فيها من الآلات والتمتع والندور التي تساق إليها، يضاهى بها الهدايا التي تساق إلى البيت الحرام، للإمام أخذها كلها وصرفها في مصالح المسلمين، كما أخذ النبي ﷺ أموال بيوت هذه الطواغيت وصرفها في مصالح الإسلام، وكان يفعل عندها ما يفعل عند هذه المشاهد، سواء من الندور لها، والتبرك بها، والتمسح بها وتقبيلها واستلامها.

هذا كان شرك القوم بها، ولم يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا خَلَقَتْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، بَلْ كَانَ شُرَكَهُمْ بِهَا كَشْرِكِ أَهْلِ الشَّرْكِ مِنْ أَرْبَابِ الْمَشَاهِدِ يَعِينَهُ.

ومنها: استحباب اتخاذ المساجد مكان بيوت الطواغيت فيُعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً في الأمكنة التي كان يُشرك به فيها، وهكذا الواجب في مثل هذه المشاهد أن تهدم، وتجعل مساجد إن احتاج إليها المسلمون، وإلا أقطعها الإمام هي وأوقافها للمقاتلة وغيرهم))<sup>(١)</sup>.

(١) زاد المعاد (٣/٦٠١-٦٠٢)، وانظر: (٣/٥٩٥-٥٩٩) في نفس المصدر.

المبحث الرابع:

﴿ بعض أنواع الشرك ﴾

المطلب الأول:

﴿ بعض أنواع الشرك المناقضة للتوحيد ﴾

المسألة الأولى:

﴿ الذبح لغير الله ﴾

## [ مفهوم الذبح ]

الذَّبْحُ: الشَّقُّ، ومصدر ذبَحْتُ الشاةَ، والذَّبْحُ، بالكسر: ما يُذْبَحُ، قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ

بذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

والذَّبِيحُ: المذبوح، والأنثى ذَبِيحَةٌ؛ وإنما جاءت بالهاء لغلبة الاسم عليها، والذَّبِيحُ: الذي يصلح أن يذبح للنسك.

وَأَذْبَحْتُ: اتَّخَذْتُ ذَبِيحًا، كقولك: أَطْبَحْتُ، إذا اتَّخَذْتَ طَبِيخًا. والمذابيح: المحارِبُ والمقاصير، سُمِّيَتْ بذلك للقرابين.<sup>(٢)</sup>

## [ مفهوم النسك ]

النسك: العبادة، والناسك: العابد، واختصَّ بأعمال الحج، والمناسك مواقف النسك وأعمالها، والنَّسِيكَةُ: مختصة بالذبيحة، قال تعالى: ﴿ ... فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

## [ مفهوم التذكية ]

وَذَكَّيْتُ الشاةَ: ذَبَحْتُهَا، وحقيقة التذكية: إخراج الحرارة الغريزية، لكن حُصِّ في الشرع بإبطال الحياة على وجه دون وجه، ويدل على هذا الاشتقاق قولهم في الميت: خامد وهامد، وفي النار الهامدة ميتة<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكرت في القرآن التذكية بمعنى الذبح، قال تعالى: ﴿ ... وَمَا أَكَلِ السَّبْعِ إِلَّا مَا

ذَكَّيْتُمْ... ﴾<sup>(٥)</sup> أي ذبَحْتُمْ<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٧.

(٢) الصحاح للجوهري، نقلتُ منه بتصريف (٣٦٢/١).

(٣) سورة البقرة، من آية: ١٩٦، وانظر لسان العرب (٤٩٨/١٠).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصبهاني (ص ٣٣٠).

(٥) سورة المائدة، من آية: ٣.

## [ مفهوم النحر ]

النحر: الصدر، والنحور: الصدور، وقيل: هو موضع القلادة منه، وهو المنحَر، وجمعه نُحُور، ونحره ينحره نحراً: أصاب نحره، ونحر البعير ينحره نحراً: طعنه في منحره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر.

ويوم النحر: عاشر ذي الحجة يوم الأضحى لأنَّ البُذْنَ تنحرف فيه، والمنحَر: الموضع الذي يُنحرف فيه الهدى وغيره<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾<sup>(٢)</sup> هو حث على مراعاة هذين الركنين، وهما الصلاة ونحر الهدى، وأنه لا بدّ من تعاطيهما<sup>(٣)</sup>.

## [ أدلة الذبح من الكتاب والسنة ]

وأما الأدلة من الكتاب والسنة على أنّ الذبح لله عبادة وصرفها لغيره شرك تخرج صاحبها من الملة:

من الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنْ نَبَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ نَبَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا

(٦) انظر لسان العرب ( ٢٨٨/١٤ ).

(١) انظر لسان العرب ( ١٩٥/٥ - ١٩٦ ).

(٢) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ( ص ٧٩٤ ).

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

هَذَا كُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾، وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿٣٧﴾.

ومن السنة:

قوله ﷺ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ)) ﴿٣٦﴾، وفي لفظ آخر: ((ملعون من ذبح لغير الله)) ﴿٤١﴾. قال ابن القيم رحمه الله: ((يوضحه أن الذبيحة تجرى بجرى العبادة، ولهذا يقرن الله سبحانه بينهما كقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿٣٦﴾، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَسُكَّيْتُ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُ التَّقْوَى مِنْكُمْ...﴾ ﴿٧٧﴾ فأخبر أنه إنما سخرها لمن يذكر اسمها عليها، وأنه إنما يناله التقوى وهو التقرب إليه بها وذكر اسمها عليها، فإذا لم يذكر اسمها كان ممنوعا من أكلها، وكانت مكروهة لله، فأكسبتها كراهيته لها، حيث لم يذكر عليها اسمه، أو ذكر عليها اسم غيره، وصف الخبيث، فكانت بمنزلة الميتة ﴿٨﴾.

وإذا كان هذا في متروك التسمية، وما ذكر عليه اسم غير الله، فما ذبحه عدوه المشرك به الذي هو من أخيب البرية أولى بالتحريم، فإن فعل الذابح وقصده وخبثه لا ينكر أن يؤثر في

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٤٣-١٩٧٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢١٧/١، ح: ١٨٧٥)، وقال محققه: إسناده حسن.

(٥) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٧) سورة الحج، من الآيتين: ٣٦، ٣٧.

(٨) انظر كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم رحمه الله (١/٥٠٢-٥٥٠)، فقد استوفى رحمه الله في

ذكر أحكام ذبائحهم.



المذبوح، كما أن خبث الناكح ووصفه وقصده يؤثر في المرأة المنكوحه.  
وهذه الأمور إنما يقصد بها من أشرق فيه نور الشريعة وضيؤها، وبأشر قلبه بشاشة حكمها  
وما اشتملت عليه من المصالح في القلوب والأبدان، وتلقاها صافيه من مشكاة النبوة، وأحكام  
العقد بينها وبين الأسماء والصفات التي لم يطمس نور حقائقها ظلماً التأويل والتحريف ((<sup>(١)</sup>).

---

(١) إعلام الموقعين ( ١٥٢/٢ - ١٥٣ )، وانظر ( ٣٧٨/٤ ) نفس المصدر.

المسألة الثانية:

﴿السُّحْرُ﴾

[ تعريف السحر ]

السَّحْرُ: كل ما لطف مأخذه ودقّ<sup>(١)</sup>.

وله عدة معان:

منها: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخرة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عاتق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿... سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُمُوهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿... يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ...﴾<sup>(٣)</sup>، وبهذا النظر سمو موسى ~~الطيف~~ ساحراً: ﴿... يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنها: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كما يدل عليه قوله تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وعلى ذلك سبب كفر من يستخدمه ويتعاطيه قال تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ...﴾<sup>(٦)</sup>.

ومنها: ما يذهب إليه الأغمام<sup>(٧)</sup>، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حماراً، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين، وقد تصوّر من السحر تارة

(١) القاموس المحيط (ص ٣٦٥).

(٢) سورة الأعراف، من آية: ١١٦.

(٣) سورة طه، من آية: ٦٦.

(٤) سورة الزخرف، من آية: ٤٩.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٣.

(٦) سورة البقرة، من آية: ١٠٢.

(٧) الغُتْمَةُ بالضم: العجمة، والأغمتم: من لا يفصح شيئاً. [ القاموس المحيط، ص ١٠٣٠ ].

حسنه، فقيل: (( إن من البيان لسحراً ))<sup>(١)</sup>، وتارة دقة فعله حتى قالت الأطباء: الطبيعية ساحرة، وسموا الغذاء سحراً من حيث إنه يَدِقُّ وَيَلْطَفُ تأثيره، قال تعالى: ﴿... بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: مصروفون عن معرفتنا بالسحر<sup>(٣)</sup>.

[ بيان أن ما ثبت من أنه ﷺ سحر لا يتنافى مع عصمته ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ففي الصحيح عن هشام بن عروة<sup>(٤)</sup> عن أبيه عن عائشة: أن النبي ﷺ طَبَّ<sup>(٥)</sup>، حتى إنه ليخيل إليه أنه صنع شيئاً وما صنعه، وأنه دعا ربّه، ثم قال: (( أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ))، فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: (( جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال الآخر: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال له: فماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في ذروان بئر في بني زريق ))، قالت عائشة رضي الله عنها: فأناها رسول الله ﷺ، ثم رجع إلى عائشة رضي الله عنها فقال: (( والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس

(١) الحديث عن عبد الله بن عمر رضي اللهم عنهما أنه قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَحَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا أَوْ إِنْ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ ))، رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٦٧ ).

(٢) سورة الحجر، من آية: ١٥.

(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني ( ص ٤٠٠ ).

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، الإمام، الثقة، شيخ الإسلام، أبو المنذر، القرشي، الأسدي، الزبيري المدني، وُلِدَ سنة إحدى وستين، وسمع من أبيه وعمه ابن الزبير، وأخيه عبد الله بن عروة، وطائفة من كبار التابعين، توفي ببغداد سنة سبع وأربعين ومائة، وقيل: غير ذلك، وعاش سبعا وثمانين سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/٣٤-٤٦).

(٥) طَبَّ: أي سَجِرَ، يقال: رجل مطبوب أي مسحور، كَنَوْنَا بِالطَّبِّ عَنْ السِّحْرِ تَفَاؤُلًا بِالْبُرءِ. انظر: لسان العرب ( ١/٥٥٤ ).

الشياطين))، قالت: فقلت له: يا رسول الله هلا أخرجته؟ قال: ((أما أنا فقد شفاني الله وكرهت أن أثير الناس شرًا، فأمر بها فدفت))<sup>(١)</sup>.

قال البخاري: وَقَالَ اللَّيْثُ<sup>(٢)</sup> وَسَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ<sup>(٣)</sup> عَنِ هِشَامٍ (( فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ )) وَيُقَالُ: الْمُشَاطَةُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعْرِ إِذَا مُشِطَ، وَالْمُشَاطَةُ مِنَ مُشَاطَةِ الْكُتَّانِ<sup>(٤)</sup>.

قلت<sup>(٥)</sup>: هكذا في هذه الرواية إنه لم يخرجها اكتفاءً بمعافاة الله له وشفائه إياه، وقد روى البخاري من حديث سفيان بن عيينة قال: أَوَّلُ مَنْ حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ جُرَيْجٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي آلُ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ فَسَأَلْتُ هِشَامًا عَنْهُ فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحْرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ، قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السَّحْرِ إِذَا كَانَ كَذَا، فَقَالَ: (( يَا عَائِشَةُ أَعْلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَنَّنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَيْدُ بْنُ أَعْصَمٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرَ تَحْتَ رَاعُوفَةَ<sup>(٦)</sup> فِي بَيْتِ ذُرَّوَانَ ))، قَالَتْ: فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ الْبَيْتَ حَتَّى

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٦٦)، ومسلم في صحيحه (ح: ٤٣-٢١٨٩).

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الخارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن ظاعن، مولده بقرقشندة - قرية من أسفل أعمال مصر - في سنة أربع وتسعين، ومات للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣٢/٨).

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، مولده بالكوفة في سنة سبع ومائة، وعاش إحدى وتسعين سنة. ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٨-٤٧٥).

(٤) صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٦٣).

(٥) أي ابن القيم رحمه الله.

(٦) الراعوفة: حجر يوضع على راس البئر لا يستطيع قلعه يقوم عليه المستقى، وقد يكون في أسفل البئر، وقيل: هي صخرة تنزل في أسفل البئر إذا حفرت يجلس عليها الذي ينظف البئر، وهو حجر يوجد صلبًا لا يستطيع نزعها فيترك. (فتح الباري، ١٠/٢٤٥).

اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: (( هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيْتَهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْجِنِّاءِ وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ )) قَالَ: فَاسْتُخْرِجْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا أَيُّ تَنْشُرْتِ؟ فَقَالَ: (( أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا ))<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث أنه استخرجه، وترجم البخاري عليه: (( باب: هل يستخرج السحر؟ ))<sup>(٢)</sup> فهذان الحديثان قد يظن في الظاهر تعارضهما، فإنَّ حديث عائشة عن هشام عن أبيه الأوَّل: فيه أنه لم يستخرجه، وحديث ابن جريج عن هشام: فيه أنه استخرجه. ولا تنافي بينهما، فإنَّه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه، ثمَّ دفنه بعد أن شفي، وقول عائشة رضي الله عنها: (( هلا استخرجته؟ )) أي: هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه، فأخبرها بالمانع له من ذلك، وهو أنَّ المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك، فيقع الإنكار ويغضب للساحر قومه، فيحدث الشر، وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة، فأمر بها فدفنت، ولم يستخرجها للناس.

فلاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة، والذي يدل عليه أنه ﷺ إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه، ولم يجيء إليه لينظر إليها ثمَّ ينصرف، إذ لا غرض له في ذلك.. والله أعلم.

وهذا الحديث: ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقي بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته.

وقد اعتاض<sup>(٣)</sup> على كثير من أهل الكلام<sup>(٤)</sup> وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٦٥).

(٢) انظر صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري، ٢٤٣/١٠، كتاب الطب، رقم: ٧٦، باب رقم:

٤٩).

(٣) لعله: اعتاص، واعتاص الأمر عليه: اشتد، والثالث عليه فلم يهتد للصواب، والعويص من الشعر:

ما يصعب استخراج معناه. راجع القاموس المحيط، مادة: عَوِصَ، ص ٨٠٥.

(٤) وهم المعتزلة كما سيبينه ابن القيم رحمه الله في تأثيرات السحر.

بالتكذيب، وصنّف بعضهم فيه مصنفاً مفرداً حمل فيه على هشام<sup>(١)</sup>، وكان غاية ما أحسن لقول فيه، أن قال: غلط واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء.

[ شبهة أهل الكلام ومن نحى نحوهم ]

قال: لأنّ النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر، فإنه يكون تصديقاً لقول الكفار: ﴿... إِنَّ تَبِعُونَ إِلَّا مَرَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، قالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى: ﴿... إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال قوم صالح له: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال قوم شعيب له: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإنّ ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين<sup>(٦)</sup>.

[ الرد على هذه الشبهة ]

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإنّ هشاماً<sup>(٧)</sup> من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب ردّ حديثه، فما للمتكلمين؟ وما لهذا الشأن؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة.

وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين.

(١) أي: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام: راوي الحديث.

(٢) سورة الإسراء، من آية: ٤٧.

(٣) سورة الإسراء، من آية: ١٠١.

(٤) سورة الشعراء، من آية: ١٥٣.

(٥) سورة الشعراء، من آية: ١٨٥.

(٦) انظر هذه الشبهة والرد عليها في شرح النووي بصحيح مسلم (١٧٤/١٤).

(٧) أي هشام بن عروة راوي الحديث.

قال أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو معاوية<sup>(٢)</sup> عن الأعمش<sup>(٣)</sup> عن يزيد بن حيسان<sup>(٤)</sup> عن زيد بن الأرقم<sup>(٥)</sup> قال: سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأتاه جبريل، فقال: ((إن رجلاً من اليهود سحرَكَ، وعقد لك عقداً)) فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها، فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ

(١) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خولستى الإمام، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار ((المسند))، و((المصنف))، و((التفسير))، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي، وهو من أقران أحمد بن محمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني في السنن والمولد والحفظ، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي، وحدث عنه: الشيخان وأبو داود وابن ماجه وغيرهم، مات أبو بكر في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١١/١٢٢-١٢٧).

(٢) هو محمد بن خازم مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم، الإمام الحافظ الحجّة، أبو معاوية السعدي الكوفي الضرير، أحد الأعلام، ولد سنة عشرة ومائة، ومات سنة أربع وتسعين ومائة، وقيل: خمس وتسعين ومائة. يراجع: سير أعلام النبلاء (٩/٧٣-٧٨).

(٣) هو سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ أصله من نواحي الري، فقيل: ولد بقرية أمّ من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين، وقدموا به إلى الكوفة طفلاً، وقيل: حملاً، ومات سنة سبع وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/٢٢٦-٢٤٨).

(٤) يزيد بن حيان التيمي الكوفي، عمّ أبي حيان التيمي، روي عن زيد بن الأرقم وشيرة بن الطفيل وغيرهما، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. انظر: تهذيب الكمال للمزي (ترجمة: ٦٩٨٠).

(٥) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو عمرو، ويقال: أبو عامر، وقيل: غير ذلك، الأنصاري الخزرجي، نزيل الكوفة، من مشاهير الصحابة، ومات بالكوفة سنة ثمان وستين. انظر سير أعلام النبلاء (٣/١٦٥-١٦٨).



كأنما أنشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدنت إليه اليهود، فلم يزالوا حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، وتولى ذلك ليبد بن الأعصم رجل من اليهود، فنزلت هاتان السورتان فيه<sup>(٢)</sup>. قال البغوي: كانت مغروزة بالإبر<sup>(٣)</sup> فأنزل الله ﷻ هاتين السورتين وهما أحد عشر آية: سورة الفلق خمس آيات، سورة الناس ست آيات، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، فقام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال، قال: وروى أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاثة أيام فنزلت المعوذتان<sup>(٤)</sup>.

قالوا: والسحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض عارضا شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمي عليه ﷺ في مرضه<sup>(٥)</sup>، ووقع حين انفكت قدمه وجحش<sup>(٦)</sup> شقه<sup>(٧)</sup>، وهذا من البلاء الذي يزيد

(١) رواه النسائي في السنن (١٠٣/٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠/٧، القسم الثاني)، والإمام أحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن النسائي (ح: ٣٨٠٢).

(٢) أورده البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٥٩٣/٨)، وابن كثير في التفسير (٦١٤/٤)، وقال الحافظ ابن كثير: (( وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما - ثم ذكر الحديث، وفي آخره قال: - هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد )) اهـ.

(٣) في الأصل ( بالدبر ) والتصحيح من تفسير ابن كثير ( ٦١٥/٤ ).

(٤) أورده البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٥٩٤/٨)، وابن كثير في التفسير (٦١٥/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦٨٧/٨)، وانظر قول ابن كثير في تخريج هذا الحديث، وقد سبق ذكره قريبا.

(٥) أورده البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٨٧ )، ومسلم في صحيحه ( ح: ٤١٨-٩٠ ).

(٦) الجَحْشُ: سَحَجُ الجلد وقشره من شيء يصيبه، أو كالجَحْشِ. انظر القاموس المحيط ( ص ٥٢٧ ).

الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء<sup>(١)</sup>، فابتلوا من أهمهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتيم والحيس، فليس يبدع أن يتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشحه<sup>(٢)</sup>، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو

(٧) أورده البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٦٨٩)، ومسلم في صحيحه (ح: ٤١١-٧٧).

(١) يشير إلى حديث عن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: ((الأنبياءُ ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس يُتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلاحٌ زيد في بلائه وإن كان في دينه رقةٌ خُفِّفَ عنه وما يزال البلاءُ بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة)). رواه الإمام أحمد في المسند (١/١٧٢)، ح: ١٤٨١، والترمذي في السنن (ح: ٢٣٩٨)، وابن ماجه في السنن (ح: ٤٠٢٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال محقق المسند: إسناده حسن، من أجل عاصم بن أبي النجود، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) يشير إلى حديث: عَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يُغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ وَبِمَا دُرِي، قَالَ: كَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجْنِ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ وَجُرِحَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ))، رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٤٠٧٥)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٠١-١٧٩٠)، وحمله: ((عليها السلام)) انفرد بها البخاري في صحيحه.

(٣) يشير إلى حديث عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَا حِزْوَرٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ بْنَ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ لَوْ أَنِّي بِنَ خَلْفٍ شَعْبَةَ الشَّاكُ)) قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتَهُمْ قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ فَأَلْقَوْا فِي بَطْنِ غَيْرٍ أَنَّ

درجاتهم عند الله.

قالوا: وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري<sup>(١)</sup> أنّ جبريل أتى النبي ﷺ فقال: (( يا محمد اشتكيت؟ )) قال: (( نعم ))، فقال: (( بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك ))<sup>(٢)</sup> فعوّذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد لما اشتكى، فدل على أنّ هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ، وإلا فلا يعوده من شيء وشكايته من غيره.

قالوا: وأمّا الآيات التي استدلتتم بها لا حجة لكم فيها، أمّا قوله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿... إِنْ تَبْعُونَ إِلَّا مَرْجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(٣)</sup> وقول قوم صالح له: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فقيل: المراد به من له سحر، وهي الرئة، أي: أنه بشر مثلهم يأكل ويشرب، ليس بملك، ليس المراد به السحر، وهذا جواب غير مرضٍ، وهو في غاية البعد فإنّ الكفار لم يكونوا يعيرون عن البشر بمسحور، ولا يعرف هذا في لغة من اللغات، وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا بصريح لفظ البشر، فقالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا، أنؤمن لبشر مثلنا؟ أبعث الله بشرا رسولا؟

وأمّا المسحور فلم يريدوا به ذا السحر وهي الرئة، وأي مناسبة لذكر الرئة في هذا

أُمَّةٌ أَوْ أُبَيًّا تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبَيْتِ. رواه مسلم في صحيحه (ح: ١٠٨-١٧٩٤).

(١) أبو سعيد الخدري الإمام المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الخزرجي، استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان، ومات سنة أربع وسبعين، وقيل: مات سنة ثلاث وستين. انظر سيرته في سير أعلام النبلاء (٣/١٦٨-١٧٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٤٠-٢١٨٦).

(٣) سورة الإسراء، من آية: ٤٧.

(٤) سورة الشعراء، من آية: ١٥٣.

الموضوع، ثم كيف يقول فرعون لموسى: ﴿... إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾<sup>(١)</sup> أفترأه ما علم أن له سحرًا وأنه بشر، ثم كيف يجيبه موسى بقوله: ﴿... وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَكْبُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولو أراد بالمسحور أنه بشر لصدقه موسى وقال: نعم أنا بشر أرسلني الله إليك، كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم: إن أنتم إلا بشر مثلنا، فقالوا: إن نحن إلا بشر مثلكم<sup>(٣)</sup>، ولم ينكروا ذلك.

فهذا الجواب في غاية الضعف، وأجابت طائفة منهم ابن جرير وغيره: بأن المسحور هنا هو معلم السحر الذي قد علمه إياه غيره، فالمسحور عنده بمعنى ساحر: أي عالم بالسحر<sup>(٤)</sup>.

وهذا جيد إن ساعدت عليه اللغة، وهو: أن من علم السحر، يقال له: مسحور، ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال، ولا في اللغة، وإنما المسحور من سحره كالمطوب والمضروب والمقتول.. وبابه.

وأما من علم السحر يقال له: ساحر، بمعنى: أنه عالم بالسحر، وإن لم يسحر غيره، كما قال قوم فرعون لموسى: ﴿... إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وفرعون قذفه بكونه مسحورًا، وقومه قذفوه بكونه ساحرًا.

(١) سورة الإسراء، من آية: ١٠١.

(٢) سورة الإسراء، من آية: ١٠٢.

(٣) يشير إلى قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿... قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا

كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مِّنْ قِبَلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الإسراء، من الآية: ١٠١].

يَعْنُ عَلَيَّ مِنْ شَيْءٍ مِّنْ عِبَادِهِ... [سورة إبراهيم، من الآيتين: ١٠، ١١].

(٤) راجع: تفسير الطبري (١٥٨/٨).

(٥) سورة الشعراء، من آية: ٣٤.

**فالصواب:** هو الجواب الثالث، وهو جواب صاحب الكشاف<sup>(١)</sup> وغيره: إنّ المسحور على بابه<sup>(٢)</sup>، وهو من سحر حتى جن، فقالوا: مسحور، مثل مجنون زائل العقل، لا يعقل ما يقول، فإنّ المسحور الذي لا يتبع هو الذي فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول فهو كالمجنون، ولهذا قالوا فيه: ﴿... مَعَكُمْ مَجْنُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فأمّا ما أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس فإنّه لا يمنع ذلك من أتباعه، وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان، وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من أتباعهم، وهو أنّهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين، ولهذا قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> مثلوك بالشاعر مرّة، والساحر أخرى، والمجنون مرّة، والمسحور أخرى، فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في تيهه وتحيره طريقا يسلكه فلا يقدر عليه، فإنّ أي طريق أخذها فهي طريق ضلال وحيرة، فهو متحير في أمره لا يهتدي سبيلا، ولا يقدر على سلوكها، فهذا حال أعداء رسول الله ﷺ. ومعه حتى ضربوا له أمثالا برأه الله منها، وهو أبعد خلق الله منها، وقد علم كل عاقل أنّها كذب وافتراء وبهتان.

وأما قولكم: إنّ سحر الأنبياء ينافي حماية الله تعالى لهم فإنّه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيليهم بما يشاء من أذى الكفار لهم ليستوجيوا كمال كرامته وليتسلى بهم من بعدهم من أمهم وخلفائهم إذا أودوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل

(١) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي، المعتزلي، صاحب الكشاف والمفصل، وكان مولده بزمخشري - قرية من عمل خوارزم - في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وحمسمائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠ - ١٥٦).

(٢) انظر الكشاف (٦٩٨/٢).

(٣) والآية هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مَعَكُمْ مَجْنُونٌ﴾، سورة الدخان، آية: ١٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٨.

والأنبياء، صبروا ورضوا وتأسوا بهم<sup>(١)</sup>، ولتمتلى صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة، فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم، فيجعل تطهير الأرض منهم، فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة والنعمة السابغة، لا إله غيره، ولا ربّ سواه<sup>(٢)</sup>.

### [ تأثيرات السحر وأن له حقيقة ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( وقد دلّ قوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾<sup>(٣)</sup> وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر وأن له حقيقة. وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة<sup>(٤)</sup> وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل، ولا حل ولا عقد. قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾، سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) بدائع الفوائد ( ١٨٩/٢ - ١٩٣ )، وانظر زاد المعاد ( ١٢٤/٤ ).

(٣) سورة الفلق، آية: ٤.

(٤) المعتزلة فرقة نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي تسميتهم معتزلة أقوال: قيل: لاعتزالهم عن الحق، وقيل: لاعتزالهم عن أقوال المسلمين فإنّ الناس كانوا مختلفين في مرتكبي الكبائر وأحدث مؤسسها الأوّل: واصل بن عطاء قولاً، وقال: ليسوا بمؤمنين ولا كافرين واعتزله المسلمون، وقيل: لاعتزالهم عن مجلس الحسن البصري، فمر بهم الحسن فقال: هؤلاء معتزلة، وسموا بالقدرية لنفيهم القضاء والقدر في معاصي العباد وإضافة خلقها إلى فاعلها، ومذهب المعتزلة مركب من مذهب جهنم في نفس الصفات والقدر والاعتزال فمن اجتمع فيه هذه الثلاث خصال فهو معتزلي. انظر: البرهان للسكسكي (ص ٤٩-٥٠)، والموسوعة الميسرة (ط ٣، ١/٦٩).

## [ الرد على هذه الشبهة ]

وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف وما يعرفه عامة العقلاء: والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلا، وحلا وعقدا، وحبًا وبغضا ونزيفا.. وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس، وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا، كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأیضا: فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هذا تغير في إحساسهم فما الذي يحيل تأثيره في تغير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟ وما الفرق بين التغير الواقع في الرؤية والتغير في صفة أخرى من صفات النفس والبدن؟

فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا، والمتصل منفصلا، والميت حيا، فما الحيل لأن يغير صفات نفسه حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغض محبوبا.. وغير ذلك من التأثيرات؟

وقد قال تعالى عن سحرة فرعون: إنهم ﴿ ... سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> فبين سبحانه أن أعينهم سحرت، وذلك إما أن يكون لتغير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصي، مثل أن يكون السحرة استعانت بأرواح حركتها، وهي الشياطين فظنوا أنها تحركت بأنفسها وهذا كما جر من لا يراه حصيرا أو بساطا، فترى الحصير والبساط ينجر، وترى الجار له مع أنه هو الذي يجره، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين فقلبتا كتقلب الحية فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم

(١) سورة الأعراف، من آية: ١١٦.

الذين يقلبونها، وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي حتى رأى الخيال والعصى تتحرك وهي ساكنة في أنفسها، ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستعانه بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون من أنهم فعلوا في الخيال والعصى ما أوجب حركتها ومشيتها مثل الزئبق<sup>(١)</sup>.. وغيره حتى سعت، فهذا باطل من وجوه كثيرة، فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمى ذلك سحرا بل صنعة من الصناعات المشتركة، وقد قال تعالى: ﴿... فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾<sup>(٢)</sup>، ولو كانت تحركت بنوع حيلة كما يقوله المنكرون لم يكن هذا من السحر في شيء، ومثل هذا لا يخفى.

وأیضا: لو كان ذلك بحيلة كما قال هؤلاء لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق وبيان ذلك المحال، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها. وأيضا: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذاق الصناع، ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة وخضوعه لهم ووعدهم بالتقرب والجزاء<sup>(٣)</sup>.

وأیضا: فإنه لا يقال في ذلك إنه لكبركم الذي علمكم السحر<sup>(٤)</sup>، فإن الصناعات يشترك

(١) المعدن.

(٢) سورة طه، من آية: ٦٦.

(٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، سورة الأعراف، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُ لَهُ قَبْلُ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ

السِّحْرَ...﴾، سورة طه، من آية: ٧١.



الناس في تعلمها وتعليمها.

وبالجملة: فبطلان هذا أظهر من أن يتكلف رده ((<sup>(١)</sup>)).

[ حد الساحر ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( في حكمه ﷺ في الساحر:

في الترمذي عنه ﷺ: (( حد الساحر ضربة بالسيف ))<sup>(٢)</sup>، والصحيح: أنه موقوف على جندب<sup>(٣)</sup> بن عبد الله<sup>(٤)</sup>.

وصح عن عمر ﷺ أنه أمر بقتله<sup>(٥)</sup>، وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت مدبرة سحرتها<sup>(٦)</sup>، فأنكر عليها عثمان إذ فعلته دون أمره.

وروى عن عائشة رضي الله عنها أيضا أنها قتلت مدبرة سحرتها، وروى أنها باعها<sup>(٧)</sup>،

(١) بدائع الفوائد (١٩٣/٢-١٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (ح: ١٤٦٠)، والحاكم في المستدرک (٣٦٠/٤)، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. [ سير أعلام النبلاء، ١٧٦/٣ ]، وضعفه أيضا العلامة الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح: ٢٤٤-١٥٠١).

(٣) جندب بن عبد الله، ويقال: جندب بن كعب، أبو عبد الله الأزدي صاحب النبي ﷺ، قدم دمشق، ويقال له: جندب الخير، وهو الذي قتل المشعوذ. [ انظر سير أعلام النبلاء، ١٧٥/٣ ].

(٤) قال الحافظ الذهبي: والصحيح أنه من قول جندب. [ كتاب الكباير للذهبي، ص ٣١ ].

(٥) أي الساحر.

(٦) يشير إلى ما روي عن مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارَةَ أنهم بلغهم أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت. انفرد به مالك في الموطأ ( كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، ١٩٢/٢ ).

(٧) وذلك فيما روي عن سفيان حدثنا يحيى عن ابن أخي عمرة ولا أدري هذا أو غيره عن عمرة قالت: اشتكت عائشة، فطال شكواها فقدم إنسان المدينة يتطبب فذهب بنو أخيها يسألونه عن وجعها، فقال: والله إنكم تتعتون نعت امرأة مطبوبة، قال: هذه امرأة مسحورة سحرتها جارية لها، قالت: نعم أردت أن تموتي فأعتق، قال: وكانت مدبرة، قالت: بيعوها في أشد العرب

ذكره ابن المنذر<sup>(١)</sup> وغيره.

وقد صح أن رسول الله ﷺ لم يقتل من سحره من اليهود، فأخذ بهذا الشافعي<sup>(٢)</sup> وأبو حنيفة رحمهما الله.

وأما مالك، وأحمد رحمهما الله فإنهما يقتلانه<sup>(٣)</sup>، ولكن منصوص أحمد رحمه الله، أن ساحر أهل الذمة لا يُقتل.

واحتج بأن النبي ﷺ لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي حين سحره.

ومن قال بقتل ساحرهم يُجيب عن هذا بأنه لم يُقر، ولم يُقم عليه بينة، وبأنه خشى ﷺ أن يثير على الناس شرًا بترك إخراج السحر من البئر، فكيف لو قتله<sup>(٤)</sup>.

[ مضرّة تعلم السحر ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( قال الله تعالى في السحرة: ﴿... وَيَعْلَمُونَ مَا يُسْرُهُمْ وَلَا

يَنْفَعُهُمْ...﴾<sup>(٥)</sup> فهذا دليل على أنه مضرّة خالصة لا منفعة فيه إمّا لأنّ بعض أنواعه مضرّة

خالصة لا منفعة فيها بوجه، فما كل السحر يُحصّل غرض الساحر، بل يتعلم مائة باب منه حتى يُحصّل غرضه ببابه، والباقي مضرّة خالصة.

مَلَكَهٖ وَاجْعَلُوا ثَمَنَهَا فِي مِثْلِهَا. انفرد به أحمد في المسند. (٤٠/٦).

(١) الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، وصاحب التصانيف كالإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب الإجماع، وكتاب المبسوط، وغير ذلك، وُلد في حدود موت أحمد بن حنبل، ومات بمكة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة. [ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٤/٤٩٠-٤٩٢ ].

(٢) وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلاً. أورده الترمذي في السنن (ح: ١٤٦٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح: ١٥٠١).

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤٦/٢٨)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٧٦٤).

(٤) زاد المعاد (٦٢/٥-٦٣).

(٥) سورة البقرة، من آية: ١٠٢.

وقس على هذا، فهذا من القسم الخاص المفسدة، وإما لأنَّ المنفعة الحاصلة للساحر لما كانت مغمورة مستهلكة في جنب المفسدة العظيمة فيه جعلت كلا منفعة، فيكون من القسم الراجح المفسدة))<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿... وَكَذَٰلِكَ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ...﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن القيم رحمه الله مبينا معنى هذه الآية: ((أي علموا أنَّ من أخذ السحر وقبَّله لا نصيب له في الآخرة، ومع هذا العلم والمعرفة فهم يشترونه ويقبلونه ويتعلمونه))<sup>(٣)</sup>.

(١) مفتاح دار السعادة ( ٣٤٦/٢ ).

(٢) سورة البقرة، من آية: ١٠٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ( ٣٢٣/١ )، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ( ٣٨٤/٢٩ ).

# المسألة الثالثة:

﴿التَّجِيمُ﴾

الكلام في هذه المسألة يتناول جميع من يدعي الإخبار عن المغيبات، كالمنجم والكاهن والزاجر وصاحب القرعة التي هي شقيقة الأزلام وضاربة الحصى والعراف والرمال ونحوهم، وحكم حلوانهم وهو ما يُعطى لهم من العطية على إخبارهم عن المغيبات.

[ التعريفات ]

أولاً: المنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها، والنجم الوقت المضروب وبه سمي المنجم<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (( هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ))<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطابي: (( علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان من معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقتنائها، ويدعون لها تأثيراً في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه ))<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: الكاهن: الذي يتعاطى الخير عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار.

فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجنّ يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو

(١) انظر لسان العرب ( ٥٧٠/١٢ ).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ( ١٩٢/٣٥ ).

(٣) معالم السنن للخطابي ( ٢٢٩/٤ )، وللعلامة ابن القيم رحمه الله كلام في الرد على المنجمين لا

يتسع المقام لإيراده، وانظره في مفتاح دار السعادة ( ٤٣/٣ - ٢٧٨ ).

حالته، والعرب تسمي كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من كان يسمى المنجم والطبيب كاهناً<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: العراف: الذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوها<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الزاجر: والزجر: المنع والنهي والانتهاز. وزجرت البعير حتى ثار ومضى أزجره زجرًا، وزجرت فلانًا عن السوء فأنزجر، وهو كالرذع للإنسان، وأما البعير فهو كالحث بلفظ يكون زجرًا له.

والزجر للطير وغيرها التيئس بسنحها والتشاؤم ببروحها، وإنما سمي الكاهن زاجرًا لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة، وكذلك الزجر للدواب والإبل والسباع، وهو ضرب من التكهن<sup>(٣)</sup>.

خامسًا: القرعة: السُهْمَةُ. والمقارعة: المساهمة، وأقرعت بين الشركاء في شيء يقتسمونه<sup>(٤)</sup>.

وأما الاستقسام بالأزلام في قوله تعالى: ﴿... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ...﴾<sup>(٥)</sup> فقال

ابن جرير الطبري: (( وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام.

وهو استفعلت من (( القسم )) قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا أو نحو ذلك، أجال القداح، وهي الأزلام وكانت قداحًا مكتوبًا على بعضها (( نهاني ربّي )) وعلى بعضها (( أمرني ربّي ))، فلأن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه (( أمرني ربّي )) مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك، وإن خرج الذي عليه مكتوب (( نهاني ربّي )) كفّ عن المضي لذلك وأمسك،

(١) يراجع: لسان العرب (٣٦٣/١٣).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) ينظر المصدر السابق (٣١٨-٣١٩/٤).

(٤) يراجع المصدر السابق (٢٦٦/٨).

(٥) سورة المائدة، من آية: ٣.

فقيل: ﴿... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَنْزِلِ...﴾ لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزمهم أن يقسم لهم<sup>(١)</sup>.

سادسا: ضاربة الحصى: الحصى صغار الحجارة، الواحدة منه حصاة، وفي الحديث: (( نهى عن بيع الحصى ))<sup>(٢)</sup> أي هو أن يقول المشتري أو البائع: إذا نبذت الحصى إليك فقد وجب البيع، وقيل: هو أن يقول: بعثك من السلع ما تقع عليه حصاتك إذا رميت بها، أو بعثك من الأرض إلى حيث تنتهي حصاتك، والكل فاسد لأنه من بيوع الجاهلية، وكلها غرر لما فيها من الجهالة<sup>(٣)</sup>.

والمقصود من هذا: معرفة أن من يدعى معرفة علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك في المعنى فيلحق به<sup>(٤)</sup>.

[ حكم حلوانهم ]

قال ابن القيم رحمه الله: ( قال أبو عمر بن عبد البر<sup>(٥)</sup>: لا خلاف في حلوان الكاهن أنه ما يُعطاه على كهانته، وهو من أكل المال بالباطل، والحلوان في أصل اللغة: العطية.

(١) تفسير الطبري ( ٤ / ٤١٥ )، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم ( ص ٢١٤ ).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ٤ - ١٥١٣ ).

(٣) انظر لسان العرب ( ١٤ / ١٨٣ )، وبداية المجتهد لابن رشد ( ٤ / ٥٣٧ ).

(٤) انظر تفصيل ذلك في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ( ص ٤١٢ ).

(٥) هو الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم التَّمْرِي، الأندلسي، القرطبي للملكي، صاحب التصانيف الفائقة، مولده في سنة ثمان وستين وثلاثمائة، ومات سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وعاش خمسة وتسعين عامًا. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ( ١٨ / ١٥٣ - ١٦٣ ).

قال علقمة<sup>(١)</sup>:

فمن رجل أحلوه رحلي ونلقني

يُلِّغ عني الشعر إذ مات قائله<sup>(٢)</sup>

انتهى.

وتحريم حلوان الكاهن تنبيه على تحريم حلوان المنجم والزاجر وصاحب القرعة التي هي شقيقة الأزلام وضاربة الحصى والعراف، والرمال ونحوهم ممن تطلب منهم الأخيار عن المغيبات.

وقد نهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، وأخبر أن (( من أتى عرافاً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل عليه ﷺ ))<sup>(٣)</sup>.

ولا ريب أن الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وبما يحيى به هؤلاء لا يجتمعان في قلب واحد، وإن كان أحدهم قد يصدق أحياناً، فصدقه بالنسبة إلى كذبه قليل من كثير، وشيطانه الذي يأتيه بالأخيار لا بد له أن يصدقه أحياناً ليغوي به الناس ويفتنهم.

وأكثر الناس مستجيبون لهؤلاء مؤمنون بهم، ولا سيما ضعفاء العقول، كالسفهاء والجهال والنساء وأهل البيوادي، ومن لا علم لهم بحقائق الإيمان، فهؤلاء هم المفتونون بهم، وكثير منهم يحسن الظن بأحدهم، ولو كان مشركاً كافراً بالله مجاهرًا بذلك، ويزوره وينذر له ويلتمس دعاءه.

فقد رأينا وسمعنا من ذلك كثير، وسبب هذا كله خفاء ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق على هؤلاء وأمثالهم، ﴿... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٤)</sup> وقد قال

(١) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس، وله معه مساجلات، وُلد نحو ٢٠ قبل الهجرة، وتوفي نحو سنة ٦٢٥م. يراجع الأعلام للزركلي (٤٨/٥).

(٢) شرح ديوان علقمة (ص ٩٤)، ولسان العرب (مادة: حلا، ١٩٣/٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٩٩/٢، ج: ٩٥٣٦)، والحاكم في المستدرک (٨/١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً، ووافقه الذهبي. وقال محقق المسند: حديث حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح.



الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ: إِنَّ هَوْلَاءِ يَحْدُثُونَنا أحياناً بالأمر فيكون كما قالوا، فأخبرهم أنّ ذلك من جهة الشياطين، يلقون إليهم الكلمة تكون حقاً، فيزيدون هم معها مائة كذبة فيصدقون من أجل تلك الكلمة<sup>(١)</sup>.

وأما أصحاب الملاحم<sup>(٢)</sup> فركبوا ملاحمهم من أشياء:

أحدها: من أخبار الكهان.

والثاني: من أخبار منقولة عن الكتب السالفة متوارثة بين أهل الكتاب.

والثالث: من أمور أخبر نبينا محمد ﷺ بها جملة وتفصيلاً.

والرابع: من أمور أخبر بها من له كشف من الصحابة ومن بعدهم<sup>(٣)</sup>.

والخامس: من منامات متواطئة على أمر كلي وجزئي.

فالجزئي: يذكرونه بعينه.

والكلي: يفصلونه بحدس<sup>(٤)</sup> وقرائن تكون حقاً أو تقارباً.

والسادس: من استدلال بآثار علوية جعلها الله تعالى علامات وأدلة وأسباباً لحوادث

أرضية لا يعلمها أكثر الناس، فإنّ الله سبحانه لم يخلق شيئاً سُدّي ولا عبثاً.

(٤) سورة النور، من آية: ٤٠.

(١) يشير إلى قوله ﷺ الذي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: (( ليسو بشيء ))، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقل رسول الله ﷺ: (( تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقْرِؤها في أذنِ وليه، فيخلطون معها مائة كذبة ))، رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٢٣-٢٢٢٨).

(٢) جمع ومفرده الملحمة: الواقعة العظيمة في الفتنة، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى. [لسان العرب، مادة لحم، ٥٣٧/١٢].

- والملاحم: الحروب العظيمة التي سوف تقع في آخر الزمان، وهي الأخبار عن المغيبات.

(٣) عن طريق الرؤيا الصالحة كما قال النبي ﷺ: (( لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ )) قالوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: (( الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ))، رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح ٦٤٧٥).

(٤) الحدس: التوهم في معاني الكلام والأمور. [لسان العرب، مادة: حدس، ٤٦/٦].

وربط سبحانه العالم العلوى بالسفلى، وجعل علويه مؤثراً في سفليه دون العكس، فالشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، وإن كان كسوفهما لسبب شر يحدث في الأرض، ولهذا شرع سبحانه تغيير الشر عند كسوفهما بما يدفع ذلك الشر المتوقع من الصلاة والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار والعتق، فإنّ هذه الأشياء تعارض أسباب الشر، وتقاومها، وتدفع موجباتها إن قويت عليها<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الله سبحانه حركة الشمس والقمر، واختلاف مطالعها سبباً للفصول التي هي سبب الحر والبرد، والشتاء والصيف، وما يحدث فيهما مما يليق بكل فصل منها، فمن له اعتناء بمحركاتها واختلاف مطالعها، يستدل بذلك على ما يحدث في النبات والحيوان وغيرهما.

وهذا أمر يعرفه كثير من أهل الفلاحة والزراعة، ونواتى السفن لهم استدالات بأحوالهما وأحوال الكواكب على أسباب السلامة والعطب من اختلاف الرياح وقوتها وعصوفها، لا تكاد تختل.

والأطباء لهم استدالات بأحوال القمر والشمس على اختلاف طبيعة الإنسان وتهيتها لقبول التغيير، واستعدادها لأمر غريبة ونحو ذلك.

وواضعو الملاحم لهم عناية شديدة بهذا<sup>(٢)</sup>، وأمور متوارثة عن قدماء المنجمين، ثم يستنتجون من هذا كله قياسات وأحكاماً تشبه ما تقدم ونظيره.

وسنة الله في خلقه جارية على سنن اقتضته حكمته، فحكم النظر حكم نظيره، وحكم الشيء حكم مثله، وهؤلاء صرفوا قوى أذهانهم إلى أحكام القضاء والقدر، واعتبار بعضه ببعض، والاستدلال ببعضه على بعض، كما صرف أئمة الشرع قوى أذهانهم إلى أحكام الأمر والشرع،

(١) يشير إلى حديث عن المغيرة بن شعبه يقول: (( انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم فقال الناس انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: إن الشمس والقمر آيات من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي ))، رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ١٠٦٠)، ومسلم في صحيحه (ج: ٢٩-٩١٥).

(٢) الذين يكتبون الأحداث التي سوف تقع في آخر الزمان من الحروب والملاحم، مثل فتح القسطنطينية، والحرب بين المسلمين واليهود، ومقتل المسيح الجلال على يد عيسى المسيح وغيرها.

واعتبار بعضه ببعض، والاستدلال ببعضه على بعض، والله سبحانه له الخلق والأمر، ومصدر خلقه وأمره عن حكمة لا تختل ولا تتعطل ولا تنتقض، ومن صرف قوى ذهنه وفكره، واستنفد ساعات عمره في شيء من أحكام هذا العالم وعلمه، كان له فيه من النفوذ والمعرفة والاطلاع ما ليس لغيره.

ويكفى الاعتبار بفرع واحد من فروع، وهو عبارة الرؤيا، فإن العبد إذا نفذ فيها، وكمل إطلاعه، جاء بالعجائب.

وقد شاهدنا نحن وغيرنا من ذلك أموراً عجيبة، يحكم فيها المُعَبَّرُ بأحكام متلازمة صادقة، سريعة وبطيئة.

ويقول سامعها: هذه علم غيب، وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسباب انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره، والشارع صلوات الله عليه حرم من تعاطى ذلك ما مضرت راحته راحة على منفعت، أو ما لا منفعة فيه، أو ما يُخشى على صاحبه أن يجره إلى الشرك، وحرّم بذل المال في ذلك، وحرّم أخذه به صيانة للأمة عما يُفسد عليها الإيمان أو يحدشه، بخلاف علم عبارة الرؤيا، فإنه حق لا باطل، لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة<sup>(١)</sup>. ولهذا كلما كان الرائي أصدق، كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المُعَبَّرُ أصدق وأبر وأعلم كان تعبيره أصح.

بخلاف الكاهن والمنجم وأضرابهما ممن لهم مدد من إخوانهم من الشياطين، فإن صناعتهم لا تصح من صادق ولا بار، ولا متقيد بالشرعية، بل هم أشبه بالسحرة الذين كلما كان أحدهم أكذب وأفجر وأبعد عن الله ورسوله ودينه كان السحر معه أقوى وأشد تأثيراً. بخلاف علم الشرع والحق فإن صاحبه كلما كان أبر وأصدق وأدين كان علمه به ونفوذه فيه أقوى، وبالله التوفيق<sup>(٢)</sup>.

(١) وما يؤكد هذا قول النبي ﷺ: (( إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا

أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة... )) . رواه مسلم في

صحيحه ( ح: ٦-٢٢٦٣ ) .

(٢) زاد المعاد ( ٥/٧٨٦-٧٨٩ ) .

المسألة الرابعة:

﴿ الزيارة الشرعية للقبور ﴾

## [ مفهوم الزيارة ]

الزائر: الذي يزورك، اسم للجمع يكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد لأنه مصدر.

وقد تزاوروا: زار بعضهم بعضا، والتزوير: كرامة الزائر وإكرام المَزُور للزائر، أو أن يكرم المَزُورُ زائرَه ويعرف له حق زيارته. والمزار: موضع الزيارة.

## [ مفهوم القبر ]

القَبْرُ: مدفن الإنسان، وجمعه قُبُور، والقَبْرُ المصدر. والمقبرة: بفتح الباء وضمها: موضع القبور<sup>(١)</sup>.

## [ من الزيارة الشركية للقبور اتخاذها أوثانا تعبد ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن أعظم مكايده<sup>(٢)</sup> التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته: ما أوحاه قديما وحديثا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور. حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثانا، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها ظل، ثم جعلت أصناما، وعبدت مع الله تعالى.

وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح، كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه، حيث يقول: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمُ اعْبَدُونِي وَاتَّبَعُوا مِن لَّدُنِّي ذُرِّيَّةً مَّا لَهُم بِهِ حِسَابٌ وَلَا يَفْقَهُونَ حَدِيثًا وَلَا تَحْسَبُوا مَكَرَكُمْ كِبَارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَصْلَحْنَا كَثِيرًا... ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن جرير: (( وكان من خير هؤلاء - فيما بلغنا - ما حدثنا به ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما

(١) انظر لسان العرب ( مادة زور، ٣٣٥/٤ - ٣٣٦، مادة قبر، ٦٨/٥ ).

(٢) ذكر ذلك في معرض ذكره لمكاييد الشيطان.

(٣) سورة نوح، آيات: ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم))<sup>(١)</sup>.

قال سفيان عن أبيه عن عكرمة قال: (( كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، كلهم على الإسلام ))<sup>(٢)</sup>.

حدثنا ابن عبيد الأعلى حدثنا عيد الرزاق عن معمر عن قتادة في هذه الآية قال: (( كانت آلهة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، فكان وُدّ لكلب بدومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لبني غطيف من مراد، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لذي الكلاع من حمير ))<sup>(٣)</sup>.

وقال الوالي: عن ابن عباس: (( هذه أصنام كانت تعبد في زمان نوح ~~عليه السلام~~ ))<sup>(٤)</sup>.

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج قال: قال عطاء عن ابن عباس: (( صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصباوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم عبدت ))<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير الطبري ( ٢٥٤/١٢ )، تفسير ابن كثير ( ٤٥٥/٤ )، ورواه البخاري بمعناه في صحيحه

(مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٩٢٠).

(٢) تفسير الطبري ( ٢٥٤/١٢ ).

(٣) رواه الطبري في التفسير ( ٢٥٤/١٤ ).

(٤) المصدر السابق.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٩٢٠ ).

وقال غير واحد من السلف: (( كان هولاء قوما صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ))<sup>(١)</sup>.

فهولاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها: إنَّ أمَّ سلمة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، يقال لها: مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: (( أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح - أو الرجل الصالح - بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى ))<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ آخر في الصحيحين: (( إنَّ أمَّ حبيبة<sup>(٤)</sup> وأمَّ سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها... ))<sup>(٥)</sup>، فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور، وهذا كان سبب عبادة اللات.

(١) الكلام وارد في مجموع فتاوى ابن تيمية ( ٣٢١/١ )، وانظر تيسير العزيز الحميد ( ص ٣٠٩ - ٣١٠ ) فإنه ذكر أنّ من ضمن هولاء السلف أبو جعفر الباقر.

(٢) هي السيدة المحجبة، الطاهرة، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة، المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد سيف الله؛ من المهاجرات الأوّل، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي الرجل الصالح، تزوجها النبي ﷺ ودخل بها في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، وتوفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة، وعاشت نحواً من تسعين سنة. انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ( ٢٠١/٢ - ٢١٠ ).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٣٤ ) .

(٤) هي السيدة المحجبة: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي، وهي من بنات عم الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبا إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها، عُقد له ﷺ عليها بالحبشة سنة ست، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار، وجهازها بأشياء، فكان لها يوم قدم بها المدينة بضعة وثلاثون سنة، وماتت سنة أربع وأربعين. انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ( ٢١٨/٢ - ٢٢٣ ).

فروى ابن جرير بإسناده عن سفیان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزْرَى﴾<sup>(١)</sup> قال: (( كان يلت لهم السوق، فمات، فعكفوا على قبره ))<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (( كان يلت السوق للحاج ))<sup>(٣)</sup>.  
فقد رأيت أنّ سبب عبادة ودّ ويعقوت ويعوق وتسرا واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها، كما أشار إليه النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

[ ومن الزيارة الشركية للقبور: اتخاذها عيداً ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن ذلك اتخاذها عيداً.

والعيد: ما يعتاد مجيئه وقصده: من مكان وزمان.

فأمّا الزمان: كقوله ﷺ: (( يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى: عيدنا أهل الإسلام ))<sup>(٥)</sup> رواه أبو داود وغيره.

وأما المكان، فكما روى أبو داود في سننه أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنني نذرت أن أنحر إبلا بيوانة، فقال: (( أيها وثن من أوثان المشركين، أو عيد من أعيادهم؟ )) قال: لا، قال: (( فأوف بندرك ))<sup>(٦)</sup>، وكقوله: (( لا تجعلوا قبوري عيداً ))<sup>(٧)</sup>.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٤٢٧)، رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١١/٥).

(١) سورة النجم، آية: ١٩.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (٥٢٠/١١)، والبخاري في معالم التنزيل (٤٠٧/٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٤٨٥٩)، وابن جرير الطبري في التفسير (٥٢٠/١١).

(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم (١٨٩/١-١٩١).

(٥) الحديث رواه أبو داود في السنن (ج: ٢٤١٩)، والترمذي في السنن (ج: ٧٧٣)، والنسائي في السنن (كتاب الحج، باب النهي عن صوم يوم عرفة، ٢٠٣/٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، ج: ٢١١٤-٢٤١٩.



## [ مفهوم العيد ]

والعيد: مأخوذ من المعاودة، والاعتیاد، فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وإنتیابه للعبادة، أو لغيرها، كما أنّ المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة، والمشاعر جعلها الله تعالى عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التبعّد فيها عيداً. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانيّة بالكعبة البيت الحرام وعرفة ومنى والمشاعر.

فاتخاذ القبور عيداً هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ في سيد القبور، منبها به على غيره.

فقال أبو داود: حدثنا أحمد بن صالح قال: قرأت على عبد الله بن نافع، أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (( لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم ))<sup>(١)</sup>، وهذا إسناد حسن، رواه كلهم ثقات مشاهير.

(٦) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣٣١٣)، والنسائي في السنن (ح: ٢١٣١)، والطبراني في الكبير (ح: ١٣٤١)، والبيهقي في السنن (٧٣/١٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ٢٨٣٤-٣٣١٣)، والمشكاة (ح: ٣٤٣٧).

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٦٧/٢، ح: ٨٨٠٤)، وأبو داود في السنن (ح: ٢٠٤٢)، والطبراني في الأوسط (ح: ٨٠٢٦)، وقال محقق المسند: إسناده حسن، وصححه أيضا العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ١٧٩٦-٢٠٤٢).

— وانظر تعليق ابن القيم رحمه الله على هذا الحديث في تهذيب سنن أبي داود (مختصر المنذري، ح: ١٩٥٩، ٤٤٧/٢).

(١) تقدم تخريجه.

وقال أبو يعلى الموصلي<sup>(١)</sup> في مسنده: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر بن إبراهيم - من ولد ذي الجناحين - حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي ابن الحسين<sup>(٢)</sup>: لئن رأيت رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: (( لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم ))<sup>(٣)</sup> رواه أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي<sup>(٤)</sup> في مختاراته.

(١) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، أبو يعلى، محدث الموصيل، وصاحب المسند والمعجم، ولد في ثالث شوال سنة عشر ومائتين، فهو أكبر من النسائي بخمس سنين، وأعلى إسناداً منه، ومات سنة سبع وثلاثمائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧٤/١٤)، والبداية والنهاية (١٣٠/١١).

(٢) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، السيد الإمام، زين العابدين، الهاشمي العلوي المدني، يُكنى أبا الحسين، ويقال: أبو الحسن، ويقال: غير ذلك، وأمّه أم ولد اسمها سلامة (سلافة) بنت ملك الفرس يزدجرد، وُلد في سنة ثمان وثلاثين، وكان مع أبيه يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ مَوْعُوكًا فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق فآكرمه يزيد وردّه مع آله إلى المدينة، ومات سنة أربع وتسعين، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٨٦/٤-٤٠١).

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (ح: ٤٦٩، ٦٧٦١)، والمسند للإمام أحمد (٣٦٧/٢، ح: ٨٨٠٤)، وسنن أبي داود (ح: ٢٠٤٢)، ومصنف عبد الرزاق (٦٧٢٦)، والمطالب العالية (ح: ١٢٥٥)، وقال محقق المسند: إسناده حسن، وصححه أيضاً العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ١٧٩٦-٢٠٤٢).

(٤) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور، أبو عبد الله المقدسي الدمشقي الحنبلي، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، ومن تصانيفه (( الأحاديث المختارة ))، وُلد سنة تسع وستين وخميس مائة بالدير المبارك بقاسيون، وتوفي في يوم الإثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢٦/٢٣)، والبداية والنهاية (١٦٩/١٣-١٧٠).

وقال سعيد بن منصور<sup>(١)</sup> في السنن: حدثنا حبان بن علي حدثني محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ: (( لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي، حيثما كنتم، فإن صلواتكم تبلغني ))<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد<sup>(٣)</sup>: حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رأني الحسن<sup>(٤)</sup> بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، قال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (( لا تتخذوا بيوتي عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلواتكم تبلغني حيثما كنتم ))، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء<sup>(٥)</sup>.

(١) سعيد بن منصور بن شعبة، الحافظ الإمام، شيخ الحرم، أبو عثمان الخرساني المروزي، البلخي، ثم المكي الجاور، مؤلف كتاب السنن، كان من أبناء ثمانين سنة أو أزيد، وتوفي بمكة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ( ٥٨٦/١٠ ).

(٢) رواه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في المصنف ( ٣٧٥/٢، ٣٤٥/٣ )، وقال حبيب الرحمن الأعظمي: لا بأس بإسناده، وسكت عليه البوصيري اهـ. [ المطالب العالية، ١/٣٧٦ ].

(٣) أي سعيد بن منصور.

(٤) هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الهاشمي العلوي المدني، الإمام، أبو محمد، وروي أنه يقول لرجل من الرافضة: إن قتلك قربة إلى الله؛ فقال: إنك تمزح؛ فقال: والله ما هو مني تمزاح، وقيل: كانت شيعة العراق يُعتنون الحسن الإمارة مع أنه يبغضهم ديانة؛ وكان يصلح للخلافة، ومات سنة تسع وتسعين، وقيل: في سبع وتسعين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ( ٤٨٣-٤٨٧/٤ ).

(٥) أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ١٢٢/٢٧ )، والذهبي في سير أعلام النبلاء ( ٤٨٣/٤ )، وقال محقق السير: حديث حسن.

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده، هذا لو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندا؟

وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه: ووجه للدلالة: أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان<sup>(١)</sup>. ثم إنه قرن ذلك بقوله: (( ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً )) أي لا تعطلوها من الصلاة فيها، والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور.

فأمر بتحرى النافلة في البيوت، ونهى عن تحرى العبادة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم، ثم إنه عقب النهي عن اتخاذ عيداً بقوله: (( وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم )) يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قريي ويعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذ عيداً.

[ شبهة القبورين والرد عليها ]

وقد حرف هذه الأحاديث بعض من أخذ شيها من النصارى بالشرك، وشيها من اليهود بالتحريف، فقال: هذا أمر بملازمة قبره، والعكوف عنده، واعتياد قصده وانتيابه، ونهى أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوه بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كل ساعة وكل وقت.

وهذا مراغمة ومحادة لله ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ، وقلب للحقائق، ونسبة الرسول ﷺ إلى التلبيس والتلبيس، بعد التناقض، فقاتل الله أهل الباطل أنى يوفكون.

ولا ريب أن من أمر الناس باعتياد أمر وملازمته، وكثرة انتيابه بقوله: (( لا تجعلوه عيداً )) فهو إلى التلبيس وضد البيان أقرب منه إلى الدلالة والبيان.

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ( ١٢٢/٢٧ ).

فإن لم يكن هذا تنقيصاً فليس للتنقيص حقيقة فينا، كمن يرمي أنصار الرسول ﷺ وحزبه بدائه ومصابه وينسل كأنه بريء، ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك أسهل إثماً وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنته.

وهكذا غيرت ديانات الرسل، ولولا أن الله أقام لدينه الأنصار والأعدوان الذابيين عنه، لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله.

ولو أراد رسول الله ﷺ ما قاله هؤلاء الضلال لم ينه عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ويلعن فاعل ذلك، فإنه إذا لعن من اتخذها مساجد، يعبد الله فيها، فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها، وأن يعتاد قصدتها وانتياها، ولا تجعل كالعيد الذي يجيء من الحول إلى الحول؟ وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد؟ وكيف يقول أعلم الخلق بذلك: ((ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجداً؟))، وكيف يقول: ((لا تجعلوا قبوري عيداً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم))؟ وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء الضلال، الذين جمعوا بين الشرك والتحريف؟

وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنهما نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ، واستدل بالحديث، وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي ﷺ، وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال.

وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن، شيخ أهل بيته، كره أن يقصد الرجل القبر إذا لم يكن يريد المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذ عيداً.

قال شيخنا<sup>(١)</sup>: فانظر هذه السنة، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب، وقرب الدار؟ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط.

### [ بيان بعض المفاسد باتخاذ القبور أعياداً ]

ثم إن في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار الله تعالى، وغيره على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك.

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

## \* ولكن ما لجرح بميت إيلام \*

فمن مفاسد اتخاذها أعيادا: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلا واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا، وقد نزلوا عن الأكوار<sup>(١)</sup> والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالصحيح، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا<sup>(٢)</sup> منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين.

فتراهم حول القبر ركعا سجدا يتغنون فضلا من الميت ورضوانا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانا، فلغير الله، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسئل من تفريج الكربات، وإغناء ذوى الفاقات، ومعافاة أولى العاهات والبليات، ثم اثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيها له بالبيت الحرام، الذي جعل الله مباركا وهدي للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه السجود.

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين.

(١) جمع الكور: الرُّحْلُ. القاموس المحيط، (ص ٦٠٧).

(٢) في الأصل: دبوا، والصحيح ما أثبت.

هذا ولم تتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم: إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، كما تقدم. وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أنّ من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور، وأنّ صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأنّ الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

ورأيت لأبي الوفاء بن عقيل<sup>(١)</sup> في ذلك فصلا حسنا، فذكرته بلفظه، قال: ((لما صعبت التكليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذا لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع: من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائح، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بنا كذا وكذا، وأخذ تربتها تيركا، وإضافة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، إقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف، ولم يتمسح بأجرة مسجد الملموسة يوم الأربعاء، ولم يقل الجمالون على جنازته: الصديق أبو بكر، أو محمد وعلي، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالحص والآجر، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر)) انتهى.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر، مناقضا له، بحيث لا يجتمعان أبدا.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها.

(١) أبو الوفاء الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، ومسجده بها مشهور في زمانه، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ودفن قريبا من قبر الإمام أحمد. انظر ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (١٧٩/١٧)، والبداية والنهاية (١٨٤/١٢).

ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء ينون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى.

ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القنادل عليها.  
ونهى أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها عيداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

وأمر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي<sup>(١)</sup> قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (( ألا أبعثك على ما بعثي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع مثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ))<sup>(٢)</sup>، وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة ابن عبيد<sup>(٣)</sup> بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها<sup>(٤)</sup>، وهؤلاء يبالبغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالييت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن تخصيص القبر والبناء عليها، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال: (( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء ))<sup>(٥)</sup>.

(١) هو حبان بن حصين أبو الهياج الكوفي، روى عن علي وعمار، وعنه ابنه جرير ومنصور والشعبي، من رجال مسلم، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر ابن عبد البر أنه كاتب عمار عليه السلام، وفي التقريب لابن حجر أنه ثقة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦٧/٣)، والتقريب له أيضاً (ترجمة: ١٥٩٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٩٣-٩٦٩).

(٣) هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم بن جَحَجَبِي القاضي الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل بيعة الرضوان، ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب، ومات سنة ثلاث وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١١٣/٣-١١٧).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٩٢-٩٦٨).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٩٤-٩٧٠).



ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود والترمذي في سننهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (( نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها ))<sup>(١)</sup> قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره. ونهى أن يزداد عليها غير ترابها، كما روى أبو داود من حديث جابر أيضا أن رسول الله ﷺ: (( نهى أن تجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزداد عليه ))<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجر<sup>(٣)</sup> والأحجار والجص.

ونهى عمر بن عبد العزيز<sup>(٤)</sup> أن يبنى القبر بآجر، وأوصى أن لا يفعل ذلك بقبيره. وأوصى الأسود بن يزيد<sup>(٥)</sup>: (( أن لا تجعلوا على قبوري آجرا ))، وقال إبراهيم النخعي<sup>(٦)</sup>: (( كانوا يكرهون الآجر على قبورهم )).

(١) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣٢٢٥)، والترمذي في السنن (ح: ١٠٥٢)، والنسائي في السنن (كتاب الجنائز، باب الزيارة على القبر، ٧١/٤)، وابن ماجه في السنن (ح: ١٥٦٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه أيضا العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح: ١٠٦٤-٨٤١).

(٢) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣٢٢٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ٢٧٦٣-٣٢٢٦).

(٣) الآجر: طيخة الطين، وهو الذي يبنى به، فارسي معرب. [لسان العرب، ١١/٤].

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأموي، الخليفة الصالح، الملك العادل، ولد سنة ٦١هـ، وولي الخلافة سنة ٩٩هـ، وتوفي مسموما ومدة خلافته سنتان ونصف. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٣٣٠/٥)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٢٨).

(٥) الأسود بن يزيد بن قيس، الإمام أبو عمرو النخعي الكوفي، وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد، ونخال إبراهيم النخعي، وكان الأسود مخضوما أدرك الجاهلية والإسلام، وتوفي سنة خمس وسبعين. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٧٠/٦)، شذرات الذهب (٨٢/١).

(٦) هو الإمام الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، وهو ابن =

وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة: أن (( لا تضربوا عليّ فسطاطاً<sup>(١)</sup> ))، وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاط<sup>(٢)</sup>.

والمقصود: أنّ هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادا الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به. وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من أكبر الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي<sup>(٣)</sup>: ولو أبيع اتخاذ السرج عليها لم يلعن النبي ﷺ من فعله، ولأنّ فيه تضييعا للمال في غير فائدة، وإفراطا في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام، قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأنّ النبي ﷺ قال: (( لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا )) متفق عليه. وقالت عائشة: (( إنما لم يبرز قبر رسول الله ﷺ لئلا يتخذ مسجدا )) لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن إبتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاة عندها. انتهى<sup>(٤)</sup>.

(١) الفسطاط: مجتمع أهل الكورة، والسرادق من الأبنية. راجع القاموس المحيط (ص ٨٧٩).

(٢) انظر زاد المعاد (١/٥٢٤).

(٣) هو الإمام العالم الحافظ الكبير، تقي الدين، أبو محمد، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي الجماعلي ثمّ الدمشقي المنشأ، الصالح الحنبلي، صاحب (( الأحكام الكبرى )) و(( الصغرى ))، ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بجماعيل، وتوفي في يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأوّل سنة ستمائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣).

(٤) انظر المغنى لابن قدامة، تحقيق د/عبد الله التركي، ود/ عبد الفتاح الحلوي، هجر للطباعة والنشر،

ط ١، ١٤٠٦هـ، (٣/٤٤٠-٤٤١).

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه (( مناسك حج المشاهد ))<sup>(١)</sup> مضاهاة منه بالقبور لتبنيت الحرام ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين [ ما شرعه هؤلاء الضلال وبين ]<sup>(٢)</sup> ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده، ولا ريب أن في ذلك من المفاصد ما يعجز العبد عن حصره.

**فمنها:** تعظيمها الموقع في الافتتان بها.

**ومنها:** اتخاذها عيداً.

**ومنها:** السفر إليها.

**ومنها:** مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها وسداتها، وعبادتها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سداتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها.

**ومنها:** النذر لها ولسداتها.

**ومنها:** اعتقاد المشركين بها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، إلى غير ذلك.

**ومنها:** الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها.

**ومنها:** الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

**ومنها:** إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهما ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهة، كما أن المسيح [ عليه السلام ]<sup>(٣)</sup> يكره ما يفعله النصارى عند قبره<sup>(٤)</sup>،

(١) وفي عصرنا الحاضر قام الدكتور عبد المنعم السامرائي بالرد على هذه الافتراءات، فألف كتاباً سماه: (( الرافضة وتفضيل زيارة قبر الحسين ﷺ على حج بيت الله الحرام ))، قامت بطبعه مكتبة ابن تيمية.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة ليستقيم المعنى.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة، وليست من الأصل.

(٤) كما تزعم النصارى أن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام قُتل ثم صُلب ثم دفن، وقبره لمزعوم ليس بصحيح وإنما الواقع هو كما ذكره الله ﷻ في كتابه حيث قال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَكَانَ شِبْهَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [ سورة النساء، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨ ] قال الحافظ ابن كثير: (( عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الخواريين يعنى فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرأون منهم كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَسَّغَتْهُمُ وَعَابَاءُ هَؤُلَاءِ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾<sup>(١)</sup> قال الله للمشركين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ... ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّي الْهَيْمِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ آيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنها: مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسريج عليها.

ومنها: محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها.

ومنها: التعب العظيم مع الوزر الكثير، والإثم العظيم.

ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها: تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله، فإن عباد القبور يعطونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى مالا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم نظيره ولا قريب منه.

---

مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سنًا فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا، فقال: هو أنت ذاك، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء يعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ((. تفسير ابن كثير ( ٥٨٨/١ ).

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) سورة الفرقان: من آية: ١٩.

(٣) سورة المائدة، من آية: ١١٦.

(٤) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١.

**ومنها:** أنّ ذلك يتضمن عمارة المشاهد، وخراب<sup>(١)</sup> المساجد، ودين الله الذي بعث به رسوله بصد ذلك، ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين، عمرووا المشاهد وأخربوا المساجد.

**ومنها:** أنّ الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور: إنما هو تذكّر الآخرة، والإحسان إلى المذور بالدعاء له والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنا إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، ودعاؤه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستئزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى نفوسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلاّ بجرمانه بركة ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له.

### [ كيفية الزيارة المشروعة للقبور ]

فاسمع الآن زيارة أهل الإيمان التي شرعها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، ثمّ وازن بينها وبين زيارة أهل الإشراك، التي شرعها لهم الشيطان، واختر لنفسك.

قالت عائشة رضي الله عنها: ((كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون، وإنّا إن شاء الله بكم لأحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد))<sup>(٢)</sup> رواه مسلم.

وفي صحيحه عنها أيضا: (( أنّ جبريل أتاه، فقال: إنّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع تستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين مناّ والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لأحقون ))<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: (( أخربوا )) والصحيح ما أثبت.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٤٠/٧ ).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٤٤/٧ ).

وفي صحيحه أيضا عن سليمان بن بريدة<sup>(١)</sup> عن أبيه قال: (( كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام على أهل الديار - وفي لفظ - السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية))<sup>(٢)</sup>.

وعن بريدة<sup>(٣)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: (( كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر، ولا تقولوا هجرا ))<sup>(٤)</sup> رواه أحمد والنسائي.

وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور، سداً للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرا، فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله فإنّ زيارته غير مأذون فيها، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولاً وفعلاً.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (( زوروا القبور، فإنها تذكركم الموت ))<sup>(٥)</sup>.

(١) هو سليمان بن بريدة بن الحصيب، قد كان ابن عيينة يُفضله على عبد الله بن بريدة، روى عن أبيه، وعائشة وعمران بن حصين، وعنه: علقمة بن مرثد ومحارب بن دثار ومحمد بن جُحادة وجماعة، ثقة، مات سنة خمس ومائة، وله تسعون عاما. سير أعلام النبلاء (٥٢/٥ - ٥٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٤٥/٧ ).

(٣) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد، أبو عبد الله، الأسلمي، قيل: أسلم عام الهجرة، وشهد غزوة خيبر والفتح وكان معه اللواء، واستعمله النبي ﷺ على صدقة قومه، وكان يحمل لواء الأمر أسامة حين غزا أرض بلقاء، إثر وفاة رسول الله ﷺ، ومات بخراسان سنة اثنتين وستين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ( ٤٦٩/٢ - ٤٧١ ).

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٣٥٠/٥ )، وأبو داود في السنن ( ح: ٣٢٣٥ )، والترمذي في السنن ( ح: ١٠٥٤ )، والنسائي في السنن ( كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ٧٣/٤ )، ورواه أيضا مسلم من غير زيادة (( ولا تقولوا هجرا ))، صحيح مسلم ( بشرح النووي، ٤٦/٧ )، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، ( ح: ٢٧٧٢ - ٣٢٣٥ )، والهجر: أي فحشا.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ))<sup>(١)</sup> رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: (( السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، ونحن بالأثر ))<sup>(٢)</sup> رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورو القبور، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر بالآخرة ))<sup>(٣)</sup> رواه ابن ماجه.

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة ))<sup>(٤)</sup>.

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجد لها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟

وما أحسن ما قال مالك بن أنس<sup>(٥)</sup> رحمه الله: (( لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ))<sup>(٦)</sup> ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

(٥) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٤٦/٧ ).

(١) رواه أحمد في المسند ( ١٤٥/١، ح: ١٢٣٦ )، وأبو يعلى الموصلي في المسند ( ح: ٢٧٨ )، وقال محقق المسند: صحيح لغيره.

(٢) رواه الترمذي في السنن ( ح: ١٠٥٣ )، وعبد الرزاق في المصنف ( ح: ٦٧٢٠ )، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وضعفه العلامة الألباني في ضعيف سنن الترمذي ( ح: ١٧٦ - ١٠٦٥ ).

(٣) رواه ابن ماجه في السنن ( ح: ١٥٧١ )، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ( ح: ١٥٧١-٣٤٣ ).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ( ٣٨/٣، ح: ١١٣٢٩ )، وقال محققه: حديث صحيح.

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد، وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ، ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا.

فقال سلمة بن وردان<sup>(١)</sup>: (( رأيت أنس بن مالك ﷺ يسلم على النبي ﷺ، ثم يسند، ظهره إلى جدار القبر، ثم يدعوا )) .

ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء، حتى لا يدعوا عند القبر، فإن الدعاء عبادة<sup>(٢)</sup>.

وفي الترمذي وغيره مرفوعا: (( الدعاء هو العبادة ))<sup>(٣)</sup>.

(٥) هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، وهو جيمر الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني، حليف بني تميم من قريش، وأمه: عالية بنت شريك الأزدي، ومولده على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ، ونشأ في صونٍ ورفاهية وتعلم، وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتاهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرين سنة، وحدث عنه جماعة وهو حيّ شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدهموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات، وهو أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينسب المذهب المالكية، ومات سنة تسع وسبعين ومائة، وعاش تسعا وثمانين سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤٨/٨ - ١٣٥).

(٦) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٥٣/١)، وللشيخ عبد الله بن الغنيمان كتاب سماه: (( لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ))، طبعه مكتبة لينة للنشر والتوزيع، فليراجع...

(١) سلمة بن وردان الليثي الجندعي مولاهم، أبو يعلى المدني، رأى جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع، وروى عن أنس بن مالك وسالم بن عبد الله وغيرهما، وضعفه الأئمة، مات في آخر خلافة أبي جعفر المنصور. انظر تهذيب الكمال للمزي (ترجمة: ٢٤٧٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (( ولهذا ذكر الأئمة - أحمد وغيره من أصحاب مالك وغيرهم - إذا سلم على النبي ﷺ وقال: ما ينبغي له أن يقول ثم أراد أن يدعو فإنه يستقبل القبلة ويجعل الحجر عن يساره )) . اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٩٩/١).



فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله ﷺ: من السلام على أصحابها والاستغفار لهم، والترحم عليهم.

وبالجملة: فالميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له، وجوبا واستحبابا، ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي.

قال عوف بن مالك<sup>(١)</sup>: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه وهو يقول: (( اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجته، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر - أو من عذاب النار ))، حتى تمنيت أن أكون أنا الميت، للدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على ذلك الميت.<sup>(٢)</sup> رواه مسلم.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة: (( اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلايتها، جننا شفعا فاعفر له ))<sup>(٣)</sup> رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه أبو داود في السنن (ح: ١٤٧٩)، والترمذي في السنن (ح: ٣٢٤٧)، وأحمد في المسند (٢٧١/٤)، وابن المبارك في الزهد (ح: ٤٥٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ١٣١٢-١٤٧٩).

(١) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، أبو عبد الرحمن، وقيل: غير ذلك، وممن شهد فتح مكة وغزوة مؤتة، ومات سنة ثلاث وسبعين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤٨٧/٢)، الإصابة (١٧٩/٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ٣٠/٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥٦/٢، ح: ٧٤٧٧)، وأبو داود في السنن (ح: ٣٢٠٠)، وقال محقق المسند: ضعيف، وكذلك العلامة الألباني فقد ضعف إسناده في ضعيف سنن أبي داود (ح: ٧٠٣-٣٢٠٠)، والمشكاة (ح: ١٦٨٨).

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (( إذا صليت على الميت فاخلصوا له الدعاء ))<sup>(١)</sup>.

وقالت عائشة، وأنس عن النبي ﷺ: (( ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه ))<sup>(٢)</sup> رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (( ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا، لا يشركون بالله شيئا، إلا شفعهم الله فيه ))<sup>(٣)</sup> رواه مسلم.

فهذا مقصود الصلاة على الميت، وهو الدعاء له والاستغفار، والشفاعة فيه.

ومعلوم أنه في قبره أشد حاجة منه على تعشه، فإنه حينئذ معرض للسؤال وغيره.

وقد كان النبي ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول: (( سلوا له التثبيت، فإنه الآن يسئل ))<sup>(٤)</sup>.

فعلم أنه أخرج إلى الدعاء له بعد الدفن، فإذا كنا على جنازته ندعو له، لا ندعو به، ونشفع له لا نشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى.

فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذي قيل لهم: بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانا إلى الميت وإحسانا إلى الزائر، وتذكيرا بالآخرة: سؤال للميت، والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة

(١) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣١٩٩)، وابن ماجه في السنن (ح: ١٤٩٧)، وصححه العلامة

الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ٢٧٤٠-٣١٩٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٧/٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٨/٧).

(٤) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣٢٢١)، والحاكم في المستدرک (١/٣٧٠)، والبغوي في شرح

السنة (٥/٤١٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه

الذهبي، وصححه أيضا العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ٢٧٥٨-٣٢٢١).

بالدعاء الذي هو مخ العبادة، وحضور القلب عندها، وخشوعه أعظم منه في المساجد، وأوقات الأسحار.

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى، أو الدعاء بهم، أو الدعاء عندهم، مشروعاً وعملاً صالحاً، ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ، ثم يرزقه الخلفوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعا وعشرين سنة، حتى توفاه الله تعالى، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يمكن بشر علي وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو ضعيف، أو منقطع: أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلا أن يصلوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم.

فليوقفونا على أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك، بلى، يمكنهم أن يأتوا عن الخلفوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد، كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك، بلى، فيها من خلاف ذلك كثير، كما قدمناه من الأحاديث المرفوعة.

وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها، وقد ذكرنا إنكار عمر رضي الله عنه على أنس رضي الله عنه صلواته عند القبر، وقوله له: (( القبر القبر )).

وقد ذكر محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال: حدثنا أبو العالية قال: (( لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، العلامة الحافظ الإخباري، أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطليبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، وكان جده يسار من سبي عين تمر في دولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وُلد سنة ثمانين، وهو أول من دوّن العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان من العلم بجرا عجاجا، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي، ومات سنة خمسین ومائة، وقيل: غير ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ( ٧/٣٣-٥٥ ).

عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتُم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس لا ينشونه، فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أيرزوا السرير فيمطرون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له (( دانيال ))، فقلت: مذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع <sup>(١)</sup>.

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المستأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يدانسي هذا ولا يقاربه وأقاموا لها سدنة، وجعلوها معابد أعظم من المساجد.

فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً، لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك، ودعوا عنده، وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم.

وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون.

(١) قال الحافظ ابن كثير: (( هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي، بل هو رجل صالح، لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة )) . قصص

فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا به، ولا دعا عنده، ولا استشفى به، ولا استسقى به، ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه.

وحينئذ فلا يخلو، إمّا أن يكون الدعاء عندها، والدعاء عند أربابها أفضل منه في غير تلك البقعة، أو لا يكون، فإن كان أفضل، فكيف خفي علمًا وعملاً على الصحابة والتابعين وتابعيهم؟ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، وتظفر به الخلوف علما وعملا؟ ولا يجوز أن يعملوه ويزيدوا فيه، مع حصرهم على كل خير، لا سيما الدعاء، فإن المضطر يتشبث بكل سبب، وإن كان فيه كراهة ما، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء، وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور، ثم لا يقصدونه؟ هذا محال طبعاً وشرعاً.

فتعين القسم الآخر: وهو أنه لا فضل للدعاء عندها، ولا هو مشروع، ولا مأذون فيه بقصد الخصوص، بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد.

ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله البتة، بل استحباب الدعاء عندها شرع وعبادة لم يشرعها الله، ولم ينزل بها سلطاناً.

وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير.

فروى غير واحد عن المعرور بن سويد<sup>(١)</sup> قال: (( صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريق مكة صلاة الصبح، فقرأ فيها: ﴿الْمُتَرَكِّفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>

و﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٍ﴾<sup>(٣)</sup> ثم رأى الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فهم يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم

(١) المعرور بن سويد، الإمام، المعمر، أبو أمية الأسدي الكوفي، وقال الأعمش: رأيتَهُ وهو ابن مائة وعشرين سنة، أسود الرأس واللحية. وقال الذهبي: توفي سنة بضع وثمانين. ينظر سير أعلام النبلاء (٤/١٧٤).

(٢) سورة الفيل، آية: ١.

(٣) سورة قريش، آية: ١.

يمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعا، فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمدها))<sup>(١)</sup>.

وكذلك أرسل عمر رضي الله عنه أيضا فقطع الشجرة التي بايع تحتها أصحاب رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. بل قد أنكر رسول الله ﷺ على الصحابة لما سألوه أن يجعل لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ومتاعهم بخصوصها.

فروى البخاري في صحيحه عن أبي واقد الليثي<sup>(٣)</sup> قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، ونحن حديث عهد بكفر، وللمشركين سدره، يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدره، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: ((الله أكبر، هذا ما قالت بنو إسرائيل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجَاهِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> لو كن سنن من كان قبلكم))<sup>(٥)</sup>.

فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه،

(١) أورده العلامة الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص ٩٧)، وقال: رواه ابن أبي شيبة، وسنده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أورده العلامة الألباني أيضا في كتابه تحذير الساجد (ص ٩٧)، وقال: رواه ابن أبي شيبة أيضا، ورجاله ثقات كلهم لكنه منقطع بين نافع وعمر، فعمل الواسطة بينهما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أبو واقد الليثي، صاحب النبي ﷺ، سماه البخاري وغيره: الحارث بن عوف، شهد بدرا والفتح، وسكن مكة، وتوفي سنة ثمان وستين، وقيل: خمس وستين، وعاش نحو من ثمانين سنة. انظر سير أعلام النبلاء (٢/٥٧٤-٥٧٦).

(٤) سورة الأعراف، من آية: ١٣٨.

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/٣٢٧، ح: ١١٨٠٠)، وعبد الرزاق في المصنف (ح: ٢،٧٦٣)، وابن حبان في تقريب صحيح ابن حبان (ح: ١٨٣٥)، وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

والدعاء عنده؟ فأين نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقير؟ ولو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون.

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرية أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها<sup>(١)</sup>.

ومن له خيرة بما بعث الله تعالى به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره، علم أن السلف وبين هؤلاء الخلف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل:

سارت مشرقة وسرت مغربا      شتسان بين مشرق ومغرب

والأمر والله أعظم مما ذكرنا.

وقد ذكر البخاري في الصحيح عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: (( دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا، فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد ﷺ، إلا أنهم يصلون جميعا ))<sup>(٢)</sup>.

وروى مالك في الموطأ عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: (( ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة ))<sup>(٣)</sup> يعني الصحابة رضي الله عنهم.

وقال الزهري: (( دخلت على أنس بن مالك بدمشق، وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت )) ذكره البخاري<sup>(٤)</sup>.

(١) القائل هو الإمام أبو بكر الطرطوشي. انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (ص ٣٦)، وإغاثة اللهفان (٢١٦/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٥٠)، والإمام أحمد في المسند (١٩٥/٥).

(٣) أورده الإمام مالك في الموطأ (كتاب النداء للصلاة، باب ما جاء في النداء للصلاة، ٧١/١).

وفي لفظ آخر: (( ما كنت أعرف شيئاً على عهد رسول الله ﷺ إلا قد أنكرته اليوم ))<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن البصري: (( سأل رجل أبا الدرداء رضي الله عنه فقال: رحمك الله، لو أن رسول الله ﷺ بين أظهرنا، هل كان ينكر شيئاً مما نحن عليه؟ فغضب، واشتد غضبه، وقال: وهل كان يعرف شيئاً مما أنتم عليه ))؟.

وقال المبارك بن فضالة<sup>(٢)</sup>: (( صلى الحسن الجمعة وجلس، فبكى، فقيل له: ما يبكيك، يا أبا سعيد؟ فقال: تلوموني على اليكأء، ولو أن رجلاً من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئاً مما كان عليه على عهد رسول الله ﷺ أنتم اليوم عليه إلا قبلتكم هذه )).

وهذه هي الفتنة العظمى التي قال فيها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (( كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس، يتخذونها سنة إذا غيرت قيل: غيرت السنة، أو هذا منكر ))<sup>(٣)</sup>.

وهذا مما يدل على أن العمل إذا جرى على خلاف السنة فلا عيرة به، ولا التفات إليه، فإن العمل قد أجرى على خلاف السنة منذ زمن أبي الدرداء وأنس، كما تقدم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٣٠ ).

(١) بل للفظ عند البخاري: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (( مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ )) قِيلَ: الصَّلَاةُ، قَالَ: (( أَلَيْسَ ضَيِّعْتُمْ مَا ضَيِّعْتُمْ فِيهَا )) . رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٢٩ ).

(٢) هو مبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي العدوي، أبو فضالة البصري، مولى زيد بن الخطاب، وقيل: مولى لعمر بن الخطاب، وحال الحسن أربع عشرة سنة، وتوفي سنة خمس وستين ومائة. انظر تهذيب الكمال للمزي ( ١٨٠/٢٧، ترجمة: ٥٧٦٦ ).

(٣) يشير إلى ما أورده الدارمي في السنن ( المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه، ح: ١٨٨ )، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فِتْنَةَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْتَبُو فِيهَا الصَّغِيرُ إِذَا تَرِكَ مِنْهَا شَيْءٌ؟ قِيلَ: تَرِكَتِ السَّنَةُ، قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا ذَهَبَتْ عُلَمَاؤُكُمْ وَكَثُرَتْ جُهَلَاؤُكُمْ وَكَثُرَتْ قُرْلَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ وَكَثُرَتْ أَمْرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ أَمْنَاؤُكُمْ وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ.



وذكر أبو العباس أحمد بن يحيى<sup>(١)</sup> قال: حدثني محمد بن عبيد بن ميمون، حدثني عبد الله ابن إسحاق الجعفري قال: (( كان عبد الله بن الحسن يكثر الجلوس إلى ربيعة، قال: فتذكروا يوماً السنن، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا، فقال عبد الله: رأيت إن كثرت الجهال، حتى يكونوا هم الحكام، فهم الحجّة على السنة؟ فقال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء ))<sup>(٢)</sup>.

### [ الحكمة في النهي عن اتخاذ القبور أوثاناً وأعياداً وأنساباً ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم، صراط أهل نعمته ورحمته وكرامته أن النهي عن اتخاذ القبور أوثاناً وأعياداً وأنساباً، والنهي عن اتخاذها مساجد، أو بناء المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها: غض من أصحابها، ولا تنقيص لهم، ولا تنقص، كما يحسبه أهل الإشراك والضلال.

بل ذلك من إكرامهم، وتعظيمهم، واحترامهم، ومتابعتهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليهم ومحبتهم، وناصر طريقتهم وسنتهم، وعلى هديهم ومنهجهم. وهؤلاء المشركون أعصى الناس لهم، وأبعدهم من هديهم ومتابعتهم، كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى عليهما السلام، والرافضة مع علي عليه السلام. فأهل الحق أولى بأهل الحق من أهل الباطل، فالؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض<sup>(٣)</sup>، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض<sup>(٤)</sup>.

(١) أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بشعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان رواية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة، حجة، ولد في بغداد عام ٢٠٠هـ، وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمة فرس فسقط في هوة فتوفي على إثره، وذلك في عام ٢٩١هـ. انظر الأعلام للزركلي (١/٢٦٧).

(٢) إغائة اللهفان (١/١٩٦-٢١٣).

(٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [سورة التوبة، من آية:

فاعلم أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من فيها وهدية وسنته، مشتغلين بغيره عما أمر به ودعا إليه. وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها أعيادا.

فإن من اقتفى آثارهم كان متسببا إلى تكثير أجورهم ياتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم.

فإذا أعرض عما دعوا إليه، واشتغل بضده حرم نفسه وحرّمهم ذلك الأجر، فأى تعظيم لهم واحترام في هذا؟

وإنما اشتغل كثير من الناس بأنواع من العبادات المبتدعة التي يكرها الله ورسوله، لإعراضهم عن المشروع أو بعضه، وإن قاموا بصورته الظاهرة فقد حجروا حقيقته المقصودة منه، وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقلبه، عارفا بما اشتملت عليه من الكلم الطيب والعمل الصالح، مهتما بها كل الاهتمام، أغنته عن الشرك، وكل من قصر فيها أو في بعضها تجد فيه من الشرك بحسب ذلك.

ومن أصغى إلى كلام الله بقلبه، وتدبره وتفهمه، أغناه عن السمع الشيطاني الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب<sup>(١)</sup>.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾ [سورة التوبة، من آية:

[٦٧].

(١) يشير إلى ما لورده أبو داود في السنن (ج: ٤٩٢٧): حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ مِسْكِينٍ عَنْ شَيْخٍ شَهِدَ أَبَا وَائِلٍ فِي وَكِيمَةٍ فَجَعَلُوا يَلْعَبُونَ يَتَلْعَبُونَ يُغْنُونَ فَحَلَّ أَبُو وَائِلٍ حَبْوَتَهُ وَقَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ))، قال ابن القيم رحمه الله: ((وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله... وفي رفعه نظر، والموقوف أصح))، إغاثة الלהفان (٢٥١/١).

وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول ﷺ بكليته، وحدث نفسه باقتباس الهدى والعلم منه، لا من غيره أغناه عن البدع والآراء والتخرصات والشحطات والخيالات، التي هي وساوس النفوس وتخيلاتها.

ومن بعد عن ذلك فلا بد أن يتعوض عنه بما لا ينفعه، كما أن من غمر قلبه بمحبة الله وذكره، وخشيته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، وأغناه أيضا عن عشق الصور، وإذا خلا من ذلك صار عبد هواه، أي شيء استحسنته ملكه واستعبده. فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال، شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عبد الصور، شاء أم أبى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))<sup>(١)</sup>.

### [ الفرق بين مقاصد زيارة الموحدين للقبور، وزيارة المشركين ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( أما زيارة الموحدين، فمقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تذكر الآخرة، والاعتبار، والاتعاظ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله:

(( زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة )).

الثاني: الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به، فيهجره، ويتناساه، كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه، فإذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك، فالميت أولى، لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم، فإذا زاره وأهدى إليه هدية: من دعاء، أو صدقة، أو أهدى قربة، ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، وسؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا أن يدعوا بهم، ولا يصلى عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ،

فيحسن إلى نفسه وإلى المزور.

وأما الزيارة الشركية: فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام.

(١) إغاثة اللهفان (ص ٢١٨-٢١٩).

قالوا: الميت المعظم، الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى، لا يزال تأتيه الألفاظ من الله تعالى، وتفيض على روحه الخيرات.

فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألفاظ بواسطة، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له.

قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم، كان أقرب إلى انتفاعه به.

وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها.

وقالوا: إذا تعلق النفس الناطقة بالأرواح العلوية، فاض عليها منها النور.

وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنفت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المجسدة لها.

وهذا يعينه هو الذي أوجب لعياد القبور اتخاذها أعيادا، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها.

وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطله ومحوه بالكلية، وسد الذرائع للمفضية إليه، فوقف المشركون في طريقة، وناقضوه في قصده، وكان ﷺ في شق، وهؤلاء في شق.

وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور: هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله تعالى.

قالوا: فإنَّ العبد إذا تعلق بروحه بروح اللوحية للمقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه، صار بينه وبينه اتصال، يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله.

وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان، فهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به.

فهذا سر عبادة الأصنام، وهو الذي بعث الله رسله، وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، لعنهم الله، وأباح دمائهم وأموالهم، وسي ذراريتهم، وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الردّ على أهله، وإبطال مذهبهم))<sup>(١)</sup>.

---

(١) إغاثة اللهفان ( ١/٢٢٣-٢٢٤ )، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ( ١/٢٩٢-

المسألة الخامسة:

﴿ سؤال المخلوقين ما لا يقدرون عليه ﴾

السؤال : طلب الأدنى من الأعلى<sup>(١)</sup>.

### [ حكم السؤال ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( فلا يطلب من أحد شيئاً ... فإنَّ الطلب من الخلق في الأصل محظور.

وغايته: أن يباح للضرورة، كإباحة الميتة للمضطر<sup>(٢)</sup>، ونص أحمد على أنه لا يجب، وكذلك كان شيخنا<sup>(٣)</sup> يشير إلى أنه لا يجب الطلب والسؤال.

وسمعه يقول في السؤال: هو ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق الخلق، وظلم في حق النفس.

أما في حق الربوبية: فلما فيه من الذل لغير الله، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه، والتعوض عن سؤاله بسؤال المخلوقين، والتعرض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه.

وأما في حق الناس: فبمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال، واستخراجه منهم، وأبغض ما إليهم: من يسألهم ما في أيديهم، وأحب ما إليهم: من لا يسألهم، فإن أموالهم محبوباتهم، ومن سألك محبوبك فقد تعرض لمقتك وبغضك.

وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهناها، وأقامها في مقام ذل السؤال، ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله، أو لعل السائل خير منه وأعلى قدراً، وترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقد أقام السائل نفسه مقام الذل، وأهانها بذلك، ورضي أن يكون

(١) انظر التعريفات للجرجاني (ص ١٢٣).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَكُلَّ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ

اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة البقرة، آية: ١٧٣، وأما

إباحة التسؤل في حالة الضرورة فستأتي من كلام ابن القيم رحمه الله أثناء سرده هذه الأدلة.

(٣) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

شحاذاً<sup>(١)</sup> من شحاذا مثله، فإن من تشحذه فهو أيضاً شحاذاً مثلك، والله وحده هو الغني الحميد.

فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمته عليه، ورضي عنك وأحبك، والمخلوق كلما سألته هُنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك، كما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب<sup>(٢)</sup>

وقبيح بالعيد المرید: أن يتعرض لسؤال العبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه. قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة - أو ثمانية، أو سبعة - فقال: (( ألا تباعون رسول الله ))؟ وكنا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: (( ألا تباعون رسول الله ))؟ فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نباعك؟ فقال: (( أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس - وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً ))، قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً أن يناوله إياه<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (( لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم ))<sup>(٤)</sup>.

(١) الشحذ: كالمئع: السوق الشديد والغضب، والقشر، والإلحاح في السؤال، وهو شحاذاً مُلِحٌ. القاموس المحيط ( مادة: شحذ، ص ٣٠٢ ).

(٢) قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (( والله سبحانه يحب أن يسأل ويرغب إليه في الخوائج، ويلج في سؤاله ودعائه، ويغضب على من لا يسأله، ويستدعى من عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سُؤْلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك كله، يكره أن يسأل ويجب أن لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته )) . جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٤٨١/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ١٣٢/٧ ).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح ١٤٧٤ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح



وفيهما أيضا عنه أن رسول الله ﷺ قال: - وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة - (( واليد العليا خير من اليد السفلى ))<sup>(١)</sup>، واليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: (( من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جبرا فليستقل أو ليستكثر ))<sup>(٢)</sup>.

وفي الترمذي عن سمرة بن جندب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (( إن المسألة كد يكُدُّ بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطانا، أو في الأمر الذي لا بد منه ))<sup>(٣)</sup>، قال الترمذي: حديث صحيح.

وفيه عن ابن مسعود ؓ مرفوعا: (( من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل ))<sup>(٤)</sup>.

وفي السنن والمسند عن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (( من تكفل لي أن لا يسأل

(النووي، ١٣٠/٧)، وأحمد في المسند (١٥/٢، ح: ٤٦٣٨).

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٤٢٩)، ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٢٤/٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٣٠/٧).

(٣) رواه الترمذي في السنن (ح: ٦٨١)، وأبو داود في السنن (ح: ١٦٣٩)، والنسائي في السنن (كتاب الزكاة، باب مسألة الرجل ذا سلطان، ٧٥/٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه أيضا العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح: ٥٤٨-٦٨٤)، وصحيح سنن أبي داود (ح: ١٤٤٣-١٦٣٩).

(٤) رواه أبو داود في السنن (ح: ١٦٤٥)، والترمذي في السنن (ح: ٢٣٢٦)، وأحمد في المسند (٣٨٩/١، ٤٠٧، ٤٤٢، ح: ٣٦٩٦، ٣٨٦٩، ٤٢١٩)، وقال محقق المسند: إسناده حسن غريب، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ١٤٤٨-١٦٤٥).

الناس شيئاً، أتكفل له بالجنة. فقلت: أنا)) فكان لا يسأل أحدا شيئاً<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن قبيصة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (( إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال: سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة، فحلت المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال: سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكلها صاحبها سحتا))<sup>(٣)</sup>.

فالتوكل مع إسقاط هذا الطلب والسؤال هو محض العبودية))<sup>(٤)</sup>.

[ أنواع سؤال المخلوقين ما لا يقدرون عليه ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن أنواعه: التوبة للشيخ<sup>(٥)</sup>، فإنها شرك عظيم، فإن التوبة لا تكون إلا لله، كالصلاة، والصيام، والحج، والنسك، فهي خالص حق الله.

وفي المسند: أن رسول الله ﷺ: (( أتي بأسير فقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال رسول الله ﷺ: (( عرف الحق لأهله))<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أبو داود في السنن (ح: ١٦٤٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ١٤٤٦-١٦٤٣).

(٢) قبيصة بن المخارق - بضم الميم وتخفيف المعجمة - بن عبد الله الهلالي، صحابي، سكن البصرة. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ترجمة: ٧٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٣٣/٧).

(٤) مدارج السالكين (١٣٦/٢-١٣٨).

(٥) كما يفعله طائفة من الجهال المشركين. انظر مجموع فتاوى ابن تيمية رحمه الله (٣٥١/١).

(٦) رواه أحمد في المسند (٤٣٥/٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٣/١)، ح: ٨٣٩، وضعفه

الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ح: ٣٧٠٥.

فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله كالسجود والصيام))<sup>(١)</sup>.

[ ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم.

وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً عن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها.

وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، ... فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه: كمال التوحيد.

فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك.

والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ، إذا زرنا قبور المسلمين: (( أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة ))<sup>(٢)</sup>.

فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج، والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد، وسموا قصدها حجاً، واتخذوا عندها الوقفة<sup>(٣)</sup> وحلق الرأس.

فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص للأموات.

وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه - الموحدين له، الذين لم يشركوا به شيئاً - بذمهم وعييبهم ومعاداتهم.

وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه.

(١) مدارج السالكين ( ٣٧٤/١ ).

(٢) سبق في المسألة السابقة ذكر كيفية الزيارة المشروعة للقبور.

(٣) الوقفة: الوقوف، يوم الوقفة: يوم الوقوف بعرفات في الحج، والمقصود هنا أن القبوريين يتخذون هذا القبر كيوم الوقوف بعرفات. انظر المعجم الوجيز ( مادة وقف، ص ٦٧٨ ).

وهولاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! والله خليله إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿... وَأَجُنُّنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ...﴾ (١).

وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده. فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاء إلى الله، واستغاثته بالله. وأخلص قصده لله، متبعا لأمره، متطلبا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله (٢).

### [ أسباب افتتان القبورين بالقبور ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( فإن قيل: فما الذي أوقع عباد القبور في الافتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات، لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا؟

قيل: أوقعهم في ذلك أمور:

منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع الرسل: من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك، فقل نصيبهم جدا من ذلك.

ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعصموا بقدر ما معهم من العلم.

ومنها: أحاديث مكذوبة مختلفة، وضعها أشباه عباد الأصنام: من المقابرية، على رسول الله ﷺ تناقض دينه، وما جاء به كحديث: (( إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب

(١) سورة إبراهيم، من آيتي: ٣٥، ٣٦.

(٢) مدارج السالكين (١/٣٧٥-٣٧٦)، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية رحمه الله (١/٣٥٠).

القبور))<sup>(١)</sup>، وحديث: (( لو أحسن أحدكم ظنه بمحجر نفعه ))<sup>(٢)</sup>، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام.

وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال، والله بعث رسوله بقتل من حسن ظنه بالأحجار، وجنب أمتة الفتنة بالقبور بكل طريق...

ومنها: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور: إن فلانا استغاث بالقبير الفلاني في شدة فخلص منها، وفلانا دعاه أو دعا به في حاجة، فقضيت له، وفلانا نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر، فكشف ضره، وعند السدنة والمقبرة من ذلك شيء كثير يطول في ذكره.

وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها، وإزالة ضرورتها ويسمع بأن قبر فلان تريق مجرب.

والشيطان له تल्प في الدعوة، فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده، فيدعو العبد عنده بحرقه وانكسار وذلة، فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه، لا لأجل القبر.

فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة.

والله سبحانه وتعالى يجيب دعوة المضطر، ولو كان كافراً، وقد قال تعالى: ﴿ كَلَّا نَمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾<sup>(٣)</sup> وقد قال الخليل:

(١) الحديث موضوع ذكره ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ( ٣٥٦/١ ، ٢٩٣/١١ ).

(٢) الحديث ورد في كشف الخفاء للعجلوني ( ١٥٢/٢ )، والمقاصد الحسنة للسخاوي ( ح:

٨٨٣ )، وتميز الطيب للشيباني ( ح: ١٠٨٣ )، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من

المكذوبات (مجموع الفتاوى، ٣٣٥/٢٤).

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٠.

﴿...وَأَمْزِقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾<sup>(١)</sup> فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿... قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضيا عنه، ولا محبا له، ولا راضيا بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدى فيه، أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل، فيحصل له ذلك أو بعضه، فيظن أن عمله صالح مرضي لله، ويكون بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾<sup>(٣)</sup>.

فالدعاء قد يكون عبادة، فيثاب عليه الداعي، وقد يكون مسألة تقضي به حاجته، ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته، فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرت عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده.

والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده، وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى، من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه، وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك.

فقال أبو الحسين القدوري<sup>(٤)</sup> في شرح كتاب الكرخي: قال بشر بن الوليد: سمعت

(١) سورة البقرة، من آية: ١٢٦.

(٢) سورة البقرة، من آية: ١٢٦.

(٣) سورة الأنعام، من آية: ٤٤.

(٤) هو شيخ الحنفية، أبو الحسين، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، البغدادي القدوري، وكان صدوقا، انتهت إليه بالعراق رئاسة الحنفية، وعظُم وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة، جريء اللسان، مُدِيمًا للتلاوة، ومات في ثمان وعشرين وأربع مائة، وله ست وستون سنة. انظر سير أعلام النبلاء (٥٧٤/١٧).

أبا يوسف<sup>(١)</sup> يقول: قال أبو حنيفة: (( لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، قال: وأكره أن يقول: أسألك بمعقد العز من عرشك، وأكره أن يقول: بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام )) .

قال أبو الحسين: أما المسألة بغير الله فمنكرة في قولهم، لأنه لاحق لغير الله عليه، وإنما الحق لله على خلقه، وأما قوله: (( بمعقد العز من عرشك )) فكرهه أبو حنيفة، ورخص فيه أبو يوسف<sup>(٢)</sup>.

وقال: وروي أن النبي ﷺ دعا بذلك، قال: ولأن معقد العز من العرش إنما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش، مع عظمتها، فكأنه سأله بأوصافه.

وقال ابن بلدجي<sup>(٣)</sup> في شرح المختار: ويكره أن يدعو الله تعالى إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك ونحو ذلك، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه، أو يقول في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك، وعن أبي يوسف جوازه<sup>(٤)</sup>.

(١) هو الإمام المجتهد العلامة المحدث، قاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بُجَيْر بن معاوية الأنصاري الكوفي، تلميذ أبي حنيفة النعمان، وُلد في سنة ثلاث عشرة ومائة، ومات في سنة اثنتين وثمانين ومائة، وعاش تسعا وستين سنة. انظر سير أعلام النبلاء ( ٥٣٥/٨ - ٥٣٩ ).

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية رحمه الله ( ٣٥٦/١ ).

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) كرهه أبو حنيفة ومحمد بن الحسن أن يقول الرجل في دعائه: (( اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك )) لعدم وجود النص في الإذن به، وأما أبو يوسف فقد جوزه لوقوفه على نص من السنة وفيه: أن النبي ﷺ كان من دعائه: (( اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة )) . وهذا الحديث أخرجه البيهقي في كتاب الكبير، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده محبط كما ترى. انظر البناية في شرح الهداية للعينبي ( ٣٨٢/٩ )، نصب الراية للزيلعي ( ٢٧٢/٤ - ٢٧٣ )، شرح العقيدة الطحاوية ( تحقيق التركي، ص ٢٩٧ ).

وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه: (( أكره كذا )) هو عند محمد<sup>(١)</sup> حرام، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب.

وفي فتاوى أبي محمد بن عبد السلام<sup>(٢)</sup>: أنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته، لا الأنبياء، ولا غيرهم، وتوقف في نبينا ﷺ لاعتقاده أن ذلك جاء في حديث، وأنه لم يعرف صحة الحديث<sup>(٣)</sup>.

فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به<sup>(٤)</sup>، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه،

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومئة، ونشأ بالكوفة وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، ونجم الفقه على أبي يوسف، ولي القضاء للرشد بعد أبي يوسف، وكان مع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري. انظر سير أعلام النبلاء (١٣٤/٩).

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن عبد السلام (عز الدين، أبو محمد)، فقيه، مشارك في الأصول والعربية والتفسير، ولد بدمشق سنة ٥٧٧هـ، وتفقه على فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول والعربية، وسمع كثيرا، ودرس وأفتى، وبرع في المذهب الشافعي، وبلغ رتبة الاجتهاد، وولي الخطابة بجامع دمشق والحكم بمصر، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ. معجم المؤلفين (٢٤٩/٥).

(٣) والحديث كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هو حديث الأعمى الذي علمه الرسول ﷺ أن يقول: (( أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة )) [ رواه الترمذي رقم: (٣٥٧٣)، في الدعوات، باب من أدعية الإجابة، وابن ماجه رقم: (١٣٨٥)، وهو حديث صحيح وقد صححه غير واحد من العلماء كابن تيمية والألباني ] وقد اختلف العلماء في التوسل به ﷺ، هل المقصود به: التوسل بذاته ﷺ أم بدعائه ﷺ؟ وفرق البعض بين التوسل في حياته ﷺ وبعد مماته ﷺ، ومن ذهب إلى أن المقصود بالتوسل: التوسل بدعائه ﷺ في حياته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: (( لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى... وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي ﷺ أن يقول: (( اللهم شفّعني )) ولهذا ردّ الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ وكان ذلك مما بعد من آيات النبي ﷺ ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحالهم )) [ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ص ١٦٧، ٧٣-٧٤، وانظر: التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص ٧٥-٧٦ ].

(٤) الضمير يعود إلى جاء النبي ﷺ.



وأجمع في قضاء حاجته، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً، يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس له إلى عبادته، واتخاذة عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

قال شيخنا<sup>(١)</sup> قدس الله روحه: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

**أبعدها عن الشرع:** أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس.

قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت، أو الغائب، كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين، وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر، والتمسح به وتقبيله.

**المرتبة الثانية:** أن يسأل الله ﷻ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

**الثالثة:** أن يسأله نفسه.

**الرابعة:** أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد زيارته، والصلاة عنده، لأجل طلب حوائجه.

فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين.

وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم: قبر فلان ترياق مجرب.

والحكاية المنقولة عن الشافعي: أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة، من الكذب

الظاهر<sup>(٢)</sup>.

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد ذكر هذه المراتب في مجموع الفتاوى (١/٣٥٠).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٢٠-٢٢٣).

المسألة السادسة:

﴿ شِرْكُ الْمُحِبَّةِ ﴾

سبق أن ذكرتُ معنى المحبة في اللغة، كما أوردتُ أقوال ابن القيم رحمه الله في تعريف المحبة، وكلامه في مراتب المحبة وأنواعها ومفهومها في الباب الأوّل، وبقي أن أذكر في هذه المسألة كلامه رحمه الله في شرك المحبة.

فقال رحمه الله: (( في اقتضاء المحبة إفراد الحبيب بالحب وعدم التشريك بينه وبين غيره فيه.

هذا من موجبات المحبة الصادقة وأحكامها، فإن قوى الحب متى انصرفت إلى جهة لم يبق فيها متسع لغيرها.

ومن أمثال الناس: (( ليس في القلب حبان، ولا في السماء ربان ))، ومتى تقسمت قوى الحب بين عدّة محال ضُعفت لا محالة وتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَأَتَّبِعْ مَا يوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>.

كيف أمره بتقواه المتضمنة لإفراده بامثال أمره ونهيه محبة له وخشية ورجاء، فإن التقوى لا تتم إلا بذلك، واتباع ما أوحى إليه المتضمن لتركه ما سوى ذلك واتباع المنزل خاصة، وبالتوكل عليه وهو يتضمن اعتماد القلب عليه وحده وثقته به وسكونه إليه دون غيره.

ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... ﴾<sup>(٢)</sup> فأنت تجد تحت هذا اللفظ أن القلب ليس له إلا وجهة واحدة إذا مال بها إلى جهة لم يعمل إلى غيرها، وليس للعبد قلبان يطيع الله ويتبع أمره ويتوكل عليه بأحدهما والآخر لغيره، بل ليس إلا قلب واحد، فإن لم يفرد بالتوكل والمحبة والتقوى ربه وإلا انصرف ذلك إلى غيره، ثم استطرده من ذلك إلى أنه سبحانه لم يجعل زوجة الرجل أمه، واستطرده منه إلى أنه لم يجعل دعيّه ابنه؛ فانظر ما

(١) سورة الأحزاب، آيات: ١-٣.

(٢) سورة الأحزاب، من آية: ٤.

أحسن هذا التأصيل وهذا الاستطراد الذي تسجد له العقول والألباب، وله نظائر في القرآن عديدة...

ونظير هذا الاستطراد قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ ثم قال: ﴿... وَكَيْسَ الْبِرِّ أَنْ تَأْتُوا النِّيَّاتِ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾<sup>(١)</sup> فإنهم كانوا يفعلون ذلك في الإحرام، فلما ذكر لهم وقت الإحرام الذي هو من فوائد الأهلة استطرد منه إلى ذكر ما يفعلونه فيه، وهو كثير جدا.

والمقصود: أنّ المحبة تستلزم توحيد المحبوب فيها، وقد بالغ أبو محمد بن حزم<sup>(٢)</sup> في إنكاره على من يزعم أنه يعشق أكثر من واحد وقال في ذلك شعرا، ونحن نذكر كلامه وشعره، قال بعد كلام طويل: ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين، وإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفا، وهي على الجواز تسمى محبة لا على التحقيق، وأما نفس المحب فما في الميل به فضل يصرفه من أسباب دينه ودنياه، فكيف بالاشتغال بحب ثان، وفي ذلك أقول:

كذب المدعي هوى اثنين حتما	مثل ما في الأصول أكذب ماني
ليس في القلب موضع لحبيبين	ولا أحدث الأمور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدري	خالقا غير واحد رحمان
فكذا القلب واحد ليس يقوي	غير فرد مباعد أو مدان
هو في شرعه المودة ذو شك	بعيد من صحة الإيمان
وكذا الدين واحد مستقيم	وكفور من عنده دينان <sup>(٣)</sup>

(١) سورة البقرة، من آية: ١٨٩.

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ورحل إلى بادية كُتلة (من بلاد الأندلس)، فتوفي فيها عام ٤٥٦هـ. انظر الأعلام للزركلي (٤/٢٥٤).

(٣) القائل لهذه الآيات ابن حزم كما ذكره ابن القيم.

## وقد اختلف الناس في هذه المسألة:

فقال طائفة: ليس للقلب إلا وجهة واحدة إذا توجه إليها لم يمكنه التوجه إلى غيرها، قالوا: وكما أنه لا يجتمع فيه إرادتان معا فلا يكون فيه حبان، وكان الشيخ إبراهيم الرقي<sup>(١)</sup> رحمه الله يميل إلى هذا.

وقالت طائفة: بل يمكن أن يكون له وجهتان فأكثر باعتبارين، فيتوجه إلى أحدهما ولا يشغله عن توجهه إلى الآخر.

قالوا: والقلب حمال فما حملته تحمل، فإذا حملته الأثقال حملها، وإن استعجزته عجز عن حمل غير ما هو فيه، فالقلب الواسع يجتمع فيه التوجه إلى الله سبحانه وإلى أمره وإلى مصالح عباده، ولا يشغله واحد من ذلك عن الآخر، فقد كان رسول الله ﷺ قلبه متوجه في الصلاة إلى ربه وإلى مراعاة أحوال من يصلي خلفه، وكان يسمع بكاء الصبي، فيخفف الصلاة خشية أن يشق على أمه<sup>(٢)</sup> أفلا ترى قلبه الواسع الكريم كيف اتسع للأمرين؟

ولا يظن أن هذا من خصائص النبوة فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهز جيشه وهو في الصلاة<sup>(٣)</sup>، فيتسع قلبه للصلاة والجهاد في آن واحد، وهذا بحسب سعة القلب وضيقة وقوته

(١) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرقي الحنبلي، برهان الدين، أبو إسحاق، عارف بالتفسير والحديث والفقهاء والأصولين، وُلد بالرقعة عام ٦٤٧هـ، وتوفي في ١٥ المحرم بدمشق سنة ٧٠٣هـ، له مصنفات وخطب وشعر. انظر معجم المؤلفين (٩/١).

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: (( إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز مما أعلم من شدة وجد أمّه من بكائه )) . رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٧١٠)، ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ٤/١٨٧).

(٣) كقول عمر رضي الله عنه: (( يا سارية الجبل الجبل )) . قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب يوم الجمعة، حيث وقع في خاطره أنّ الجيش الذي أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس لاقى العدو وهم في بطن واد وقد همّوا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال ذلك في أثناء خطبته ورفع به صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فأنحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم. أورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/٥٣٢، رقم: ٣١٧٢)، وصححه العلامة

وضعه.

قالوا: وكمال العبودية أن يتسع قلب العبد لشهود معيوده ومراعاة آداب عبوديته، فلا يشغله أحد الأمرين عن الآخر، وهذا موجود في الشاهد، فإن الرجل إذا عمل عملاً للسلطان مثلاً بين يديه وهو ناظر إليه يشاهده، فإن قلبه يتسع لمراعاة عمله وإتقانه، وشهود إقبال السلطان عليه ورؤيته له، بل هذا شأن كل محبٍ يعمل لمحبوبه عملاً بين يديه أو في غيبته.

قالوا: وهذا رسول الله ﷺ بكى يوم موت ابنه إبراهيم فكان بكاءؤه رحمة له، فاتسع قلبه لرحمة الولد، وللرضا بقضاء الله، ولم يشغله أحدهما عن الآخر، لكن الفضيل<sup>(١)</sup> لم يتسع قلبه يوم موت ابنه<sup>(٢)</sup> لذلك فجعل يضحك، فقيل له: أتضحك وقد مات ابنك؟ فقال: إن الله سبحانه قضى بقضاء فأحييت أن أرضى بقضائه.

ومعلوم أن بين هذه الحال وحال رسول الله ﷺ حينئذ تفاوت لا يعلمه إلا الله، ولكن لم يتسع قلبه لما اتسع له قلب رسول الله ﷺ.

ونظير هذا اتساع قلب رسول الله ﷺ لغناء الجويريتين اللتين كانتا تغنيان عند عائشة رضي الله عنها، فلم يشغله ذلك عن ربه<sup>(٣)</sup>، ورأى فيه من مصلحة إرضاء النفوس الضعيفة بما يستخرج منها من محبة الله ورسوله ودينه، متى نالت شيئاً من حظها طوعت ببذل ما

الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ١١١٠).

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، وقد تقدمت ترجمته.

(٢) ابنه علي بن الفضيل.

(٣) روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري

الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنياتين، فقال أبو بكر: أمزامير

الشیطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إن لكل

قوم عيداً وهذا عيدنا)). رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٩٥٢)،

ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٨٢/٦).

عليها من الحق، ولم يتسع قلب عمر لذلك لما دخل فأنكره، وكم بين من ترد عليه الواردات فكل منها يثير همته ويحرك قلبه إلى الله كما قال القائل:

يذكرنيك الخير والشر والذي أخاف وأرجو والذي أتوقع

ومن يرد عليه من الواردات فيشغله عن الله ويقطعه عن سير قلبه إليه، فالقلب الواسع يسير بالخلق إلى الله ما أمكنه، فلا يهرب منهم ولا ينحق بالقفار<sup>(١)</sup> والجبال والخلوات، بل لو نزل به من نزل سار به إلى الله، فإن لم يسر معه سار هو وتركه، ولا ينكر هذا فالمحبة الصحيحة تقتضيه، وخذ هذا في المغني إذا طرب، فلو نزل به من نزل أطربهم كلهم، فإن لم يطربوا معه لم يدع طربه لغلظ أكبادهم وكثافة طبعهم، وكان شيخنا<sup>(٢)</sup> يميل إلى هذا القول وهو كما ترى قوته وحجته.

**والتحقيق:** أن المحبوب لذاته لا يمكن أن يكون إلا واحدا، ومستحيل أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما، كما يستحيل أن يكون في الخارج ذاتان قائمتان بأنفسهما كل ذات منهما مستغنية عن الأخرى من جميع الوجوه، كما يستحيل أن يكون للعالم ربان متكافئان مستقلان<sup>(٣)</sup>، فليس الذي يحب لذاته إلا إله الحق الغني بذاته عن كل ما سواه وكل ما

(١) قِفَارٌ وَقَفُورٌ: جمع ومفرده قَفْرٌ وَقَفْرَةٌ: الخلاء من الأرض. وقيل: القفر مفازة لا نبات بها ولا ماء. انظر لسان العرب ( مادة: قفر، ١١٠/٥ ).

(٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٣) كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [ سورة الإسراء، الآيتان: ٤٢، ٤٣ ]، وقوله تعالى: ﴿ مَا

أَتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَدٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ

اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [ سورة المؤمنون، آية: ٩١ ]، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ

سواه، فقير بذاته وإليه.

وأما ما يجب لأجله سبحانه فيتعدد، ولا تكون محبة العبد له شاغلة له عن محبة ربه ولا يشركه معه في الحب، فقد كان رسول الله ﷺ يحب زوجاته وأحبهن إليه عائشة رضي الله عنها، وكان يحب أباهما ويحب عمر رضي الله عنهم، وكان أصحابه وهم مراتب في حبه لهم، ومع هذا فحبه كله لله وقوى حبه جميعها منصرفة إليه سبحانه.

### [ أقسام المحبة ]

فإن المحبة ثلاثة أقسام: محبة الله، والمحبة له وفيه، والمحبة معه.

فالمحبة له وفيه: من تمام محبته وموجباتها لا من قواطعها، فإن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه، وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به على مرضاة ربه، ويتوصل به إلى حبه وقربه؟

وأما المحبة مع الله: فهي المحبة الشركية، وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ... ﴾ (١).

وأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله، فوالوا عليها وعادوا عليها وتأهوها.

---

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ [ سورة الأنبياء، آية: ٢٢ ]، قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: (( لو كان في السموات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ يقول: لفسد أهل السموات والأرض)). تفسير الطبري ( ١٥/٩ ).

(١) سورة البقرة، من آية: ١٦٥.



وقالوا : هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم<sup>(١)</sup>، ففرق بين محبة الله أصلا والمحبة له تبعا والمحبة معه شركا، وعليك بتحقيق هذا الموضوع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك.

ويُحكى أن الفضيل دخل على ابنته في مرضها فقالت له: يا أبت هل تحبني؟ قال: نعم، قالت: لا إله إلا الله، والله ما كنت أظن فيك هذا، ولم أكن أظنك تحب مع الله أحدا، ولكن أفرد الله بالمحبة واجعل لي منك الرحمة أي يكون حبك لي حب رحم جعلها الله في قلب الوالد لولده لا محبة مع الله.

فله حق من المحبة لا يشركه فيه غيره، وأظلم الظلم وضع تلك المحبة في غير موضعها، والتشريك بين الله وغيره فيها، فليتدبر اللبيب هذا الباب فإنه من أنفع أبواب الكتاب إن شاء الله تعالى ((<sup>(٢)</sup>).

### [ الفواحش أصلها المحبة لغير الله تعالى ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومما يبين أن هذه الفواحش أصلها المحبة لغير الله تعالى، سواء أكان المطلوب المشاهدة أو المباشرة، أو غير ذلك: أنها في المشركين أكثر منها في المخلصين، ويوجد فيهم منها ما لا يوجد مثله في المخلصين.

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرََاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرًا بِهَا قُلْ إِنَّا لَأَنبِيَاءُ

(١) وذلك في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

اللَّهِ نَزْفَى... ﴾ سورة الزمر، من آية: ٣.

(٢) روضة المحبين (ص ٢٩٥-٣٠٠).

بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴿١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾.

فأخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿... أَقْتَحِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُدًى لَكُمْ وَعُدُوبًا لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٣﴾، وقال تعالى في الشيطان: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤﴾.

وأخبر عنه أنه أقسم بعزة ربه أنه يغوي عباده أجمعين، واستثنى أهل الإخلاص منهم، وأخبر سبحانه عن أولياء الشيطان: أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بتقليد أسلافهم، وزعموا أن الله سبحانه أمرهم بها، فاتبعوا الظن الكاذب والهوى الباطل.

قال شيخنا<sup>(٥)</sup>: وفي هذا الوصف نصيب كبير لكثير من المنتسبين إلى القبلة، من الصوفية والعباد، والأمراء، والأجناد، والمتفلسة، والمتكلمين، والعامّة وغيرهم، يستحلون من الفواحش ما حرمه الله ورسوله، ظانين أن الله أباحه، أو تقليدا لأسلافهم.

وأصله العشق الذي يبغضه الله، فكثير منهم يجعله ديناً، ويرى أنه يتقرب به إلى الله، إما لزعمه أنه يزكي النفس ويهذيها، وإما لزعمه أنه يجمع بذلك قلبه على آدمي، ثم ينقله إلى عبادة الله وحده، وإما لزعمه أن الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده، ويسميها:

(١) سورة الأعراف، آيات: ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٣) سورة الكهف، من آية: ٥٠.

(٤) سورة النحل، آية: ١٠٠.

(٥) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(( مظاهر الجمال الأحدي )) وإما لاعتقاده حلول<sup>(١)</sup> الرب فيها، واتخاذ<sup>(٢)</sup> بها.

ولهذا تجد بين نساك هولاء وفقرائهم وأصحابهم توافقا وتألفا على اتخاذ أُنْدَاد من دون الله يحبونهم كحب الله.

إما تدينا، وإما شهوة، وإما جمعا بين الأمرين، ولهذا يتألفون ويجتمعون على السماع الشيطاني، الذي يهيج الحب المشترك، فيهيج من كل قلب ما فيه من الحب.

وسبب ذلك: خلو القلب مما خلق له، من عبادة الله تعالى التي تجمع محبته وتعظيمه، والخضوع والذل له، والوقوف مع أمره ونهيه ومحابه ومساخطة.

فإذا كان في القلب وجدان حلاوة الإيمان وذوق طعمه أغناه ذلك عن محبة الأنداد وتأليها.

وإذا خلا القلب من ذلك احتاج إلى أن يستبدل به ما يهواه، ويتخذة إلهه، وهذا من تبديل الدين، وتغيير فطرة الله التي فطر عليها عباده.

قال تعالى: ﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ... ﴾<sup>(٣)</sup> أي نفس خلق الله لا تبديل له، فلا يخلق الخلق إلا على الفطرة، كما أن خلقه للأعضاء على السلامة من الشق والقطع، ولا تبديل لنفس هذا الخلق، ولكن يقع التغيير في المخلوق بعد خلقه، كما قال النبي ﷺ: (( كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء<sup>(٤)</sup>، هل تحسون فيها من جدعاء<sup>(٥)</sup>، حتى

(١) الخلول عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى السارى حلاً والمسرى فيه محلاً. التعريفات للجرجاني (ص ٩٢). والخلول: تجسد الخائق في المخلوق بحوله في بعض بني الإنسان، وامتزاجه به امتزاجاً كاملاً في الطبيعة والمشيئة بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية، وتمحي الإثنية والتغاير في وحدة غير منفصلة بين ذاتين كانتا متميزتين، فصارتا متحدتين ومتجانستين وهو ما يعرف بالخلول السرياني. وقد عرفت هذه الفكرة في النصرانية بفكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت، أو حلول اللاهوت في الناسوت، حيث يزعمون أنّ الله حل في المسيح الإنسان ليشكون المسيح الإله من طبيعتين، وبهما تأثرت الصوفية. وأوّل من تأثر بها هو الخلاج الذي قتل بسبب قوله بالخلول على هذا المعنى حيث قال عن نفسه: (( أنا الحق )) مدعياً. كما تأثر بهذا الاعتقاد الغلاة من الشيعة الذين يعتقدون بحلول الله تعالى في جعفر الصادق، وكذلك السنية والتصيرية الذين يدعون حلول الله تعالى في علي عليه السلام وتأثرت به الباطنية مثل الإسماعيلية الذين يعتقدون حلول الله تعالى في شخص الحاكم بأمر الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. (الموسوعة الميسرة، ١٠٥٩/٢).

(٢) الاتحاد: هو تسيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الإثنين فصاعداً. التعريفات للجرجاني (ص ٨). والاتحاد أحد العقائد الوثنية الدخيلة على عالمنا الإسلامي حيث تلغى الفرق بين الخائق والمخلوق على اعتبار أنّه لا موجود في الوجود إلا الله - تعالى الله عن كفرهم - وأوّل من اعتقد به المندوس وفي عهد المأمون ترجمة كتب المندوس إلى العربية فانتقلت هذه العقيدة الفاسدة إلى فلاسفة المتصوفة، وكان ابن عربي الصوفي صاحب نظرية الاتحاد أسس طريقته في الهند في القرن السادس الهجري ومع ذلك فقد اختلف فلاسفة الصوفية في صور الاتحاد: فمنهم من يراه اتحاد ذاتين معنوياً مع تغايرهما مادياً، بحيث لا تتحد عين إحدهما وصفاتها بعين الأخرى وصفاتها، بل يبقى الخائق خالقاً والمخلوق مخلوقاً، فكل منهما متميز عن الآخر وإن لم يكن منفصلاً عنه. فمنهم من يراه: الاتحاد العام الكامل بأن يصبح الله - تعالى الله عن قولهم - عين وجود المخلوقات من إنس وجن وشياطين وبهائمات وكلاب وخنزير وإلا انتفى معنى الاتحاد بلا وسيط. راجع: المصدر السابق (٢/٩٥٣).

(٣) سورة الروم، من آية: ٣٠.

(٤) جمعاء: سليمة الحلقة والأعضاء.

(٥) الجدع: قطع الأنف والأذن أو غيره من الأطراف.

تكونوا أنتم تجدونها))<sup>(١)</sup>؟

فالقلوب مفطورة على حب إلهها وفاضرها وتأليهه، فصرف ذلك التأله والمحبة إلى غيره تغيير للفطرة.

ولما تغيرت فطر الناس بعث الله الرسل بصلاحها وردها إلى حالتها التي خلقت عليها، فمن استجاب لهم رجع إلى أصل الفطرة، ومن لم يستجب لهم استمر على تغيير الفطرة وفسادها))<sup>(٢)</sup>.

[ أصل الشرك: الإشراف مع الله في المحبة ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأصل الشرك بالله، الإشراف مع الله في المحبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ... ﴾<sup>(٣)</sup> فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به دونه، فيتخذ الأنداد من دونه، يحبهم كحب الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لأناداهم.

وقيل: بل المعنى أنهم أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لله، فإنهم وإن أحبوا الله لكن لما أشركوا بينه وبين أناداهم في المحبة ضعفت محبتهم لله.

والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت أشد من محبة أولئك، والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين الأنداد وإنما يكون بالتسوية في هذه المحبة<sup>(٤)</sup>.

ولما كان مراد الله من خلقه هو خلوص هذه المحبة له أنكر على من اتخذ من دونه وليا

(١) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ١٣٨٥ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٢٠٧/١٦ ).

(٢) إغاثة اللهفان ( ص ٥٢٦-٥٢٨ ).

(٣) سورة البقرة، من آية: ١٦٥.

(٤) انظر مدارج السالكين ( ٢٠/٣-٢١ )، طريق المهجرتين ( ص ٢٧٦-٢٧٧ )، روضة المحبين (ص ١٩٨).

وشفيها غاية الإنكار، وجمع ذلك تارة، وأفرد أحدهما عن الآخر تارة بالإنكار، فقال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ...﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وُكُيٌ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال في الأفراد: ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبًا لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

فإذا والى العبد ربه وحده واتخذهُ ولياً من دون أن يتخذ أولئك الذين يسمون عند المشركين شفعاء، وعقد الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله بخلاف من اتخذ المخلوقين أولياء من دون الله، فهذا لون وذاك لون، والشفاعة الشركية الباطلة لون، والشفاعة الحق الثابتة التي إنما تنال بالتوحيد لون، وهذا موضع فرقان بين أهل التوحيد وأهل الشرك بالله، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

**المقصود:** أن حقيقة العبودية وموجباتها لا تخلص مع الإشراف بالله في المحبة، بخلاف المحبة لله، فإنها من لوازم العبودية وموجباتها، فإن محبة رسول الله ﷺ بل تقديمه في الحب على الأنفس، وعلى الآباء والأبناء لا يتم الإيمان إلا بها، إذ محبته من محبة الله.

وكذلك كل حب في الله والله، كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: (( ثلاث من كن فيه

(١) سورة يونس، من آية: ٣.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥١.

(٣) سورة الزمر، آيتا: ٤٣، ٤٤.

(٤) سورة الجاثية، آية: ١٠.

ووجد بهن حلاوة الإيمان...))<sup>(١)</sup> وفي لفظ الصحيحين: (( لا يجد عبد طعم الإيمان إلا من كان في قلبه ثلاث خصال: أن يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار))<sup>(٢)</sup> وفي الحديث الذي في السنن: (( من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله ومنع الله، فقد استكمل الإيمان ))<sup>(٣)</sup>، وفي حديث آخر: (( ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه ))<sup>(٤)</sup>.

فإن هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها، وكلما كانت أقوى كان أصلها كذلك))<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٦، ٢١، ٦٩٤١)، ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٣/٢)، واللفظ لمسلم.
- (٢) رواه الشيخان. (نفس المصدر السابق).
- (٣) رواه أبو داود في السنن (ح: ٤٦٨١)، وصححه العلامة الألباني في المشكاة (ح: ٣٠)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ٣٨٠).
- (٤) رواه الحاكم في المستدرک (١٧١/٤)، وأورده علاء الدين الفارسي في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ح: ٥٦٦)، وصحح إسناده الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه أيضا العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ٤٥١).
- (٥) الجواب الكافي (ص ٢٧٢-٢٧٤).

المسألة السابعة:

﴿ النفاق الإعتقادي ﴾

## [ مفهوم النفاق ]

النفاق في اللغة: من النَّفَقِ: سَرَبٌ في الأرض مشتق إلى موضع آخر، وقيل: له مَخْلَصٌ إلى مكان آخر.

والتُّفَقَةُ والنَّفَقَاءُ: جُحْرُ الضَّبِّ واليربوع، وقيل: موضع يرققه اليربوع من جُحْرِهِ، فإذا أُتِيَ من قِبَلِ القاصعاء ضرب النفاقاء برأسه فخرج.

وسمي المنافق منافقا لِلنَّفَقِ وهو السَّرَبُ في الأرض، وقيل: إنما سمي منافقا لأنه نافقا كاليربوع وهو دخوله نفاقاء.

يقال: قد نفق به ونافق، وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، فهو يدخل في النفاقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النفاقاء، فيقال: هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح: هو إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب<sup>(٢)</sup>.

وسياتي كلام ابن القيم رحمه الله في تعريف النفاق مفصلا.

## [ مفهوم النفاق والزندقة ]

وقال ابن القيم رحمه الله: (( الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله.

وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنْ تَجِدَهُمْ نَصِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار.

لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب

(١) انظر لسان العرب (مادة: نفق، ١٠/٣٥٨-٣٥٩).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ٢٤٥).

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٥.



والنفاق، ويلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال تعالى في حقهم:  
﴿... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم، وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم، بل هذا من باب إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن يابنهم في الدار، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها.

فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم - وهم في الباطن على خلاف دينهم - أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياما ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحا ومساء، يدلون العدو على عوراتهم، ويزبصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين الجاهر، فلهذا قيل: ﴿... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup> لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوا من الكفار المجاهرين.

ونظير ذلك قول النبي ﷺ: (( ليس المسكين الطواف الذي ترده اللقمة و اللقمتان، والتمررة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس، ولا يفتن له فيتصدق عليه ))<sup>(٣)</sup>، فليس هذا نفيًا لاسم المسكين عن الطواف، بل إخبار بأن هذا القانع الذي لا يسمونه مسكينا أحق بهذا الاسم من الطواف الذي يسمونه مسكينا.

ونظيره قوله ﷺ: (( ليس الشديد بالصرعة، ولكن الذي يملك نفسه عند

(١) سورة المنافقون، من آية: ٤.

(٢) سورة المنافقون، من آية: ٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ج: ١٤٧٩ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح

النووي، ١٢٩/٧ ).

الغضب<sup>(١)</sup>، ليس نفياً للاسم عن الصرعة، ولكن إخبار بأن من يملك نفسه عند الغضب أحق منه بهذا الاسم.

ونظيره قوله ﷺ: (( ماتعدون المفلس فيكم ))؟ قالوا: من لا درهم له ولا متاع، قال: (( المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، ويأتي قد لطم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فويت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه فألقى في النار ))<sup>(٢)</sup>.

ونظيره قوله ﷺ: (( ما تعدون الرقوب فيكم ؟ )) قالوا: من لا يولد له، قال: (( الرقوب من لم يقدم من ولده شيئاً ))<sup>(٣)</sup>.

ومنه قوله ﷺ: (( الربا في النسيئة ))<sup>(٤)</sup>، وفي لفظ: (( إنما الربا في النسيئة ))<sup>(٥)</sup> هو إثبات لأن هذا النوع هو أحق باسم الربا من ربا الفضل، وليس فيه نفي اسم الربا عن ربا الفضل<sup>(٦)</sup>، فتأمل.

والمقصود: أن هذه الطبقة أشقى الأشقياء، ولهذا يستهزأ بهم في الآخرة، وتعطى نورا يتوسطون به على الصراط ثم يطفى الله نورهم، ويقال لهم: ﴿ ... ارْجِعُوا وَمَرَاءَكُمُ فَآتَمِسُوا نَوْمًا ... ﴾<sup>(٧)</sup>، ويضرب بينهم وبين المؤمنين ﴿ ... سُورِلَهُ بِأَبْطُنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ ... ﴾

(١) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦١١٤ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ١٦/١٦٢ ) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ١٦/١٣٥ )، والترمذي في السنن ( ح: ٢٤١٨ )، وأحمد في المسند ( ٣٠٣/٢ )، ٣٣٤، ٣٧٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ١٠٦-٢٦٠٨ ) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ١١/٢٥ )، وأحمد في المسند ( ٥/٢٠٤ ) .

(٥) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ١١/٢٥ )، والنسائي في السنن ( ٧/٢٤٨ )، وابن ماجه في السنن ( ح: ٢٢٥٧ ) .

(٦) ربا النسيئة: هو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل. وهذا النوع محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة.

وربا الفضل: هو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام المتجانسين المتماثلين مع الزيادة. وهو محرم بالسنة والإجماع لأنه ذريعة إلى ربا النسيئة. انظر فقه السنة لسيد سابق ( ٣/١٣٥-١٣٦ ) .

(٧) سورة الحديد، من آية: ١٣ .

وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ قَتَلْتُمُ  
 أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّبْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَكَم بِاللَّهِ  
 الْغُرُورُ ﴿١﴾، وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح،  
 حتى إذا ظن أنه ناج، ورأى منازل السعداء اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة، ونعوذ بالله  
 من غضبه وعقابه.

### [ لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل ]

وإنما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل لغلظ كفرهم، فإنهم خالطوا المسلمين  
 وعاشروهم، وباشروا من أعلام الرسالة وشواهد الإيمان ما لم يباشره البعداء، ووصل إليهم  
 من معرفته وصحته ما لم يصل إلى المنافذين بالعداوة، فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم  
 كانوا أغلظ كفرا وأخبث قلوبا، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء عنهم، وإن  
 كان البعداء متصددين لحرب المسلمين.

ولهذا قال الله تعالى في المنافقين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ  
 لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٢)، وقال فيهم: ﴿صُدُّبُكُمْ عَنِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣)، وقال في  
 الكفار: ﴿... صُدُّبُكُمْ عَنِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

فالكافر لم يعقل، والمنافق أبصر ثم عمي، وعرف ثم تجاهل، وأقر ثم أنكر، وآمن ومن ثم  
 كفر، ومن كان هكذا كان أشد كفرا، وأخبث قلبا، وأعتى على الله ورسوله، فاستحق  
 الدرك الأسفل.

وفيه معنى آخر أيضا، وهو: أن الحامل لهم على النفاق طلب العز والجاه بين الطائفتين

(١) سورة الحديد، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨.

(٤) سورة البقرة، من آية: ١٧١.

فيرضوا المؤمنين ليعزوهم، ويرضوا الكفار ليعزوهم أيضا.

ومن هاهنا دخل عليهم البلاء، فإنهم أرادوا العزتين من الطائفتين، ولم يكن لهم غرض في الإيمان والإسلام ولا طاعة الله ورسوله، بل كان ميلهم وصغوهم<sup>(١)</sup> وجهتهم إلى الكفار، فقبولوا على ذلك بأعظم الذل وهو أن جعل مستقرهم في أسفل السافلين تحت الكفار. فما اتصف به المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين آمنوا، والاستهزاء بأهل الإيمان، والكذب، والتلاعب بالدين، وإظهار أنهم من المؤمنين، وأبطنوا قلوبهم على الكفر والشرك وعداوة الله ورسوله أمر اختصوا به عن الكفار فتغلظ كفرهم به، فاستحقوا الدرك الأسفل من النار.

ولهذا لما ذكر تعالى أقسام الخلق في أول سورة البقرة: [ ٣ - ٢٠ ] فقسمهم إلى مؤمن ظاهرا وباطنا، وكافر ظاهرا وباطنا، ومؤمن في الظاهر كافر في الباطن وهم المنافقون، وذكر في حق المؤمنين ثلاث آيات: [ ٣ - ٥ ]، وفي حق الكفار آيتين: [ ٦ - ٧ ].

فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية: [ ٨ - ٢٠ ] ذمهم فيها غاية الذم، وكشف عوراتهم، وقبحهم، وفضحهم، وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون في الأرض المخادعون المستهزئون المغبونون في اشترائهم الضلالة بالهدى، وأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون، وأنهم مرضى القلوب، وأن الله يزيدهم مرضا إلى مرضهم، فلم يدع ذما ولا عيبا إلا ذمهم به، وهذا يدل على شدة مقته سبحانه لهم، وبغضه إياهم، وعداوته لهم، وأنهم أبغض أعدائه إليه.

فظهرت حكمته الباهرة في تخصص هذه الطبقة بالدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من مثل حالهم، ونسأله معافاته ورحمته.

### [ صفات المنافقين الواردة في القرآن الكريم ]

ومن تأمل ما وصف الله به المنافقين في القرآن من صفات الذم؛ علم أنهم أحق بالدرك الأسفل، فإنه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده، ووصف قلوبهم بالمرض؛ وهو مرض الشبهات والشكوك.

(١) صَغَوْهم: ميلهم. لسان العرب ( مادة: صغا، ٤٦١/١٤ ).

ووصفهم بالإفساد في الأرض، وبالاستهزاء بدينه وعبادته، وبالطغيان، واشتراء الضلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته، والزنى وقلة ذكره، والتردد - هو التذبذب - بين المؤمنين والكفار، فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، والحلف باسمه تعالى كذبا وباطلا وبالكذب وبغاية الجبن، وبعدم الفقه في الدين وبعدم العلم، وبالبخل، وبعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالرب، وبأنهم مضرة على للمؤمنين ولا يحصل لهم بنصيحتهم إلا الشر من الخيال والإسراع بينهم بالشر وإلقاء الفتنة، وكراحتهم لظهور أمر الله، ومحو الحق، وأنهم يجزتون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر، ويقرحون بما يحصل لهم من الخنة والابتلاء، وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين وكراحتهم الإنفاق في مرضاة الله وسبيله، وبغيب المؤمنين ورميهم بما ليس فيهم، فيلمزون المتصدقين ويعيبون مزهدهم، ويرمون مكترهم بالرياء، وإرادة الثناء في الناس مكترهم، وأنهم عبيد الدنيا إن أعطوا منها رضوا، وإن منعوا سخطوا، وبأنهم يؤذون رسول الله ﷺ، وينسبونه إلى ما يرآه الله منه، ويعيبونه بما هو من كماله وفضله، وأنهم يقصدون إرضاء المخلوقين ولا يطلبون إرضاء رب العالمين، وأنهم يسخرون من المؤمنين، وأنهم يفرحون إذا تخلفوا عن رسول الله ﷺ، ويكرهون الجهاد في سبيل الله، وأنهم يتحيلون على تعطيل فرائض الله عليهم بأنواع الحيل، وأنهم يرضون بالتخلف عن طاعة الله ورسوله، وأنهم مطبوع على قلوبهم، وأنهم يتركون ما أوجب الله عليهم مع قدرتهم عليه، وأنهم أحلف للناس بالله؛ قد اتخولوا أيمانهم جنة تقيهم من إنكار المسلمين عليهم.

وهذا شأن المنافق أحلف للناس بالله كاذبا، قد اتخذه يمينه جنة ووقاية يتقي بها إنكار المسلمين عليه، ووصفهم بأنهم رجس - والرجس من كل جنس أحيته وأقدره - فهم أحيث بني آدم وأقدرهم وأرذ لهم وبأنهم فاسقون، وبأنهم مضرة على أهل الإيمان يقصدون التفريق بينهم، ويؤون من حاربهم وحارب الله ورسوله، وأنهم يتشبهون بهم ويضاهونهم في أعمالهم ليتوصلوا منها إلى الإضرار بهم وتفريق كلمتهم.

وهذا شأن المنافقين أبدأ، وبأنهم فتنوا أنفسهم بكفرهم بالله ورسوله، وتربصوا بالمسلمين دوائر السوء، وهذه عادتهم في كل زمان، وارتابوا في الدين فلم يصدقوا به، وغرتهم الأمانى

الباطلة وجرهم الشيطان، وأنهم أحسن الناس أجساما تعجب الرائي أجسامهم، والسامع منطقهم، فإذا جاوزت أجسامهم وقولهم رأيت خشبا مسندة، ولا إيمان ولا فقه، ولا علم ولا صدق، بل خشب قد كسيت كسوة تروق الناظر، وليس وراء ذلك شيئا.

وإذا عرض عليهم التوبة والاستغفار أبوها؛ وزعموا أنهم لا حاجة لهم إليها، إما لأن ما عندهم من الزندقة والجهل المركب مغن عنها وعن الطاعات جملة - كحال كثير من الزنادقة - وإما احتقارا وازدراء بمن يدعوهم إلى ذلك، ووصفهم سبحانه بالاستهزاء به وبآياته وبرسله، وبأنهم مجرمون، وبأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويقبضون أيديهم عن الإنفاق في مرضاته، ونسيان ذكره، وبأنهم يتولون الكفار وَيَدْعُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وبأن الشيطان قد استحوذ عليهم وغلب عليهم حتى أنساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلا، وأنهم حزب الشيطان، وأنهم يوادون من حاد الله ورسوله، وبأنهم يتمنون ما يعنت المؤمنين ويشق عليهم، وأن البغضاء تبدو لهم من أفواههم وعلى فلتات ألسنتهم، وبأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم<sup>(١)</sup>.

### [ صفات المنافقين الواردة في السنة ]

ومن صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله ﷺ الكذب في الحديث، والخيانة في الأمانة، والغدر عند العهد، والفجور عند الخصام، والخلف عند الوعد<sup>(٢)</sup>، وتأخير الصلاة إلى آخر وقتها، ونقرها عجلة وإسراعا<sup>(٣)</sup>، وترك حضورها جماعة، وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح

(١) صفات المنافقين الواردة في الكتاب، بعضها في سورة البقرة، وسورة التوبة، وسورة الأحزاب، وسورة الحديد، وسورة المنافقون.

(٢) وذلك في قوله ﷺ: (( أربع من كان فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر )) . رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٤ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٤٦/١ )، واللفظ للبخاري.

(٣) قال رسول الله ﷺ: (( تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا )) . رواه مسلم في صحيحه ( بشرح

والعشاء<sup>(١)</sup>.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها الشح على المؤمنين بالخير، والجبن عند الخوف، فإذا ذهب الخوف وجاء الأمن سلقوا المؤمنين بالسنة حداد، فهم أحد الناس السنة عليهم<sup>(٢)</sup>، كما قيل:

جهلا علينا وجبنا عن عدوكم لبست الخلتان الجهل والجبن

وأنهم عند المخاوف تظهر كمائن صدورهم ومخباتها، وأما عند الأمن فيجب ستره، فإذا لحق المسلمين خوفٌ دبَّت عقاربُ قلوبهم، وظهرت المخبات، وبدت الأسرار. ومن صفاتهم أنهم أعذب الناس السنة<sup>(٣)</sup>، وأمرهم قلوبا، وأعظم الناس خلقا بين أعمالهم وأقوالهم.

ومن صفاتهم أنهم لا يجتمع فيهم حسن صمت وفقه في دين أبدا<sup>(٤)</sup>.

النووي، (١٢٣/٥)، وأحمد في المسند (١٠٣/٣).

(١) قال رسول الله ﷺ: (( ليس صلاة أنقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، لقد هممت أن أمر المؤذن فيقيم ثم أمر رجلا يوم الناس ثم أخذ شعلا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد )) . رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٥٧ ).

(٢) قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَتْهُمِ ابْتِهَارٌ وَنُظْرٌ وَالْيَدُ الَّتِي كَانَتْ تُغْفِيهِمْ كَأَنَّهُمْ يُغْفِيهِمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ سورة الأحزاب، آية: ١٩.

(٣) قال الله تعالى: ﴿ ... وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ... ﴾ سورة المنافقين، من آية: ٤.

- قال ابن جرير الطبري: (( يقول جل ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس )) . تفسير الطبري ( ١٠١/١٢ ).

(٤) قال الله تعالى: ﴿ ... كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَسَدَةٌ... ﴾ سورة المنافقون، من آية: ٤.

- قال ابن جرير الطبري: (( يقول كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول )) . تفسير الطبري ( المصدر السابق ).

ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذب أقوالهم، وباطنهم يكذب ظاهرهم، وسرائرهم تناقض علانيتهم<sup>(١)</sup>.

ومن صفاتهم أن المؤمن لا يثق بهم في شيء؛ فإنهم قد أعدوا لكل أمر مخرجا منه، بحق أو بباطل، بصدق أو بكذب، ولهذا سمي منافقا أخذاً من نفاقاء اليربوع - وهو بيت يحفره ويجعل له أسراباً مختلفة - فكلما طلب من سِرْبٍ خَرَجَ من سِرْبٍ آخر، فلا يتمكن طالبه من حصره في سرب واحد، قال الشاعر:

ويستخرج اليربوع من نفاقائه ومن جحره بالشيخة<sup>(٢)</sup> اليتقصع<sup>(٣)</sup>

فأنت منه كقابض على الماء، ليس معك<sup>(٤)</sup> منه شيء.

ومن صفاتهم كثرة التلون، وسرعة التقلب، وعدم الثبات على حال واحد: بينما تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو هدى صالح أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلونا وتقلبا وتنقلا، جيفة<sup>(٥)</sup> بالليل، قطرب<sup>(٦)</sup> بالنهار.

(١) قال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾  
سورة المنافقين، آيتا: ١، ٢.

(٢) الشيخة: رملة بيضاء ببلاد أسد وحنظلة. (القاموس المحيط، مادة الشيخ، ص ٣٢٥). والقصعة: جحر لليربوع يدخله، وتقصيعة: إخراجه تُرابَ قاصعائه، وقصع الزرع تقصيعة: خرج من الأرض. (راجع المصدر السابق، مادة القصعة، ص ٩٧١).

(٣) البيت من كلام ذي الخرق الطهوي. انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والكوفيين لأبي البركات الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ (١٥٢/١).

(٤) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: معه.

(٥) أي جثة الميت. (مختار الصحاح للرازي، ص ١٠٤).

- وفي لسان العرب: هو الرجل الذي يسعى نهاره في حوائج دنياه فإذا أمسى كالألّا تعبًا، فينام ليلته حتى يُصبح كالجيفة لا يتحرك، فهذا جيفة ليل. (لسان العرب، مادة: قطرب، ٦٨٣/١).

(٦) القطرب: دوية كانت في الجاهلية يزعمون أنها ليس لها قرار البتة، وقيل: لا تستريح نهارها



ومن صفاتهم أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه، ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَنْزِعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تَجَاءُوكَ يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أُرْدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا وَلِلَّهِ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١﴾

ومن صفاتهم: معارضة ما جاء به الرسول ﷺ يعقول الرجال وآرائهم، ثم تقديمها على ما جاء به.

فهم معرضون عنه معارضون له، زاعمون أن الهدى في آراء الرجال وعقولهم، دون ما جاء به، فلو أعرضوا عنه وتعوضوا بغيره لكانوا منافقين، فكيف إذا جمعوا مع ذلك معارضته، وزعموا أنه لا يستفاد منه هدى.

ومن صفاتهم: كتمان الحق، والتلبيس على أهله، ورميهم له بأدوائهم: فيرمونهم - إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ودعوا إلى الله ورسوله - بأنهم أهل فتن مفسدون في الأرض.

وقد علم الله ورسوله والمؤمنون بأنهم أهل الفتن المفسدون في الأرض، وإذا دعاهم ورثة الرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله خالصة غير مشوبة رموهم بالبدع والضلال.

وإذا رأوهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة متمسكين بطاعة الله ورسوله رموهم بالزوكرة<sup>(٢)</sup> والتلبيس والمحال.

سعيًا، وقيل: الجاهل الذي يظهر بجهله، وقيل: السفیه، والقطارب: السفهاء. (المصدر السابق).

(١) سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦٣.

(٢) الزوكرة: إظهار النسك وإبطان الفسق. [الناشر].

وإذا رأوا معهم حقا ألبسوه لباس الباطل، وأخرجوه لضعفاء العقول في قالب شنيع لينفروهم عنه، وإذا كان معهم باطل ألبسوه لباس الحق، وأخرجوه في قالبه ليقبل منهم. وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم.

وليس على الأديان أضر من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، ولهذا جلاّ الله أمرهم في القرآن، وأوضح أوصافهم، وبين أحوالهم، وكرر ذكرهم، لشدة المؤنة على الأمة بهم، وعظم البلية عليهم، بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم، والتحرز من مشابهتهم والإصغاء إليهم، فكم قطعوا على السالكين إلى الله طرق الهدى وسلكوا بهم سبيل الردى؛ وعدوهم، ومنوهم، ولكن وعدوهم الغرور، ومنوهم الويل والثبور.

فكم لهم من قتيل، ولكن في سبيل الشيطان، وسليب ولكن للباس التقوى والإيمان، وأسير لا يرجي له الخلاص، وفار من الله لا إليه، وهيهات ولات حين مناص.

صحبتهم توجب العار والشنار، ومودتهم تحمل غضب الجبار وتوجب دخول النار، من علقت به كلاليب كلبهم ومخاليب رأيهم مزقت منه ثياب الدين والإيمان، وقطعت له مقطعات من البلاء والخذلان، فهو يسحب من الحرمان والشقاوة أذيالا، ويمشي على عقبه القهقري إدبارا منه وهو يحسب ذلك إقبالا، فهم والله قطاع الطريق.

### [ الحذر من المنافقين ]

فيا أيها الركب المسافرون إلى منازل السعداء، حذارٍ منهم حذار، إذ هم الجزّارون، ألسنتهم شفار البلايا، ففرارا منهم أيها الغنم فرارا.

ومن البلية أنهم الأعداء حقا وليس لنا بد من مصاحبتهم، وخلطتهم أعظم الداء وليس بد من مخالطتهم، قد جعلوا على أبواب جهنم دعاة إليها<sup>(١)</sup> فبُعْدًا للمستحيين، ونصبوا شباكهم

(١) قال رسول الله ﷺ: (( دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلتُ - أي حذيفة ابن اليمان - يار سول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا...)). رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٧٠٨٤ )، ومسلم

حواليها على ما حفّت به من الشهوات، فويل للمغتربين.

نصبوا الشباك ومدوا الأشرار وأذن مؤذنيهم: يا شياها الأنعام حي على الهلاك، حي على التّبَاب<sup>(١)</sup>.

فاستبقوا يهرعون إليه، فأوردهم حياض العذاب، لا الموارد العذاب، وساموهم من الخسف والبلاء أعظم حطة، وقالوا: ادخلوا باب الهوان صاغرين ولا تقولوا حِطَّة<sup>(٢)</sup>، فليس بيوم حطة.

فوا عجباً لمن نجا من شركهم لا من علق، وأنّى ينجو من غلبت عليه شقاوته ولها خلق؟!.

فحقيق بأهل هذه الطبقة أن يخلوا بالحل الذي أحلهم الله من دار الهوان، وأن ينزلوا في أردأ منازل أهل العناد والكفران.

وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر بن الخطاب يقول: يا حذيفة، ناشدتك الله، هل سماني رسول الله ﷺ مع القوم؟ فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً<sup>(٣)</sup>، يعني لا أفتح علي هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك.

في صحيحه (بشرح النووي، ٢٣٧/١٢)، وابن ماجه في السنن (ح: ٣٩٧٩).

(١) التّبَاب: الخسران والهلاك. (مختار الصحاح، مادة: تب، ص ٦٥).

(٢) حطة: أي حُطّ عنّا أوزارنا، وقيل: هي كلمة أمر بها بنوا إسرائيل لو قالوها حُطّت أوزارهم. (مختار الصحاح، مادة: حطط، ص ١٢٥).

(٣) أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين العمروي (٢٧٦/١٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين، ص ٤٩٤)، والبرهان فوري في كنز العمال (ح:

وقال ابن أبي مليكة<sup>(١)</sup>: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل ((<sup>(٢)</sup>).

### [ أركان النفاق ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( زَرَعُ<sup>(٣)</sup> النفاق ينبت على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء.

ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة.

فإذا تمت هذه الأركان الأربع استحکم نبات النفاق وبنياته، ولكنه بمدارج السيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر، وكُشف المستور، وبُعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور، تبين حيثئذ لمن كانت بضاعته النفاق:

أن حواصله التي حصلها كانت كالسراب ﴿...يَخْسِبُهُ الظَّنَّانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

قلوبهم عن الخيرات لاهية، وأجسادهم إليها ساعية، والفاحشة في فجاجهم فاشية. وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية، وإذا حضروا الباطل وشهدوا الزور

(١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي، الإمام الحجّة الحافظ، أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن، وُلد في خلافة علي عليه السلام أو قبلها، وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان، معلود في طبقة عطاء، وقد ولي القضاء لابن الزبير، والأذان أيضا، ومات سنة سبع عشرة ومائة، وكان من أبناء الثمانين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/٨٨-٩٠).

(٢) طريق المهجرتين [ دار الوطن للنشر والإعلام ] (ص ٤٠٢-٤٠٩)، وانظر مدارج السالكين (١/٣٨٨).

(٣) انظر إغائة اللهفان ومصائد الشيطان (ص ٢٥٠)، فإن العلامة ابن القيم رحمه الله ذكر فيه أنّ الغناء مُنبت النفاق.

(٤) سورة النور، من آية: ٣٩.

انفتحت أبصار قلوبهم، وكانت آذانهم واعية))<sup>(١)</sup>.

### [ المنافقون نوعان ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ وآمنوا به ظاهرا وجحدوه وكفروا به باطنا وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثالان بمستوقد النار وبالصيب وهم أيضا نوعان:

**أحدهما:** من أبصر ثم عمى، وعلم ثم جهل، وأقر ثم أنكر، وآمن ثم كفر. فهؤلاء رؤوس أهل النفاق وسادتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من إستوقد ناراً ثم حصل بعدها على الظلمة.

**والنوع الثاني:** ضعفاء البصائر الذين أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم آذانهم صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق، فلا يقربون من سماع القرآن والإيمان، بل يهربون منه ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنيه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من نصوص الوحي إذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوي مذهبه ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة لما عنده عنهم هرب من النصوص وكره من يُسمعه إياها، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها ويقول: دعنا من هذه، ولو قدير لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلمها.

فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق، فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائرًا لا يدري أين يذهب، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها ويقول مسكين الحال: هم أخبر بها مني وأعرف.

فيا لله العجب أوليس أهلها والذابون عنها والمنتصرون لها والمعظمون لها والمخالفون لأجلها آراء الرجال، المقدمون لها على ما خالفها، أعرف بها أيضا منك ومن اتبعته، فلم كان من خالفها وعزلها عن اليقين، وزعم أنّ الهدى والعلم لا يُستفاد منها، وأنها أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من مسائل التوحيد

(١) مدارج السالكين ( ٣٨٩/١ ).

والصفات، ويسميتها الظواهر النقلية، ويسمي ما خالفها القواطع العقلية، فلمَ كان هؤلاء أحق بها وأهلها، وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها؟ ولكن هذه سنة الله في أهل الباطل، أنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحاربتة كالرافضة الذين عادوا أصحاب محمد ﷺ بل وأهل بيته، ونسبوا أتباعه وأهل سنته إلى معادة أهل بيته: ﴿... وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

والمقصود: أنّ هؤلاء المنافقين صنفان:

أئمة وسادة يدعون إلى النار، وقد مردوا على النفاق، وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلدون.

فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان ولا يجاوز هذه السنة اللهم إلا من أظهر الكفر وأبطن الإيمان كحال المستضعفين بين الكفار الذي تبين له الإسلام ولم يمكنه المجاهرة بخلاف قومه، ولم يزل هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه ((٢).

[ الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق:

أن خشوع الإيمان: هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتزمة من الوجمل والحنجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجنایاته هو فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح.

وأما خشوع النفاق: فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع.

(١) سورة الأنفال، من آية: ٣٤.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٧٤-٧٦).

فالحاشع لله عبد قد حمدت نيران شهواته وسكن دخانها عن صدره فأنجلي الصدر،  
وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي خشى به، وحمدت  
الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار محبباً  
له، والمحبب المطمئن، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء.  
فكذلك القلب المحبب قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء  
فيستقر فيها.

علامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالاً له وذلاً وانكساراً بين يديه سجدة لا يرفع رأسه  
عنها حتى يلقاه.

وأما القلب المتكبر فإنه قد اهتز بتكبره عرباً<sup>(١)</sup> فهو كبقعة رايبة من الأرض لا يستقر  
عليه<sup>(٢)</sup> الماء - فهذا خشوع الإيمان.

وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعاً ومראה،  
ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي  
وأسد الغابة رابض بين جنبه ينتظر الفريسة<sup>(٣)</sup>.

(١) في بعض المطبوعات: ( ورباً ) وهو الصواب.

(٢) في بعض المطبوعات: ( عليها ) وهو الصواب.

(٣) الروح لابن القيم ( ص ٣٤٧-٣٤٨ ).

المطلب الثاني:

﴿ بعض أنواع الشرك المنافية لكمال التوحيد ﴾



المسألة الأولى:

﴿ ما جاء في اللو ﴾

[ مفهوم اللو في اللغة ]

(لَوْ): حرف تمنٍّ، وهو لامتناع الثاني من أجل امتناع الأول، تقول: لو جئتني لأكرمتك.

وهو ضد (إِنْ) التي للجزاء، لأنها توقع الثاني من أجل وقوع الأول<sup>(١)</sup>. وإن من كمال التوحيد الإيمان والإذعان للقضاء والقدر طاعة لله ورضا به ربًّا وإلهًا، فإنَّ المصائب والبلايا التي يصاب بها العبد من قضاء الله وقدره، والعبد مأمور عند المصائب بالصبر والاحتساب.

واستعمال ((لَوْ)) عند المصيبة لا يجدي عليه سوى الحزن والتحسر مع ما يخاف على توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها مَنْ وقع منه هذا إلا من رحم ربّه، فهذا وجه إيراد هذه المسألة في توحيد العبادة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرٌ عَالِي مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ))<sup>(٢)</sup>.

فقد أورد ابن القيم رحمه الله بعض الأحكام المستفادة من الحديث، فقال: (( ومن ذلك نهيه ﷺ عن قول القائل بعد فوات الأمر: (( لو أنني فعلت كذا وكذا ))، وقال: (( إن لو تفتح عمل الشيطان ))).

وأرشده إلى ما هو أنفع له من هذه الكلمة، وهو أن يقول: (( قدر الله وما شاء فعل ))، وذلك لأن قوله: لو كنت فعلت كذا وكذا، لم يفتني ما فاتني، أو لم أقع فيما

(١) مختار الصحاح للرازي (ص ٥٣٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (شرح النووي، ٢١٥/١٦)، وابن ماجه في السنن (ح: ٧٩)،

وأحمد في المسند (٣٦٦/٢، ٣٧٠)، واللفظ لمسلم.

وقعت فيه، كلامٌ لا يجدى عليه فائدة البتة، فإنه غير مستقبل لما استدبر من أمره، وغير مستقبلٍ عَثْرَتَهُ بِ(( لَوْ ))، وفي ضمن (( لَوْ )) ادعاء أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه، لكان غير ما قضاه الله وقدره وشاءه، فإن ما وقع مما يتمنى خلافه إنما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته، فإذا قال: لو أنى فعلت كذا، لكان خلاف ما وقع، فهو محال.

إذ خلاف المقدر المقضي محال، فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا، وإن سلّم من التكذيب بالقدر، لم يسلم من معارضته بقوله: لو أنى فعلت كذا لدفعت ما قدر الله عليّ.

فإن قيل: ليس في هذا ردّ للقدر ولا جحد له، إذ تلك الأسباب التي تمنّاها أيضا من القدر فهو يقول: لو وقفت<sup>(١)</sup> لهذا القدر، لاندفع به عني ذلك القدر، فإن القدر يدفع بعضه ببعض، كما يدفع قدر المرض بالدواء، وقدر الذنوب بالتوبة، وقدر العدو بالجهاد، فكلاهما من القدر.

قيل: هذا حق، ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه، وأما إذا وقع، فلا سبيل إلى دفعه، وإن كان له سبيل إلى دفعه أو تخفيفه بقدر آخر، فهو أولى به من قوله: لو كنت فعلته، بل وظيفته في هذه الحالة أن يستقبل فعله الذي يدفع به أو يخفف أثر ما وقع، ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه، فإنه عجز محض، والله يلوم على العجز، ويحب الكيس ويأمر به.

والكيس: هو مباشرة الأسباب التي ربط الله بها مسيبتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتح عمل الخير.

وأما العجز، فإنه يفتح عمل الشيطان، فإنه إذا عجز عما ينفعه، وصار إلى الأماني الباطلة بقوله: لو كان كذا وكذا، ولو فعلت كذا، يفتح عليه عمل الشيطان، فإن بابه

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: لو وقفت.

## العجز والكسل.

ولهذا استعاذ النبي ﷺ منهما<sup>(١)</sup>، وهما مفتاح كل شر، ويصدر عنهما الهم والحزن والجبين والبخل وضيع الدين، وغلبة الرجال، فمصدرها كلها عن العجز والكسل، وعنوانها: (( لو )) فلذلك قال النبي ﷺ: (( فإن لو تفتح عمل الشيطان )) فالتمني من أعجز الناس وأفلسهم، فإن التمني رأس أموال المفاليس، والعجز مفتاح كل شر<sup>(٢)</sup>.

(١) عن أنس بن مالك ؓ قال: كان النبي ﷺ يقول: (( اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبين والبخل وضيع الدين وغلبة الرجال ))، رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٣٦٩ ).

(٢) زاد المعاد ( ٣٥٦/٢ - ٣٥٨ )، وانظر إعلام الموقعين ( ١٤٢/٣ )، وتيسير العزيز الحميد ( ص ٥٩٥ )، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ( ص ٣٩٠ ).

- قلت: وانظر كلام ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُوقُوتِ كُذِّبْتُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾، [ سورة آل عمران، من آية: ١٥٤ ] فإنه رحمه الله قد بين فيه مقصود الآية، وأبطل قول القدرية النفاة الذين يجوزون أن يقع ما لا يشاؤه الله، وأن يشاء ما لا يقع. زاد المعاد ( ٢٣٦/٣ - ٢٣٨ ).

# المسألة الثانية:

﴿ الرِّيَاءُ ﴾

اعلم أن العمل لا يقبل إلا بشرطين وهما: إخلاص العمل من الشرك والرياء، وأن يعبد بما شرعه وأحبه وأمر به.

وهذان الشرطان هما المقصود الذي خلق له الخلق، فضدهما الشرك والبدع، فالمشرك يعبد مع الله غيره، وصاحب البدعة يتقرب إلى الله بما لم يأمر به ولم يشرعه ولا أحبه<sup>(١)</sup>. وكون الرياء مناف لقبول الأعمال ذكرته هنا تحقيقاً للتوحيد.

[ مفهوم الرياء ]

والرياء في اللغة: اسم من استرأى الشيء: استدعى رؤيته.

وَرَأَيْتُ الرَّجُلَ مَرَاءَةً وَرِيَاءً: أَرَيْتَهُ أَنِي عَلَى خِلَافِ مَا أَنَا عَلَيْهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿... بَطَرَ

وَمَرِئَاءَ النَّاسِ...﴾<sup>(٢)</sup>، وفيه: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾<sup>(٣)</sup> يعنى المنافقون، أي إذا صلى

المؤمنون صلوا معهم يراؤونهم أنهم على ما هم عليه.

وفلان مرء، وقوم مراعون، والاسم الرياء يقال: فعل ذلك رياء وسمعة<sup>(٤)</sup>.

ومعنى الرياء في الاصطلاح: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه<sup>(٥)</sup>.

وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك،

والإخلاص أن يعافيك الله عنهما<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن القيم رحمه الله: ((وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن،

والرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه، والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من

(١) انظر شفاء العليل (ص ٥٩٣).

(٢) سورة الأنفال، من آية: ٤٧.

(٣) سورة الماعون، آية: ٦.

(٤) انظر لسان العرب (مادة: رأى، ٢٩٦/١٤).

(٥) التعريفات للجرجاني (ص ١١٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤٢٧/٨).

ظاهره ))<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: ((فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقا لسنة رسول الله ﷺ مرادا به وجه الله.

ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم، فإنه إن لم يعلم ما جاء به الرسول لم يمكنه قصده وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده، فلولا العلم لما كان عمله مقبولا، فالعلم هو الدليل على الإخلاص وهو الدليل على المتابعة.

وقد قال الله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأحسن ما قيل في تفسير الآية، أنه إنما يتقبل عمل من اتقاه في ذلك العمل، وتقواه فيه أن يكون لوجهه على موافقة أمره، وهذا إنما يحصل بالعلم))<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَا هَبَاءً مُنثُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: ((وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله.

قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: ((إنك لن تخلف، فتعمل عملا تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيرا، ودرجة ورفعة))<sup>(٦)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٩٥/٢).

(٢) سورة الكهف، من آية: ١١٠.

(٣) سورة المائدة، من آية: ٢٧.

(٤) مفتاح دار السعادة (٣٠٣/١-٣٠٤)، وانظر الجواب الكافي (ص ١٩٦).

(٥) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٩٣٦)، ومسلم في صحيحه (بشرح

النووي، ٧٨/١١).

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (( ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ))<sup>(١)</sup>.

أي لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفى عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه عنه، فإن القلب يغفل على الشرك أعظم غل.

وكذلك يغفل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة. فهذه الثلاثة تملوه غلا ودغلا، ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السنة.

وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل: يقاتل رياء، ويقاقل شجاعة، ويقاقل حمية، أي ذلك في سبيل الله؟

فقال: (( من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ))<sup>(٢)</sup>.

وأخبر عن أول ثلاثة تسعريهم النار: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان متصدق<sup>(٣)</sup>، ولم تكن أعمالهم خالصة لله.

وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله تعالى: (( أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء ))<sup>(٤)</sup>.

وفي أثر آخر: يقول له يوم القيامة: (( اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، لا أجر لك عندنا ))<sup>(٥)</sup>.

(١) أورده أحمد في المسند ( ١٨٣/٥ )، وأبو نعيم الأصبهاني في ذكر أخبار إصبهان ( ٩٠/٢ )، (٣٠٠)، وصحح إسناده العلامة الألباني في المشكاة ( ج: ٢٢٩ ).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ج: ١٢٣ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٤٩/١٣ ).

(٣) الحديث طويل رواه الترمذي في السنن ( ج: ٢٣٨٢ )، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي ( ج: ١٩٤٢-٢٥٠٢ ).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ١١٥/١٨ ). وابن ماجه في السنن ( ج: ٤٢٠٢ ).

(٥) بحث هذا اللفظ فلم أجده، وله ما يقاربه في المعنى وهو حديث: (( إذا جمَعَ اللُّهُ عَزَّ وَجَلَّ الأوَّلِينَ



وفي الصحيح عنه ﷺ: (( إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ))<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي أثر مروى إلهي<sup>(٣)</sup>: (( الإخلاص: سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي ))<sup>(٤)</sup>.

وَالْآخِرِينَ لَيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدًا فَلْيَطَّلِبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ ))، رواه أحمد في المسند (٤٦٦/٣، ح: ١٥٨٢٨)، والترمذي في السنن (ح: ٣١٥٤)، وابن ماجه في السنن (ح: ٤٢٠٣)، والدولابي في الكنى (٣٥/١)، وابن حبان في صحيحه (التقريب، ح: ٤٠٤، ٧٣٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (م ٢٢/ح: ٧٧٨)، والبيهقي في الشعب (ح: ٦٨١٧).

- وذكر محقق المسند أنه حديث صحيح لغيره، وإسناده حسن.

- وذكر أيضا العلامة الألباني أنه حديث حسن في صحيح سنن ابن ماجه (ح: ٣٣٨٨-٤٢٠٣)، والمشكاة (ح: ٥٣١٨).

- وفي لفظ آخر: (( إن المرائي ينادى عليه يوم القيامة: يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له ))، ينظر إحياء علوم الدين للغزالي (٨٢/٤)، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (٢٦٤/٨).

(١) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٢١/١٦).

(٢) سورة الحج، من آية: ٣٧.

(٣) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٢٨٣/٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٤/١٠، ٤٣).

- وقال الحافظ العراقي: (( الحديث مرسل، رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلاً يقول كل واحد من رواته: سألت فلانا عن الإخلاص، فقال: وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن بن الحذيفة عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك، وهما من الزهاد، ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف ))، [ هامش الإحياء، المصدر السابق ] .

(٤) مدارج السالكين (٩٣-٩٤)، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص ١١٧، ٥٢٤-٥٣٣)، وفتح

المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٠٦).

المسألة الثالثة:

﴿ الطَّيْرَةُ ﴾

الطَّيْرَةُ: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسَكَّن الياء، مصدر تَطَيَّرَ طَيْرَةً، كَتَخَيَّرَ خَيْرَةً، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطباء والطيور وغيرهما، وكان ذلك يصددهم عن مقاصدهم، فإذا أرادوا أمراً، فإن رأوا الطير مثلاً طار يمينة تيمنوا به، وإن طار يسرة تشاءموا به، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ولا دفع ضرر.

وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك<sup>(١)</sup>، مع العلم أن الله تعالى هو النافع والضار وحده، فقد أوردتها هنا تحذيراً منها وإرشاداً إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله.

### [ مفهوم الطيرة ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( ومن ذلك هؤلاء أصحاب الطير السانح والبارح<sup>(٢)</sup>، والقعيد والناطح<sup>(٣)</sup>، وأصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سَمَّوه سانحاً، وما تياسر منها سَمَّوه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سَمَّوه القعيد، فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك!

قال المدائني<sup>(٤)</sup>: سألت روبة بن العجاج<sup>(٥)</sup>: ما السانح؟ قال: ما ولأك ميامنه، قال: قلت:

(١) انظر لسان العرب ( مادة: طير، ٥١٢/٤ )، وتيسير العزيز الحميد ( ص ٤٢٠ ).

(٢) راجع لسان العرب، ( مادة: سنح، ٤٩٠/٢ ).

(٣) راجع لسان العرب، ( مادة: نطح، ٦٢١/٢ ).

(٤) العلامة الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري، نزل بغداد، وصنّف التصانيف، وكان عجبا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقا فيما ينقله، عالي الإسناد، وُلد سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ومات سنة أربع وعشرين ومائتين، ومن تصانيفه: (( الزجر والفأل )) وأشياء كثيرة عديمة الوقوع. ينظر سير أعلام النبلاء ( ٤٠٠/١٠ ).

فما البارح؟ قال: ما ولّك مياسره، قال: والذي يجيء من قدامك فهو الناطح والنطیح،  
والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد.

وقال المفضل الضبي<sup>(١)</sup>: البارح ما يأتيك عن اليمين يريد يسارك، والسانح ما يأتيك عن  
اليسار فيمر على اليمين.

وإنما اختلفوا في مراتبها ومذاهبها لأنها خواطر وحدوس وتخمينات، لا أصل لها، فمن  
ترك بشيء مدحه، ومن تشاءم بشيء ذمه، ومن اشتهر بإحسان الزجر عندهم ووجوهه  
حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم، وما أمّلوه من أعمالهم سمّوه عائفًا وعرفًا.

وقد كان في العرب جماعة يعرفون بذلك كعرّاف اليمامة<sup>(٢)</sup>، والأبلق الأسدي، والأجلح،  
وعروة بن يزيد، وغيرهم، فكانوا يحكمون بذلك ويعلمون به، ويتقدمون ويتأخرون في جميع  
ما يتقلبون فيه ويتصرفون، في حال الأمن والخوف والسعة والضيق والحرب والسلم، فإن  
أنجحوا فيما يتفائلون به مدحوه وداوموا عليه، وإن عطيوا فيه تركوه وذمّوه.

ومنهم من أنكرها بعقله، وأبطل تأثيرها بنظره، وذم من اغتر بها، واعتمد عليها وتوهم  
تأثيرها، فمنهم المرقش. حيث يقول:

ولقد غدوت كنت لا      أغدو على واقٍ وحاتم

(٥) رؤبة بن العجاج الراجز المشهور التميمي، ثم السعدي، لين الحديث، فصيح، مات بالبادية سنة  
خمسة وأربعين ومائة. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ترجمة: ١١١)، ولسان  
الميزان له أيضا (ترجمة: ١٨٧٥).

(١) المفضل بن محمد الضبي الكوفي المقرئ، صاحب عاصم، ومات سنة ثمان وستين ومائة. يراجع:  
ميزان الاعتدال للذهبي (ترجمة: ٨٧٣٥)، ولسان الميزان (ترجمة: ٢٩٣).

(٢) عرّاف اليمامة: رياح بن كحيل، طيب، أو كاهن، من أهل اليمامة، قيل: هو المعنى بقول عروة  
بن حزام العذري:

أقول لعراف اليمامة داوني      فإنك إن أبرأتني لطيب

- راجع: الأعلام للزركلي (٢٢٣/١٠). وأما الأبلق الأسدي والأجلح وعروة بن يزيد فقد  
بحثت عن تراجمهم فلم أجد لهم ترجمة، والله أعلم.

فإذا الأشائم كالأيا  
وكذاك لا خير ولا  
لا يمنعك من بغا  
قد خطُّ ذلك في السطو  
من والأيامنُ كالأشائم  
شرُّ على أحدٍ بدائم  
ء الخير تَعَقَادُ التَّمَائِمِ  
رِ الأَوَّلِيَّاتِ القَدَائِمِ

وقال حميم الهذلي:

ألم تر أن العائفين وإن جرت  
يظننان ظننا مرة يخطئانه  
قضى الله أن لا يعلم الغيب غيره  
لك الطير عما في غد عميان  
وأخرى على بعض الذي يصفان  
ففي أي أمر الله يمتريان

وقال آخر:

وما أنا ممن يزجر الطير همه  
ولا السانحات البارحات عشية  
أطار غراب أم تعرّض ثعلب  
أمرٌ سليمُ القرن أم مرٌّ أعضب

وقال آخر يمدح منكرها:

وليس بهياب إذا شد رحله  
ولكنه يمضي على ذاك مقدما  
يقول عداني اليوم واق وحاتم  
إذا صد عن تلك الهنات الخثارم

يعني بالواق: الصُّرد، وبالحاتم: الغراب؛ سمّوه حاتمًا لأنه كان عندهم يحتّم بالفراق،  
والخثارم: العاجز، الضعيف الرّأي، المتطير.

وقد شفى النبي ﷺ أمته في الطيرة حيث سئل عنها؟ فقال: (( ذاك شيء يجده أحدكم  
فلا يصدنه ))<sup>(١)</sup>.

وفي أثر آخر: (( إذا تطيرت فلا ترجع ))<sup>(٢)</sup> أي: امض لما قصدت له ولا يصدنك عنه

(١) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٢٢/٥ )، وأحمد في المسند ( ٤٤٣/٣ )، ح:  
١٥٦٦٣.

(٢) أورده ابن حجر العسقلاني في الفتح، وقال: هذا مرسل أو معضل.  
- وله شاهد في الإحياء بلفظ: (( وإذا تطيرت فامض ))، وقال الحافظ العراقي: وفيه يعقوب بن  
محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور.

الطيرة.

واعلم أن التَّطِيرَ إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبا به شيئاً لم يضره البتة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: (( اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسينات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك ))<sup>(١)</sup>.

فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمّن لم يلتفت إليها، ولا ألقي إليها ياله، ولا شغل بها نفسه وفكره.

واعلم أن من كان معتنياً بها قاتلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى مُنحدره، وتفتحت له أبواب الوسوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ويُكِّد عليه عيشه؛ فإذا سمع سفرَ جلاً، أو أهدي إليه تطير به، وقال: سفر وجلاء؛ وإذا رأى يأسميناً، أو سمع اسمه تطير به، وقال: يأس ومين! وإذا رأى سوسنة أو سمعها، قال: سوء يبقى سنة! وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشبل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه!

ويحكى عن بعض الولاة أنه خرج في بعض الأيام لبعض مهماته، فاستقبله رجل أعور، فتطير به، وأمر به إلى الخيس، فلما رجع من مهمته ولم يلق شراً أمر بإطلاقه، فقال له: سألتك بالله ما كان جرمي الذي حبستني لأجله؟! فقال له الولي: لم يكن لك عندنا جرم، ولكن تطيرت بك لما رأيتك، فقال: فما أصيت في يومك يرؤيتي؟! فقال: مما لم ألق إلا

- وقال الهيثمي في الجمع: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف.

- راجع: فتح الباري ( ٢٢٤/١٠ )، إحياء علوم الدين ( ٣٤٧/٣ )، مجمع الزوائد ( ٧٨/٨ ).

(١) روى القطعة الأولى منه أحمد في المسند ( ٢٢٠/٣ )، ح: ٧٠٤٥، وقال محققه: حديث حسن.

- والقطعة الأخيرة منه: رواها أبو داود في السنن ( ح: ٣٩١٩ )، وضعفه العلامة الألباني في

الكلم الطيب ( ح: ٢٥٢ )، وضعيف سنن أبي داود ( ح: ٨٤٣-٣٩١٩ )، والمشكاة ( ح:

خيرا، فقال: أيها الأمير أنا خرجت من منزلي فرأيتك، فلقيت في يومي الشر والحبس، وأنت رأيتني فلقيت في يومك الخير والسرور، فمن أشأمننا؟ والطيبة بمن كانت؟ فاستحيا منه الوالي ووصله.

وقال أبو القاسم الزجاجي<sup>(١)</sup>: لم أر أشد تطيرا من ابن الرومي<sup>(٢)</sup> الشاعر! وكان قد تجاوز الحد في ذلك، فعاتبته يوما على ذلك.

فقال يا أبا القاسم: الفأل لسان الزمان، والطيبة عنوان الحدثان.

وهذا جواب من استحكمتُ علته، فعجز عنها، وهو أيضا بمنزلة من قد غلبته الوسواس في الطهارة، فلا يلتفت إلى علم، ولا إلى ناصح.

وهذه حال من تقطعت به أسياب التوكل، وتقلص عنه لباسه، بل تعرى منه؛ ومن كان هكذا فالبلايا إليه أسرع، والمصائب به أعلق، والحن له ألزم، بمنزلة صاحب اللؤلؤ والقريحة الذي يهدي إلى قرحته كل مؤذ وكل مصادم، فلا يكاد يُصدم من جسده أو يُصاب غيرها. والمتطير متعب القلب، مُنكِّد الصدر، كاسف البال، سيء الخلق، يتخيل من كل ما يراه أو يسمعه، أشد الناس خوفا، وأنكدهم عيشا، وأضيق الناس صدرا، وأحزنهم قلبا، كثير الاحتراز والمراعاة لِمَا لا يضره ولا ينفعه، وكم قد حرم نفسه بذلك من حظا ومنعها من رزق! وقطع عليها من فائدة!

ويكفيك من ذلك قصة النايغة مع زياد بن سيار الفزاري حين تجهز إلى الغزو، فلما أراد الرجيل نظر النايغة إلى جرادة قد سقطت عليه، فقال: جرادة تجرد، وذات ألوان! عزيز من

(١) هو شيخ العربية، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي البغدادي النحوي، صاحب ((الجميل)) في النحو، والتصانيف، وتلميذ العلامة أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وهو منسوب إليه، ومات بطبرية في رمضان سنة أربعين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء (٤٧٥/١٥).

(٢) شاعر زمانه مع البحرزي، أبو الحسن، علي بن العباس بن جريح، مولى آل منصور، له النظم العجيب، والتوليد الغريب، رتب شعره الصولي، وكان رأسا في الهجاء وفي المديح، مولده سنة إحدى وعشرين ومائتين، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائتين. سير أعلام النبلاء (٤٩٥/١٣).

خرج من هذا الوجه، ونفذ زياد لوجهه ولم يتطير، فلما رجع زياد سالما غائما، أنشأ يقول:

تخبر طيرة فيها زياد	ليخبره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد	أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا	على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء	أحايينا وباطله كثير

[ التطير ديدن أعداء الرسل عليهم السلام ]

ولم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل، كما قالوا لرسولهم: ﴿... إِنَّا تَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسِّنَنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ... ﴾<sup>(٢)</sup>، حتى إذا أصابهم الخصب والسعة والعافية قالوا: ﴿لَنَا هَذِهِ﴾ أي: نحن الجديرون الحقيقيون به، ونحن أهله، وإن أصابهم بلاء وضيق وقحط ونحوه، قالوا: هذه بسبب موسى وأصحابه، أصبنا بشومهم، ونفض علينا غبارهم، كما يقوله المتطير لمن تطير به؛ فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده، كما قال تعالى عن أعداء رسوله ﷺ: ﴿... وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ... ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذه ثلاثة مواضع حكى فيها التطير عن أعدائه، وأجاب سبحانه عن تطيرهم بموسى وقومه بأن طائرهم عند الله، لا بسبب موسى، وأجاب عن تطير أعداء رسول الله ﷺ

(١) سورة يس، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٢) سورة الأعراف، من آية: ١٣١.

(٣) سورة النساء، من آية: ٧٨.



بقوله: ﴿... قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>، وأجاب عن الرسل بقوله: ﴿... طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: ﴿... أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup>؛ فقال ابن عباس<sup>(٤)</sup>: طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم، وفي رواية: شومهم عند الله، ومن قبله؛ أي: إنما جاء هم الشوم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسوله، وقال أيضا: إن الأرزاق والأقدار تتبعكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ...﴾<sup>(٥)</sup>، أي ما يتطير له من الخير والشر فهو لازم له في عنقه.

### [ مفهوم التطير في كلام العرب ]

والعرب تقول: جرى له الطائر بكذا من الخير والشر، قال أبو عبيدة: الطائر عندهم الحظ، وهو الذي تسميه العامة البخت، يقولون: هذا يطير لفلان، أي: يحصل له. قلت: ومنه الحديث: (( فَطَارَ لَنَا عَثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ ))<sup>(٦)</sup> أي: أصابنا بالقرعة لما اقترع

(١) نفس السورة والآية.

(٢) سورة يس، من آية: ١٩.

(٣) سورة الأعراف، من آية: ١٣١.

(٤) أورده الفراء البغوي في تفسيره المسمى معالم التنزيل بهذا اللفظ (٣/٢٦٩).

(٥) سورة الإسراء، من آية: ١٣.

(٦) والحديث هو عن ابن شهاب قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء - امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ - أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة، فَطَارَ لَنَا عَثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي آيَاتِنَا فَوَجَعَ وَجَعَهُ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ فَلَمَّا تَوَفَّى وَغَسَلَ وَكَفَّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: (( وما يدريك أن الله قد أكرمه ))، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: (( أما هو فقد جاءه اليقين، والله إنني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله، ما يفعل بي ))، قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا)). رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح

الأنصار على نزول المهاجرين عليهم، وفي حديث رويغ بن ثابت<sup>(١)</sup>: (( حتى إن أحدنا ليطير له النصل والريش، وللآخر القدح ))<sup>(٢)</sup>، أي: يحصل له بالشركة في الغنيمة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّرَمَاهُ طَائِرٌ فِي عُنُقِهِ... ﴾<sup>(٣)</sup>: إن الطائر ها هنا هو العمل، قاله الفراء.

وهو يتضمن الرد على نفاة القدر، وخصى العنق بذلك من بين سائر أجزاء البدن لأنها محل الطوق الذي يطوقه الإنسان في عنقه، فلا يستطيع فكاه.

ومن هذا يقال: إثم هذا في عنقك، وأفعل كذا وإثمه في عنقي، والعرب تقول: طَوَّقَهَا طوق الحمامة، وهذا ريقة في رقبتة.

وعن الحسن بن آدم<sup>(٤)</sup>: لتنظر لك صحيفة إذا جئت قللتها في عنقك...

فخصوا العنق بذلك لأنه موضع القلادة والتميمة، واستعمالهم التعاليق فيها كثير، كما خصت الأيدي بالذكر في نحوه: ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ﴾<sup>(٦)</sup> ونحوه.

وقيل: المعنى أن الشوم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار، وهو الذي أصابهم

(الباري، ج: ١٢٤٣).

(١) رويغ بن ثابت الأنصاري التجاري المدني ثم المصري، الأمير، له صحبة ورواية، توفي ببرقة أميراً عليها في سنة ست وخمسين. سير أعلام النبلاء (٣/٣٦).

(٢) رواه أبو داود في السنن (ج: ٣٦)، وأحمد في المسند (٤/١٠٨)، وسكت عنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ج: ٢٧-٣٦).

(٣) سورة الإسراء، من آية: ١٣.

(٤) لم أجد له ترجمة، والله أعلم.

(٥) الآية هي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ... ﴾، سورة

الشورى، من آية: ٣٠.

(٦) الآية هي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ ظَالِمًا لِّلْعَبِيدِ ﴾، سورة الحج، آية: ١٠.

وقيل: المعنى أن سبب شؤمهم عند الله، وهو عملهم المكتوب عنده، الذي يجري عليه ما يسوؤهم ويعاقبون عليه بعد موتهم بما وعدهم الله، ولا طائر أشأم من هذا.

وقيل: حظهم ونصيبهم، وهذا لا يناقض قول الرسل: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي: حظكم، وما نالكم من خير وشر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسينا، بل يبيغكم وعدوانكم، فطائر الباغي الظالم معه، وهو عند الله، كما قال تعالى: ﴿... وَإِنْ تَصِبُّهُمُ حَسْبَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تَصِبُّهُمُ سَبَبَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>(٢)</sup> ولو فقهوا أو فهموا لما تطيروا بما جئت به، لأنه ليس فيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضي الطيرة، فإنه كله خير محض لا شر فيه، وصلاح لا فساد فيه، وحكمة لا عبث فيها، ورحمة لا جور فيها، فلو كان هؤلاء القوم من أهل الفهم والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا؛ فإن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والمصلحة والحكمة والرحمة، وليس فيما أتيتهم به - لو فهموا - ما يُوجب تطيرهم، بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيهم، وهو عند الله كسائر حظوظهم وأنصابهم التي ينالونها منه بأعمالهم وكسبهم.

ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: راجع عليكم، فالطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام، مثل قوله في الحديث: ((أخذنا فألك من فيك))<sup>(٤)</sup>، ونظيره قول النبي ﷺ: ((إذا سلم عليكم أهل

(١) سورة يس، من آية: ١٩.

(٢) سورة النساء، من آية: ٧٨.

(٣) الآية هي قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ إِنَّنِ لَمُذَكَّرُونَ بِمَا لَكُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾،

سورة يس، آية: ١٩.

(٤) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣٩١٧)، وأحمد في المسند (٢/٣٨٨، ح: ٩٠٤٠)، وصححه

الكتاب فقولوا: وعليكم))<sup>(١)</sup>، فعلى هذا، معنى: ﴿طَائِرُكُمْ

مَعَكُمْ﴾، أي: نصيبكم طيرتكم التي تطيرتم بها، لأنهم اعتقدوا الشوم فيها، ولا شوم فيها اليتة، ف قيل لهم: الشوم منكم، وهو نازل بكم، فتأمله.

وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ

مَكْرُهُمْ لِنَزْوَلِ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾<sup>(٢)</sup>، قيل: جزاء مكرهم عنده، فمكر بهم كما مكروا برسله، ومكره تعالى بهم إنما كان بسبب مكرهم، فهو مكرهم عاد عليهم، وكيدهم عاد عليهم، فهكذا طيرتهم، عادت عليهم، وحلت بهم.

وسمي جزاء المكر مكرًا، وجزاء الكيد كيدًا؛ تبيينها على أن الجزاء من جنس العمل، ولما ذكر سبحانه أن ما أصابهم من حسنة وسيئة - أي: نعمة ومحنة - فالكل منه تعالى بقضائه وقدره، فكأنهم قالوا: فما يالك أنت تصيبك الحسنات والسيئات كما تصيبنا، فذكر سبحانه أن ما أصابه من حسنة فمن الله من بها عليه، وأنعم بها عليه، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، أي: بسبب من قبله، أي: لا لنقص ما جاء به، ولا لشر فيه، ولا لشوم يقتضي أن تصيبه السيئة، بل بسبب من نفسه، ومن قبله.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿... طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلِ أَسْمُ قَوْمٍ تَفْتَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>: إن طائرهم

ها هنا هو السبب الذي يجيء فيه تحريم وشريم، فهو عند الله وحده، وهو قدره وقسمه، إن شاء رزقكم وعافاكم، وإن شاء حرمكم وابتلاككم.

ومن هذا قللوا: طائر الله لا طائر كلبي، قدر الله الغالب الذي يأتي بالحسنات ويصرف

العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج: ٧٢٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ج: ٦٢٥٨)، ومسلم في صحيحه (ج:

٢١٦٣-٦).

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٦.

(٣) سورة النمل، من آية: ٤٧.

السيئات، ومنه: (( اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك ))<sup>(١)</sup>.  
وعلى هذا فالمعنى بطائركم: نصيبكم وحظكم الذي يُطيرُكم، ومن فسره بالعمل فالمعنى:  
طائركم الذي طار عنكم من أعمالكم وبهذين القولين فُسِّرَ معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّ  
إِنْسَانَ أَنْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ... ﴾<sup>(٢)</sup>، وأنه ما طار عنه من عمله أو صار لازماً له مما قضى  
الله عليه، وقدر عليه، وكتب له من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة  
بغير حساب أنهم: (( الذين لا يكتبون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم  
يتوكلون ))<sup>(٣)</sup>، زاد مسلم وحده: (( ولا يرقون ))، فسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية  
يقول: هذه الزيادة وهم من الراوي<sup>(٤)</sup>، لم يقل النبي ﷺ: (( ولا يرقون )) لأن الراقي محسن  
إلى أخيه، وقد قال النبي ﷺ وقد سئل عن الرقي فقال: (( من استطاع منكم أن ينفع

(١) الحديث ما روي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (( من ردته الطيرة من حاجة  
فقد أشرك ))، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: (( أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا  
خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك ))، رواه أحمد في المسند ( ٢/٢٢٠، ح: ٧٠٤٥ )،  
والهيثمي في مجمع الزوائد ( ٥/١٠٥ )، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة،  
وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

- وقال محقق المسند: حديث حسن، ابن لهيعة - وهو عبد الله - وإن كان ضعيفاً قد رواه عنه  
عبد الله بن وهب، وهو صحيح السماع منه.

(٢) سورة الإسراء، من آية: ١٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٤٧٢ )، ومسلم في صحيحه ( ح:  
٣٧٤-٢٢٠ ).

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ( ١/٣٢٨ ).

- وقال العلامة الألباني: قوله: (( لا يرقون )) شاذة تفرد بها شيخ مسلم: سعيد بن  
منصور. ( مختصر صحيح مسلم للمنذري، تحقيق الألباني، ح: ١٠١ )، وانظر سلسلة  
الأحاديث الصحيحة ( ١/٤٣٥ ).

أخاه فلينبهه))<sup>(١)</sup>، وقال: (( لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا ))<sup>(٢)</sup>، والفرق بين الراقي والمسترقي أنّ المسترقي سائل مسقط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن نافع. قلت<sup>(٣)</sup>: والنبي ﷺ لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سببا للسبق إلى الجنان، وهذا بخلاف ترك الاسترقاء؛ فإنه توكل على الله، ورغبة عن سؤال غيره، ورضاء بما قضاه، وهذا شيء وهذا شيء.

وفي (( الصحيحين ))<sup>(٤)</sup> من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (( لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح ))<sup>(٥)</sup> ونحوه من حديث أنس.

وهذا يحتمل أن يكون نفيا، وأن يكون نهيا، أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: (( ولا عدوى ولا صفر ولا هامة ))<sup>(٦)</sup> يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه<sup>(٨)</sup>.

وقد روى ابن ماجة في (( سننه )) من حديث سفيان، عن سلمة، عن عيسى بن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (( الطيرة شرك وما منا إلا،

(١) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٦٣-٢١٩٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٦٤-٢٢٠٠).

(٣) أي ابن القيم رحمه الله.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٥٦)، ومسلم في صحيحه (ح: ١١٣-٢٢٢٣).

(٥) انظر ردّ ابن القيم رحمه الله على من زعم أنّ الفأل الحسن من الطيرة في مفتاح دار السعادة (٣/٣٠٦-٣١٢).

(٦) الهامة: طائر من طير الليل، وهو الصندي. (القاموس المحيط، مادة هام، ص ١٥١٣).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٧٥٧)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٠١-٢٢٢٠)، واللفظ لمسلم.

(٨) انظر كلام ابن القيم رحمه الله في الجمع بين الحديث: (( لا عدوى... ))، والحديث: (( لا يورد ممرض على مصح )) في مفتاح دار السعادة (٣/٣٦٢-٣٧٩)، وزاد المعاد (٤/١٤٧-١٥٤).

ولكن الله يذهب بالتوكل<sup>(١)</sup>، وهذه اللفظة: (( وما منا إلا... )) إلى آخره، مدرجة في الحديث، ليست من كلام النبي ﷺ، كذلك قاله بعض الحفاظ<sup>(٢)</sup>، وهو الصواب؛ فإن الطيرة نوع من الشرك كما هو في أثر مرفوع: (( من ردت الطيرة فقد قارن الشرك ))<sup>(٣)</sup>، وفي أثر آخر: (( من أرجعته الطيرة من حاجة فقد أشرك )) قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: (( أن يقول أحدكم: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ))<sup>(٤)</sup>.

وفي (( صحيح مسلم )) من حديث معلوية بن الحكم السلمي أنه قال: يا رسول الله! ومنا أناس يتطيرون! فقال: (( ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنه ))<sup>(٥)</sup>؛ فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في التطير به، فوهمه وخوفه وإدراكه هو الذي يُطيره ويصدّه، لا ما رآه وسمعه.

فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها

(١) رواه أبو داود في السنن (ح: ٣٩١٠)، والترمذي في السنن (ح: ١٦١٤)، وابن ماجه في السنن (ح: ٣٥٣٨)، وأحمد في المسند (٣٨٩/١، ٤٣٨، ٤٤٠، ح: ٣٦٨٧، ٤١٧١، ٤١٩٤)، والحاكم في المستدرک (١٧/١).

- وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه أيضا الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال محقق المسند: إسناده حسن، وصححه أيضا الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ٤٢٩).

(٢) كما نقله الترمذي في السنن، وابن حجر في الفتح (٢٢٤/١٠).

- إلا أن الشارح المناوي يقول: (( لكن تعقبه ابن القطان بأن كل كلام مسوق في سياق، لا يقبل دعوى درجه إلا بحجة ))، الفيض القدير (٢٩٤/٤).

- وقال العلامة الألباني: (( ولا حجة هنا في الإدراج فالحديث صحيح بكامله ))، سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ٧١٦/١).

(٣) رواه وهب في الجامع (ح: ٦٥٦)، وابن سني في عمل اليوم والليلة (ح: ٢٩٣)، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ١٠٦٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢٠/٢، ح: ٧٠٤٥)، والهيثم في مجمع الزوائد (١٠٥/٥).

- وقال محقق المسند: حديث حسن.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٥٣٧-٣٣).

علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصيها سيبا لما يخافونه ويحذرونه، لتطمئن قلوبهم، ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمّر الدارين الجنة والنار.

فسيب التوحيد - ومن أجله - جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه، والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته، فقطع ﷻ علق<sup>(١)</sup> الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقه منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهله الينة.

وفي الحديث المعروف: ((أقروا الطير على مكنتها))<sup>(٢)</sup>، قال أبو عبيد في ((الغريب))<sup>(٣)</sup>: أراد لا تجروها، ولا تلتفتوا إليها، أقروها على مواضعها التي جعله الله لها، ولا تتعدوا ذلك إلى غيره، أي: أنها لا تضر ولا تنفع.

وقال غيره: المعنى: أقروها على أمكنتها، فإنهم كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرا أو أمرا من الأمور أثار الطير من أوكارها لينظر أي وجه تسلك، وإلى أي ناحية تطير، فإن خرجت ذات اليمين خرج لسفره ومضى لأمره، وإن أخذت ذات الشمال رجع ولم يمض، فأمرهم أن يقروها في أمكنتها، وأبطل فعلهم ذلك، ونهاهم عنه كما أبطل الاستقسام بالأزلام.

وقال ابن جرير: معنى ذلك: أقروا الطير التي تزجرونها في مواضعها المتمكنة فيها، التي هي لها مستقر، وامضوا لأموالكم، فإن زجركم إياها غير مُجدٍ عليكم نفعاً، ولا دافع عنكم ضرراً.

وقال آخرون: هذا تصحيف من الرواة، وخطأ منهم، ولا يعرف المكنت إلا أسماء لبيض الضباب دون غيرها.

(١) علق: أي أوشاب وأدران. انظر لسان العرب ( مادة: علق، ٢٦١/١٠ ).

(٢) رواه أحمد في المسند ( ٣٨١/٦ )، والشافعي في السنن ( ج: ٤١٠ )، والطحاوي في المشكل

( ج: ٧٨٨ )، والهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠٦/٥ )، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد

ورجال أحدها ثقات.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ( ١٣٥/٢ ).



قال الجوهري<sup>(١)</sup>: **الْمَكِينُ يَبْضُ الضَّبُّ**، قال: **وَمَكِينُ الضَّبَابِ**: طعام العرب، لا تشتهيهِ نفوس العجم، وفي الحديث: **(( أَقْرُوا عَلَى الطَّيْرِ مَكَنَاتِهَا ))** بالضم والفتح.

قال أبو زياد الكلابي<sup>(٢)</sup> وغيره: إننا لا نعرف للطير مكناتٍ، فأما المكنات فإنما هي الضباب، قال أبو عبيد: ويجوز في الكلام، وإن كان المكين للضباب في أن يجعل للطير تشبيهاً بذلك، كقولهم: مشافر الحبشي، وإنما المشافر للإبل، وكقول زهير يصف الأسد:

لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ<sup>(٣)</sup> .....

وإنما له مخالب<sup>(٤)</sup>.

قال هولاء: فعل الراوي سمع: أقروا للطير في وكناتها، بالواو؛ ولأن وكنات الطير عُشُّها، وحيث تسقط عليه من الشجر، وتأوي إليه.

وفي أثر آخر: **(( ثلاث من كن فيه لم ينل الدرجات العلي: من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر من طيرة ))**<sup>(٥)</sup>، وقد رُفِعَ هذا الحديث.

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي، لغوي، أديب، ذو خط جيد، أصله من بلاد الترك من فاراب، طاف بلاد بطلب العلم ثم استقر في نيسابور، وهو أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، وُلِدَ عام ٣٣٢هـ، ومات في نيسابور سنة ٣٩٣هـ، ومن أشهر كتبه: تاج اللغة، وصحاح العربية، وله كتاب في العروض، ومقدمة في النحو. الأعلام للزركلي (٣٠٩/١)، معجم المؤلفين (٢٦٧/٢).

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام الكلابي، من بني كلاب بن ربيعة، أديب، شاعر، من سكان بادية العراق، قدم بغداد أيام المهدي، فأقام بها أربعين سنة، وتوفي بها نحو سنة ٢٠٠ هـ، من آثاره: النوادر، الفروق، الإبل، خلق الإنسان. الأعلام للزركلي (٢٣٨/٩)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٣٨/١٣).

(٣) قال محقق الصحاح للجوهري: صدره: \* لدى أسد شاكي السلاح مقذف \*

(٤) إلى هنا انتهى كلام الجوهري. (الصحاح، ٢٢٠٥/٦-٢٢٠٦).

(٥) أورده أبو نعيم في الحلية (١٧٤/٥)، والخطيب البغدادي في التاريخ (٢٠١/٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (ح: ١١٨٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٨/١)، والسيوطي في در المنثور (٣٠٣/٤).

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوسا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خيرا! فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر؛ مبادرة بالإنكار عليه لئلا يعتقد له تأثيرا في الخير أو الشر.

وخرج طاؤوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاؤوس: وأي خير عنده؟ والله لا تصحبنى.

وقيل لكعب: هل تطير؟ فقال: نعم، فقيل له: فكيف تقول إذا تطيرت؟ قال أقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا رب غيرك، ولا قوة إلا بك.

وكان بعض السلف يقول عند ذلك: طير الله لا طيرك، وصباح الله لا صباحك، ومساء الله لا مساءك.

وقال ابن عبد الحكم: لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة، قال مزاحم: فنظرت فإذا القمر في الدبران<sup>(١)</sup>، فكرهت أن أقول له! فقلت: ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة! قال: فنظر عمر فإذا هو في الدبران، فقال: كأنك أردت أن تعلمني أن القمر في الدبران يا مزاحم، إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر، ولكننا نخرج بالله الواحد القهار<sup>(٢)</sup>.

- وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح...

- وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو كذاب.

(١) الدبران: منزل للقمر. (القاموس المحيط، مادة الدبر، ص ٤٩٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٦٨/٣-٢٨٥).

- قلت: وقد ذكر ابن القيم رحمه الله الشبهات حول هذا الموضوع ثم الأجوبة عليها في مفتاح

دار السعادة (٢٨٥/٣-٣٨٩)، ولولا الإطالة لذكرتها هنا، وانظر أيضا: تيسير العزيز الحميد

(ص ٤٢٠)، وفتح الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ٢٤٤).

المسألة الرابعة:

﴿ حلق الرأس لغير الله تعالى ﴾

## [ مفهوم الخلق في اللغة ]

الخلق: مصدر قولك خلق رأسه، وحلّقوا رؤسهم: شددوا للكثرة، والإحتلاق: الخلق، يقال: خلق معزه، ولا يقال: جزّه إلا في الضأن، وعنز مخلوقة، وحلّاقة المعزى - بالضم - ما حلّق من شعره، ويقال: إن رأسه لجيد الخلاق.

ويقال: الخلق في الشعر من الناس والمعز كالجزّ في الصوف، فيقال: حلّق معزاه إذا أخذ شعرها، وجز ضأنه، ويقال: لحية حليق، ولا يقال حليقة.

والحلّاقة: ما حلّق منه، يكون ذلك في الناس والمعز، والحليق: الشعر المخلوق، والجمع حلّاق، واحتلّق بالموسى<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: (( وفيه: )) ليس منا من صلّق أو حلّق<sup>(٢)</sup> أي ليس من أهل سنتنا من خلق شعره عند المصيبة إذا حلت به<sup>(٣)</sup>.

## [ حكم خلق الرأس ]

قال ابن القيم رحمه الله: (( وخلق الرأس ثلاثة أنواع:

أحدها: نسك وقربة.

والثاني: بدعة وشرك.

والثالث: حاجة ودواء<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب بتصرف ( مادة: خلق، ١٠/٥٩-٦٠ ).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ١٦٧-١٠٤ )، والإمام أحمد في المسند ( ٤١١/٤ ).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ( مادة: خلق، ١/٤٢٧ ).

(٤) أمّا خلق الرأس حاجة ودواء فيقول ابن القيم رحمه الله: (( في الصحيحين عن كعب بن عجرة قال:

كان بي أذى من رأسي، فحملتُ إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: (( ما كنت

أرى الجهد قد بلغ بك ما أرى ))، وفي رواية: فأمره أن يحلق رأسه، وأن يُطعم فرقًا بين ستة، أو

يُهدى شاة، أو يصوم ثلاثة أيام. [ رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٥١٧ )،

ومسلم في صحيحه ( ح: ٨٥-١٢٠١ ) ] القمل يتولد في الرأس والبدن من شئتين: خارج عن

البدن، وداخل فيه، فالخارج: الوسخ والدنس المتراكم في سطح الجسد، والثاني: من خلط رديء عفن

تدفعه الطبيعة بين الجلد واللحم، فيتعفن بالرطوبة الدموية في البشرة بعد خروجها من المسام، فيكون

فالأول: الخلق في أحد النسكين، الحج والعمرة<sup>(١)</sup>.

والثاني: خلق الرأس لغير الله سبحانه، كما يخلقها المریدون لشيوعهم، فيقول أحدهم: أنا

منه القمل، وأكثر ما يكون ذلك بعد العلل والأسقام، وبسبب الأوساخ، وإنما كان في رؤوس الصبيان أكثر، لكثرة رطوباتهم وتعاطيهم الأسباب التي تولد القمل، ولذلك خلق النبي ﷺ رؤوس بني جعفر.

ومن أكبر علاجه خلق الرأس لتنتفح مسام الأبخرة، فتصاعد الأبخرة الرديئة، فتضعف مادة الخلط، وينبغي أن يُطلى الرأس بعد ذلك بالأدوية التي تقتل القمل، وتمنع تولده (( زاد المعاد (٤/١٥٨-١٥٩).

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ... ﴾ [سورة البقرة، من آية: ١٩٦]، وقوله تعالى: ﴿... لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ... ﴾ [سورة الفتح، من آية: ٢٧].

- وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (( خلق رسول الله ﷺ في ححته )) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ١٧٢٦ )، ومسلم في صحيحه ( ح: ٣٢٢-١٣٠٤ )، واللفظ للبخاري.

- وفي الصحيح أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (( اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: والمقصرين )) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ١٧٢٧ )، ومسلم في صحيحه ( ح: ٣١٨-١٣٠١ )، واللفظ للبخاري.

- قال ابن الأثير: (( المحلقون: الذين حلقوا شعورهم في الحج والعمرة، وإنما خصهم بالدعاء دون المقصرين - وهم الذين أخذوا من أطراف شعورهم، ولم يخلقوا - لأن أكثر من أحرم مع النبي ﷺ لم يكن معهم هدي، وكان النبي ﷺ قد ساق الهدى، ومن معه هدي فإنه لا يخلق حتى ينحر هديه، فلما أمر من ليس معه هدي أن يخلق ويحل ويحل في أنفسهم من ذلك وأحبوا أن يأذن لهم في المقام على إحرامهم حتى يكملوا الحج، وكانت طاعة النبي ﷺ أولى لهم، فلما لم يكن لهم بد من الإحلال كان التقصير في نفوسهم أخف من الخلق، فمال أكثرهم إليه، وكان فيهم من بادر إلى الطاعة وحلق ولم يراجع، فلذلك قدم المحلقين وأخر المقصرين )) . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ( ٤٢٧/١ ) .

حلفتُ رأسي لفلان، وأنت حلقته لفلان.

وهذا بمنزلة أن يقول: سجدتُ لفلان، فإن حلق الرأس خضوع وعبودية وذل، ولهذا كان من تمام الحجج، حتى عند الشافعي ركن من أركانه لا يتم إلا به<sup>(١)</sup>.

فإنه وضع النواصي بين يدي ربها خضوعاً لعظمته، وتذلاً لعزته، وهو من أبلغ أنواع العبودية، ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه، حلقوا رأسه وأطلقوه، فجاء شيوخ الضلالة والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة، فأرادوا من مريدهم أن يتعبدوا لهم، فزينوا لهم حلق رؤوسهم لهم...

والمقصود: أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه وأشركت فيها من تعظمه من الخلق، فسجدت لغير الله، وركعت له، وقامت بين يديه قيام الصلاة، وحلفت بغيره، ونذرت لغيره، وحلفت لغيره، وذبحت لغيره، وطافت لغير بيته، وعظمته بالحب، والخوف، والرجاء، والطاعة، كما يُعظم الخالق، بل أشد، وسوت من تعبده من المخلوقين برب العالمين، وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل، وهم الذين يبدلون، وهم الذين يقولون - وهم في النار مع آلهتهم يختصمون -: ﴿ تَأْتِيهِمُ الرِّسَالُ مِنْ رَبِّهِمْ لَعَلَّ هُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

﴿ تَأْتِيهِمُ الرِّسَالُ مِنْ رَبِّهِمْ لَعَلَّ هُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وهم الذين قال فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعَذِّبُ نَفْسَهُ إِذْ نَسَىٰ حُرْمَةَ اللَّهِ أَكْبَرًا فَسَاءَ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا كله من الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، فهذا فصل معترض في هدية في حلق الرأس، ولعله أهم مما قصد الكلام فيه، والله الموافق<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره الإمام النووي في كتابه شرح الإيضاح. انظر: حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح في

مناسك الحج للنووي (ص ٣٥٠).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٣) سورة البقرة، من آية: ١٦٥.

(٤) زاد المعاد (١٥٩/٤، ١٦١-١٦٢)، وانظر الجواب الكافي (ص ١٩٦)، ومدارج السالكين

(١/٣٧٤).

- وفي كتابه رحمه الله أحكام أهل النعمة (١٢٩١/٣-١٢٩٤): ذكر أن حلق الرأس أربعة أقسام:

شرعي، وشركي، وبدعي، ورخصة، فليراجع.

المسألة الخامسة:

﴿ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ﴾

## [ مفهوم الحَلْف ]

الحَلْفُ والحَلِيفُ: القَسَمُ واليمين، وأصلها العقد بالعزم والنية، وهما لغتان، حلف أي أقسم، يَحْلِفُ حَلْفًا وحِلْفًا وحَلِيفًا ومَحْلُوفًا، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول، مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور، والواحدة حَلْفَةٌ.

قال امرؤ القيس:

حلفت لها بالله حلفة فاجر      لناموا فما إن من حديث ولا صالي  
ويقولون: مخلوفة بالله ما قال ذلك، ينصبون على إضمار: يَحْلِفُ بالله مخلوفة أي قَسَمًا، والمخلوفة هو القسم.

ورجل حَالِفٌ وحَلَّافٌ وحَلَّافَةٌ: كثير الحَلِيفِ، وأحلفت الرجل وحلَّفته واستحلَّفته بمعنى واحد<sup>(١)</sup>.

اعلم أن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجرى على لسانه من غير قصد، كمن يجرى على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها، كقوله مثلاً: والله وحياتك وحياتي، وهو الحلف بغير الله، وسيأتي من كلام ابن القيم رحمه الله أنه شرك، وفوق رتبة الكبائر.

ذكر ابن القيم رحمه الله أن الحلف بغير الله تعالى من الشرك به سبحانه وتعالى في اللفظ فقال: (( ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ، كالحلف بغيره، كما رواه أحمد وأبو داود عنه رضي الله عنه أنه قال: (( من حلف بغير الله فقد أشرك ))<sup>(٢)</sup>، وصححه الحاكم وابن

(١) لسان العرب ( مادة: حَلْفَ، ٥٣/٩ ).

(٢) رواه أبو داود في السنن ( ح: ٣٢٥١ )، والترمذي في السنن ( ح: ١٥٣٥ )، وأحمد في المسند

( ٨٧/٢، ١٢٥، ح: ٥٥٩٣، ٦٠٧٣ )، وابن حبان في الإحسان في تقريب الصحيح ( ح:

٤٣٥٨ )، والحاكم في المستدرک ( ١٨/١، ٢٩٧/٤ )، وصححه الحاكم، ووقفه الذهبي،

وصححه أيضا العلامة الألباني في الإرواء ( ح: ٢٥٦١ )، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح:

٢٠٤٢ )، وقال محقق الإحسان: إسناده صحيح على شرط مسلم.



حبان))<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله أن رتبة الحلف بغير الله فوق رتبة كبائر الذنوب، وإن كان هناك من يدعى أنه مكروه فيقول: (( وقد قصّر ما شاء أن يقصّر مَنْ قال: إن ذلك مكروه<sup>(٢)</sup>، وصاحب<sup>(٣)</sup> الشرع يجعله شركا، فرتبته فوق رتبة الكبائر ))<sup>(٤)</sup>.

قلتُ: والجمع بين كون الحلف بغير الله شركا وبين قول ابن القيم أنه من الكبائر: أن الحلف بغير الله من الشرك الأصغر ومرتكبه لم يخرج به من الملة، والشرك الأصغر من كبائر الذنوب، والله تعالى أعلم.

(١) الجواب الكافي (ص ١٩٨).

(٢) قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ: (( ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه، فإنّ هذا قول باطل، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم، ولهذا اختار ابن مسعود ﷺ أن يحلف بالله كاذبا، ولا يحلف بغيره صادقا، فهذا يدل على أنّ الحلف بغير الله أكبر من الكذب، مع أنّ الكذب من المحرمات في جميع الملل، فدل ذلك أنّ الحلف بغير الله من أكبر المحرمات )) . تيسير العزيز الحميد (ص ٥٩٠).

(٣) أي الرسول ﷺ.

(٤) أعلام الموقعين ( ٣٧٨/٤ )، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص ٥٨٩-٥٩٤) فقد فصل الكلام في ذلك.

المسألة السادسة:

﴿ الفِسْقُ ﴾

[ مفهوم الفسق ]

الْفِسْقُ: مَنْ فَسَقَ يَفْسُقُ وَيَفْسُقُ فِسْقًا وَفُسُوقًا، وَهُوَ الْعَصِيانُ وَالْتِرَافُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَعِجَابُهُ،  
وَالخُرُوجُ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ.

وقيل: الْفُسُوقُ الخُرُوجُ عَنِ الدِّينِ، وَكَذَلِكَ الْمَيْلُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ كَمَا فَسَقَ إِبْلِيسُ عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿... فَفَسَقَ عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ...﴾<sup>(١)</sup> أَي جَارَ وَمَالَ عَنِ طَاعَتِهِ.  
قال الشاعر:

\*فواسقا عن أمره جوائز\*

وَرَجُلٌ فَاسِقٌ وَفَسِيقٌ وَفُسُوقٌ: دَائِمٌ لِلْفِسْقِ، وَيُقَالُ فِي النِّدَاءِ: يَا فُسَقُ، وَيَا حُبْتُ، وَوَلِلْأَنْثَى: يَا فَسَاقِ، مِثْلَ قَطَامٍ، يَرِيدُ يَا أَيُّهَا الْفَاسِقُ وَيَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ، وَهُوَ مَعْرِفَةٌ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَا فُسَقُ الْحَبِيبُ، فَيَنْعَتُونَهُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ.  
وفسقه: نسبة إلى الفسق، والفواسق من النساء: الفواجر<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون الفسوق شركا ويكون إذا كما سيبينه ابن القيم رحمه الله، ووجه إيراده هنا أن في اجتنابه والابتعاد عنه تحقيقا للتوحيد.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأما الفسوق فهو في كتاب الله نوعان: مفرد مطلق، ومقرون بالعصيان.

والمفرد نوعان أيضا:

- فسوق كفر، يخرج عن الإسلام.

- فسوق لا يخرج عن الإسلام.

فالمقرون كقوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَمَرِّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الكهف، من آية: ٥٠.

(٢) لسان العرب بتصرف ( مادة: فسق، ٣٠٨/١٠ ).

(٣) سورة الحجرات، من آية: ٧.

- والمفرد - الذي هو فسوق كافر - كقوله تعالى: ﴿... يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ تَنَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ...﴾ (١) الآية، وقوله ﷺ: ﴿... وَتَقْدَأُنزَكْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (٢)، وقوله: ﴿... وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا...﴾ (٣)، فهذا كله فسوق كافر.

وأما الفسوق، الذي لا يخرج عن الإسلام فكقوله تعالى: ﴿... وَإِنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ...﴾ (٤)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾ (٥) الآية، فإن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط (٦) لما بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الواقعة مصدقاً.

وكان بينه وبينهم عدلوة في الجاهلية، فلما سمع القوم بمقدمه تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحذثه الشيطان: أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع عن الطريق إلى رسول الله ﷺ،

(١) سورة البقرة، من الآيتين: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٩.

(٣) سورة السجدة، من آية: ٢٠.

(٤) سورة البقرة، من آية: ٢٨٢.

(٥) تكملة الآية: ﴿... فَتَيَبُّوا أَنْ تَبِيحُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، سورة الحجرات، آية: ٦.

(٦) الوليد بن عقبة بن أبي معيط (أبان) بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي، أبو وهب الأموي، وله صحبة، أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كرز، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق من خزاعة، وولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، ثم عزله عنها ومات بالرقعة. انظر ترجمته في تهذيب الكمال للمزي (٥٣/٣١).

فقال: إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك، فخرجنا نلتقاه ونكرمه، ونودى إليه ما قبلنا من حق الله، فبدا له في الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> خفية في عسكر، وأمره أن يخفى عليهم قومه، وقال له: انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد، ووافاهم، فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم، ولم ير منهم إلا الطاعة والخير.

فرجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ

بِنَبَأٍ قَاتِنُوا...﴾ الآية<sup>(٢)</sup>.

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، وقائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان من الهجرة، ثم سار غازياً، فشهد غزوة مؤتة، وسماه النبي ﷺ سيف الله، وشهد الفتح وحنينا، وتأمّر في أيام النبي ﷺ، وحارب أهل الردة ومسيلمة الكذاب، وغزا العراق، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلاّ عليه طابع الشهداء، ومات على فراشه بجمص سنة إحدى وعشرين للهجرة وأرضاه. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٢٥٢/٤)، وأسد الغابة (١٠٩/٢)، والإصابة (٧٠/٣).

(٢) سبب نزول الآية: أورده ابن جرير الطبري في التفسير (٣٨٤/١١)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٤٥٠-٤٥١)، والبلغوي في معالم التنزيل (٣٣٨/٧-٣٣٩)، والقرطبي في التفسير (٣١١/١٦)، وابن كثير في التفسير (٢٢٤/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٨٨/٦)، ورواه أحمد بمعناه في المسند (٢٧٩/٤).

- وقال ابن كثير: ((وقد ذكر كثير من المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن

والنبا: هو الخير الغائب عن المخير إذا كان له شأن.

والتبين: طلب بيان حقيقته والإحاطة بها علما.

وهاهنا فائدة لطيف: وهي أنه سبحانه لم يأمر ببرد خير الفاسق وتكذيبه ورد شهادته جملة، وإنما أمر بالتبين.

فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخرج به من أخرج.

فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته.

وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم، بل كثير منهم يتحرى الصدق غاية التحري، وفسقه من جهات أخر، فمثل هذا لا يرد خبره ولا شهادته.

ولو ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة، ولا سيما من فسقه من جهة الاعتقاد والرأي، وهو متحر للصدق، فهذا لا يرد خبره ولا شهادته<sup>(١)</sup>.

وأما من فسقه من جهة الكذب، فإن كثر منه وتكرر، بحيث يغلب كذبه على صدقه، فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته.

وإن ندر منه مرة ومرتين، ففي رد شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد رحمه الله.

والمقصود: ذكر الفسوق الذي لا يخرج إلى الكفر.

والفسوق الذي تجب التوبة منه أعم من الفسوق الذي ترد به الرواية والشهادة.

وكلامنا الآن فيما تجب التوبة منه، وهو قسمان:

أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده (( تفسير ابن كثير ( ٢٢٣/٤ ) .

- وقال الهيثمي: (( رواه أحمد والطبراني، إلا أنه قال الحرث بن سرار يدل ضرار، ورجال أحمد

ثقات )) . مجمع الزوائد ( ١٠٩/٧ ) .

(١) انظر تفصيل كلام ابن القيم رحمه الله بهذا الخصوص في كتابه أعلام الموقعين ( ١٠٨/١ ) ،

٣١٩-٣٢٠، ١٧٣/٤، ١٩٤ .

فسق من جهة العمل.

وفسق من جهة الاعتقاد.

ففسق العمل نوعان: مقرون بالعصيان، ومفرد.

فالمقرون بالعصيان: هو ارتكاب ما نهى الله عنه، والعصيان هو عصيان أمره، كما قال

الله تعالى: ﴿... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>، وقال موسى لأخيه هارون عليهما

السلام: ﴿... مَا مَنَعَكَ إِذْ مَرَّ بِتُهْمٍ ضُلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

أمرتك أمرا جازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

فالفسق: أخص بارتكاب النهي، ولهذا يطلق عليه كثيرا، كقوله تعالى: ﴿... وَإِنْ تَعَلَّوْا

فإنه فسوقٌ لكم...﴾<sup>(٣)</sup>، والمعصية: أخص بمخالفة الأمر كما تقدم.

ويطلق أكل منهما على صاحبه، كقوله تعالى: ﴿... إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ

أَمْرِ رَبِّهِ...﴾<sup>(٤)</sup> فسمي مخالفته للأمر فسقا، وقال: ﴿... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾<sup>(٥)</sup>،

فسمي ارتكابه للنهي معصية، فهذا عند الأفراد، فإذا اقترنا كان أحدهما<sup>(٦)</sup> لمخالفة الأمر،  
والآخر<sup>(٧)</sup> لمخالفة النهي.

والتقوى: اتقاء مجموع الأمرين، وبتحقيقها تصح التوبة من الفسوق والعصيان، بأن يعمل

(١) سورة التحريم، من آية: ٦.

(٢) سورة طه، آيتان: ٩٢، ٩٣.

(٣) سورة البقرة، من آية: ٢٨٢.

(٤) سورة الكهف، من آية: ٥٠.

(٥) سورة طه، من آية: ١٢١.

(٦) أي الفسق.

(٧) أي المعصية.

العبد بطاعة الله على نور من الله، يرجو ثواب الله، ويترك معصية الله على نور من الله، يخاف عقاب الله.

### [ فسق الاعتقاد ]

وفسق الاعتقاد: كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ويحرمون ما حرم الله، ويوجبون ما أوجب الله.

ولكن ينفون كثيرا مما أثبت الله ورسوله، جهلا وتأويلا، وتقليدا للشيوخ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله كذلك.

وهؤلاء كالخوارج المارقة، وكثير من الروافض، والقدرية، والمعتزلة، وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التحمهم.

وأما غالية الجهمية فكغلاة الرافضة، ليس للطائفتين في الإسلام نصيب، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وقالوا: هم مباينون للملة.

### [ توبة من كان فسقه فسقا اعتقاديا ]

... فالتوبة من هذا الفسوق: بإثبات ما أثبت الله لنفسه ورسوله، من غير تشبيه ولا تمثيل، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه ونزهه عنه رسول، من غير تحريف ولا تعطيل، وتلقى النفس والإثبات من مشكاة الوحي، لا من آراء الرجال ونتائج أفكارهم التي هي منشأ البدعة والضلالة.

### [ شروط توبة الفاسق ]

فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة: بمحض اتباع السنة ولا يكفي منهم بذلك أيضا حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة.

إذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده، ولهذا شرط الله تعالى في توبة الكائمين ما أنزل الله من البينات والهدى: البيان.

لأن ذنبهم لما كان بالكتمان، كانت توبتهم منه بالبيان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ



وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾

وذنوب المبتدع فوق ذنوب الكاتم، لأن ذاك كتم الحق، وهذا كتمه ودعا إلى خلافه، فكل

مبتدع كاتم ولا ينعكس (٢).

(١) سورة البقرة، آيتان: ١٥٩، ١٦٠.

(٢) مدارج السالكين ( ٣٨٩/١ - ٣٩٤ ).

# الفصل الثالث:

﴿ سد الذرائع المؤدية إلى الشرك ﴾

الذرائع: جمع ذريعة، وهي الوسيلة، وقد تذرع فلان بذريعة، أي توسّل<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل.

فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتجريمه، وتثبيتاً له، ومنعا أن يقرب حماه.

ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتجريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك؛ فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعدوّ متناقضا، والحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده.

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء، منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه، وإلا فسد عليهم ما يرون إصلاحه.

فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها، علم أن الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بآن حرمها ونهى عنها.

والذريعة: ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء.

ولابد من تحرير هذا الموضوع قبل تقريره ليزول الالتباس فيه فنقول:

حكم الوسائل المفضية إلى المقاصد:

الفعل أو القول المفضي إلى المفسدة قسمان:

أحدهما: أن يكون وضعه للإفضاء إليها كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر، وكالقذف المفضي إلى مفسدة الفيرية، والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش، ونحو ذلك؛ فهذه أفعال وأقوال وضعت مفضية لهذه المفسدات، وليس لها ظاهر غيرها.

(١) لسان العرب بتصرف (٩٦/٨).

**والثاني:** أن تكون موضوعة للإفضاء إلى أمر جائز أو مستحب، فيتخذ وسيلة إلى المحرم، إما بقصده أو بغير قصد منه.

**فالأول:** كمن يعقد النكاح قاصداً به التحليل، أو يعقد البيع قاصداً به الربا، أو يخالغ قاصداً به الخنث<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك.

**والثاني:** كمن يصلي تطوعاً بغير سبب في أوقات النهي، أو يسب أرباب المشركين بين أظهرهم، أو يصلي بين يدي القبر لله، ونحو ذلك.

ثم هذا القسم من الذرائع نوعان:

**أحدهما:** أن تكون مصلحة الفعل أرجح من مفسدته.

**والثاني:** أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته.

فها هنا أربعة أقسام:

**الأول:** وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة.

**الثاني:** وسيلة موضوعة للمباح قصد بها التوصل إلى المفسدة.

**الثالث:** وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوصل إلى المفسدة لكنها مفضية إليها غالباً، ومفسدتها أرجح من مصلحتها.

**الرابع:** وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضى إلى المفسدة، ومصلحتها أرجح من مفسدتها.

فمثال القسم الأول والثاني قد تقدم.

**ومثال الثالث:** الصلاة في أوقات النهي، ومسبة آلهة المشركين بين ظهرانيهم، وتزين المتوفى عنها في زمن عدتها، وأمثال ذلك.

**ومثال الرابع:** النظر إلى المخطوبة والمستامة والمشهود عليها ومن يطؤها ويعاملها، وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي، وكلمة الحق عند ذى سلطان جائر، ونحو ذلك؛ فالشريعة جاءت بإباحة هذا القسم، أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجاته في المصلحة.

وجاءت بالمنع من القسم الأول كراهة أو تحريماً بحسب درجاته في المفسدة.

بقي النظر في القسمين الوسط: هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما؟<sup>(٢)</sup>.

(١) الخنث: الإثم، والخلف في اليمين، والميل من باطل إلى حق، وعكسه. (القاموس المحيط، مادة: الخنث، ص ٢١٥).

(٢) أعلام الموقعين (٣/١٢١-١٢٢)، وانظر إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (١/٣٥٤-٣٦٨).

- قلت: بالنسبة للنظر في القسمين الوسط: فإنه سيأتي بيانهما في المباحث التالية تحت هذا الفصل إن شاء الله.

المبحث الأول:

﴿ النهى عن بناء المساجد على القبور ﴾

بناء المساجد على القبور مما يسبب اتخاذ هذه القبور أوثانا تُعبد، فنهى الشارع عن ذلك لأن كثيراً من الأمم أوقعوا فيه إما في الشرك الأكبر حيث يدعون الموتى عند قبورهم، أو فيما دونه من الشرك كمن يشد<sup>(١)</sup> الرحال إلى القبر.

قال ابن القيم رحمه الله: (( قال شيخنا<sup>(٢)</sup>: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك. فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسمة للكواكب ونحو ذلك.

فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر.

ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها، والدعاء ما لا يرجون في المساجد.

فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها، لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ، وإن لم يقصد المصلى ما قصده المشركون، سدا للذريعة<sup>(٣)</sup>.

قال<sup>(٤)</sup>: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى.

فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد.

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك:

الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي

(١) أي يتهدأ للسفر.

(٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ( ٣٢١/١ ).

(٤) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

عليه الصلاة والسلام بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه.

فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة.

وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم، إحسانا للنظر بالعلماء، وأن لا يُظن أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله، والنهي عنه. ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك))<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة وعبد الله بن عباس قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها، فقال: ((وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، يحذر ما صنعوا. متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: ((قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية مسلم: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٣/٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٢/٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٣٧)، ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٢/٥)، وأحمد في المسند (٣٩٦/٢، ح: ٩١٤٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ١٣٣٠)، ومسلم في صحيحه (بشرح النووي، ١٢/٥).

فقد نهى عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق<sup>(١)</sup> من فعل ذلك من أهل الكتاب، ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: (( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ))، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً. متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وقولها: (( خشى )) هو بضم الخاء تعليلاً لمنع إبراز قبره.

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (( إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد ))<sup>(٣)</sup>.

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: (( لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ))<sup>(٤)</sup> رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عباس قال: (( لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ))، رواه الإمام أحمد وأهل السنن<sup>(٥)</sup>.

(١) السياق: نزع الروح. لسان العرب ( مادة: سوي، ١٠/١٦٧ ).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ج: ١٣٣٠ )، ومسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٥/١٢ ).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ج: ٧٠٦٧ )، وأحمد في المسند (١/٤٠٥).

(٤) أورده البخاري في صحيحه معلقاً ( مع شرحه فتح الباري، ٨ - كتاب الصلاة، ٤٨ - باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ ١/٦٢٤ )، وأحمد في المسند ( ٢/٣٦٦، ج: ٨٧٨٨ )، وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) رواه أحمد في المسند ( ١/٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ج: ٢٠٣٠، ٢٦٠٣، ٢٩٨٤ )، والترمذي في

السنن ( ج: ٣٢٠ )، وابن ماجه في السنن ( ج: ١٥٧٥ )، والنسائي في السنن ( ٤/٧٧ ).

- وقال محقق المسند: حسن لغیره، وأما العلامة الألباني فقد ضعفه بهذا السياق التمام في سلسلة الأحاديث الضعيفة ( ج: ٢٢٥ ).

- وانظر كلام ابن القيم رحمه الله في تهذيب سنن أبي داود ( مختصر المنذري، ٤/٣٤٨ )، فقد



وفي صحيح البخاري: (( أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال: القبر، القبر ))<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور، وفعل أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه، فإنه لعله لم يره، أو لم يعلم أنه قبر، أو ذهل<sup>(٢)</sup> عنه، فلما نبيه عمر رضي الله عنه تنبه.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ))<sup>(٣)</sup>، رواه الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة، وصححه أبو حاتم بن حبان. وأبلغ من هذا: أنه نهى عن الصلاة إلى القبر، فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة. فروى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها ))<sup>(٤)</sup>.

[ إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة في المقابر لأجل النجاسة<sup>(٥)</sup> ]  
وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو باطل من عدة أوجه:  
منها: أن الأحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة، كما يقوله المعلقون بالنجاسة.

ذكر فيه أقوال العلماء في حكم زيارة النساء للمقابر.

- (١) أورده البخاري في صحيحه معلقاً ( مع شرحه فتح الباري، ١/٦٢٤ ).  
(٢) الذهل: تركك الشيء تناساه على عمدٍ، أو يشغلك عنه شغل. لسان العرب ( مادة: ذهل، ٢٥٩/١١ ).  
(٣) رواه أبو داود في السنن ( ح: ٤٩٢ )، والترمذي في السنن ( ح: ٣١٧ )، وابن ماجه في السنن ( ح: ٧٤٥ )، وأحمد في المسند ( ٨٣/٣، ح: ١١٧٨٨ ).  
- وقال محقق المسند: حديث صحيح.  
- وصححه أيضاً العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي ( ح: ٢٦٢-٣١٧ ).  
(٤) رواه مسلم في صحيحه ( بشرح النووي، ٣٨/٧ ).  
(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ( ١٢١/٢٧ ).

ومنها: أنه ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة.

فإن ذلك لا يختص بقبور الأنبياء، ولأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، وليس للنجاسة عليها طريق البتة، فإن الله حرم على الأرض أن تاكل أجسادهم<sup>(١)</sup>، فهم في قبورهم طريون. ومنها: أنه نهى عن الصلاة إليها.

ومنها: أنه أخبر أن الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام، ولو كان ذلك لأجل النجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر ونحوها أولى من ذكر القبور.

ومنها: أن موضع مسجده ﷺ كان مقبرة للمشركين، فنبش قبورهم وسواها واتخذها مسجداً.

ولم ينقل ذلك التراب، بل سوى الأرض ومهدها، وصلى فيه، كما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، فنزل بأعلى المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملاء بني النجار، فجاءوا متقلدي السيوف، وكأني أنظر إلى النبي ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه، وملاء بني النجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب، وكان يجب أن يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، وأنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملاء بني النجار، فقال: (( يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا ))، قالوا: لا والله، ما نطلب ثمنه إلا إلى الله، فكان فيه ما أقول لكم: قبور المشركين، وفيه خرب، وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر، وهم يرتجزون. وذكر الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) يشير إلى قوله ﷺ: (( إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء ))، رواه أبو داود في السنن (ح: ١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي في السنن (٣/٧٥)، وابن ماجه في السنن (ح: ١٠٨٥)، وأحمد في المسند (٨/٤).

- وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح: ٩٢٥-١٠٤٧).

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٤٢٨)، ومسلم في

ومنها: أن فتنة الشرك بالصلاة في القبور ومشابهة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر<sup>(١)</sup>.

فإذا نهى عن ذلك سدا لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلي، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى واستغاثتهم، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أنّ الصلاة عند قبورهم أفضل منها في المساجد، وغير ذلك، مما هو محادة ظاهرة لله ورسوله، فأين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة؟  
ومما يدل على أن النبي ﷺ قصد منع هذه الأمة من الفتنة بالقبور كما افتتن بها قوم نوح ومن بعدهم.

ومنها: أنه لعن المتخذين عليها المساجد، ولو كان ذلك لأجل النجاسة لأمكن أن يتخذ عليها المسجد مع تطيينها بطين طاهر، فتزول اللعنة، وهو باطل قطعاً.

ومنها: أنه قرن في اللعن بين متخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها، فهما في اللعنة قرينان، وفي ارتكاب الكبيرة صنوان، فإن كل ما لعن رسول الله ﷺ فهو من الكبائر. ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها، وجعلها نصباً يُوفى إليه المشركين، كما هو الواقع، فهكذا اتخذ المساجد عليها.

ولهذا قرن بينهما، فإن اتخذ المساجد عليها تعظيم لها، وتعريض للفتنة بها، ولهذا حكى الله سبحانه وتعالى عن المتغلبين على أمر أصحاب الكهف أنهم قالوا: ﴿... لَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

صحيحه ( بشرح النووي، ٦/٥ ).

(١) يشير إلى حديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نهى عن بيعتين وعن لبستين وعن صلاتين

نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس . رواه

البخاري في صحيحه ( مع شرحه فتح الباري، ح: ٥٨٤ ).

(٢) سورة الكهف، من آية: ٢١ .

ومنها: أنه ﷺ قال: (( اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ))<sup>(١)</sup>، فذكره ذلك عقيب قوله: (( اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد )) تنبيه منه على سبب لحقوق اللعن لهم، وهو توصلهم بذلك إلى أن تصير أوثانا تعبد. وبالجملة: فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغته: صيغة (( لا تفعلوا )) وصيغة (( إني أنهاكم )) ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهى، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لجمي التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه.

فأبى المشركون إلا معصية لأمره وإرتكاباً لنهيه، وغرهم الشيطان، فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً، وأشد فيهم غلواً، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد.

ولعمرك الله، من هذا الباب بعينه دخل على عباد يعقوت ويعوق وتسير، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة.

فجمع المشركون بين الغلو فيهم، واللطع في طريقهم، وهدى الله أهل التوحيد لسلك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها: من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم.

فأما المشركون فعصوا أمرهم، وتنقصوهم في صورة التعظيم لهم، قال الشافعي: (( أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً، مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس )).

ومن علل بالشرك ومشابهة اليهود والنصارى: الأثرم<sup>(٢)</sup> في كتاب ناسخ الحديث

(١) رواه الإمام مالك: في الموطأ (١/١٤٣)، والإمام أحمد في المسند (٢/٢٤٦، ج: ٧٣٥٨).

- وقال محقق المسند: إسناده قوي.

(٢) هو أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي، الطائي، الأثرم، أبو بكر، محدث، فقيه، صاحب أحمد بن

ومنسوخه<sup>(١)</sup>، فقال - بعد أن ذكر حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال: (( جعلت لي الأرض مسجداً إلا المقبرة والحمام ))<sup>(٢)</sup>، وحديث زيد بن جبير عن داوود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر: أن النبي ﷺ (( نهى عن الصلاة في سبع مواطن... )) وذكر منها: المقبرة<sup>(٣)</sup> - قال الأثرم: إنما كرهت الصلاة في المقبرة للتشبه بأهل الكتاب، لأنهم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ))<sup>(٤)</sup>.

---

حنبل، له من الكتب: السنن في الفقه على مذهب أحمد، وشواهد من الحديث والتاريخ، والعلل، والناسخ والمنسوخ في الحديث، توفي رحمه الله في عام ٢٩٦ هـ. انظر تاريخ بغداد ( ١١٠/٥ )، والبداية والنهاية ( ١١٥/١١ ).

(١) الكتاب مخطوط كما أشار إليه خير الدين الزركلي في الأعلام ( ٢٠٥/١ ).

(٢) تقدم تجزيته.

(٣) رواه الترمذي في السنن ( ح: ٣٤٦ )، وابن ماجه في السنن ( ح: ٧٤٦ )، وضعفه العلامة

الألباني في الإرواء ( ح: ٢٨٧ )، وفي ضعيف سنن الترمذي ( ح: ٥٣-٣٤٦ ).

(٤) إغاثة اللهفان ( ١٩١/١-١٩٦ ).

المبحث الثاني:

﴿ الغلو في تعظيم المخلوقين ﴾

[ مفهوم الغلو ]

الغلو: من غَلَا يَغْلُو غُلُوًّا: جاوز حده.

وقيل: غَلَوْتَ فِي الْأَمْرِ غُلُوًّا وَغَلَانِيَةً وَغَلَانِيًا - زادوا فيه النون - إذا جاوزت فيه الحدَّ وَأَفْرَطْتَ فِيهِ، قال الشاعر:

وذو الشَّنِّءِ فاشناه وذو الودِّ فاجزه

علي وده، وازدّد عليه الغلانيا

وفي الحديث: (( إياكم والغلو في الدين ))<sup>(١)</sup> أي التشدد فيه ومجاوزه الحد.

وقيل: معناه: البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متبعياتها<sup>(٢)</sup>.

لذلك قال ابن القيم رحمه الله: (( قال النبي ﷺ: )) هلك المتطعون هلك

المتطعون<sup>(٣)</sup>، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء<sup>(٤)</sup>.

ثم ذكر رحمه الله أن من أسباب الشرك وعبادة الأصنام الغلو في المخلوق، فقال: (( ومن أسباب عبادة الأصنام: الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل في<sup>(٥)</sup> حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم، الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسله، وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله.

فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيره مثلاً له ونداً له وشبهاً له، لا أن يشبهه هو بغيره،

(١) رواه النسائي في السنن (٢١٨/٥)، وابن ماجه في السنن (ح: ٣٠٢٩)، وأحمد في المسند

(٢١٥/١، ح: ١٨٥١)، والحاكم في المستدرک (٤٦٦/١).

- وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

- وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

- وصححه أيضاً العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ١٢٨٣).

(٢) انظر لسان العرب (مادة: غلا، ١٣٢/١٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٧-٢٦٧٠).

(٤) الصواعق المرسله (٤/١٢٧١).

(٥) هكذا في الأصل، والصواب: له.

إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم.

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الآلهة إلهاً واحداً وقالوا: ﴿... وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ...﴾<sup>(١)</sup> وصرحوا بأنه إله معبود، يرجى ويخاف ويعظم ويسجد له، ويحلف باسمه، وتقرب له القرابين، إلى غير ذلك من خصائص العبادة، التي لا تنبغي إلا لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

والرسول ﷺ نهى أمته عن الغلو فيه، وإطرائه كما أطرت النصارى ابن مريم عليها السلام فقال: (( لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله ))<sup>(٣)</sup>.

فذكر ابن القيم رحمه الله أن للنصارى يظنون أن الرسول ﷺ يأمرهم بعبادته كما يعبدوا عيسى بن مريم فقال رحمه الله: (( عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران، وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً<sup>(٤)</sup>، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

(١) تكلمة الكلام قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴾، سورة ص، آيات: ٤٤، ٥٠، ٦٠، ٧٠.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/٥٨٨).

(٣) انظر مدارج السالكين (١/١١٦).

- والحديث رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٣٤٤٥).

(٤) الأثر أورده ابن هشام في السيرة النبوية (٢/٢٠١-٢٠٢)، وابن جرير الطبري في التفسير

(٣/٣٠٣)، وابن كثير في التفسير (١/٣٨٠).



تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ  
حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ قُلْ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

فقال رجل من الأخبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟  
وقال رجل من نصارى مجران: أو ذلك تريد يا محمد، وإليه تدعوننا؟  
فقال رسول الله ﷺ: (( معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني  
ولا أمرني )) (١).

فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ  
يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِنِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ  
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ  
بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢)، ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق  
بتصديقه، وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ... ﴾ إلى قوله:  
﴿ ... مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣) (( (٤) )) (٥).

(١) سورة آل عمران، آيات: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨.

(٢) الحديث أورده ابن هشام في السيرة النبوية (٢/٢٠٢)، والطبري في التفسير (٣/٣٢٣)، وابن  
كثير في التفسير (١/٣٨١).

(٣) سورة آل عمران، آيات: ٧٩، ٨٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٨١.

ثم قال رحمه الله: (( إنَّ من عَظَم مخلوقاً فوق منزلته التي يستحقها بحيث أخرجته عن منزلة العبودية المحضة فقد أشرك بالله، وعبد مع الله غيره، وذلك مخالف لجميع دعوة الرسل ))<sup>(١)</sup>.

[ إطلاق السيد على البشر ]

وأما إطلاق السيد على البشر في الحديث الذي روى عن عبد الله بن الشيخير<sup>(٢)</sup> قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (( السيد الله تبارك وتعالى ))، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمتنا طولاً، فقال: (( قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان ))<sup>(٣)</sup>.

فقد ذكر ابن القيم رحمه الله الخلاف في ذلك حيث قال: (( اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر:

فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بأنه ﷺ لما قيل له: يا سيدنا، قال: (( إنما السيد الله ))<sup>(٤)</sup>.

وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأَنْصار: (( قوموا إلى سيدكم ))<sup>(٥)</sup>، وهذا أصح من

(٥) زاد المعاد (٣/٦٣٠-٦٣١).

(١) زاد المعاد (٣/٦٤٢).

(٢) عبد الله بن الشيخير بن عوف بن كعب بن وقتان بن الحريش - واسمه معاوية - ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثم الكعبي، ثم من بني الحريش، له صحبة، سكن البصرة، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه بنوه: مطرف وهانئ ويزيد، وروى له جماعة سوى البخاري. انظر طبقات ابن سعد (٧/٣٤)، أسد الغابة لابن الأثير (٣/٢٧٤)، تهذيب الكمال للمزي (١٥/٨١).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/٢٤-٢٥)، وأبو داود في السنن (ح: ٤٨٠٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٢٤٨، ح: ٢٤٥).

- وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير (ح: ٤٤١٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٢٦٢)، ومسلم في صحيحه (ح:

٦٤-١٧٦٨).

الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال لتميمي أنه سيد كندة، ولا يقال لمالك<sup>(١)</sup> أنه سيد البشر.

قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى: فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق.. والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أي: خازن النار، وهو من الملائكة.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ( ١٧٩/٣ )، وانظر تيسير العزيز الحميد ( ص ٢٢١-٢٣٦، ٢٠٥-٣٠٥-

المبحث الثالث:

﴿ النهى عن الإنحناء وعلته ﴾

[ مفهوم الإنحناء ]

الإنحناء: الفعل اللازم، وكذلك التَّحَنَّى وانحنى الشيء: انعطف، وَانْحَنَى العُودُ وَتَحَنَّى: انعطف<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: (( وإذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذه وليجئاً وليطبّق بين كَفْيَيْهِ ))<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: (( وليجئاً: هو بفتح الياء وإسكان الجيم آخره مهموز، هكذا ضبطناه، وكذا هو في أصول بلادنا، ومعناه: ينعطف، وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: روى ((وليجئاً)) كما ذكرناه، وروى (( وليجن )) بالخاء المهملة، قال: وهذا رواية أكثر شيوخنا، وكلاهما صحيح، ومعناه: الإنحناء والإنعطاف في الركوع، قال: ورواه بعض شيوخنا بضم النون، وهو صحيح في المعنى أيضاً، يقال: حنيتُ العودَ، وحنوتُهُ إذا عَطَفْتُهُ، وأصل الركوع في اللغة: الخضوع والذل، وسُمِّي الركوع الشرعي ركوعاً لِمَا فيه من صورة الذل والخضوع والاستسلام ))<sup>(٣)</sup> ١هـ.

واعلم أن الإنحناء عند التّجية سجود، وقد نهى النبي ﷺ الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة، بل يبالغون إلى أقصى حد الإنحناء مبالغة في خلاف السنة جهلاً، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه ثم يرفع رأسه من الركوع، كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات؛ أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، فقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة، والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدا لذريعة الشرك<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( وأشرف العبودية عبودية الصلاة، وقد تقاسمها الشيوخ،

(١) لسان العرب ( مادة: حنا، ٢٠٢/١٤ ).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ( ح: ٢٦-٥٣٤ ).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٦٦/٥-١٧ )، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير

( مادة: حنا، ٤٥٣/١ )، ولسان العرب ( مادة: حنا، ٢٠٢/١٤ ).

(٤) انظر أعلام الموقعين لابن القيم ( ٣/١٤٠ ).

والمتشبهون بالعلماء والجبائرة، فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها، وهو السجود، وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع.

فإذا لقي بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلي لربه سواء، وأخذ الجبائرة منهم القيام، فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم وهم جلوس.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه الأمور الثلاثة على التفصيل، فتعاطبها مخالفة صريحة له، فنهى عن السجود لغير الله، وقال: (( لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ))<sup>(١)</sup>.

وأبكر على معاذ لما سجد له، وقال: (( مه ))<sup>(٢)</sup>، وتحريم هذا معلوم من دينه بالضرورة. وتجويز من حوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله، وهو من أبلغ أنواع العبودية، فإذا حوز هذا المشرك هذا النوع للبشر، فقد حوز العبودية لغير الله، وقد صح أنه قيل له: الرجل يلقي أخاه أينحني له؟ قال: (( لا ))، قيل: أيلزمه ويقبله؟ قال: (( لا ))، قيل: أيسافحه؟ قال: (( نعم ))<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ح: ٤١٥٠).

- وحسن إسناده العلامة الألباني في إرواء الغليل (٥٤/٧)، وانظر الجواب الكافي (ص ١٩٨).

(٢) والحديث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: (( ما هذا يا معاذ! )) قال: أتيت الشام فوافقتهم بسجودهم لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن تفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: (( فلا تفعلوا فإني لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها )).

- رواه ابن ماجه في السنن (ح: ١٨٥٣)، وأحمد في المسند (٣٨١/٤).

- وقال العلامة الألباني: (( وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير القاسم هذا وهو ابن عوف الشيباني الكوفي، وهو صليق يغرب كما في التقريب، وروى له مسلم فرد حديث ))، إرواء الغليل (٥٦/٧)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (ح: ١٥٠٣-١٨٥٣).

(٣) رواه الترمذي في السنن (ح: ٢٧٢٨)، وابن ماجه في السنن (ح: ٣٧٠٢)، وأحمد في المسند (١٩٨/٣، ح: ١٣٠٤٤).

- وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وأیضا: فالإنحناء عند التحية سجود، ومنه قوله تعالى: ﴿... وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سُجَّدًا...﴾<sup>(١)</sup> أي منحنين، وإلا فلا يمكن الدخول على الجباه.

وصح عنه النهي عن القيام، وهو جالس، كما تعظم الأعاجم بعضها بعضا<sup>(٢)</sup>، حتى منع من ذلك في الصلاة، وأمرهم إذا صلى جالسا أن يصلوا جلوسا<sup>(٣)</sup>، وهم أصحاب لا عذر لهم لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس، مع أن قيامهم لله، فكيف إذا كان القيام تعظيما وعبودية لغيره سبحانه<sup>(٤)</sup>.

أما المعانقة فهي من سنن المصطفى ﷺ حيث يعانق أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين إذا قدموا إليه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (( قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي فَأَتَاهُ فَفَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُرْيَانًا يَجْرُ ثَوْبُهُ وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ ))<sup>(٥)</sup>.

- وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح: ١٦٠).

(١) سورة البقرة، من آية: ٥٨.

(٢) يشير إلى ما روى عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متكئا عنى عصا فقمنا إليه فقال: (( لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا )).

- رواه أبو داود في السنن (ح: ٥٢٣٠)، وابن ماجه في السنن (ح: ٣٨٣٦).

- وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير (ح: ٧٣٨٠).

(٣) وذلك لما روي عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: صلى رسول الله ﷺ في بيته وهو شاك فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما، فأشار إليهم أن اجلسوا، فلما انصرف، قال: (( إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا )).

- رواه البخاري في صحيحه (مع شرحه فتح الباري، ح: ٦٨٨)، ومسلم في صحيحه (ح: ٤١٢-٨٢)، واللفظ للبخاري.

(٤) زاد المعاد (٤/١٦٠-١٦١).

(٥) رواه الترمذي في السنن، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المعانقة والقبلة، وقال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

المبحث الرابع:

﴿ المنع من التشريك في اللفظ وعلته ﴾



إنّ التشريك في اللفظ منهي عنه، كقول القائل: ما شاء الله وشئت، وأتوب إلى الله وإليك وغيرهما من الألفاظ سدا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ، وحسما لمادة الشرك حتى في اللفظ.

قال ابن القيم رحمه الله: (( أنه ﷺ قال: (( لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ))<sup>(١)</sup>، وذم الخطيب الذي قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى<sup>(٢)</sup>، سدا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ، وحسما لمادة الشرك حتى في اللفظ. ولهذا قال للذي قال له: ما شاء الله وشئت (( أجعلني له ندا؟ ))<sup>(٣)</sup>، فحسم مادة الشرك، وسد الذريعة إليه في اللفظ كما سدها في الفعل والقصد، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها وأعمها ))<sup>(٤)</sup>.

ثم قال رحمه الله: (( وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ﴿ لِمَنْ شَاءَ ﴾

(١) رواه أحمد في المسند ( ٧٢/٥ ، ٣٩٣ )، وابن ماجه في السنن ( ح : ٢١١٨ )، والدارمي في السنن ( ح : ٢٥٩٩ ) .

- وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح : ١٣٧ ) .

(٢) يشير إلى ما روي عن عدي بن حاتم أن رجلا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: (( بنس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله )) . رواه مسلم في صحيحه ( ح : ٤٨ - ٨٧٠ ) .

(٣) يشير إلى ما روي عن ابن عباس: أن رجلا قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت، فقال: (( جعلني لله عدلا بل ما شاء الله وحده )) .

- أخرجه أحمد في المسند ( ٢٨٣/١ ، ح : ٢٥٦١ )، والبخاري في الأدب المفرد ( ح : ٧٨٣ )، وأبو نعيم في الحلية ( ٩٩/٤ )، والخطيب البغدادي في التاريخ ( ١٠٥/٨ ) .

- وقال محقق المسند: حسن لغيره .

- وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ح : ١٣٩ ) .

(٤) أعلام الموقعين ( ٣/١٣٠ - ١٣١ ) .

مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿١﴾، فكيف من يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض.  
ويقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذرا لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله ولفلانا، ونحو ذلك؟

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش؟ يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله ندا لله بها، فهذه قد جعل من لا يدلني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه ندا لرب العالمين ((١)).

(١) سورة التكوير، آية: ٢٨.

(٢) الجواب الكافي (ص ١٩٩)، وانظر الروح لابن القيم (ص ٣٨٩)، وتيسير العزيز الحميد

المبحث الخامس:

﴿ النهى عن سب آلهة المشركين ﴾

السب: الشتم، وهو مصدر سَبَّهَ يَسْبُهه سَبًّا: شتمه، وأصله من ذلك<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: (( وفي حديث أبي هريرة: (( لا تمشين أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له ))<sup>(٢)</sup>، أي لا تعرضه للسب وتجره إليه، بأن تسب أبا غيرك فیسب أباك، مجازاة لك، وقد جاء مفسرا في الحديث الآخر: (( إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه ))، قيل: وكيف يسب والديه؟ قال: (( يسب أبا الرجل فيسب أباه وأمه ))<sup>(٣)</sup>.

ينهى الله للمؤمنين عن أمر كان جائزا بل مشروعاً في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها.

ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم، عن كل عيب وآفة وسب وقدح نهى الله عن سب آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على سب الله سبحانه، وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه، فيكون سب المؤمنين لأهنتهم المهينة الحقيرة خريفة لسب الله الجليل العظيم<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (( قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ ﴾

(١) لسان العرب ( مادة: سبب، ٤٥٥/١ ).

(٢) أورده الطبراني في المعجم الأوسط ( ٩٣/٥، ح: ٤١٧١ )، والهيتمي في مجمع الزوائد ( ١٣٧/٨ )، والسيوطي في در المنثور ( ١٧١/٤ ).

- وقال الهيتمي: رواه الطبراني في الأوسط، وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو ليق، وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثق، ومحمد بن عمرو بن البرند لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ( مادة: سبب، ٣٣٠/٢ ).

- والحديث رواه مسلم في صحيحه ( ح: ١٤٦-٩٠ )، وأحمد في المسند ( ١٩٥/٢، ح:

٦٨٤٠ ).

(٤) انظر تفسير السعدي ( ٤٥٣/٢ ).

## عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ... ﴿١﴾

فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين - مع كون السب غيظا وحمية لله وإهانة لأهلهم -  
لكونهم ذريعة إلى سبهم. الله تعالى ﴿٢﴾.

وكانت مصلحة ترك مسيئته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لأهلهم، وهذا كالتبنيه بل  
كالتصريح على المنع من الجائر لئلا يكون سيئا في فعل ما لا يجوز ﴿٣﴾.

(١) وتام الآية: ﴿...كَذَلِكَ نُرِيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾، سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) وأما سب نزول هذه الآية: عن السندي قال: لما حضر أبا طالب الموت، قالت قريش: انطلقوا بنا

فلندخل على هذه الرجل، فلتأمره أن يتبني عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول

العرب: (( كان يمنعه فلما مات قتلوه ))، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث، وأميمة

وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البخري، وبعثوا رجلا منهم

يقال له: (( المطلب ))، قالوا: استأذن على أبي طالب! فأبى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك

يريدون الدخول عليك! فأذن لهم، فدخلوا عليه، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، وإن حمدا

قد آذانا وآذى أهلكنا، فنحب أن تدعوه فتنهأه عن ذكر أهلكنا، ولدنعه وإسهه! فدعاه، فحاء نبي الله

ﷺ فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك! قال رسول الله ﷺ: (( ما تريدون؟ )) قالوا: نريد

أن تدعنا وأهلكنا، وتدعك وإهلك! قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك، فاقبل منهم! فقال النبي

ﷺ: (( أرايتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم

العجم، وأدت لكم الخراج؟ ))، قال أبو جهل: نعم وأبيك، ننعطينكها وعشر أمتناها، فما هي؟ قال:

(( قولوا: لا إله إلا الله ))! فأبوا واشمأزوا، قال أبو طالب: يا ابن أخي، قل غيرها، فإن قومك قد

فرعوا منها! قال: (( يا عم، ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوني بالشمس فيضعوها في يدي، ولو

أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها! )) إرادة أن يؤيسهم، فغضبوا وقالوا: لتكفن عن

شتمك أهلكنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك، فذلك قوله: ﴿ فَيَسُبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. أورده

الطبري في التفسير ( ٣٠٤/٣-٣٠٥ )، وابن كثير في التفسير ( ١٦٩/٢-١٧٠ ).

(٣) أعلام الموقعين ( ١٢٢/٣-١٢٣ )، وانظر إغاثة اللهفان ( ٣٥٤/١ ).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين النبي الأمي الأمين  
وعلي آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فبعد معايشة طويلة مع العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى من خلال كتبه التي اطلعتُ  
عليها أثناء البحث عن جهوده رحمه الله في توضيح توحيد العبادة أبين في هذه الخاتمة أهم ما  
توصلت إليه من النتائج من هذا البحث:

١. إن هذا البحث هو في موضوع توحيد العبادة مفردا من كتب ابن القيم رحمه الله تعالى.
٢. التوافق العظيم من العلامة ابن القيم التلميذ للعلامة شيخ الإسلام ابن تيمية الشيخ رحمهما  
الله تعالى في علمهما العظيم فيما تناولاه من البحوث العظيمة في بيان منهج السلف  
وعقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، واستفادة طلاب العلم من علمهما في هذا المجال منذ  
حياتهما وإلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة بإذن الله.
٣. إنّ الحالة السياسية في زمن ابن القيم رحمه الله غير مستقرة.
٤. إنّ الحالة الاجتماعية كالحالة السياسية غير مستقرة أيضا في ذلك الوقت فكان الناس في  
غاية الفقر.
٥. ومن حيث الحالة العلمية كانت الروح الدينية لدى السلاطين والماليك والشعب عامة  
مرتفعة، وكثرت المنشآت الدينية كالمساجد والمدارس والأربطة وحلقات العلم والكتب  
الدينية التي صدرت آنذاك وظهر من مشاهير العلماء كثير جدا كالعز بن عبد السلام  
والنووي وابن تيمية وابن جماعة والمزي وابن قدامة المقدسي والذهبي وابن القيم وابن كثير  
وغيرهم من علماء السنة، ومن غيرهم كثيرون جدا.
٦. إن توحيد العبادة هو دين كل الرسل عليهم السلام.
٧. حاجة الناس إلي بعثة الرسل عليهم السلام وضرورتها أعظم من حاجتهم إلى نور  
الشمس، وأعظم من حاجتهم إلى الماء والهواء الذي لا حياة لهم بدونه، وحيث أنّ هذه  
الحاجة قد ختمت برسالة نبينا محمد ﷺ وبعثته فإنّ الناس بحاجة إلى التمسك والأخذ بما بعث  
به محمد ﷺ والاستمرار على ذلك لسد تلك الضرورة الملحة والحاجة الماسة للبشرية إليها.

٨. قد أخطأ من زَعَمَ أَنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثوا لإثبات الخالق، بل بعثوا بما هو أهم من ذلك وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

٩. إنَّ المعرفة والإقرار بالصانع فقط مع الإعراض عن توحيد الإلهية لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي قبل ذلك بتوحيد الإلهية.

١٠. إنَّ علم التوحيد أشرف العلوم على الإطلاق.

١١. إنَّ طاعة الله لا تكون إلا بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً، وطاعة الرسول ﷺ لا تكون إلا بتحقيق أنَّ محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة.

١٢. كلمة (( لا إله إلا الله )) لها ركنان: النفي والإثبات، ولا بد من تحققهما للشهادة.

١٣. إنَّ محبة الله ﷻ شرط من شروط شهادة أن لا إله إلا الله، وأن هذه المحبة لا تتم إلا بمحبة ما يحبه الله وكره ما يكرهه الله، ولا سبيل إلى معرفة ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا بامتثال ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما عنه نهى، فتكون محبته تعالى مقتضية لمحبة ﷻ وتصديقه ومتابعته.

١٤. إنَّ الرسول ﷺ هو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق لأنَّ نسبه من الشرف أعلى ذروة.

١٥. لا يصير الكافر مسلماً بمجرد الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة.

١٦. إن طالب الهدى من غير القرآن والسنة الصحيحة قد شهد الله ورسوله له بالضلال.

١٧. لا يمكن بل يستحيل الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع إنكار نبوة محمد رسول الله ﷺ، بل يجب الإيمان بهم جميعاً على الإجمال والتفصيل.

١٨. توحيد الرسل عليهم السلام هو إثبات توحيد الله سبحانه وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره وأنه علا حقيقة وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه.

١٩. أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك.

٢٠. سُمي الدين توحيداً لأنَّ فيه أفراد الله بتوحيده ولأنَّه دين جميع الأنبياء والرسل عليهم



الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم، وليس لله دين سواه.

٢١. إن منزلة الخوف والرجاء في العبادة كمنزلة الجناحين في نفس الطائر إذ لا يمكن أن يطير بدونهما.

٢٢. التوحيد قسمان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة.

٢٣. اختلف العلماء في تأصيل الفرق المذكورة في حديث: (( وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين .. )) إلى عدة أقوال، وذكر ابن القيم رحمه الله أن أصول هذه الفرق خمس: الفلاسفة والإتحادية والجهمية والقدرية والخيرية، ولعل كلام ابن القيم رحمه الله هو الأشمل والأولى في التأصيل إذ أن الفرق المتحددة في كل عصر ومصر ترجع في أفكارها ومبادئها إلى أصل من هذه الأصول التي ذكرها ابن القيم.

٢٤. وردت نصوص قرآنية ترهن على وحدانية الله تعالى في العبادة، وأنه لا معبود بحق سواه، وإثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلي، وإثبات البعثة والرسالة والنبوة، وإثبات يوم الآخر وطرق إثبات علمه ﷺ.

٢٥. الناس بتوحيد الربوبية قسمان: مقرر به، وجاحد له.

٢٦. أقسام الناس بالنسبة لتوحيد الإلهية أربعة: أهل العبادة والاستعانة به، والمعرضون عن العبادة والاستعانة به، ومن له نوع عبادة بلا استعانة، ومن شهد تفرد الله بالنفع والضرر ويستدل بهما على الرضى والغضب أي من كان منعمًا في هذه الحياة الدنيوية فهو دليل على محبة الله له ورضاه عنه، ومن كان متضررًا بانسائها فيها فهو دليل على كره الله له وسخطه إياه.

٢٧. العبادة لا تقبل من فاعلها إلا إذا توفرت فيها شرطان أصليان عظيمان: الإخلاص للمعبود، ومتابعة الرسول ﷺ.

٢٨. الناس في توحيد العبادة منقسمون إلى أربعة أقسام: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، ومن لا إخلاص له ولا متابعة، ومن هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر، ومن أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله.

٢٩. الحقوق ثلاثة أنواع: نوع خاص لله ﷻ وهو العبادة، ونوع يختص به الرسول ﷺ وهو تعزيره وتوقيره وإجلاله واحترامه، ونوع مشترك بين الله ﷻ وبين رسوله ﷺ وهو المحبة والإيمان والتصديق والطاعة.

٣٠. إن رأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق.

٣١. العبادة إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

٣٢. عتبة العبودية هي الذلة والكسرة.

٣٣. العبادة واجبة على كل عبد مكلف إلى الموت، ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه.

٣٤. العبودية لله ﷻ على عبده أمر أمره به وقضاء يقضيه عليه ونعمة ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة.

٣٥. السكينة عند القيام بوظائف العبودية هي التي تورث الخشوع والخشوع وغض الطرف وجمعية القلب على الله تعالى بحيث يؤدي عبوديته بقلبه وبدنه.

٣٦. العلم بأسماء الله الحسنی وصفاته العلى مقتضية لآثارها من العبودية، والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها يعني من موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها.

٣٧. العبادة لا تتحقق إلا بتوقير أصلين عظيمين هما: المحبة والخشوع والتذلل.

٣٨. قواعد العبودية أربعة: قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وأعمال الجوارح، والعبادة اسم جامع لهذه المراتب الأربع.

٣٩. للعبودية مراتب بحسب العلم والعمل، فالعلمية مرتبتان: العلم به سبحانه والعلم بدينه وهو مرتبتان أيضاً: دينه الأمري الشرعي ودينه الجزائي، والراتب العملية مرتبتان: مرتبة لأصحاب اليمين، ومرتبة للسابقين المقربين.

٤٠. العبودية قسمان: عامة وخاصة، فالعامة لجميع الخلق، والخاصة لأهل طاعته ومحبته واتباع الأوامر واجتناب النواهي، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته عبيد إلهيته.

٤١. إنَّ لرسول الله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات: الشفاعة الكبرى فيشفع في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، والشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلوها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

٤٢. الشفاعة لها ثلاثة أصول: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضي من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ﷺ.

٤٣. توكل العبد على ربّه: تفويضه إياه وعزل نفسه عن التصرف والربوبية وقيامها بالعبودية، وهذا معنى كون الرب وكيل عبده أي كافيته والقائم بأمره ومصالحه لأنه نائبه في التصرف.

٤٤. التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبيّ ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

٤٥. أجمع القوم أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

٤٦. أنواع المحبة أربعة: محبة الله، ومحبة ما يحب الله، والمحبة لله وفيه، والمحبة مع الله، والثلاثة الأولى مشروعة وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشركية.

٤٧. الخوف والرجاء من لوازم الإيمان وموجباته، ولا يصح الإيمان إلا بهما، ومنشأ الخوف من ثلاثة أمور: معرفته بالجناية وقبحها، وتصديق الوعيد، وأن الله رتب على المعصية عقوبتها وأنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب ذنباً.

٤٨. الكفر نوعان: الأكبر وهو الموجب للخلود في النار، والأصغر وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

٤٩. المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل والطاعة.

٥٠. الكفر الأكبر خمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

٥١. رؤساء الكفر وأئمتهم ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الإيمان وعن الدخول في

دينه رغبة ورهبة عذابهم مضاعف: عذاب بالكفر وعذاب بصد الناس عن الدخول في الإيمان.

٥٢. غلظ الكفر الموجب لغلظ العذاب يكون من ثلاثة أوجه: من حيث العقيدة الكافرة في نفسها، ومن حيث العناد والضلال عمدا على بصيرة، ومن حيث السعي في إطفاء نور الله وصد عباده عن دينه، فهؤلاء أشد الكفار عذابا بحسب تغلظ كفرهم، ومنهم من يجتمع في حقه الجهات الثلاث، ومنهم من يكون فيه جهتان أو واحدة.

٥٣. اتفقت الأمة على أنّ طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم وأمتهم.

٥٤. أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة.

٥٥. الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، والشرك الأوّل نوعان: شرك تعطيل وشرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسماءه وربوبيته وصفاته، وشرك في عبادته ومعاملته نوعان: أكبر وأصغر.

٥٦. القول الصحيح في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا

آتَاهُمَا﴾<sup>(١)</sup> الشركون من أولاد آدم وحواء، وأنهما - أي آدم وحواء - بريتان من الشرك.

٥٧. لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنهما شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة.

٥٨. ثبت أنّ النبي ﷺ سحر ولا يتنافى مع عصمته، وبطلان شبهة أهل الكلام أنّ النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر.

٥٩. حد الساحر ضربة بالسيف.

(١) سورة الأعراف، من آية: ١٩٠.

٦٠. علم النجوم المنهي عنه ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، ويزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيراً في السفليات وأنها تنصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله به لا يعلم الغيب أحد سواه.

٦١. الزيارة الشركية للقبور هي اتخاذها أوثاناً تعبد، أو اتخاذها عيدا.

٦٢. اتفقت الأئمة الأربعة أنه من زار قبر النبي ﷺ أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء ويجعل القبر من ورائه حتى لا يتجه إلى القبر الشريف بالدعاء فإن الدعاء عبادة.

٦٣. من نواقض الإسلام سؤال المخلوقين ما لا يقدرون عليه كالتوبة للشيخ وطلب الحوائج من الموتى.

٦٤. أصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب ﷻ في خلق السماوات والأرض، وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتأهوها.

٦٥. الزنادقة والمنافقون: هم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله، وهؤلاء هم في الدرك الأسفل من النار.

٦٦. إن استعمال ((لَوْ)) عند المصيبة لا يجدي عليه سوى الحزن والتحسر ويتنافى مع كمال التوحيد.

٦٧. الإخلاص شرط من شرطي قبول الأعمال، وضده الرياء.

٦٨. التشاؤم والطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولا ألقى إليها باله ولا شغل بها نفسه وفكره.

٦٩. حلق الرأس لغير الله بدعة وشرك كما يحلقها المريدون لشييوخهم، وهذا بمنزلة أن يقول: سجدت لفلان، فإن حلق الرأس خضوع وعبودية وذل.

٧٠. ومن الشرك به ﷻ الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره، فرتبته فوق رتبة الكبائر.

٧١. الفسق من جهتين: جهة العمل، وجهة الاعتقاد، ففسق العمل نوعان: مقرون بالعصيان ومفرد، ويطلق كل منهما على صاحبه فإذا اقترنا كان أحدهما لمخالفة الأمر والآخر لمخالفة النهي، وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين ينفون كثيرا مما أثبت الله ورسوله جهلا وتأويلا وتقليدا للشيوخ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله كذلك، وهؤلاء كالخوارج المارقة وكثير من الروافض والقدرية والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التحهم.

٧٢. الذرائع المؤدية إلى الشرك كبناء المساجد على القبور، والغلو في تعظيم المخلوقين، والانحناء، والتشريك في اللفظ، وسب آلهة المشركين أمور محرمة لا يجوز فعلها. هذا وباللّٰه التوفيق والسداد.

# الفهارس

- |     |                            |
|-----|----------------------------|
| ٥٧٦ | ● ثبت المصادر والمراجع     |
| ٥٩١ | ● فهرس الآيات القرآنية     |
| ٦٠٥ | ● فهرس الأحاديث النبوية    |
| ٦١٦ | ● فهرس الآثار              |
| ٦٢٣ | ● فهرس القوافي             |
| ٦٢٦ | ● فهرس الأعلام المترجم لهم |
| ٦٣٥ | ● فهرس الفرق والأديان      |
| ٦٣٦ | ● فهرس الموضوعات           |

## ثبت المصادر والمراجع

- الإبانة عن أصول الدين، لأبي الحسن الأشعري، تقديم الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- اتحاف السادة المتقين، شرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، دار الفكر.
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، تحقيق عواد عبد الله المعتق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة الرشد بالرياض، المملكة العربية السعودية.
- الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب الإحياء لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٨-٧٧١هـ) حققه محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان (ت ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أحكام أهل الذمة، لابن القيم، تحقيق أبي البراء يوسف بن أحمد البكري، وأبي أحمد شاکر بن توفيق العاروري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، رمادي للنشر، الدمام، المملكة العربية السعودية.
- إحياء علوم الدين لمحمد بن أبي حامد الغزالي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الخير، بيروت، دمشق.
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، لعلي بن يوسف القفطي، دارى لآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الأدب المفرد للبخاري، راجعه محمد هشام البرهاني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق أسعد نميم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- إرشاد المسلمين في الرد على القبورين، لمحمد بن ناصر بن عثمان المعمر، ١٣٩٣هـ، مؤسسة النور للطباعة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف محمد زهير الشاويش، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- أسباب النزول، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير (٥٥٥-٦٣٠هـ) تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب.
- إشارات المرام من عبارات الإمام، لكمال الدين أحمد البيضاوي، تحقيق يوسف عبد الرزاق، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ، طعة الحلبي.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق د/ طه محمد الزيني، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، مكتبة كليات الأزهرية، القاهرة.



- إعتقادات فرق المسلمين والمشركون لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ( ٥٤٤-٦٠٦هـ ) شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الأولى.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، بضبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، لابن القيم، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الحديث، القاهرة.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، توزيع مكتبة الرشد، الرياض.
- ابن القيم حياته وآثاره، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الهلال للأوفست، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، لعبد الله محمد جار النبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر الطيب الباقلائي، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، للشيخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي ( ٥١٣-٥٧٧هـ )، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، مطبعة السعادة، مصر.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، منشورات مكتبة المثني، بغداد.
- الإيمان لأبي عبيد القاسم، تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، من كنوز السنة ( ضمن الرسائل الأربع )، دار النور للطباعة والنشر والتوزيع، دار الأرقم، الكويت.
- البابية، لإحسان إلهي ظهير، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.
- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دمشق، بيروت.
- بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق معروف مصطفى زريق وجماعته، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، توزيع دار الخاني، الرياض.
- البداية ونهاية، لابن كثير، تحقيق د/ محمد أبو ملحس وجماعته، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- البدر الطالع بحاسن من بعد القرن التاسع، للشوكانبي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي ( ت ٦٨٣هـ )، تحقيق د/بسام علي سلامة العموشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مكتبة المنار، الأردن.

- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلل والأتحد، لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق د/ موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية.
- البناء في شرح الهداية لأبي محمد محمود العيني، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- تاريخ أدب اللغة العربية، جورجى زيدان، ١٣٣٢هـ، القاهرة.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العربي، بيروت لبنان.
- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، دار القلم، بيروت لبنان.
- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ)، تحقيق ودراسة محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت لبنان.
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، بقلم محمد ناصر الدين الألباني ( بدون تاريخ ومكان طبع ).
- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( ٨٤١ - ٩١١هـ )، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي.
- تذكرة الموضوعات، لمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني ( ت ٩٨٦هـ )، الناشر أمين دمج، بيروت.
- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للصنعاني، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٧٥م.
- التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير البغوي المسمى: (( معالم التنزيل )) لأبي الحسين بن مسعود البغوي الفراء ( ت ٥١٦هـ )، تحقيق محمد عبد الله النمر وغيره، ١٤١١هـ، دار الطيبة، الرياض.
- تفسير السعدي المسمى: (( تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ))، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، حققه محمد زهري النجار، ١٤١٠هـ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ( ت ٣١٠هـ )، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير ( ٧٠٠-٧٧٤هـ ) تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا وزملائه، دار قهرمان للنشر والتوزيع، استنبول.

- تفسير القرطبي المسمى: (الجامع الأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي.
- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- تليس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق السيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- تلخيص الخبير في أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، المدينة المنورة.
- تمييز الطيب من الخيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، للعلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي الأثري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- تهافت التهافت، لابن رشد، تحقيق د/ سليمان دنيا، الطبعة الثالثة، دار المعارف.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (٦٥٤-٧٤٢هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- تهذيب مختصر سنن أبي داود للمنذري، تأليف ابن القيم رحمه الله، طبع بتحقيق محمد حامد الفقي.
- التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق د/ فتح الله خليف، دار الشروق، بيروت لبنان.
- التوسل - أنواعه - وأحكامه، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، بيروت.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
- الجامع الأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تأليف الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد: ابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني وغيرها.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهرير بابن رجب (٧٣٦-٧٩٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الجامع الفريد، طبع على نفقة محمد إبراهيم النعمان، دار الأصفهاني للطباعة بجدة، المملكة العربية السعودية.
- الجامع في الحديث، لعبد الله بن وهب بن سلم القرشي (ت ١٩٧هـ)، تحقيق مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
- جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبن القيم، تحقيق محيي الدين مستو، الطبعة

الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.

- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الألويسي، تقديم السيد صبح المدني، ١٤٠١هـ، مطبعة المدني.
- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، تحقيق أبي حذيفة عبيد الله بن عالية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج، للإمام النووي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الحديث للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- درأ تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مكتبة ابن تيمية.
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن القاسم النجدي، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، مطبعة المدني، القاهرة.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت لبنان.
- ذكر أخبار إصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٩٣٤م، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل.
- الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي،
- ذكر أخبار إصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٩٣٤م، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة.
- ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفين للسنة والمبتدعين لعبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق د/ موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.
- ذيل العبر للنهي، انظر كتاب ( من ذبول العبر للنهي والحسيني ) تحقيق محمد رشاد عبد المطلب، راجعه صلاح الدين المنجد وعبد الستار أحمد فرج بإشراف لجنة فنية بوزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
- الذيل على طبقات الخنابلة، لابن رجب الحنبلي، ١٣٧٢هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- الرد على الجهمية، لأبي سعيد الدارمي، تحقيق زهير الشاويش، تحرير الألباني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغاني، تحقيق محمد أبو رية، تقديم صلاح الدين السلحوقي، دار الكرنك

للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة.

- رسائل في العقيدة في رسالة فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م مكتبة المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية.
- رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي (ت ٨٨٨هـ)، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الدار السلفية، الهند.
- الروافض وتفضيل زيارة قبر الحسين على حج بيت الله الحرام، لعبد المنعم السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، مكتبة ابن تيمية.
- الروح لابن القيم، تحقيق د/ السيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم، تحقيق د/ السيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، للعلامة ابن القيم رحمه الله، حققه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- الزهد للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد البسيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العربي.
- الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ)، حققه حبيب الرحمن الأعظمي، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، مطبعة علمي بريس، الهند.
- الزهد لهناد بن السري الكوفي (١٥٢ - ٢٤٣هـ)، حققه عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- ابن سبعين وفلسفته الصوفية، للدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفناراني، دار الكتاب اللبناني.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، دار القلم دمشق.
- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار الحديث، حمص سورية.
- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- السنن للدار قطني، ١٩٨٦م، عالم الكتب، بيروت لبنان.

- السنن، للإمام محمد إدريس الشافعي، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- السنن الكبرى للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت.
- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، الطبعة العاشرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وجماعته، دار القلم، بيروت لبنان.
- الشامل في أصول الدين، لأبي المعالي الجويني، تحقيق هلموت كلوغير، دار العربي، القاهرة.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، مكتبة وهبة، مصر.
- شرح أم البراهين، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
- شرح جوهرة التوحيد المسمى: (تحفة المرید)، لإبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح ديوان شعر علقمة بن عبدة الفحل، للأعلم الشتمري، قدم له حنا نصر الحتي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العربي، بيروت لبنان.
- شرح السنة، للإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي (عيسى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، ٦٣١-٦٧٦هـ)، راجعه خليل الميس، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت لبنان.
- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) حققه الدكتور عبد إله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- شرح العقيدة الواسطية، للدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس، راجعه عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثامنة، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- شرح قصيدة ابن القيم رحمه الله المسمى: بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
- شرح القصيدة النونية المسمى: (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية للإمام ابن القيم رحمه الله،

- شرحها د/ محمد خليل هراس، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ)، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
  - شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام، لتقي الدين الشبكي الشافعي (٦٨٣ - ٧٥٦هـ)، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
  - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحرير الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة.
  - الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للدكتور/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
  - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
  - صحيح الجامع الصغير، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، المكتب الإسلامي، بيروت.
  - صحيح سنن ابن ماجه، للعلامة ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
  - الصواعق المرسله على الجهمية المعطلة لابن القيم، تحقيق د/ علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
  - الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق الدكتور/ علي ناصر الفقيهي والدكتور/ أحمد عطية الغامدي، ١٤٠٧هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
  - ضعيف الجامع الصغير وزيادة للألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.
  - ضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، المكتب الإسلامي.
  - ضعيف سنن أبي داود، للعلامة ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
  - ضعيف سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي.
  - ضعيف سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، المكتب الإسلامي.
  - الضوء اللامع للسخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت.
  - الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت.
  - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم، تخريج زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ -

١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت.

- طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، تحقيق يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار ابن كثير، دمشق.
- طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، طبعت على نفقة محمد بن صالح بن سلطان، دار الوطن للنشر والإعلام.
- العبر في خير من غير، للحافظ الذهبي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العبودية، لابن تيمية، الطبعة السادسة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، تحقيق عصام الدين الصبايطي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار الحديث، القاهرة.
- عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليميني، تحقيق د. محمد عبد الله زربان الغامدي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- عقيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود، ١٤٠٨هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ)، تحقيق ارشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، دار الكتب الإسلامية، لاهور.
- عمل اليوم والليلة، للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق د/ فاروق حمادة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- عمل اليوم والليلة، لأبي بكر بن السني (ت ٣٦٤هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، دار الطباعة المحمدية، بالأزهر بالقاهرة.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، حققه بعض الأفاضل بأمر من وزارة المعارف السعودية، طبع على نفقة وزارة المعارف السعودية.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، الطبعة الأولى، الهند.
- الغنية في أصول الدين، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري (التولي الشافعي)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، ترقيم محمد فواد عبد الباقي، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ، دار المطبعة السلفية، القاهرة.



- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن ظاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الفروق اللغوية، لعبد الله بن سهل بن يحيى العسكري، ١٣٥٣هـ، مكتبة القدسي، القاهرة.
- فصوص الحكم لمحمد بن علي بن عربي، تحقيق د. أبو العلا عفيفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، مطبعة العلوم، لبنان.
- الفهرست، للتدريج أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، تحقيق رضا-تجدد.
- الفوائد لابن القيم، تحقيق محمد عثمان الخشت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- فيض التقدير شرح الجامع الصغير، تأليف محمد المدعو بعبد الرحمن المناوي (٩٥٢-١٠٣١هـ)، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة دار البيان، دمشق.
- القاموس المحيط لمحمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت لبنان.
- قصة الحضارة، ول ديورانت، مطابع الدجوى، القاهرة، على نفقة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
- قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة د/ فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعرفة، بيروت.
- قصص الأنبياء، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق د/ عبد الحسي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- القول السديد في مقاصد التوحيد للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ضمن كتاب التوحيد للعلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ)، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ، طبع من مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ابن القيم حياته وآثاره، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الهلال للأوفست، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، لعبد الله محمد جار النبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- الكبائر، لشمس الدين الذهبي، تحقيق د/ السيد الجميلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار ابن زيدون، بيروت، يطلب من دار الريان للتراث، القاهرة.
- كتابة البحث العلمي، لعبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية.
- كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ)، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، رتبته

- وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتب العربي.
- الكلم الطيب، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق العلامة ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
  - كنت قبوريا، لعبد المنعم الجداوي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، مطبعة المدني، القاهرة.
  - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) ضبطه بكري حَيّاني، وصححه صفوة السقا، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، مكتبة التراث الإسلامي، حلب سورية.
  - الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، الطبعة الثانية، المكتبة الأثرية.
  - كيف نفهم التوحيد، بقلم محمد باشميل، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
  - لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، كُتبه العلامة: عبد الله بن محمد الغنيمان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار لينة للنشر والتوزيع، مصر.
  - لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار صادر بيروت.
  - لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
  - متن القيصيدة النونية لابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم بجدة، المملكة العربية السعودية.
  - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة.
  - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ١٤١٢هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
  - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، لفخر الدين الرازي، تحقيق د/ حسين أتاي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، مكتبة دار التراث، القاهرة.
  - المحلى لابن حزم، المكتب التجاري، بيروت لبنان.
  - المحلى (القسم الأول) لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (٣٨٣-٤٥٦هـ)، حققه لجنة إحياء التراث العربي، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
  - المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار أحمد الهمداني، جمع الحسن بن أحمد بن متوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
  - مختار الصحاح، لأبي بكر بن عبد القادر الرازي، ١٩٨٩م، مكتبة لبنان، بيروت.
  - مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري، تحقيق الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
  - مختصر الصواعق المرسل على الجهمية والمعتلة، لمحمد الموصللي، تصحيح الناشر زكريا علي يوسف، مكتبة المتنبي، القاهرة.

- مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم رحمه الله، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المستدرک علی الصحیحین، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- المسند للإمام أحمد (١٦٤-٢٤١هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، دار المعارف، مصر.
- المسند للإمام أحمد (١٦٤-٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعته، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- المسند للإمام أحمد (١٦٤-٢٤١هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث، بيروت لبنان.
- مشكاة الأنوار، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ضمن مجموعة الكتب المسمى القصور العوالي)، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، مكتبة الجندي ودار الطباعة المحمدية بالأزهر بمصر.
- مشكاة المصابيح، للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، تحقيق العلامة الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، المكتب الإسلامي.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية، بومباي الهند.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، حققه كمال يوسف الخوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة لثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، حققه عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ، مكتبة الرشد الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- معارج القبول، للشيخ حافظ حكيم، طبعة المطبعة السلفية، القاهرة.
- معالم السنن، للخطابي (ت ٣٨٨هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، منشورات المكتبة العلمية، بيروت لبنان.
- المعجم الأوسط، للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمود الضحان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،

عالم الكتاب، بيروت.

- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ( ٢٦٠-٣٦٠هـ )، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار العربية للطباعة، بغداد.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار وغير للحافظ العراقي، هامش إحياء علوم الدين للغزالي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الخير، بيروت.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار أحمد الهمداني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
- المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، هجر للطباعة والنشر.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإدارة، لابن القيم رحمه الله، تحقيق علي بن حسين بن علي ابن عبد الحميد الحلبي الأثري، راجعه بكر أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار ابن عفان، الخير، المملكة العربية السعودية.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للعلامة محمد عبد الرحمن السخاوي ( ت ٩٠٢هـ )، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ( ٤٧٩-٥٤٨هـ )، تحقيق محمد سيد كيلاني، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- منازل السائرين إلى الحق عز شأنه، لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي ( ت ٤٨١هـ )، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

- المنتخب في مسند عبد بن حميد، لأبي محمد عبد بن حميد ( ت ٢٤٩ هـ )، تحقيق السيد صبحي البدي السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مكتبة السنة، القاهرة.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجزري، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، ١٩٧٦ م، مكتبة إيشق، إستانبول، تركيا.
- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- منهاج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ( ت ١٣٩٣ هـ )، ١٤٠١ هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، لجابر إدريس علي أمير، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- منهج ابن القيم في تقرير العقيدة، لآمل بنت عبد العزيز العمرو، لم تطبع، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لشيخ الإسلام ابن تيمية ( ت ٧٢٧ هـ )، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- المواقف في علم الكلام، لعبد الله بن أحمد الإيجي، دار عالم الكتب، بيروت.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الموطأ للإمام مالك، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ )، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر.
- نشر الطوابع، لساجفلي زاده، الطبعة الأولى، ١٣٤٢ هـ، مكتبة العلوم العصرية ومطبعتها، القاهرة.
- نصب الراية في تخریخ أحاديث الهداية، للزيلعي، ١٩٨٧ م، دار إحياء التراث العربي.
- نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدي والأشعرية في العقائد، لعبد الرحيم بن علي المشهور بالشيخ زاده، الطبعة الأولى، ١٣١٧ هـ، المطبعة الأدبية، القاهرة.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، حققه إحسان عباس، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، دار صادر، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن

- الأثير ( ٥٤٤-٦٠٦هـ )، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر.
- هداية الحيارى في أحوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية، القاهرة.
  - هدية العارفين، للبغدادي ( ت ١٣٣٩هـ )، ١٩٥١م، إستانبول، تركيا.
  - الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن قين الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مكتبة دار البيان، دمشق.
  - التراجيب المنتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، لمحمد سليمان التميمي، الطبعة الأولى، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
  - التوائى بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيمك الصفدي، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ، دار النشر فواترشتايز بغيبارون.
  - وفيات الأعيان لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، ١٣٩٧هـ، بيروت لبنان.

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٢٨٤ ، ٢٥٣ ، ٢٠٣ ، ٤٨	﴿ يَا أَيُّهَا الْعَبَدُ ﴾	٥	الفاحة
٢٥٣	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	"
٤٧٨	﴿ ضَرْبُكَ عَنِّي فَهَذَا بَاطِلٌ لِي وَجَنُونَ ﴾	١٨	القرة
٢٢٦ ، ١٦٠	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾	٢٣	"
١٦٣	﴿ فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾	٢٤	"
١٦٣	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٥	"
٥٢٧	﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾	٢٧-٢٦	"
٥٥٩	﴿ وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾	٥٨	"
٧٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾	٦٢	"
٣٣٩	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾	٨٩	"
٥٢٧	﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾	٩٩	"
٤٠٦ ، ٤٤٠ ، ٣٩٠	﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾	١٠٢	"
٥٤	﴿ وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾	١١١	"
٤٥٧	﴿ وَأَمْزِقْ أَفْهَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾	١٢٦	"
١١٦	﴿ مَرَّتَيْنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتُنَا أَتَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾	١٢٨	"
١١٦	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ﴾	١٣٢	"
١١٧	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾	١٣٣	"
٤٩	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾	١٣٥	"
٥٠	﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾	١٣٦	"
٥٠	﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِحِلِّ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ افْتَدَوْا ﴾	١٣٧	"
٥٠	﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾	١٤٠	"
٣٣٩	﴿ يَجْرِفُونَهُ كَمَا يَجْرِفُونَ أبنَاءَهُمْ ﴾	١٤٦	"
٣٢٧ ، ٣٠٧	﴿ وَتَلْبُوهُ كَذِبًا مِن العُوفِ وَالجُوعِ ﴾	١٥٥	"
٥٣١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ ﴾	١٦٠-١٥٩	"
٤٦٧ ، ٣٠٢ ، ٢٦٧ ، ٦٩	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أُندَادًا ﴾	١٦٥	"
٥٢١ ، ٤٧١			
٣٥٠	﴿ إِذِ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَمَآ أَوَّعْتَهُم ﴾	١٦٧-١٦٦	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٤٧٨	﴿ صَدُّكُمْ عَنِّي فَمَا لَمَيِّقُونَ ﴾	١٧١	البقرة
٣٠٧	﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مَوْسٍ جَنًّا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾	١٨٢	"
٤٦٣	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَمَلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ ﴾	١٨٩	"
٢٩٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٩٥	"
٣٨٥	﴿ فَضِدِّيَّةٍ مِّنْ صِيَارٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾	١٩٦	"
٣٢٠	﴿ ثُمَّ أَفْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾	١٩٩	"
٣٢٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَخَافُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٢١٨	"
٢٩٨، ٢٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ السَّاطِرِينَ ﴾	٢٢٢	"
٣٢٧	﴿ وَيَسِّرَ الْمُتَّقِينَ ﴾	٢٢٣	"
٢٦٦	﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾	٢٥٥	"
٣٦٥	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾	٢٥٨	"
٥٣٠، ٥٢٧	﴿ وَإِنْ تَعَلَّوْا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ﴾	٢٨٢	"
٣٢١	﴿ مَرَّيْنَا لَا تَرَئِي قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾	٨	آل عمران
١١٦، ٥١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَلْإِسْلَامِ ﴾	١٩	"
١٩٩	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾	٣١	"
١٩٩	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾	٣٢	"
١١٧	﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَصَابَ مِنْهُمُ إِلَى اللَّهِ ﴾	٥٢	"
١٣٤	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	"
٥٥٢	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾	٦٥	"
٦٨، ٥٠	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَكَانَ حَنِيفًا ﴾	٦٧	"
٥٠	﴿ وَاللَّهُ وَكِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٨	"
٢٩٨	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	٧٦	"
٥٥٣	﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَرْذِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْمُضْمَرُ وَالنُّبُوَّةُ ﴾	٧٩	"
٥٥٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ ﴾	٨١	"
١١٦	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	٨٥	"
٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾	١٠٢	"
٢٩٨	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣٤	"



## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٨٨	﴿ وَلَا تَهَيَّأُوا لِلْحَرْبِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	آل عمران
٢٩٨	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾	١٤٦	"
٢٩٨	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٤٨	"
٢٨٤	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	١٥٩	"
٢٨٥ ، ٢٧٢	﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾	١٧٣	"
٣١٢ ، ٣٠٥	﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾	١٧٥	"
٢١٨	﴿ وَإِنَّا تَوَفَّوْنَا أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	١٨٥	"
٢٠٢	﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاؤُا وَيُحِبُّونَ أَنْ يَحْدُوا بِمَالِهِمْ يَقُولُوا ﴾	١٨٨	"
٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾	١	النساء
١٥٦	﴿ فَإِنِ أَطَعْتُم كُفُرُوا فَلَئِنَّمَا عَلَىٰ سَبِيلِ ﴾	٣٤	"
١٩٨ ، ١٧٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾	٤٨	"
٤٨٤	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾	٦٣-٦٠	"
١٠٠ ، ٥٥٨	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا لِمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	"
٥١٠ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧	﴿ وَإِنْ تُصْنِئْ حَسَنَةً تَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾	٧٨	"
٢٨٤	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٨١	"
٢٦٨	﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾	٨٥	"
٣٠٨	﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾	١٠٤	"
٦٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾	١١٦	"
٣٣١	﴿ لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾	١٢٣	"
٣٠١	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾	١٢٥	"
٣٠٧	﴿ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا ﴾	١٢٨	"
٤٧٥	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَمْتَلِ مِنَ النَّارِ ﴾	١٤٥	"
٣٥١ ، ٥٥	﴿ مَرْصَلًا مُّشْرَبِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾	١٦٥	"
٢٢٥	﴿ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْبَشَرُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾	١٧٢	"
٢٦٨	﴿ وَمَعَاوَا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالْتِقَايِ ﴾	٢	المائدة
٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٣٨٥ ، ٩٩	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾	٣	"
٥٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾	١٨	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٢٨٣	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَرُونَ لَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	٢٣	المائدة
٤٩٨ ، ١٢١	﴿ إِنَّمَا يَقُولُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	"
١٥٦	﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾	٣٥	"
٣٣٦ ، ٣١٣	﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا ﴾	٤٤	"
٥١	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ فِرْعَوْنًا وَمِثْلًا لِمَنْ جَاءَ ﴾	٤٨	"
١٩٩	﴿ إِنَّهُ مِنْ بَشَرِكِ بِاللَّهِ فَذَرْنَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أُوذِيَ النَّارُ ﴾	٧٢	"
٤٣١	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾	١١٦	"
٢٦٧ ، ٢٦٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	١	الأنعام
١٢٩	﴿ قُلْ أَغْبِرُ اللَّهُ أَعْبُدُكُمْ وَكُنَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُؤْتِمْهُمْ وَلَا يَطْعَمُ ﴾	١٤	"
٣٢٢	﴿ وَإِنْ تَسْتَسْئَلِ اللَّهَ ضَرْفًا فَلَا يَكْشِفُ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾	١٧	"
٣٣٨	﴿ فَأَنَّهُ لَا يَكْذِبُونَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْعَدُونَ ﴾	٣٣	"
٤٥٧	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَخَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٤٤	"
٤٧٢	﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ أَنْ يُخَشِرُوا إِلَىٰ مَرْيَمَ لَيْسَ لَهُمْ ﴾	٥١	"
٢٧٣	﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَوْلًا فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِمُكَافِرِينَ ﴾	٨٩	"
٥٦٤	﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١٠٨	"
١٢٩	﴿ أَفَغْبِرُ اللَّهُ أَنْبِيَّ حَكِيمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾	١١٤	"
٣٥١	﴿ يَا مُشْرِكِي الْعَيْنِ وَالْأَنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ مَرْسَلٌ مِنْكُمْ ﴾	١٣٠	"
١٠٢	﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	"
٣٨٧ ، ٣٨٦	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾	١٦٣-١٦٢	"
١٢٩	﴿ قُلْ أَغْبِرُ اللَّهُ أَعْبُدُكُمْ وَمَا هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٦٤	"
١٠١	﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن مَّرْكَزٍ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾	٣	الأعراف
٤٦٨	﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَتَّبِعْكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾	٢٩-٢٧	"
٤٦٩	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾	٣٣	"
٣٤٩	﴿ مَرْتَبًا هَوْلًا أَصْلَحُوا فَأَمْرُهُمْ عَدَا بَا ضِعْفًا مِنَ النَّاسِ ﴾	٣٨	"
١٠٧ ، ١٠٤ ، ٤٨	﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	٥٩	"
١٠٧	﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	٦٥	"
١٠٨	﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	٧٣	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٤٠٢، ٣٩٠	﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْتَبْهُمُ ﴾	١١٦	الأعراف
٥٠٨، ٥٠٧	﴿ فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾	١٣١	"
٤٤١	﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾	١٣٨	"
٢٧٢	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾	١٨٩-١٩٠	"
٣٠٦	﴿ وَأَذْكُرْ بِرَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾	٢٠٥	"
١٠٨	﴿ اغْبِذُوا إِلَهًا مِمَّا لَكُمْ مِنْ آلِهَةٍ غَيْرَ ﴾	٨٥	"
٢٦١، ٢٢٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾	٢٠٦	"
٢٨٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	الأَنْفَال
٣١٥	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾	٢٤	"
٤٨٩	﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٤	"
٤٩٧	﴿ بَطَرًا وَمِرْيَاةً إِنَّ النَّاسَ لَبَاطِلُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٤٧	"
٨٨	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٤	"
٢١٣، ٨٧	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ ﴾	٢٤	التوبة
٩٥	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ مَرْثِيَةً آمُرَ بِمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾	٣١	"
٢٨٤	﴿ وَتَحَلَّى اللَّهُ فَكَيْتُ كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	٥١	"
٤٧٢	﴿ إِنَّ مَرَجَكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٣	يونس
١٦٥	﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذْرَأْتُمْ كَيْفَهُ ﴾	١٦	"
١١٦	﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ﴾	٧٢	"
١١٧	﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴾	٨٤	"
٢١٩	﴿ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوا مِنْكَ فَكُنْ لَهُمْ تَوْبًا إِلَيْهِ ﴾	٣	هود
٣٥٥	﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي لَبِي بَكْرٌ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾	٨٠	"
٣٤٣	﴿ مَدْرُ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْمِدْهُمُ النَّارَ ﴾	٩٨	"
٦٨	﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ أَكْثَرُ فَهُوَ بِاللَّهِ إِلا وَهُوَ مُشْرِكُكُمْ ﴾	١٠٦	يوسف
٦١، ٥٧	﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾	١٠٨	"
٢٦١	﴿ وَاللَّهُ سَنُحْدِمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوفَانًا وَكَرِهَاتًا ﴾	١٥	الرعد
٥٨	﴿ أَتَمَنَّ بَعْلَةً أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْعِقَابُ ﴾	١٩	"
٣٣٩، ١٨٣	﴿ أَفَبِ اللَّهِ شَكَّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٠	إبراهيم

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	آية	السورة
٢٨٤	﴿ وَمَا لَنَا لَا نُوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾	١٢	إبراهيم
٤٥٥	﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ شَرِّدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنِّي ﴾	٣٦-٣٥	"
٥١١	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾	٤٦	"
٣٩١	﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾	١٥	الحجر
٢٥٩	﴿ وَلَا تُغْوِبْهُمْ أَصْفِيَّتِي ﴾	٣٩	"
٢٥٩	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	٤٠	"
٢٥٩	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾	٤١	"
٢٥٩، ٢٢٨	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾	٤٢	"
٢٣٣	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْقَيْنُ ﴾	٩٩	"
٢١٨	﴿ الَّذِينَ أَحْسَبُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْبَهُ ﴾	٣٠	الحل
١٠٨، ١٠٤، ٤٤٨	﴿ وَقَدْ بَيَّنَّا فِي كِتَابِ الْأَمْثَلِ ﴾	٣٦	"
٢١٨	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾	٤١	"
٢٦١	﴿ وَلِلَّهِ سَجْدٌ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٩	"
٢١٣	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾	٥٠	"
١٣	﴿ وَمَا يَكْفُرُ مِنْهُمْ فَعِنَ اللَّهُ ﴾	٥٣	"
٣٤٣	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ نَدَابًا ﴾	٨٨	"
٢١٨	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٩٧	"
٢٢٨	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ حَكِيمٌ ﴾	٩٩	"
٤٦٩، ٢٢٨	﴿ إِنَّا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾	١٠٠	"
٢١٩، ٢١٨	﴿ وَمَا يَنَالُ فِي الدُّنْيَا حَسْبُهُ وَإِنَّ فِي الْآخِرَةِ لَإِنَّ الصَّالِحِينَ ﴾	١٢٢	"
٢٢٧	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَدِيِّ لَيْلٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾	١	الإسراء
٢٧٢	﴿ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ قَوْنِي وَكَيْلًا ﴾	٢	"
٥١٢، ٥٠٩	﴿ وَكَيْلَ إِنْسَانٍ أَلْمِزْتَهُ طَائِفَةٌ فِي عُنُقِهِ ﴾	١٣	"
٣٥١	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	"
٤٥٦	﴿ كَلَّا نَسُفُّهُ فَوْلًا وَفَوْلًا ﴾	٢٠	"
١٥٦، ١٥٤	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾	٤٢	"
٣٩٨، ٣٩٤	﴿ إِنَّ تَعْبُودَ إِلَّا مَرْجَلًا مَسْحُورًا ﴾	٤٧	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٤٠٠	﴿ انظُرْ كَيْفَ صَرَّوْا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾	٤٨	الإسراء
١٧٣	﴿ وَقَالُوا إِنِّدَا كُنَّا عِظَامًا وَمَرْفَاتًا إِنَّا لَنَبْعَثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾	٤٩	"
١٧٣	﴿ قُلْ كُونُوا حِجَابًا أَوْ حديدًا ﴾	٥٠	"
١٧٥ ، ١٧٣	﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِينًا ﴾	٥١	"
٣١١	﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ مَرَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾	٥٧-٥٦	"
٣٢٦ ، ١٥٥	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ مَرْهَبِهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾	٥٧	"
٣٩٩ ، ٣٩٤	﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾	١٠١	"
٣٩٩	﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنَ مَكْشُورًا ﴾	١٠٢	"
٢٢٦	﴿ الْعَهْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾	١	الكهف
٥٣٠ ، ٥٢٦ ، ٤٦٩	﴿ أَفَتَسْتَحْدِثُونَ وَدُرَّتْهُ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ دُونِهِ ﴾	٥٠	"
١٩٨	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾	١٠٣	"
١٩٨	﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	١٠٤	"
٣٦٨ ، ٣٢٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠١	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	١١٠	"
٤٩٨			
٢٦١	﴿ إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهَا آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَمُكِينًا ﴾	٥٨	مريم
٢٥٨	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا - إِنْ آتَىٰ الرَّحْمَنُ عِدًّا ﴾	٩٣-٨٨	"
٢٥٩	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَىٰ الرَّحْمَنِ عِدًّا ﴾	٩٣	"
٤٠٣ ، ٣٩٠	﴿ يُحِيلُ إِلَيْهِمْ سَبْعُ مِثْقَالٍ مِمَّا تَتَمَتَّعُونَ ﴾	٦٦	طه
٥٣٠	﴿ مَا تَتَمَتَّعُ إِذْ مَرَّ بِآيَاتِهِمْ ضَلُّوا (١٢) إِلَّا تَتَّبِعِ ﴾	٩٣-٩٢	"
٥٣٠	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	"
٥٥	﴿ وَلَوْ أَنَا أَفْلَكُنَا هُمْ مَدَابِقَ مِنْ قَلْبِهِ ﴾	١٣٤	"
٢٢٥	﴿ وَكَهْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾	١٩	الأنبياء
٢٢٥	﴿ يَسْتَجِيبُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾	٢٠	"
٢٥٣	﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾	٢٣	"
١٤٢ ، ١٠٤ ، ٤٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾	٢٥	"
٢٦٦	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ ﴾	٢٨	"
٣٨	﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴾	٤٨	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٣٧	﴿ وَكَوَدَّ وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَعْبَثُ إِفْكًا فِي الْمَدِينِ ﴾	٧٨	الأنبياء
٣١٣	﴿ إِنْهُمْ كَانُوا يُسَاءِرُونَ فِي الْغَيْبَاتِ وَيَدْعُونَنَا مَرْغَبًا وَرَهَبًا ﴾	٩٠	"
٣٢٤	﴿ وَكَفَىٰ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدًا ﴾	٢	الحج
٥٠٩	﴿ بِمَا قَدَّمْتَ يَا ذَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠	"
٢٦١	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾	١٨	"
٣٨٧، ٣٨٦	﴿ وَالَّذِينَ جَعَلْنَا مَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا ﴾	٣٧-٣٦	"
٥٠٠	﴿ لَنْ نَبَالَ اللَّهُ لِعُومَتِهَا وَلَا يَمَازُهَا وَكَفَىٰ بِنَاءِ الْعَمَلِ مَنَاسِكًا ﴾	٣٧	"
١٥٨	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾	٧٣	"
١٥٨	﴿ مَا قَدَّمُوا لِلْحَقِّ قَدْرًا وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٧٤	"
٣٣٩	﴿ أَتُؤْمِنُ بِبَشَرٍ مِّثْلًا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾	٤٧	المؤمنون
٤٨	﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْتَمِلُوا صَالِحًا ﴾	٥١	"
٤٨	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	٥٢	"
١٢١	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾	٦٠	"
١٦٣	﴿ أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾	٦٨	"
١٦٣	﴿ أَمْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَنَاسِكُهُمْ فَهُمْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾	٦٩	"
١٦٣	﴿ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةً بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم بِالْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾	٧٠	"
١٤٠، ٦٠	﴿ قُلْ لَنْ أَرْضَىٰ عَنْهَا وَلَنْ يَرْضَىٰ عَنْهَا آلُكُمْ وَلَنْ يَرْضَىٰ عَنْهَا آلُكُمْ ﴾	٨٤	"
٦٠	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾	٨٩	"
١٥٦، ١٥٥	﴿ وَلَمَّا بَعْثَهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	٩١	"
١٢٣	﴿ وَلَا تَقُلْ لِلَّهِ عِلْمٌ وَرَحْمَةٌ مَّا تَرَكَ كِتَابَكَ مِنْ أَحَدٍ أُنْبِيَاءَ ﴾	٢١	النور
٣٠٠	﴿ مَرِجَالًا لَا يَلْمِيزُ بَيْتًا كَرِيمًا وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾	٣٧	"
٤٨٧	﴿ بِحَسْبِ الظَّالِمِ مَاءٌ ﴾	٣٩	"
٤١١	﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ مَنًّا فَذَلِكَ مِنْ نُورِ اللَّهِ ﴾	٤٠	"
١٩٩، ٩٧	﴿ فَلْيَعْذِرِ الَّذِينَ يُعَافُونَ عَنْ أَسْرِهِمْ وَأَنْ يَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ ﴾	٦٣	"
٢٢٦	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾	١	الفرقان
٢٥٩، ٢٥٨	﴿ وَيَوْمَ يُخْشَعُونَ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾	١٧	"
٤٣١	﴿ وَيَوْمَ يُخْشَعُونَ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾	١٨-١٧	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٤٣١	﴿ فَعَدَّ كَذُوبَكُمْ مِمَّا تَقُولُونَ ﴾	١٩	الفرقان
٣٠٩	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ ﴾	٢١	"
٤٩٨	﴿ وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُمْ مِثَاءً مِّثُورًا ﴾	٢٣	"
٢٨٤	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾	٥٨	"
٢٥٩، ٢٢٥	﴿ وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَسَوَّوْنَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ ﴾	٦٣	"
٢٩٦	﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾	٦٥	"
٣٦١	﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢٣	الشعراء
٣٩٩	﴿ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ ﴾	٣٤	"
٣٢٦	﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾	٨٢	"
٥٢١، ٣٦٩، ٢٦٧، ٦٩	﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	٩٧	"
٥٢١، ٣٦٩، ٢٦٧، ٦٩	﴿ إِذْ نَسُوهُكُمْ بَرِّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩٨	"
٣٩٨، ٣٩٤	﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾	١٥٣	"
٣٩٤	﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾	١٨٥	"
٣٩٠	﴿ هَلْ أَتَىكَ عَلَىٰ مِنَ سَرَّكَ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) سَرَّكَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ ﴾	٢٢٣-٢٢١	"
٣٣٨	﴿ وَصَدَّوْا بِهَا وَأَسْتَقْبَتَهَا أَتْسُهُمْ ظُلْمًا وَعَدْلًا ﴾	١٤	النمل
١١٧	﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٤٤	"
٥١١	﴿ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلِ أَنَّهُ قُوَّةٌ فَتَنُونَ ﴾	٤٧	"
٢٨٤	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	٧٩	"
٣٥٥	﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ ﴾	٤٠	القصص
٢٢٦	﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾	٥	العنكبوت
٢١٨	﴿ وَءَايَاتُهُ أَجْرٌ فِي الدُّنْيَا ﴾	٢٧	"
١٠٠، ٩٩	﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا عَظِيمًا ﴾	٥١	"
٢٦٠	﴿ وَكَهَمَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهْفَاتُونَ ﴾	٢٦	الروم
٤٧٠، ١١٨، ١١٧	﴿ فَأَقْبَرَهُ وَجْهًا لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾	٣٠	"
١١٨	﴿ سُبْحَانَ إِلَهِهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣١	"
١٥٧	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾	١١	لقمان
٥٢٧	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَتَقَوْا فَمَا وَهَرُوا ﴾	٢٠	السجدة

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٤٦٢	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُخْلِعِ السُّكَافِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾	٣-١	الأحزاب
٤٦٢	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ﴾	٤	"
٣٠٧	﴿ فَإِذَا ذَهَبَ النَّوْفُ سَكَّوْكُمْ بِالسِّنِّ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْسِرِ ﴾	١٩	"
٢١٤	﴿ وَكَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾	٢٢	"
٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	"
٣	﴿ يُضِلُّ لَكُمْ أَعْيُنَكُمْ وَيُضِلُّ لَكُمْ دُورَكُمْ ﴾	٧١	"
٥٨	﴿ وَيُرَى الَّذِينَ اتَّقَوْا الْعِلْمَ ﴾	٦	سبا
١٥٣	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾	٢٢	"
١٥٣	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الشَّيَاطِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾	٢٣	"
٣٤٩	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	٣٣-٣١	"
٤٣١	﴿ وَيَوْمَ يُخْشَرُكُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يُهْلِكُ الْمَلَائِكَةَ ﴾	٤١-٤٠	"
١٦٦	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَيْتُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُولُوا لِلَّهِ مُشْرِكٌ ﴾	٤٦	"
٣١٣، ٣٠٩	﴿ إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْمُلُوكَ ﴾	٢٨	فاطر
٥٠٧	﴿ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكُمْ وَإِنَّا لَنُزِّلُكُمْ ﴾	١٨-١٨	يس
٥١٠، ٥٠٨	﴿ طَائِرُكُمْ مَتَّعَكُمْ أَفَنَذَرُكُمْ ﴾	١٩	"
١٦٩، ١٦٧	﴿ وَصَرَبْنَا مَلَاوِسِي خَلْقِهِ ﴾	٧٨	"
١٧٠، ١٦٧	﴿ قُلْ يُخْبِتُهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾	٧٩	"
١٧١، ١٦٨	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾	٨٠	"
١٧١، ١٦٩	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ بَاطِنِ عَالَمٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ ﴾	٨١	"
١٦٩	﴿ إِنَّمَا أَسْرَأُ إِذَا أَرَادَ قِتَابًا أَنْ يَقُولَ لَهُ مَكُنْ فَيَكُونُ ﴾	٨٢	"
١٧٢، ١٦٩	﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدُورُ فِي يَدَيْهِ مَكْسُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ نُزْجَمُونَ ﴾	٨٣	"
١٤٠	﴿ إِنَّمَا أَسْرَأُ إِذَا أَرَادَ قِتَابًا أَنْ يَقُولَ لَهُ مَكُنْ فَيَكُونُ ﴾	٨٢	"
١٤٠	﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدُورُ فِي يَدَيْهِ مَكْسُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ نُزْجَمُونَ ﴾	٨٣	"
١٠٣	﴿ لَنْ يَجَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٣٧	الصافات
٣٨٥	﴿ وَقَدَّيْنَاهُ بِذِي عَقْلٍ ﴾	١٠٧	"
٥٥٢	﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى مَا لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾	٦	ص
٢٢٦	﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدًا نَاوِدًا ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾	١٧	"



## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٣٠٠	﴿ أَمْ يَفْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٨	ص
٢٢٦	﴿ شِعْرَ الْعَبْدِ إِذْ أَوْابٌ ﴾	٣٠	"
٢٢٦	﴿ وَذَكَرْ عَبْدًا آوَابَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾	٤١	"
٢٢٦	﴿ وَذَكَرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾	٤٥	"
١٣٤	﴿ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾	١	الزمر
١٩٨	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	٢	"
٢٧٠	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾	٣	"
٢٦٠	﴿ أَمْ مِنْ هَوَاتٍ ۗ إِنَّهُ لَآلِيلٌ ﴾	٩	"
١٩٨	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	١١	"
١٩٨	﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾	١٤	"
٣٢٧، ٢٥٩، ٢٢٨	﴿ قَبَشْرَ عِبَادِ ﴾	١٧	"
٢٢٧، ٢٥٩، ٢٢٨	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾	١٨	"
٦٠	﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَعُولُنَّ اللَّهُ ﴾	٣٨	"
٤٧٢	﴿ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُعْمَاءَ ﴾	٤٤-٤٣	"
٢٦٠، ٢٥٨	﴿ قُلْ اللَّهُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٤٦	"
٢٦٠	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾	٥٣	"
١٠٤	﴿ وَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	٦٥	"
١٩٨	﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	١٤	غافر
٢٥٩، ٢٥٨	﴿ وَمَا اللَّهُ بِرَدُّ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾	٣١	"
٣٦٢	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِي صَرِّحًا ﴾	٣٧-٣٦	"
٣٤٣	﴿ النَّاسُ يَمْرُؤُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	٤٦	"
٣٤٩	﴿ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ قِيَمَ الْقَوْلِ الصَّعْقَاءِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾	٤٨-٤٧	"
٢٥٩، ٢٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾	٤٨	"
١٧٢	﴿ لَخَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾	٥٧	"
٣٠٦	﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانَ مِنْ دَعْوَاهِ الْخَيْرَ ﴾	٤٩	فصلت
١٠١	﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾	١٠	الشورى
١٣٨	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٥١	﴿ شَرَحَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وُصِيَ بِهِ نوحًا ﴾	١٣	الشورى
٣٢٧	﴿ ذَلِكَ الَّذِي يَشِيرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٣	"
٥٠٩	﴿ فَبِمَا كَتَبْنَا آيَاتِكَ وَنَعَمْنَا عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرٍ ﴾	٣٠	"
٣٩٠	﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرِ ادْعُ تَارِيكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ ﴾	٤٩	الزخرف
٢٢٦	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَمَّنَّا عَلَيْهِ وَعَمَّنَّا مِثْلَ لَتِي إِسْرَائِيلَ ﴾	٥٩	"
٢٥٨، ٢٢٨	﴿ بِأَعْيَادٍ لَا تَخُوفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَمْسٌ تُنْزَعُونَ ﴾	٦٨	"
٢٢٨	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾	٦٩	"
٣٥٢	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَكَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	٧٦	"
١٤٠، ٦٠	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾	٨٧	"
٤٠٠	﴿ مَقْلَعٌ مِّنْجُونَ ﴾	١٤	الدخان
٤٧٢	﴿ مِنْ دَرَاهِمٍ جَهَنَّمَ وَلَا يَتَّبِعِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ﴾	١٠	الجاثية
٣٠٨	﴿ لَا يَرْجُونَ آيَةَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	١٤	"
٣٠٠	﴿ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَعُوا السِّبْطَ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾	٢١	"
١٠١	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ ﴾	٢٣	"
١٧٢	﴿ أَوْ كَرِهَ لِقَاءُ أَنْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَرِهَ لِقَاءُ بَنِي بَخْلِقِينَ ﴾	٣٣	الأحقاف
٨٨	﴿ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَسْمِ الْأَغْلِقُونَ ﴾	٣٥	محمد
٢٠٩	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٨	الفتح
٢١١، ٢٠٩	﴿ لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحَرِّمَهُ وَنُحَرِّمَهُ ﴾	٩	"
٢١٣	﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾	١٣	"
٥٢٨، ٥٢٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَايَاتِنَا ﴾	٦	الحجرات
٥٢٦، ١٢٣	﴿ وَكَانَ اللَّهُ حَبِيبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَبَّنَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾	٧	"
١٢٣	﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً ﴾	٨	"
٢٩٩	﴿ إِنْ اللَّهُ حَبِيبُ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٩	"
٣٢٠	﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ﴾	١٧-١٨	الذاريات
٣٥٥	﴿ قَوْلَى بِرُكْبَتِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾	٣٩	"
٢٣٠، ٢٠٩، ٧٥	﴿ وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾	٥٦	"
١٤٠	﴿ إِنْ اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	٥٨	"

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٤١٩	﴿ أَمْرًا يُسِّرُهُ اللَّهُ وَالْعِزَّةَ وَالْقُدْرَةَ ﴾	١٩	النجم
١٠٢	﴿ إِنَّ يَسْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾	٢٣	"
٢١٣	﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَلْقِ فِيهِ ﴾	٧	الحديد
٤٧٧	﴿ أَمْرٍ جَعَلُوا وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	١٣	"
٤٧٧-٤٧٨	﴿ بِسُورَةٍ لَهَا بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ ﴾	١٤-١٣	"
١٤٠	﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْسِبُ الْأَرْضَ بَدَنًا مِثْلَ حَبِّ الْأَبْتَرِ ﴾	١٧	"
٥٤	﴿ لَقَدْ أَمَرْنَا مُرْسَلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾	٢٥	"
١٩٩	﴿ وَمَا أَتَاكُمْ مِنَ الرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾	٧	الحشر
٢٨٤	﴿ مَرَرْنَا عَلَيْكَ تَوَكَّنَا وَإِيَّاكَ أَنَّى وَلَيْتَ الْمَصِيرُ ﴾	٤	المتحنة
٦٥	﴿ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾	١٢	"
١٠٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ ﴾	٦	الصف
٤٧٨	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا فَكَفَرُوا ﴾	٣	النافقون
٤٧٦	﴿ هَذِهِ الْعُدُوتُ فَانْزِعْ عَنْهَا اللَّهُ ﴾	٤	"
٨٨	﴿ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾	٨	"
٢٩٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَهْلِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ ﴾	٩	"
٢٨٤، ١٩٥	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾	٣	الطلاق
٥٣٠	﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٦	التحریم
٢٠٢	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ بِأَحْسَنِ عَمَلٍ ﴾	٢	الملك
٢٥١	﴿ كَلِمَاتٍ فِيهَا فَوْجٌ مَسْأَلَةٌ عَنِهَا ﴾	٩-٨	"
٢٥١	﴿ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾	١١	"
٢٦٠	﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴾	١٢	"
١٧٧	﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾	١٣	"
١٧٧	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	١٤	"
٢٨٤	﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَسْمَاءُ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾	٢٩	"
٢٠٠	﴿ أَنْ جَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُنَّ مِمَّنْ (٢٥) مَا لَكُمْ ﴾	٣٦-٣٥	القلم
٨١	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ فَاتِمُونَ ﴾	٣٣	المعارج
٤٨	﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَآفَوْهُ وَأَطِيعُوا ﴾	٣	نوح

## فهرس الآيات

الصفحة	النص	الآية	السورة
٣٣٠، ٣٠٨	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	١٣	نوح
٤١٦	﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمَا عَصَوْتَنِي ﴾	٢٤-٢١	"
١٠٢	﴿ إِنَّا سَخِفْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾	١	الجن
١٠٢	﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآتَا بِهِ ﴾	٢	"
٢٢٧	﴿ وَإِنَّ لَنَا لَمَّا قَدَرْنَا اللَّهُ بِدَعْوَتِكُمْ كَادًا لِيُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ لِيَنصُرَ لَكُمْ ﴾	١٩	"
٢٣٣	﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) أَحْسَىٰ أَنَا النَّاقِثِينَ ﴾	٤٦	المدثر
١٧٥	﴿ أَجْحَبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُشْرَكَ سُدًى - أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	٤٠-٣٦	القيامة
٢٢٦	﴿ عَيْنًا يَشْرِبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يَجْرُونَ مَا خَفِيَ عَنِ النَّاسِ ﴾	٦	الإنسان
١٨٥	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾	٣٠	"
٨٢	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّجَ الْفَسْنَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾	٤٠	النازعات
٨٢	﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾	٤١	"
٥٦١	﴿ لَنْ نَشَاءَ نَكْرَةً أَنْ يَسْتَفِيدَ ﴾	٢٨	التكوير
١٩٢	﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَبَعَثَهُ... ﴾	١٧-١٥	الفجر
٣٢٤	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُجِيبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾	٢٦-٢٥	"
٣٣٩	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافِقِهَا ﴾	١١	الشمس
٣٦٨، ٢٠٣، ١٩٨	﴿ وَمَا أَسْرُوا إِلَّا لِيُجِيبُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ خَفَاءَ ﴾	٥	البيئة
٤٤٠	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَتَلْنَا مَرِيكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾	١	الفيل
٤٤٠	﴿ لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ﴾	١	قريش
٤٩٧	﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾	٦	الماعون
٣٨٧، ٣٨٦	﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾	٢	الكوثر
١٣٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾	١	الكاغرون
١٣٩	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	الإخلاص
٤٠٢، ٤٠١	﴿ وَبَيْنَ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾	٤	العلق

٧٦	• آله ما أجلسكم
٢١٢	• الآن يا عمر
٤١٩	• أبها وثن من أو ثان المشركين
٣٣٥	• اثنان في أمتي هما كفر
٣٧١	• أجعلني لله ندا؟
٥٦١	• أجعلني له ندا؟
٥١٠	• أخذنا فألك من فيك
٥٠٠	• الإخلاص سر من سرّي
٣٠٧	• أخيفوا الهوام
٤٥٥	• إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور
٤١٤	• إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا ( ح ) <sup>(١)</sup>
٢٦٤	• إذا بلغ الحد السلطان
٥٠٤	• إذا تطورت فلا ترجع
٤٩٩	• إذا جمع الله ﷻ الأوّلين ( ح )
١٩٠	• إذا رأيت الله تعالى ذكره يعطى العباد ( ح )
٥١٠	• إذا سلّم عليكم أهل الكتاب
٤٣٧	• إذا صليتم على الميت
٢٣٣	• إذا قبر الميت أو أحدكم ( ح )
٤٤٩	• اذهب فتخذ أجرك ممن عملت
٣٤٨	• أربعة يوم القيامة ( ح )
٤٨١	• أربع من كنّ فيه كان منافقا ( ح )
٥٤٥	• الأرض كلها مسجد إلا المقبرة
٤٥٩	• أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ( ح )
٢٦٦	• أسعد الناس بشفاعتي
٣٤٧	• اشتد غضب الله ( ح )
٣٩٧	• أشد الناس بلاء الأنبياء ( ح )
٣٩١	• أشعرت أنّ الله قد أفئاني

(١) ملحوظة: رمزت للحديث المذكور في الحاشية بحرف ( ح ).

## الصفحة

## فهرس الأحاديث النبوية

## الطرف

٢٦٨	اشفعوا توجروا	•
٣٢٠	أشهد أنّ لا إله إلا الله	•
٣٢١	أعوذ بعزتك أن تضلني	•
٦٦	اغزوا باسم الله في سبيل الله	•
٣٩٦	أغمي النبي ﷺ في مرضه	•
٥١٥	أقروا الطير على مكناها	•
١٤٥	ألا وإن من قبلكم ( ح )	•
٤٥١	ألا تبايعون رسول الله ﷺ	•
٣٠٧	إلا رجاة أن أكون من أهلها	•
٤٤١	الله أكبر، هذا ما قالت بنو إسرائيل	•
٣٢٢	اللهم آت نفسي تقواها	•
٥٢٠	اللهم ارحم المخلقين ( ح )	•
٤٣٦	اللهم اغفر له وارحمه	•
٣٢٢	اللهم أمني رشدي	•
٤٣٦	اللهم أنت ربها	•
٣١٩	اللهم أنت السلام	•
٢٧٣	اللهم أنت الصاحب في السفر	•
٢٩٦	اللهم إني أسألك بعلمك الغيب	•
٢٨٣	اللهم إني أستخبرك بعلمك	•
٣٢١	اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك	•
٤٩٥	اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ( ح )	•
٤٥٩	اللهم شقعه في ( ح )	•
٣٩٧	اللهم عليك الملا من قريش ( ح )	•
٥٤٨	اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد	•
٥١٢،٥٠٥	اللهم لا طير إلا طيرك	•
٢٨٥	اللهم لك أسلمت وبك آمنت	•
٣٢١	اللهم مصرف القلوب	•
١٠٨٤٦٥	أمرت أن أقاتل الناس	•
٣٩٢	أما أنا فقد شفاني الله	•

الطرف	فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة
•	أما إنني لم أستحلفكم	٧٦
•	أما الله فقد شفاني	٣٩٣
•	أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه	٢٣٣
•	أما هو فقد جاءه اليقين ( ح )	٥٠٨، ٢٣٣
•	أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٢٠٤، ١٩٩
		٤٩٩، ٣٦٨
•	أنا عبد أكل كما يأكل العبد	٢٢٧
•	أن تعبد الله كأنك تراه	٢٤٠، ٢٢٨
•	أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا	٤٥١
•	انكشف الشمس يوم مات إبراهيم ( ح )	٤١٣
•	انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم	٦٣
•	إن إبليس يضع عرشه ( ح )	٢٦٩
•	إن الله اتخذني خليلا	٢٩٧
•	إن الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتم	١١٨
•	إن الله تعالى لو عذب أهل سماواته	٣١٨
•	إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة	٥٦
•	إن الله ﷻ قد حرم على الأرض ( ح )	٥٤٦
•	إن الله لا ينظر إلى أجسامكم	٥٠٠
•	إن أولئك إذا كان فيهم ( ح )	٣٨٠
•	إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة	٣٤٨
•	إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع	٤٣٢
•	إن رجلا من اليهود	٣٩٥
•	إنك تأتي قوما أهل كتاب	١٠٨
•	إنك تأتي قوما من أهل الكتاب	٦٢
•	إنك لن تخلق فتعمل عملا	٤٩٨
•	إنما الأعمال بالنيات	٢٥٥، ١٩٩
•	إنما جعل الإمام ليؤتم به ( ح )	٥٥٩

## الصفحة

## فهرس الأحاديث النبوية

## الطرف

الصفحة	الطرف
٤٧٧	• إنما الربا في النسيئة
٥٥٤	• إنما السيد الله
٥٠٠	• إن المرآئي ينادى يوم القيامة ( ح )
٤٥٢	• إن المسألة كد يكذبها الرجل
٤٥٣	• إن المسألة لا تحمل إلا
٥٦٤	• إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه
٣٩١	• إن من البيان لسحرا
٥٤٤	• إن من شرار الناس من تدركهم الساعة
١٠٢	• إنها ستكون فتنة
٥٤٣	• إنني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
٢٩٧	• إنني أبرأ إلى كل خليل
٣٠٩	• إنني أتقاكم الله
٣١٣	• إنني أخوكم لله وأعلمكم بما أتقى
٤٣٤	• إنني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
٤٦٤	• إنني لأدخل في الصلاة فأريد ( ح )
٣١٧، ٣١٣، ٣١٠	• إنني لأعلمكم بالله
٢٠٩	• أن يعبدوه ولا يشركوا به
٥١٢	• أن يقول أحدكم ( ح )
٥١٤	• أن يقول أحدكم اللهم
٣٤٧	• أهون أهل النار عذابا
٤١٨	• أولئك قوم إذا مات فيهم
٣٤٤	• أول من يكسى حلة النار ( ح )
٣٣٩	• أي عم قل لا إله إلا الله ( ح )
٥٥١	• إياكم والغلو في الدين
٥٦١	• أي الناس أحب إليك ( ح )
٣٩٨	• بسم الله أرقبك
٦٤	• تباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا



الصفحة	فهرس الأحاديث النبوية	الطرف
٤٨١	• تلك صلاة المنافق ( ح )	
٤١٢	• تلك الكلمة من الحق يحطفها الخبي ( ح )	
٤٩٩	• ثلاث لا يغفل عليهنّ	
٥١٦	• ثلاث من كن فيه لم ينل الدرجات العلى	
٤٧٣، ٢١٣	• ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان	
٣٠٢	• ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان	
٣٩١	• جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي	
٥٤٩	• جعلت لي الأرض مسجداً إلا المقبرة	
٥٦١	• جعلتني لله عدلاً ( ح )	
٧٧	• حبّك إياها أدخلك الجنة	
٤٠٤	• حد الساحر ضربة بالسيف	
١٩٢	• حديث الاستخارة ( ح )	
٤٩٩	• حديث أو ثلاثة تسعر بهم النار	
٨٥	• حديث البطاقة	
١٢٦	• حديث سيد الاستغفار	
٢٦٥	• حديث شفاعة أهل الجنة أن يدخلوها	
٢٦٥	• حديث الشفاعة الكبرى	
٢٦٥	• حديث الشفاعة فيمن استحق النار	
٢٨٥	• حسبنا الله ونعم الوكيل	
٥٢٠	• خلق رسول الله ﷺ ( ح )	
٤٣٥	• الدعاء هو العبادة	
٤٨٥	• دعاء على أبواب جهنم ( ح )	
٤٦٦	• دعهم أمناً بني أرفدة ( ح )	
٥٠٤	• ذاك شيء يجده أحدكم	
٥١٤	• ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه	
٤٧٧	• الربا في النسئة	
١٢٩	• رضيت بالله رباً ( ح )	

الصفحة	فهرس الأحاديث النبوية	الطرف
٤٧٧		• الرقوب من لم يقدم
٤٤٦،٤٣٣		• زوروا القبور
٣٩٦		• سبب نزول المعوذتين
٤٣٣		• السلام على أهل الديار
٤٣٣		• السلام عليكم أهل الديار
٤٣٢		• السلام عليكم دار قوم مؤمنين
٤٣٤		• السلام عليكم يا أهل القبور
٤٣٧		• سلوا له التثبيت
١٢٦		• سيد الاستغفار
٥٥٤		• السيد الله تبارك
٣٦٧		• الشرك في هذه الأمة
٢٩٦		• طال شوق الأبرار إلى وجهك
٥١٣		• الطيرة شرك
٢٩٨		• عائشة ( ح )
٤٥٣		• عرف الحق لأهله
٤٤٥		• الغناء ينبت النفاق ( ح )
٣٤٤		• فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين
٤١٩		• فأوف بنذرك
٢٠٠		• فعليكم بسنتي
٥٤٣		• قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا
٦٣		• قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
١٩٩		• قال الله: أنا أغنى الشركاء
٣٦٧		• قل اللهم إني أعوذ بك
٣١٦		• قل اللهم إني ظلمت نفسي
٥٥٤		• قولوا بقولكم أو بعض قولكم
٤٣٢		• قولي السلام على أهل الديار
٥٥٤		• قوموا إلى سيدكم

الصفحة	فهرس الأحاديث النبوية	الطرف
٣٤١	كان رجل يسرف على نفسه ( ح )	•
١٠٢	كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم	•
١٠٠	كفى بقوم ضلالة	•
٢٠١	كل عمل ليس عليه أمرنا	•
٤٧٠	كل مولود يولد على الفطرة	•
٤٣٣	كنت نهيتكم عن زيارة القبور	•
٤٣٤	كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا	•
٤٣٤	كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	•
٢٦٨	لا إنما أنا شافع	•
٥١٣	لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا	•
٤٢٢	لا تتخذوا بيتي عيدا	•
٤٢٢، ٤٢١	لا تتخذوا قبوري عيدا	•
٤٢٠	لا تجعلوا بيوتكم قبورا	•
٤٢٤، ٤١٩	لا تجعلوا قبوري عيدا	•
٤٢٣	لا تجعلوه عيدا	•
٥٤٥	لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها	•
٣٣٦	لا ترجعوا بعدي كفارا	•
٣٣٥	لا ترغبوا عن آبائكم	•
٣٧٨	لا تزال طائفة من أمي ( ح )	•
٤٥١	لا تزال المسألة بأحدكم	•
٥٥٢، ٢٢٧	لا تطروني كما أطرت النصارى	•
٥٦١	لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد	•
٥٥٩	لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ( ح )	•
٥٦٤	لا تمسحوا بأمم أبيك	•
٥١٣	لا عدوى ولا طيرة	•
٢١٢	لا والذي نفسي بيده حتى أكون	•
٣١٥	لا ومقلب القلوب	•

الصفحة	فهرس الأحاديث النبوية	الطرف
١٢١		• لا يا ابنة أبي بكر
١٢١		• لا يا ابنة الصديق
٢٩٨		• لا يبدل القول لدي
٤٧٣		• لا يجد عبد طعم الإيمان إلا من كان
١٩١		• لا يزال يستجاب للعبد ( ح )
٥٥٨		• لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد
٣٧٧		• لتبعن سنن الذين من قبلكم ( ح )
٤٤١		• لتركين سنن من كان قبلكم
٥١٢		• الذين لا يكتوون
٣٨٧		• لعن الله من ذبح لغير الله
٥٤٤،٤٢٩،٣٨٠		• لعن الله اليهود اتخذوا
٥٤٤،٥٤٣		• لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
٢٤٨		• لله أفرح بتوبة عبده
٣٧٤		• لما حملت حواء طاف بها إبليس
٣١٩		• لن ينجي أحدا منكم عمله
٤٥٦		• لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه
٢٨٥		• لو أنكم تتوكلون على الله
٣١٠		• لو تعلمون ما أعلم
٢٤٠		• لو خشع قلب هذا
٢٦٨		• لو راجعته فإنه أبو ولدك
٢٩٧		• لو كنت متخذًا من أهل الأرض
٤٧٦		• ليس الشديد بالصراعة
٤٨٢		• ليس صلاة أتقل على المنافقين ( ح )
٢٧٠		• ليس للمتحيين مثل النكاح
٤٧٦		• ليس المسكين بهذا الطواف
٥١٩		• ليس منّا من صلق أو حلق
٧٦		• ما أجلسكم؟

الصفحة	نهرس الأحاديث النبوية	الطرفة
٤٧٣	• ما تحاب رجلان في الله	
٤٧٧	• ما تعدون الرقوب فيكم؟	
٤٧٧	• ما تعدون المفلس فيكم؟	
٢٣٠	• ما تقرب إليّ عبدي ( ح )	
٥١٩	• ما كنت أرى الجهد قد بلغ بك ( ح )	
١٠٥	• ما من الأنبياء نبي إلا أعطي	
٤٣٧	• ما من رجل مسلم يموت	
١٩١	• ما من رجل يدعو الله بدعوة ( ح )	
٣٤٨	• ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة	
١١٨	• ما من مولود إلا يولد على الفطرة	
٤٣٧	• ما من ميت يصلى عليه أمة	
٥٥٨	• ما هذا يا معاذ؟	
٥٥٣	• معاذ الله أن أعبد غير الله	
٤٧٧	• المفلس من يأتي يوم القيامة	
٢٨٧	• ملعون من ذبح لغير الله	
٢٣٥	• من أتى امرأة في دبرها	
٤١١	• من أتى عرافا	
٣٣٦	• من أتى كاهنا أو عرافا	
٢٩٦	• من أحب لقاء الله	
٤٧٣	• من أحب الله وأبغض الله	
٢٠٠	• من أحدث في أمرنا هذا	
٥١٤	• من أرجعته الطهيرة من حاجة	
٥١٢	• من استطاع منكم أن ينفع أخاه	
٤٥٢	• من أصابته فاقة فأنزلها بالناس	
٤٥٢	• من تكفل لي أن لا يسأل الناس	
٥٢٣:٣٧٠	• من حلف بغير الله فقد أشرك	
٣٥٠	• من دعا إلى ضلالة	

## الصفحة

## فهرس الأحاديث النبوية

## الطرف

٥١٤	• من ردته الطيرة فقد قارن الشرك
٥١٢	• من ردته الطيرة من حاجة ( ح )
٤٥٢	• من سأل الناس تكثرا
٢٠٠	• من عمل عملا ليس عليه أمرنا
١١٣	• من كان آخر كلامه لا إله إلا الله
٢٨٦	• من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله
٤٩٩	• من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
٣٣٠	• المهاجر من هجر ما نهى الله عنه
٤٩٣	• المؤمن القوي خير
٤٢٧	• نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر
٤١٠	• نهى عن بيع الحصاة
٤٢٨	• نهى عن تخصص القبر
٤٢٨	• نهى عن تخصص القبور
٥٤٩	• نهى عن الصلاة في سبع مواطن
٣٩٣	• هذه البقر التي أُرِيَتْهَا
٥٥١	• هلك المتنطعون
٢٨٥	• هم الذين لا يسترقون
٥٥٧	• وإذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه
٣٩١	• والله لكأنّ ماءها نقاعة الحناء
٤٢٣	• وصلوا علي فإنّ صلواتكم
٣١٩	• ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته
٤٢٣	• ولا تتخذوا بيوتكم قبورا
٤٥١	• ولا تسألوا الناس شيئا
٥١٣	• ولا عدوى ولا صفر
٢٦٩	• ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه ( ح )
٥١٢	• ولا يرقون
٣٧٩	• والذي نفسي بيده لقد هممتُ ( ح )

## الصفحة

## فهرس الأحاديث النبوية

## الطرف

٤٢٤	• ولولا ذلك لأبرز قبره
٥٠٨	• وما يدريك أنّ الله قد أكرمته ( ح )
٥٤٣	• وهو كذلك لعنة الله على اليهود
٤٥٢	• واليد العليا خير من اليد السفلى
٤٦٥	• يا أبا بكر إنّ لكل قوم عيداً ( ح )
٥٤٦	• يا بني نجار نامتوني
٣٩٢	• يا عائشة أعلمت أنّ الله
٢٤٣	• يا عبادي إنكم تخطئون بالليل
٢٤٣	• يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري
٢٤٥	• يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم
٣٩٨	• يا محمد اشتكيت؟
٢٤٧، ٢٠٩	• يا معاذ أتدري
١٨٩	• يا معاذ والله إنني لأحبك
٥٦٤	• يسب أبا الرجل فيسب أباه
٢٣٤	• يسبحون الله بكرة وعشيا ( ح )
٢٠٤	• يقول الله ﷻ يوم القيامة
٤١٩	• يوم عرفة ويوم النحر

## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٥٥٣	رجل من الأخبار	• أتريد منا يا محمد
٥٥٢	ابن عباس	• اجتمعت نصارى نجران
٩٨	الإمام الشافعي	• أجمع الناس على من استبانت له سنة
٧٧		• أحبها لأنها صفة الرحمن
٢٠٦	الجنيد	• الإخلاص سر بين الله وبين العبد
٢٧٥	يحيى بن معاذ	• إذا رضي بالله وكيلا
٣١١	إبراهيم بن سليمان	• إذا سكن الخوف القلوب
٤٤٤	عبد بن الحسن	• رأيت إن كثر الجهال
٤٤٤	ربيعه	• أشهد أنّ هذا كلام أبناء الأنبياء
١١٦	ابن عباس	• افتخر المشركون بأبائهم
٩٦	ابن عمر	• أفرسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا
١١٨	أبو هريرة	• أقرأوا إن شئتم
٥٤٨	الشافعي	• أكره أن يعظم مخلوق
٤٢٧	علي بن أبي طالب	• ألا أبعثك على ما بعثني
٣٦٨	عمر بن الخطاب	• اللهم اجعل عملي
٢٩٥	الجنيد	• أن تحب ما يحب الله
٣٢٣	بعض السلف	• أنتم تخافون الذنب
٥٥٤	عبد بن الشخير	• انطلقت في وفد بني عامر
٤٦٥	الفضيل	• إنّ الله سبحانه قضى بقضاء
٤٢٨	الأسود بن يزيد	• أن لا يجعلوا على قبري
٩٦	ابن عمر	• إنّ أبي لم يرد ما تقولون
٤١٨	عائشة	• إنّ أمّ حبيبة وأمّ سلمة



## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٤١٨	عائشة	• إنَّ أمَّ سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ
١٢٢	السلف	• إنَّ العبد ليعمل الذنب
٥٤٩	الأثرم	• إنَّما كرهت الصلاة في المقبرة
٤٢٩	عائشة	• إنَّما لم يبرز قبر رسول الله ﷺ
٤٤٠	عمر بن الخطاب	• إنَّما هلك من كان قبلكم
٤١٢	الصحابة	• إن هؤلاء يحدثوننا أحيانا بالأمر
٢٤٩	بعض الصحابة	• إنَّه ليستخرج محبته في قلبي من طاعته
٤١٦	محمد بن قيس	• أن يغوث ويعوق
٩١	المسوار بن مخزومة	• أي خالي هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب
٦٥	أم عطية	• بايعنا رسول الله ﷺ
٤٩٧، ٢٠٦	الفضيل بن عياض	• ترك العمل من أجل الناس رياء
٤٤٣	الحسن	• تلومونني على البكاء
٢٧٤	سهل	• التوكل الاسترسال مع الله
٢٧٦	أبو سعيد الخراز	• التوكل اضطراب بلا سكون
٢٧٥	ابن عطاء	• التوكل أن لا يظهر فيك
٢٧٤	بشر الحافي	• توكلت على الله
٢٧٦	أبو يعقوب النهرجوري	• التوكل على الله بكمال الحقيقة
٢٧٤	أحمد بن حنبل	• التوكل عمل القلب
٢٧٤		• التوكل هو انطراح القلب
٥٠٩	رويفع بن ثابت	• حتى إنَّ أحدنا ليظير له النصل
٤٤١	أبو واقد الليثي	• خرجنا مع رسول الله ﷺ
٢٣٠	بعض العارفين	• دخلت على الله من أبواب الطاعات

## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٤٤٢	الزهري	• دخلت على أنس بن مالك
٤٤٢	أم الدرداء	• دخل عليّ أبو الدرداء
٤٣٥	سلمة بن وردان	• رأيتُ أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ
٣٩٥	زيد بن أرقم	• سحر النبي ﷺ رجلٌ
١٢٩	ابن عباس	• سيدا وإله
٤١٧	ابن عباس	• صارت الأوثان التي كانت
٤٤٣	المبارك بن فضالة	• صلى الحسن الجمعة وجلس
٤٤٠	المعروف بن سويد	• صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة
٥٠٨	ابن عباس	• طائرهم ما قضي عليهم
٩٧	الإمام أحمد	• عجبت لقوم عرفوا السناد وصحته
٢٠٠	الفضيل بن عياض	• العمل الحسن هو إخلاصه وأصوبه
٣٩٢	عائشة	• فأتي النبي البئر
٥٠٦	ابن الرومي	• الفأل لسان الزمان
٤٤٢	أبو بكر الطرطوشي	• فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم
٤٥١	عوف بن مالك	• فبسطنا أيدينا
٥٠٨	أم العلاء	• فطار لنا عثمان بن مظعون
٢١٩، ٢١٧	عمر بن الخطاب	• فما ظنك بثواب عند الله
١٠٢	علي بن أبي طالب	• فما المخرج منها؟
٥٤٥، ٤٣٨	عمر بن الخطاب	• القبر القبر
٤٥١	عوف بن مالك	• قد بايعناك يا رسول الله
٢٢٧	عبد الله بن عمرو	• قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ
٣١٥	بعض السلف	• القلب أشد تقبلا

## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٤١٧	عكرمة	• كان بين آدم ونوح
٤١٧	قتادة	• كانت آلهة يعبدها قوم نوح
٤١٩	ابن عباس	• كانت يلت السويق
٣٩٦	ابن عباس وعائشة	• كان غلام من اليهود
٦٦	عائشة	• كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا
٣٩٢	عائشة	• كان رسول الله ﷺ سحر
٤٣٢	عائشة	• كان رسول الله ﷺ كلما كان
٤٣٣	بريدة بن الحصيب	• كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا
٤٤٤	عبد الله بن إسحاق	• كان عبد الله بن الحسن يكثر الجلوس
٦٥	عائشة	• كان النبي ﷺ يبائع النساء بالكلام
٤١٨	بعض السلف	• كان هؤلاء قوم صالحين
٤١٩	مجاهد	• كان يلت لهم السويق
٤٢٨	إبراهيم النخعي	• كانوا يكرهون الأجر
٢٦٦	أبو العالية	• كلمتان يسأل منهما الأولون
٦٢	ابن عباس	• كنت أنا وأمي من المستضعفين
٤٥١	عزف بن مالك	• كنا عند رسول الله ﷺ تسعة
٤٤٣	عبد الله بن مسعود	• كيف أنتم إذا لبيستم
١٢٢	الذهبي	• لا أفلح والله من زكى نفسه
٩٢	أمية بن أبي الصلت	• لا أومن بنبي من غير ثقيف أبدا
٤٢٩	أبو هريرة	• لا تضربوا على فسطاطا
٣١١	حاتم الأصم	• لا تغتر بمكان صالح
٢٣٠	بعض العارفين	• لا طريق أقرب إلى الله من العبودية

## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٣١٧، ٣١٦	علي بن أبي طالب	• لا يرجونّ عبد إلا ربّه
٤٥٨	أبو حنيفة	• لا ينبغي لأحد أن يدعو الله
٤٨٦، ٣٢٣	حذيفة بن اليمان	• لا ولا أزكي بعدك
١٢٢	مطرف	• لأن أبيت نائما وأصبح نادما
١٢١	أبو الدرداء	• لأن أستيقن أنّ الله قد تقبل لي صلاة
١٢٥	فضالة بن عبيد	• لأن أعلم أنّ الله تقبل مني مثقال حبة
٥٤٤	ابن عباس	• لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور
٤٢٦	ابن عقيل	• لما صعبت التكليف على هؤلاء الجهال والطغام
٤٣٨	أبو العالية	• لما فتحنا تستر
٥٠٦	أبو القاسم الزجاجي	• لم أر أشد تطيرا
٤٣٤	مالك بن أنس	• لن يصلح آخر هذه الأمة
١٢٥	عمر بن الخطاب	• لو نادى مناد من السماء
٣٣٦	ابن عباس	• ليس بكفر ينقله من الملة
٢٠٦	مكحول	• ما أخلص عبد قط أربعين يوما
٤٤٢	مالك	• ما أعرف شيئا مما أدركت
٤٤٢	أنس بن مالك	• ما أعرف شيئا مما أدركت إلاّ
١٢٥	يوسف بن عبيد	• ما رأيت أحدا أطول حزنا من الحسن
٣١١	أبو سليمان	• ما فارق الخوف قلبا
٤٤٣	أنس بن مالك	• ما كنت أعرف شيئا على عهد
٣١٥	بعض السلف	• مثل القلب في سرعة نقله
٢٩٤	أبو عبد الله القرشي	• المحبة أن تهب كلك

## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٢٩٤	النصر أباذي	• المحبة مجانبة السلو
٢٩٤	الحارث بن أسد	• المحبة ميلك إلى المحبوب
٣٢٠	الحسن	• مدوا الصلاة إلى السحر
٢٧٣	أبو رجاء العطاردي	• معناه أن يكفر بها أهل الأرض
٢٣٠	ابن تيمية	• من أراد السعادة الأبدية
٢٧٦	سهل	• من طعن في الحركة فقد طعن في السنة
٣١١	ذو النون	• الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف
٣٢٣	عمر بن الخطاب	• نشدتك الله هل سماني لك
١٢٥	الحسن البصري	• نضحك ولعل الله قد اطاع
٣٠٦	عمر بن الخطاب	• نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
٤٢٧	جابر	• نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر
٤١٧	ابن عباس	• هذه أصنام
٢٧٣	ابن عباس ومجاهد	• هم الأنصار أهل المدينة
٢٧٥	ذو النون	• هو ترك تدبير النفس
٢٧٦	أبو تراب النخشي	• هو طرح البدن في العبودية
٣٣٦	عطاء	• هو كفر دون كفر
٣٤٠	عبد ياليل	• والله أقول لك كلمة
٤٤٢	أبو الدرداء	• والله ما أعرف فيهم شيئا
٢٧٣	قتادة	• وكلنا بها الأنبياء الثمانية عشر
٣١٣	ابن مسعود	• وكفى بخشية الله علما
٤٥١	عوف بن مالك	• ولقد رأيت بعض أولئك
٤٤٣	أبو الدرداء	• وهل كان يعرف شيئا

## فهرس الآثار

الصفحة	القائل	النص
٩٢	أبو جهل	• يا ابن أخي تنازعنا نحن وبنو هاشم
٩٢	أبو جهل	• يا ابن أخي والله لقد كان محمد فينا
٤٨٦	عمر بن الخطاب	• يا حذيفة ناشدتك الله
٩٢	المسوار	• يا خال فلم لا تتبعونه؟
١٢١	عائشة	• يا رسول الله والذين يؤتون ما أتوا
٤٢٧	فضالة بن عبيد	• يأمر بتسويتها
٩٥	ابن عباس	• يوشك أن تنزل عليكم حجارة

## فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصدر
٤٤٢	مشرق ومغرب	سارت مشرقة
٤٥١	سأل يغضب	الله يغضب
٥٠٤	أم تعرض ثعلب	وما أنا
٢٩٣	إلا تجنب	أبت غلبات
٣٠٠	كله طاعات	أصبحت منفعلا
٣٠٨	معا أو واحدا	لا ترجي
٥٢٦	أمره جوائز	
٢٩٦	أم سحر	فوالله ما أدري
٢٦٤	بقيس بن جحدر	فككت عديا
٣٠٧	فاستقبلاني بالعدار	غدوت رجاة
١٩١	عاب القدرا	وعاجز الرأي
٥٠٧	فيها خبير	تخير طيرة
٢٩٥	كالغمام الأبيض	أعلاقة
٤٨٣	بالشيخة اليتقصع	ويستخرج اليربوع
١١٤	بألف شافع	وإذا الحبيب
٢٦٤	والذي شفعا	واستشفعت
٤٦٦	والذي أتوقع	يذكرينك
٣٠٨	نوب عواسل	إذا لسعته
٣٠٥	بذي المطارة عاقل	وقد خفت
٢٥٠	الأجسام بالعلل	لعل عتبك
٥٠٤	واق وحاتم	وليس بهياب
٥٠٣	واق وحاتم	ولقد غدوت

## فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصدر
٢٩٥	من ثديها ضخم	وعلقت ليلي
٥٣٠	الإمارة نادما	أمرتك أمرا
٥١٦	لم تقلم	
٤٢٥	بميت إيلام	
٢١١	تمقتضى القرآن	لكنما التعزير
٢١٠	ذا القربان	فالحج للرحمن
٢١٣	والأزواج والولدان	وهو المقدم
٣٢	لكم معان	يا قوم
٢٠٩	هما حقان	لله حق
٣٥٥	شديد الأركان	
٢٠٩	حقان مشتركان	والحب والإيمان
٤٦٣	أكذب ماني	كذب المدعي
٢١٢	صاحب البرهان	ورسوله فهو المطاع
٥١	على البرهان	هذا ونقطع
٢١٤	يا أولي العدوان	هذي تفاصيل
١٤٦	أقسامها بيان	فاسمع إذا
٥٠٤	في غد عميان	ألم تر
٤٨٢	الجهل والجبين	جهلا علينا
٣٢٤	عين تعانين	
٩٣	في التراب دفينا	والله لن يصلوا
٣٠٥	أم أنت زائره	أنهجر بيتا
٣٠٨	لم يرح لسعها	ولم يبق



## فهرس القوافي

الصفحة	القافية	المصدر
٤١١	إذ مات قائله	فمن رجل
٢٩٥	من بينهم وحدي	ويشتكي المحبوب
٥٢٣	ولا صالي	حلفت لها
٥٥١	عليه الغلانيا	وذو الشنء

٤٦٤	إبراهيم الرقي الخنبلي برهان الدين، أبو إسحاق
٣٦	إبراهيم بن شمس الدين الزرعي برهان الدين
٢٧٢	إبراهيم بن علي، أبو إسحاق الشيرازي
٤٢٨	إبراهيم بن يزيد النخعي
٧٧	ابن أبي العز
٤٨٧	ابن أبي مليكة عبد الله بن عبيد الله
٣٥	ابن تيمية شرف الدين عبد الله بن عبد الحلیم بن تيمية أخ شيخ الإسلام
٢٤	ابن تيمية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم
٣٦٧	ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم
٢٩	ابن حجر العسقلاني، محمد بن أحمد بن علي بن حجر
٤٦٣	ابن حزم الظاهري علي بن أحمد بن سعيد بن حزم
٣٠	ابن رجب الخنبلي، عبد الرحمن بن زين الدين
٥٠٦	ابن الرومي الشاعر، أبو الحسن علي بن عباس
١٤٧	ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم
٩٥	ابن سينا الحسين بن عبد الله
٣٤	ابن الشيرازي إبراهيم بن عبد الرحمن
٣٤	ابن الشيرازي كمال الدين أحمد بن محمد
٤١٠	ابن عبد البر أبو عمر
٢٧٥	ابن عطاء الزاهد أبو العباس أحمد بن محمد
٣٩	ابن العماد العكري عبد الحي بن أحمد بن محمد
٢٤	ابن قدامة محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي
٣٤	ابن قدامة المقدسي الحاكم سليمان حمزة بن أحمد بن قدامة
٢٥	ابن كثير إسماعيل بن عمر المفسر المؤرخ
٢٦	ابن المطهر الحلبي، حسن بن يوسف بن مطهر
٣٤	ابن مكنوم إسماعيل بن يوسف
٤٠٥	ابن المنذر محمد بن إبراهيم أبو بكر
٢٧٢	أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي

الصفحة	الاسم
١٢٣	أبو إسماعيل عبد الله محمد الأنصاري الهروي
٣٤	أبو بكر أحمد عبد الدائم المقدسي
٣٩٥	أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد
٣٥	أبو بكر بن أيوب الحنبلي
٦١	أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان الخليفة الراشد ﷺ
٧٤	أبو جعفر الطبري
٩١	أبو جهل عمرو بن هشام
٤٥٧	أبو الحسين القدوري أحمد بن محمد
٣١٠	أبو حفص النيسابوري عمر بن سلم
٢٦	أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف
١٠٠	أبو داود السجستاني
١٢١	أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس ﷺ
٥١٦	أبو زياد الكلابي، يزيد بن عبد الله
٣٩٨	أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة ﷺ
٢٧٦	أبو سعيد الخزار أحمد بن عيسى
٨٩	أبو سفيان صخر بن حرب الأموي ﷺ
٢٠٧	أبو سليمان الدراني عبد الرحمن بن أحمد
٢٦٦	أبو العالية رفيع بن مهران
٣٢٤	أبو العباس بن العريف
٢٩٤	أبو عبد الله القرشي محمد بن مبارك
٤٢١	أبو عبد الله المقدسي محمد بن عبد الواحد
٢٧٧	أبو علي الدقاق الحسن بن علي النيسابوري
٥٠٦	أبو عمر الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق
٣٣	أبو الفتاح البعلبكي محمد شمس الدين
٢٠٦	أبو القاسم الجنيد بن محمد

٥٠٦	أبو القاسم الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق
٣٤٦	أبو هب عبد العزى بن عبد المطلب
٤٦٣	أبو محمد بن حزم علي بن أحمد الظاهري
٤٥٨	أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام
٤٢٩	أبو محمد المقدسي عبد الغني بن عبد الواحد
٣٩٥	أبو معاوية محمد بن خازم السعدي
٩٦	أبو الهذيل العلاف
١١٨	أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر اللوسي ؓ
٤٢٧	أبو الهياج الأسدي حبان بن حصين
٤٤١	أبو واقد الليثي
٤٢٦	أبو الوفاء بن عقيل
٢٧٦	أبو يعقوب النهرجوري إسحاق بن محمد الصوفي
٤٢١	أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي
٤٥٨	أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
٣٤٧	أبي بن خلف
٥٤٨	الأثرم، أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي
٢٧٦	أحمد بن عيسى البغدادي أبو سعيد الخزاز
٣٠	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الإمام
٢٧٥	أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الزاهد العابد
٦	أحمد بن محمد الهيثمي
٤٤٤	أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس الشيباني
٩٥	أرسطو
٥١٦	إسماعيل بن حماد الجوهري
٤٢٨	الأسود بن يزيد بن قيس
٣٩٥	الأعمش سليمان بن مهران
٩٥	أفلاطون

٤٣	الألوسي نعمان بن محمود
٤١٨	أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان
٤١٨	أم سلمة هند بنت أبي أمية
٦٥	أم عطية الأنصارية
٩٢	أمية بن عبد الله بن الصلت
٦٤	البخاري محمد بن إسماعيل
٣٦	البدر بن جماعة
٤٣٣	بريدة بن الحصين
٢٦٨	بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة
٩٦	بشر بن غياث المريسي
٣٩	البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم
٣٣٧	البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء
٣٤	بنت جوهر فاطمة إبراهيم
١٩	بيبرس ركن الدين الملك الظاهر
٢١	التتار
٣	ثوبان مولى الرسول ﷺ
٤٠٤	جندب بن عبد الله
٢٠٦	الجنيد بن محمد الجنيد
٩٦	جهم بن صفوان
٥١٦	الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد
٤٤١	الحارث بن عوف الليثي أبو واقد
٣٢٣	حذيفة بن اليمان ؓ
٤٢٢	الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٣٧٣	الحسن بن يسار البصري
٣٢٢	الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي

الصفحة	فهرس الأعلام المترجم لهم	الاسم
٥٢٨		خالد بن الوليد
٢٧٥		ذو النون المصري
٥٠٣		رؤبة بن الجراح الراجز
٤٠٨		رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة
٥٠٩		رويفع بن ثابت الأنصاري النجاري
٢٦٦		رويفع بن مهران
٤٠٠		الزخشي محمد بن عمرو بن محمد
٣٥		الزملكاني محمد بن علي بن عبد الواحد
٣٩٥		زيد بن الأرقم
٣١٧		زيد بن ثابت ؓ
١٩		السعيد بركة بن الظاهر بيبيرس
٤٢٢		سعيد بن منصور
٩٧		سفيان بن سعيد الثوري
٣٩٢		سفيان بن عيينة
١٩		السلطان المنصور قلاوون بن عبد الله الألفي
٤٣٥		سلمة بن وردان الليثي
١٠٠		سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود)
٤٣٣		سليمان بن بريدة
٦٤		سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
٣٩٥		سليمان بن مهران الأعمش
٢٧٠		سليمان بن موسى
٢٠٦		سهل بن عبد الله التستري
٣١٢		سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
٢٤		شمس الدين النهدي محمد بن أحمد بن عثمان بن قنبر
٣٣		الشهاب العابر، أحمد بن عبد الرحمن
٨٩		صخر بن حرب بن أمية (أبو سفيان) ؓ
٣٨		الصفدي خليل بن أيك بن عبد الله

٣٤	الصفى الهندي محمد بن عبد الرحمن الأرموي
٣٣٧	الضحاك بن مزاحم
٢٧٠	طاووس بن كيسان
٦٥	عائشة بنت أبي بكر الصديق
١٩	العادل بدر الدين بن الظاهر بيبرس
٦٤	عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ؓ
٥٥٤	عبد الله بن شخير
٣٦	عبد الله بن شمس الدين الزرعي جمال الدين
٦٢	عبد الله بن عباس ؓ
٦٥	عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ
٢٢٧	عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ
١٢٤	عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي
٣١٤	عبد الله بن مسعود ؓ
٣٩	عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري
٢٠٧	عبد الرحمن بن أحمد، أبو سليمان الداراني
٢٦	عبد الرحمن بن أحمد، عضد الدين الإيجي
٥٠٦	عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي
٢٩٤	عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي
١١٨	عبد الرحمن بن صخر الدوسي ؓ
٦٦	عبد الرحمن بن ناصر بن حمد السعدي
٤٥٨	عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الشهير بابن عبد السلام
٣٣٧	عبد العزيز بن يحيى الكناني
٤٢٩	عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي أبو محمد
٢٣٣	عثمان بن مظعون ؓ
٥٠٣	عراف اليمامة، رياح بن كحيل
٢٠٠	العرباض بن سارية ؓ
٢٣	العز بن عبد السلام

٣٣٦	عطاء بن أبي رباح
٣٤٧	عقبة بن إبان بن ذكوان بن أمية
٣٣٦	عكرمة مولى ابن عباس
٤١١	علقمة بن عبدة الشاعر
٦٣	علي بن أبي طالب ؑ
٤٦٣	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري
٤٢١	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
٥	علي بن عبد الكافي السبكي تقي الدين
٧٧	علي بن علاء الدين المشهور بابن أبي العز
٢٧٣	عمران بن ملحان، أبو رجاء العطاردي
١٠٠	عمر بن الخطاب الخليفة الراشد أمير المؤمنين ؑ
٤٢٨	عمر بن عبد العزيز الأموي
٢٧٠	عمرو بن دينار
٢٦٩	عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله
٤٣٦	عوف بن مالك الأشجعي
١٢١	عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي (أبو الرداء) ؑ
١١٨	عياض بن حمار التميمي
٩٦	الفارابي محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان
٤٢٧	فضالة بن عبيد
٢٠٠	الفضيل بن عياض
٣٧	الفيروز آبادي محمد بن يعقوب بن محمد محي الدين
٤٥٣	قيصة بن المخارق
٢٧٣	قتادة بن دعامة المفسر
٣٩٢	الليث بن سعد
٤٣٥	مالك بن أنس، أبو عبد الله الإمام
٤٤٣	مبارك بن فضالة بن أبي أمية
٢٧٣	مجاهد بن جبر



٣٥	المجد الحرائي إسماعيل بن محمد
٢٤	محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة
٩٨	محمد بن إدريس الشافعي الإمام
٤٣٨	محمد بن إسحاق بن يسار
٧٤	محمد بن جرير الطبري
٣٦٧	محمد بن حبان البستي
٤٥٩	محمد بن الحسن بن فرقد الفقيه الحنفي
٣٦	محمد بن عبد القادر النابلسي
٤٢١	محمد بن عبد الواحد المقدسي
٧٨	محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام المجدد السلفي
٢٠	محمد بن قلاوون الصالحي
٣٧	محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي الغزي
٣٧	محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقرئ التلمساني
٣٦	محمد بن مفلح الحنبلي
٩٦	محمد بن الهذيل العلاف
٥٠٢	الدائني أبو الحسن علي بن محمد الأخباري
٢٦	مسعود بن عمر التفتازاني
٦٣	مسلم بن الحجاج بن مسلم
٩١	المسوار بن مخزوم
٨	مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ( حاجي خليفة )
١٢٢	مطرف بن عبد الله بن الشيخير
٣٥	المطعم عيسى بن عبد الرحمن
٦٢	معاذ بن جبل
٤٤٠	المعروف بن سويد
٥٠٣	المفضل الضبي الكوفي
٢٠٦	مكحول الأزدي البصري
٣٥	النابلسي الكحال أيوب بن نعمة
٦٥	نسبية بنت الحارث ( أم عطية الأنصارية )

٢٩٤	النصر آباذي أبو القاسم إبراهيم بن محمد
١٤٦	نصر الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن
٣٩١	هشام بن عروة بن الزبير
٤١٨	هند بنت أبي أمية أم سلمة
٥٢٧	الوليد بن عقبة بن أبي معيط
٢٤	يحيى بن شرف النووي
٢٧٥	يحيى بن معاذ الرازي
٣٩٥	يزيد بن حيان
٥١٦	يزيد بن عبد الله الكلابي أبو زياد
٢٥	يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي
٢٠٧	يوسف بن الحسين الرازي
٤١٠	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي القرطبي
٢٤	يوسف بن عبد الرحمن المزي

## الصفحة

## فهرس الأديان والفرق

١٤٧	الإتحادية	●
٢٥	الأشاعرة	●
٣٦١	الإلحاد	●
١٨٢، ١٤١	الثنوية	●
١٥١	الجبرية	●
١٤٩	الجهمية	●
٤٧٠	الحلول والإتحاد	●
١٨١	الدهرية	●
٣٦٥	الصائبة	●
١٤٦	الفلاسفة	●
٣٦٤، ١٩٣، ١٨٤، ١٥٠	القدرية	●
٣٦٤	القرامطة	●
١٨٤	المجوسية	●
٤٠١	المعتزلة	●
١٨٠	المعطلة	●
٣٦٣، ١٨٢	الملاحدة	●
٣٦٣، ١٨١	وحدة الوجود	●

٢	المقدمة
٤	أهمية الموضوع وسبب اختياره
٩	بعض الأمور المنهجية في البحث
١٠	خطة البحث
١٣	كلمة شكر وتقدير
١٥	التمهيد
١٦	المبحث الأول: تعريف موجز بالعلامة ابن قيم الجوزية
١٧	المطلب الأول: عصر ابن القيم
١٨	الحالة السياسية
٢١	الحالة الاجتماعية
٢٣	الحالة العلمية
٢٨	إسمه ونسبه
٢٨	أخلاقه
٢٩	طلبه للعلم ورحلاته لأجل ذلك
٢٩	شهادة العلماء له
٣٠	منهجه ومذهبه
٣٠	أعماله
٣١	محتته
٣١	صلته بشيخه ابن تيمية ومدى تأثيره به
٣٣	شيوخه
٣٦	تلاميذه
٣٧	مؤلفاته
٤٦	وفاته
٤٧	المبحث الثاني: بيان أنّ توحيد العبادة هو دين كل الرسل عليهم السلام
٤٩	ردّ ابن القيم رحمه الله على شبهة من يدعي أنّ اليهودية والنصرانية من ملة إبراهيم <small>عليه السلام</small>
٥٣	المبحث الثالث: حاجة الناس إلى بعثة النبي <small>ﷺ</small> وبعده إلى وجود العلماء المجلدين حتى تقوم الساعة
٥٩	المبحث الرابع: بيان خطأ من يزعم أنّ الرسل بعثوا لإثبات الخالق
٦٧	المبحث الخامس: هل المعرفة تكفي للدخول في الإسلام؟
٧١	الباب الأول: توحيد العبادة

٧٢	الفصل الأول: التوحيد
٧٣	المبحث الأول: بيان ابن القيم رحمه الله أنّ التوحيد أشرف العلوم
٨٠	المبحث الثاني: لا إله إلا الله وحقيقتها
٨٢	ركني كلمة (( لا إله إلا الله ))
٨٣	شروط كلمة: لا إله إلا الله
٨٣	فضل التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله
٨٧	المبحث الثالث: شهادة أنّ محمدا رسول الله ﷺ
٨٩	نسبه ﷺ
٩٠	هل يصير الكافر مسلما بمجرد الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة
٩٤	حال النبي ﷺ مع قومه
٩٥	تجريد متابعة الرسول ﷺ
١٠١	إنّ طالب الهدى في غير القرآن والسنة شهد الله ورسوله له بالضلال
١٠٣	لا يمكن بل يستحيل الإيمان بنبي من الأنبياء أصلا مع إنكار نبوة رسول الله ﷺ
١٠٦	المبحث الرابع: تعريف التوحيد
١١٣	لطف التوحيد وصفائه
١١٥	المبحث الخامس: سبب تسمية الدين توحيدا
١١٧	الإسلام دين فطرهم الله عليها
١٢٠	المبحث السادس: الموحد بين الخوف والرجاء
١٢٤	المقصود بالتوفيق والخذلان
١٢٤	منزلة الخوف والرجاء في العبادة
١٢٨	المبحث السابع: أركان التوحيد
١٣٣	المبحث الثامن: أقسام التوحيد
١٣٦	توحيد الأسماء والصفات
١٣٩	توحيد الربوبية
١٤١	توحيد الألوهية
١٤٢	العلاقة بين أنواع التوحيد
١٤٤	المبحث التاسع: أقسام التوحيد بالنسبة لانقسام الطوائف فيه
١٤٦	الفلاسفة
١٤٧	الإنحادية

١٤٩	الجهمية
١٥٠	القدرية
١٥١	الجبرية
١٥٢	المبحث العاشر: براهين التوحيد
١٥٣	الرهان الأول: في إقامة التوحيد وبطلان الشرك وقطع أسبابه وحسم مواده
١٦٠	الرهان الثاني: في إثبات البعثة والرسالة والنبوة
١٦٧	الرهان الثالث: في إثبات المعاد وحشر الأجساد
١٧٧	الرهان الرابع: في إثبات علم الله
١٧٩	المبحث الحادي عشر: أقسام الناس بالنسبة لتوحيد الربوبية
١٨٨	المبحث الثاني عشر: أقسام الناس بالنسبة لتوحيد الألوهية
١٩٧	المبحث الثالث عشر: أقسام الناس بالنسبة للإخلاص والمتابعة
١٩٨	شرطا العبادة
٢٠٣	مسألة:
٢٠٥	مفهوم الإخلاص وتعريفه
٢٠٧	ثمررة الإخلاص
٢٠٨	المبحث الرابع عشر: حقوق الله على عباده
٢٠٩	النوع الأول: حقوق الله تعالى التي لا تنبغي إلا له ﷻ
٢١١	النوع الثاني: الحقوق التي يختص بها الرسول ﷺ
٢١٣	النوع الثالث: الحقوق المشتركة بين الله ورسوله
٢١٥	المبحث الخامس عشر: جزاء المخلص بتوحيده وعبادته
٢٢٠	الفصل الثاني: العبادة
٢٢١	المبحث الأول: لفظ العبودية في القرآن
٢٢٢	المطلب الأول: تعريف العبادة في اصطلاح السلف
٢٢٤	المطلب الثاني: مفهوم العبودية في القرآن الكريم
٢٢٩	المطلب الثالث: عتبه العبودية
٢٣٢	المطلب الرابع: في لزوم العبادة لكل عبد إلى الموت
٢٣٦	المطلب الخامس: العبودية لله على عباده أمر وقضاء ونعمة
٢٣٩	المطلب السادس: السكينة عند القيام بوظائف العبودية
٢٤٢	المطلب السابع: آثار الأسماء والصفات في العبودية

٢٤٦	المبحث الثاني: حقيقة العبادة
٢٤٨	تمام العبودية
٢٤٩	أنواع التذلل والتعبد
٢٥١	المبحث الثالث: قواعد العبودية
٢٥٤	المبحث الرابع: مراتب العبادة
٢٥٧	المبحث الخامس: أقسام العبادة
٢٦٢	الفصل الثالث: بعض أنواع العبادة
٢٦٣	المبحث الأول: الشفاعة
٢٧١	المبحث الثاني: التوكل
٢٧٤	معنى التوكل
٢٧٧	درجات التوكل
٢٧٩	الرد على نفاة الأسباب
٢٨٤	منزلة التوكل من الكتاب والسنة
٢٧٨	أنواع التوكل على الله
٢٩٠	ثمرة التوكل على الله
٢٩٢	المبحث الثالث: المحبة
٢٩٣	معنى المحبة
٢٩٥	مراتب المحبة
٢٩٩	أنواع المحبة
٣٠٠	المسألة التي يغلط فيها كثير من المدعين للمحبة
٣٠١	أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله
٣٠٤	المبحث الرابع: الخوف والرجاء
٣٠٥	مفهوم الخوف
٣٠٧	مفهوم الرجاء
٣٠٨	مقارنة الخوف بالوجل والخشية والرهبة
٣١١	منزلة الخوف
٣١٤	منشأ الخوف
٣١٦	الفرق بين الخوف والحب
٣١٧	وجه خوف الملائكة

٣١٨	إذا فعل العبد مقلوره من شكره وعبوديته فكيف يحسن العذاب عليه
٣١٨	الجواب من وجهين
٣٢٤	الرد على أصحاب وحدة الوجود في تأويلهم لمعنى الخوف
٣٢٦	الرجاء
٣٢٧	الفرق بين الرجاء والتمني
٣٢٨	علامة الرجاء الصحيح
٣٣٢	الباب الثاني: المضادات للتحيد كلية أو جزئية
٣٣٣	الفصل الأول: الكفر
٣٣٤	المبحث الأول: أنواع الكفر وأحكامها
٣٣٥	معنى الكفر
٣٣٥	الكفر نوعان الأكبر والأصغر
٣٣٨	الكفر الأكبر خمسة أنواع
٣٣٨	كفر التكذيب
٣٣٩	كفر الإباء والاستكبار
٣٤٠	كفر الإعراض
٣٤٠	كفر الشك
٣٤٠	كفر النفاق
٣٤٠	كفر الجحود نوعان مطلق ومقيد
٣٤٢	المبحث الثاني: رؤساء الكفر وأئمة ودعاته وبيان أن الكفر يتفاوت
٣٤٥	المبحث الثالث: تغليظ العذاب حسب غلظ الكفر
٣٤٧	طبقة المقلدين
٣٥٠	الفرق بين مقلد ممكن من العلم معرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه
٣٥١	أطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أولياتهم
٣٥٤	المبحث الرابع: أركان الكفر وكيفية هدمها
٣٥٥	مفهوم الركن
٣٥٥	تعريف الركن عند الأصوليين
٣٥٦	أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة
٣٥٩	الفصل الثاني: الشرك
٣٦٠	المبحث الأول: أقسام الشرك وأحكامها



٣٦٣	أصل الشرك وقاعدته
٣٦٧	شرك العبادة
٣٦٩	أقسام شرك العبادة
٣٧٠	الشرك الأصغر
٣٧٢	المبحث الثاني: تنزيه آدم <small>عليه السلام</small> عن الشرك
٣٧٦	المبحث الثالث: إزالة مواضع الشرك
٣٧٨	غزوة تبوك
٣٨٠	قدوم وفد ثقيف
٣٨٢	المبحث الرابع: بعض أنواع الشرك
٣٨٣	المطلب الأول: بعض أنواع الشرك المناقضة للتوحيد
٣٨٤	المسألة الأولى: الذبح لغير الله
٣٨٥	مفهوم الذبح والنسك والتذكية والنحر
٣٨٩	المسألة الثانية: السحر
٣٩٠	تعريف السحر
٣٩١	بيان أن ما ثبت من أنه <small>لا يضر</small> سحر لا يتنافى مع عصمته
٤٠١	تأثيرات السحر وأن له حقيقة
٤٠٤	حد الساحر
٤٠٥	مضرة تعلم السحر
٤٠٧	المسألة الثالثة: التنجيم
٤١٠	حكم حلوانهم
٤١٢	أصحاب الملاحم
٤١٥	المسألة الرابعة: الزيارة الشركية للقبور
٤١٦	مفهوم الزيارة والقبر
٤١٦	من الزيارة الشركية للقبور اتخاذها أوثانا تعبد
٤١٩	من الزيارة الشركية للقبور اتخاذها عيداً
٤٢٠	مفهوم العيد
٤٢٣	شبهة القبورين والرد عليها
٤٢٤	بيان بعض المفاسد باتخاذ القبور أعياداً
٤٣٢	كيفية الزيارة المشروعة للقبور

٤٤٤	الحكمة في النهي عن اتخاذ القبور أوثانا وأعيادا وأنصبا
٤٤٦	الفرق بين مقاصد زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين
٤٤٩	المسألة الخامسة: سؤال المخلوقين ما لا يقدرون عليه
٤٥٠	مسألة التسؤل
٤٥٣	أنواع سؤال المخلوقين ما لا يقدرون عليه
٤٥٤	طلب الحوائج من الموتى
٤٥٥	أسباب افتتاح القبورين بالقبور
٤٦١	المسألة السادسة: شرك المحبة
٤٦٧	أقسام المحبة
٤٦٨	الفواحش أصلها المحبة لغير الله
٤٧١	أصل الشرك الإشراف مع الله في المحبة
٤٧٤	المسألة السابعة: النفاق الإعتقادي
٤٧٥	مفهوم النفاق
٤٧٨	لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل
٤٧٩	صفات المنافقين الواردة في القرآن
٤٨١	صفات المنافقين الواردة في السنة
٤٨٥	الحذر من المنافقين
٤٨٨	المنافقون نوعان
٤٨٩	الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق
٤٩١	المطلب الثاني: بعض أنواع الشرك المنافية لكمال التوحيد
٤٩٢	المسألة الأولى: ما جاء في اللو
٤٩٣	مفهوم اللو في اللغة
٤٩٦	المسألة الثانية: الرياء
٤٩٧	مفهوم الرياء
٥٠١	المسألة الثالثة: الطيرة
٥٠٢	مفهوم الطيرة
٥٠٧	التطير ديدان أعداء الرسل عليهم السلام
٥٠٨	مفهوم الطيرة في كلام العرب
٥١٨	المسألة الرابعة: حلق الرأس لغير الله تعالى

٥١٩	مفهوم الخلق في اللغة
٥١٩	حكم خلق الرأس
٥٢٢	المسألة الخامسة: الخلف بغير الله تعالى
٥٢٣	مفهوم الخلف
٥٢٥	المسألة السادسة: الفسق
٥٢٦	مفهوم الفسق
٥٣١	فسق الإعتقاد
٥٣١	شروط توبة الفاسق
٥٣٨	الفصل الثالث: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك
٥٣٩	مفهوم الذرائع
٥٤١	المبحث الأول: النهي عن بناء المساجد على القبور
٥٤٥	إبطال قول من زعم أنّ النهي عن الصلاة في المقابر لأجل النجاسة
٥٥٠	المبحث الثاني: الغلو في تعظيم المخلوقين
٥٥١	مفهوم الغلو
٥٥٤	إطلاق السيد على البشر
٥٥٦	المبحث الثالث: النهي عن الإنحناء وعلته
٥٥٧	مفهوم الإنحناء
٥٦٠	المبحث الرابع: المنع من التشريك في اللفظ وعلته
٥٦٣	المبحث الخامس: النهي عن سب آلهة المشركين
٥٦٦	الخاتمة
٥٧٥	الفهارس
٥٧٦	ثبت المصادر والمراجع
٥٩١	فهرس الآيات القرآنية
٦٠٥	فهرس الأحاديث النبوية
٦١٦	فهرس الآثار
٦٢٣	فهرس القوافي
٦٢٦	فهرس الأعلام المترجم لهم
٦٣٥	فهرس الفرق والأديان
٦٣٦	فهرس الموضوعات